



مجلة علمية محكمة نصف سنوية، تُعنى بتراث سامراء/ تصدر عن العتبة
العسكرية المقدسة. مركز تراث سامراء/ النجف الأشرف
- (العدد الثامن) ٢٠٢٣م - ١٤٤٥هـ.

عدد خاص
بالإمام علي الهادي عليه السلام



تَرَاثِ سَامِرَاءَ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٌ تُعْنَى بِدِرَاسَةِ
تَرَاثِ سَامِرَاءِ الْمَشْرِفَةِ

تصدر عن

الْعَتَبَةُ الْعِلْمِيَّةُ فِي الْقُدْسِ

مَرْكَزُ تَرَاثِ سَامِرَاءَ

العدد الثامن - السنة الرابعة

(٢٠٢٣ م - ١٤٤٥ هـ)

رئيس التحرير

أ.د. محمد محمود عبود زوين
جامعة الكوفة - كلية الفقه - التفسير اللغوي

مدير التحرير

م.د. مشتاق عبد الحي الأسدي
مدير مركز تراث سامراء
جامعة الكوفة - كلية الهندسة

هيئة التحرير

١. أ.د. محمد موسى القريني. جامعة الملك عبد العزيز. كلية المعلمين. تاريخ حديث.
٢. أ.د. محمد شقير. الجامعة الإسلامية. كلية الدراسات الإسلامية. لبنان. فقه وعلوم إسلامية.
٣. أ.د. حسن خليل رضا. الجامعة اللبنانية. كلية الآداب والعلوم الإنسانية. الفلسفة والعلوم التربوية.
٤. أ.د. عبد المجيد حسين زراقط. الجامعة اللبنانية. اللغة العربية والأدب العربي.
٥. أ.د. سامي ناظم حسين المنصوري. جامعة القادسية. كلية التربية. تأريخ حديث.
٦. أ.د. عادل عباس النصر اوي. جامعة الكوفة. كلية التربية الأساسية. اللغة والنحو.
٧. أ.د. سرحان جفات سلمان. جامعة القادسية. كلية التربية. اللغة العربية.
٨. أ.د. عادل نذير. جامعة كربلاء. كلية التربية للعلوم الإنسانية. اللسانيات الحديثة.
٩. أ.د. عادل عبد الجبار الشاطي. جامعة بابل. كلية العلوم الإسلامية. الحديث الشريف.
١٠. أ.م.د. رجوان فيصل الميالي. جامعة القادسية. كلية الآثار. الآثار الإسلامية.
١١. م.د. نافع جميل خلف. كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة. العقيدة والفكر الإسلامي.

تدقيق اللغة العربية
الشيخ عقيل علي شلال الدراجي

تدقيق اللغة الانكليزية
أ.م. حميد مانع داخ الحمداوي

لا يحق لأحد النشر أو الاقتباس من بحوث المجلة دون الإشارة إلى مؤلفيها والجهة الناشرة،
وبعد ذلك حقاً من حقوق الملكية الفكرية للمؤلفين، ومعياراً من معايير التحكيم الدولي
للمجلات العلمية الرصينة.

الترقيم الدولي: ISSN: 2617-216x

إدارة المجلة: 07601840097 | 07819570282

موقعنا على شبكة الإنترنت: <http://ts.askarian.iq>

البريد الإلكتروني: torath.samarra2017@gmail.com

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية: ٢٣٩٦ لسنة ٢٠١٩ م.

العنوان الموقعي: جمهورية العراق / النجف الأشرف - ملحق شارع الرسول ﷺ / مركز تراث سامراء

دليل الباحث

تستقبل مجلة تراث سامراء البحوث والدراسات الرصينة وفق قواعد البحث العلمي الآتية:

١. يشترط في البحوث أو الدراسات أن تكون وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالمياً.

٢. أن يكون البحث مرتبطاً بمحاور المجلة الرئيسة الآتي ذكرها:

أ- الإمامان العسكريان عليهما السلام وتراثهما التاريخي، والعقائدي، والفقهية، والروائي، والتفسيري، والأدبي، ودورهما في التمهيد لغيبة الإمام المهدي عليه السلام.

ب- تاريخ العتبة العسكرية المقدسة ومميزاتها المعمارية، والإدارات التي تعاقبت عليها، والأوقاف التابعة لها، والمعالم التي تضمنتها، والراقدون فيها.

ج- أعلام سامراء وشخصيات زارت المدينة.

د- تاريخ مدينة سامراء وجغرافيتها عبر العصور، وتنوعها السكاني، ومعالمها الأثرية والدينية.

هـ- الحوزة العلمية في سامراء: علماءؤها، ومدارسها، وآثارها الفكرية.

و- المجدد السيد الشيرازي رحمته الله، آثاره، ومدرسته في سامراء.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود صفحة واحدة، على أن تتضمن عنوان البحث كاملاً.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على: عنوان واسم الباحث/ الباحثين، جهة العمل، العنوان الوظيفي (إن وجد)، رقم الهاتف، البريد الإلكتروني.

٥. تكون الهوامش في أسفل كل صفحة والمصادر والمراجع في نهاية البحث، أما طريقة كتابة المصادر والمراجع فتكتب وفق الصيغة العالمية المعروفة بـ (chicago)، وهي كالآتي: اللقب، اسم المؤلف، عنوان الكتاب، الترجمة، المجلد أو الجزء، مكان الطبع، اسم المطبعة، سنة الطبع.

٦. يزود البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة المصادر والمراجع بها منفصلة عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعى في

إعدادهما الترتيب الألف بائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجلات.

٧. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويشار في أسفل

الشكل إلى مصدرها، أو مصادرها، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٨. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وأن يشير فيها إذا كان البحث قد قُدم إلى مؤتمر أو ندوة علمية، كما يلزم أن يشار إلى اسم الجهة العلمية، أو غير العلمية، التي قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

٩. أن لا يكون البحث منشوراً في وسيلة نشر أخرى، وبخلافه يتحمل الباحث التبعات القانونية المترتبة على ذلك.

١٠. يقدم البحث مطبوعاً على ورق (A4)، مع قرص مدمج (CD)، وبما لا يقل عن (٢٥) صفحة بخط "simplified Arabic" حجم (١٦) للمتن، و(١٤) للهامش، على أن تُرقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً.

١١. ترتيب البحوث في المجلة خاضع لاعتبارات فنية، ولا علاقة له بمكانة الكاتب وأهمية البحث.

١٢. تخضع البحوث لتقييم سرّي؛ لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء قبلت للنشر أم لم تقبل، ووفق الآلية الآتية:

أ- يبلغ الباحث باستلام المادة المرسله للنشر خلال مدة أقصاها أسبوع من تاريخ التسلم.

ب- يُبلغ أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقع.

ج- البحوث التي يرى المقيّمون الحاجة إلى إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائياً للنشر في موعد أقصاه أسبوع واحد.

د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها بالرفض من دون ضرورة لإبداء أسباب الرفض.

هـ- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية، ويعتمد ذلك على درجة تقييم البحث وأصالته.

سياسة النشر في المجلة

تهدف المجلة إلى توفير فرص متساوية لجميع الباحثين، حيث تقبل الأبحاث العلمية استناداً إلى محتواها العلمي وأصالتها، وترى المجلة أن الالتزام بأخلاقيات النشر المهنية تعدّ أهمية قصوى يجب على الباحثين والمحكّمين مراعاتها لتحقيق أهداف المجلة ورؤاها.

وفي ما يأتي بيان أخلاقيات النشر العلمي الخاص بالمجلة، ويتضمن لوائح وأنظمة أخلاقية خاصة برئيس التحرير، وأعضاء هيئة التحرير، والمحكّمين، والباحثين، كما يتوافق مع مبادئ لجنة أخلاقيات النشر العالمية (COPE):

- يقوم رئيس التحرير بمتابعة وتقييم البحوث تقييماً أولياً، والنظر في مدى صلاحيتها للنشر، أو الاعتذار من النشر، قبل إرسالها إلى السادة المحكّمين.
- يتولى رئيس تحرير المجلة - بالتعاون مع هيئة التحرير وذوي الاختصاص من خارج هيئة التحرير - مسؤولية اختيار المحكّمين المناسبين على وفق موضوع البحث، واختصاص المحكّم بسرية تامة.
- تقدّم المجلة في ضوء تقارير المحكّمين والخبراء خدمة دعم فني ومنهجي ومعلوماتي للباحثين بمقدار ما يقتضيه البحث ويخدم جودته.
- الالتزام بعدم التمييز بين الباحثين على أساس العرق، أو الجنس، أو النوع الاجتماعي، أو المعتقد الديني أو القيمي، أو أي شكل من أشكال التمييز الأخرى، عدا الالتزام بقواعد ومنهج البحث ومهارات التفكير العلمي في عرض الأفكار والاتجاهات والموضوعات ومناقشتها وتحليلها.

- تلتزم المجلة بعدم استخدام أيّ عضو من أعضاء هيئتها، أو المحكّمين أفكار البحوث غير المنشورة التي يتضمنها البحث المحال على المجلة في أبحاثهم الخاصة.
- يتعهد الباحثون بأصالة أبحاثهم واستيفائها للمعايير المهنية والأخلاقية والعلمية، وما يترتب على ذلك من مصداقية عالية في تقديم النتائج من دون أي تغيير أو تحريف لها.
- يلتزم الباحثون باستخدام الطريقة العلمية الممنهجة في الوصول إلى الحقيقة.
- التزام الباحثين بالحيادية والابتعاد عن التعصب والترمّت والتمسك بالرأي والذاتية، وأن يكون الباحث منفتحاً على الحقيقة العلمية.
- يلزم الباحثين اعتماد الأدلة والبراهين الكافية لإثبات صحة النظريات والفرضيات للتوصل إلى الرأي المنطقي المعزز بالأدلة.
- يلتزم المحكّمون بالتأكد من خلوّ الأبحاث من الانتحال، كما يلزمهم الإشارة إلى جميع الأعمال المنشورة التي انتحل منها.

العدد:
التاريخ:

إلى /

م/ تعهد وإقرار

يسر هيئة تحرير (مجلة تراث سامراء) إعلام جنابكم الكريم بأنها قد استلمت بحثكم الموسوم بـ (.....).

فيرجى تفضلكم بملئ أنموذج التعهد المرفق ربطاً في أقرب وقت ممكن؛ ليتسنى لنا المباشرة بإجراءات التقييم العلمي، بعد تسلّم التعهد.. مع التقدير

مدير التحرير

م.د. مشتاق عبد الحي الأسدي

تعهد وإقرار

إني الموقع في أدناه () وبحثي الموسوم بـ ()

أتعهد بما يأتي:

١- إنّ البحث غير منشور سابقاً، ولم أقدمه لأية جهة لنشره كاملاً أو ملخصاً، وهو غير مستل من رسالة أو أطروحة أو كتاب أو غيرها.

٢- التقيّد بتعليمات النشر وأخلاقياته المطلوب مراعاتها في البحوث المنشورة في المجلة، وتدقيق البحث لغوياً.

٣- الالتزام بتعديل البحث حسب ملحوظات هيئة التحرير المستندة إلى تقرير المقيم العلمي.

٤- عدم التصرّف بالبحث بعد صدور قبول النشر من المجلة إلاّ بعد حصولي على موافقة خطيّة من رئيس التحرير.

٥- تحمل المسؤولية القانونية والأخلاقية عن كل ما يرد في البحث من معلومات.

كما أتعهد بما يأتي:

١- ملكيتي الفكرية للبحث.

٢- التنازل عن حقوق الطبع والنشر والتوزيع الورقي والإلكتروني كافة لمجلة تراث سامراء أو من تخوّله.

وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافّة، ولأجله وقّعت.

اسم الباحث: (.....)

اسم الوزارة والجامعة والكلية أو المؤسسة التي يعمل بها الباحث: (.....)

البريد الإلكتروني للباحث (.....) رقم الهاتف: (.....)

أسماء الباحثين المشاركين إن وجدوا (.....)

توقيع الباحث

التاريخ: // ٢٠ م الموافق: // ١٤ هـ

دليل المقيمين

تحرص مجلة تراث سامراء على ضمان أعلى درجات الكفاءة والإنصاف في عملية التقييم، فضلاً عن ضمان توحيد آلية التقييم، والاتفاق على مراحلها، والتأكيد على أهمية استيفاء معايير التقييم المنصف والدقيق، لذلك نرى أن المهمة الأساسية للمقيّم العلمي للبحوث، هي أن يقرأ البحث الذي يقع ضمن تخصصه العلمي بعناية فائقة، ويقيّمه وفق منظور علمي أكاديمي لا يخضع لآرائه الشخصية، ثم يقوم بتثبيت ملحوظاته الصادقة حول البحث.

وأن يعاد البحث إلى المجلة في مدة لا تتجاوز خمسة عشر يوماً، ويتم التقييم وفق المحددات الآتية:

- ١- مدى اتساق العنوان مع المحتوى.
- ٢- سلامة المنهج العلمي المستخدم مع المحتوى.
- ٣- مدى توثيق المصادر والمراجع وحداثها.
- ٤- الأصالة والقيمة العلمية المضافة في حقل المعرفة.
- ٥- توافق البحث مع السياسة العامة للمجلة وضوابط النشر فيها.
- ٦- عدم الاستلال من دراسات سابقة، ومع ثبوت الاستلال يلتزم المقيم ببيان تلك الدراسات لرئيس التحرير في المجلة.
- ٧- بيان ما إذا كان ملخص البحث يصف بشكل واضح مضمون البحث وفكرته باللغتين العربية والانكليزية.
- ٨- بيان مدى استناد النتائج التي توصل إليها الباحث إلى الأطر النظرية التي اعتمد عليها.
- ٩- عملية التقييم تتم بشكل سري، وليس من حق المؤلف الاطلاع على أي جانب منها، وتسلم الملحوظات مكتوبة إلى مدير التحرير.
- ١٠- إن ملحوظات المقيّم العلمية وتوصياته ستعتمد بشكل رئيس في قرار قبول البحث للنشر من عدمه.

ديوان الوقف الشيعي / الأمانة العامة للعتبة العسكرية المقدسة

م/ مجلة تراث سامراء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

اشارة الى كتابكم المرقم م / ٥ / ١٣٥٤ في ٢٠٢٠/٥/١٦ بشأن اعتماد مجلة تراث سامراء التي تصدر عن مركز تراث سامراء التابع للعتبة العسكرية المقدسة في الترتيبات العلمية وتسجيلها في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ، نود اعلامكم بأنه حصلت موافقة السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي بتاريخ ٢٠٢٠/٦/٢١ على اعتماد المجلة اعلاه في الترتيبات العلمية واعتباراً من العدد الاول - السنة الاولى ٢٠٢٠ وتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالعلم وتسمية مخول عن المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم مستخدم وكلمة مرور ضمن موقع المجلات بشأن فهرسة اعداد المجلة ... مع التقدير .

أ.د. غسان حميد عبدالمجيد

المدير العام لدائرة البحث والتطوير

٢٠٢٠/٦/ ٢١

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي / اشارة الى موافقة سيادته المذكورة اعلاه المثبتة على مذكرتنا المرقمة ب ت م/٤/ ١٥٥٣ في ٢٠٢٠/٦/٢١ / للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير .
- قسم ادارة المشاريع الريادية / شعبة المشاريع الالكترونية / للتفضل بالعلم واتخاذ مايلزم ... مع التقدير .
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الأوليات .
- الصادرة .

مهمل ، لئس
٢١ / حزيران

المحتويات

١٧	أ.م.د. حيدر جبار دفتر أ.م.د. ابتهاج سماع علي	مظاهر التأويل القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام ردود الشبهات أنموذجاً
٣٩	أ.م.د. أصغر طهماسبى البلداجي	الآيات النازلة بولاية الإمام علي عليه السلام في زيارة العدير للإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل
٦٧	الشيخ رسول كاظم عبد السادة	معرفة الله وتوحيده في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام
١١١	د. مهدي عصمتي	جهود الإمام علي الهادي عليه السلام في تعزيز نظام الوكلاء دراسة تحليلية
١٤٣	د. إبراهيم مرتضوي	علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة دراسة تحليلية
١٦٥	د. بهمن زينلي	نهج الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة التحديات دراسة وتحليل
١٩٣	م.د. أحمد موفق مهدي	الْقَصْدُ وَالْقَبُولُ وَأَثَرُهُمَا فِي بِنَاءِ النَّصْرِ خِطَابُ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتِياراً
٢٣٧	م.د. كاظم حنون صجم	الاستنطاق اللغوي لكلمات الإمام الهادي عليه السلام دراسة دلالية



الخطاب القرآني عند الإمام
علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية
أ.م.د. عمّار حسن عبد الزهرة
٢٧٥

الإحالة في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام
في الرد على أهل الجبر والتفويض
م.د. داخل دمان ساهي
٣١٧

رسائل علي بن مهزيار الاهوازي
إلى الإمام الهادي عليه السلام - قراءة في
خصائص البناء النصي -
أ.د. مزاحم مطر حسين
٣٣٧

مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام في ضوء
السياق التعبيري
أ.م. أحمد جاسم ثاني
٣٦١

الجوانب الاجتماعية في فكر الإمام
الهادي عليه السلام
م.د. ستار جليل عجيل
٣٨٣

التركيب النحوي وأثره في توجيه المعنى
بأحاديث الإمام الهادي عليه السلام
م.م. عبد الهادي فليح الكعبي
٤٢٥

الأفضية الذهنية في حواريات الإمام
الهادي عليه السلام - في ضوء اللسانيات
الإدراكية -
أ.د. هادي سعدون هنون العارضي
٤٤٧



مظاهر التأويل القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام

ردود الشبهات أنموذجاً

**Manifestations of Quranic Interpretation
of Imam Al-Hadi (PBUH): Doubts Re-
sponses as a Model**

أ.م.د. حيدر جبار دفتر

جامعة القادسية

كلية التربية

Assist Prof.Dr. Hayder Jabbar Daftar

Al-Qadisiyah University

College of Education

أ.م.د. ابتهاج سماع علي

جامعة القادسية

كلية الآثار

Assist. Prof.Dr. Ibtihaj Sama' Ali

Al-Qadisiyah University

College of Archaeology



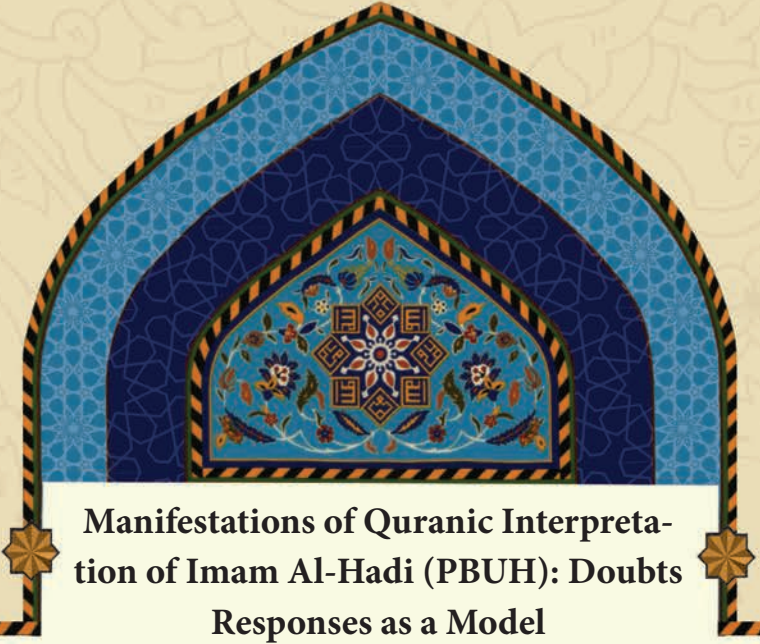
مظاهر التأويل القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام ردود الشبهات أنموذجاً

الملخص:

يتحدث هذا البحث عن ظاهرة باتت واضحة لدى المتمعن من القراء في تناول الإمام علي الهادي عليه السلام للنصوص القرآنية، وقد وسمناه بـ (مظاهر التأويل القرآني عند الإمام الهادي عليه السلام) وجعلنا رده عليه السلام للشبهات المفتعلة ضد القرآن أنموذجها، بلحاظ أنَّ الإمام (سلام الله عليه) يتعاطى مع النص القرآني تعاطياً مختلفاً، فيه فرادة لغوية وعقدية وأخلاقية من ناحية الأصل وتعدد الاستعمال، فيظهر ما للنص القرآني من وجوه متعددة وفقاً لثقافة المتلقي وحسن تدبره، وقُدِّمَ البحث بمقدمة جاء الحديث فيها عن التأويل وردود الشبهات (مدخل قرآني)، أما المبحث الأول فستتحدث فيه عن المفسرين ومظاهر التأويل القرآني عندهم، في حين كان الحديث في المبحث الثاني يصب في إشكاليات القراءة ومسالك المعنى عند الإمام عليه السلام.

الكلمات المفتاحية:

الاحتمال، التأويل، الشبهات، مسالك المعنى، المفسر.



Manifestations of Quranic Interpretation of Imam Al-Hadi (PBUH): Doubts Responses as a Model

Abstract:

The study discusses a phenomenon that has become clear to the attentive reader who ponders over Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) handling of Quranic texts, which we have termed "Manifestations of Quranic Interpretation of Imam Al-Hadi (PBUH)". We have taken his responses to fabricated doubts against the Holy Quran as a model, noting that the Imam (PBUH) deals with the Quranic text in a different manner. This deal of the Holy Quran has linguistic, doctrinal, and ethical uniqueness in terms of origin and multiplicity of use. It shows the multiple aspects of the Quranic text according to the recipient's culture and proper contemplation. The study begins with an introduction discussing interpretation and responding to doubts (Quranic approach). The first section will discuss Quranic interpreters and their manifestations of interpretation, while the second section focuses on issues of recitation and meanings as seen by the Imam.

key words:

implication, Interpretation, suspicions, meanings, interpreter .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين. وبعد.

ليس الحديث عن القرآن الكريم بجديد على أهل العلم والمعرفة، ومظاهره علمية كانت أم أخلاقية تربوية أم غير ذلك، هي في متناول أيدي العلماء القدماء منهم والمحدثين، فكيف بأهل البيت عليهم السلام وهم عِدْلُ القرآن وصُنُوه وثقله، ومظاهر القرآن وفتوحاته وإشراقاته وفيوضاته لا شك في أنها في متناول أيديهم وأمام أنظارهم.

يزاد على ذلك أن تداخل الأصول مع الفروع، والعام مع الخاص، والمحكم مع المتشابه عند الخاصة وأهل العلم، فضلاً عن العامة، يدفع بأهل العلم وخُلَصَّ العباد إلى الدفاع عن كتاب الله، ولا بد للعالم كما قيل أن يشمر عن ساعد العلم في موضع الفتنة، وقد عمل على ذلك أهل البيت عليهم السلام وهم أفضل من دافع وأوضح وبيّن.

اليوم نحاول الحديث عن جهد الإمام علي الهادي عليه السلام في عطاءه التفسيري

- في ما تيسّر لنا من نصوص - المحتمل للظاهر والباطن، واخترنا جنبه في ذلك هي رده للشبهات، وهذه الجنبه قائمة على الاحتمال في ذهن المتلقي أو السامع، والاحتمال يبطل الاستدلال أو لنقل يدفع بالسامع أو القارئ إلى إعادة النظر في ما ذهب إليه، وهي آية استعملها الإمام في خطاب الآخر، ومن جهة أخرى يحاول أن يجيب بلحاظ عام وبقيد وقرينة تفسيرية تهدف إلى هدم البنى المتراكمة والمتعالية من أجل الدفع بعجلة التفسير نحو المراد، ولهذا سميناها (مظاهر التأويل القرآني عند الإمام علي الهادي عليه السلام).

ونود القول هنا: إنّ الغرض من وراء هذا البحث أن يعرف القارئ أنّ الإمام عليه السلام مفسر بلحاظ مختلف، فهو عالم في كل العلوم والمعارف غير أنه يعطيها بقدر سامعها وقدره، كما يأخذ منها بحسب نفعها وفائدتها، زد على ذلك أنّ مسالك المعنى كما يراها الإمام هي متعددة بتعدد ثقافة الآخر ووعيه وإدراكه، وقد راعى الإمام سلام الله عليه ذلك أيّما مراعاة كي تعم الفائدة.

ورأينا أن نبدأ في هذه الوريقات بتمهيد نماذج فيه ونلاطف بين التأويل

وردود الشبهات، فالتأويل يوظف في
مداخل الشبهات بلحاظ أنَّ الظهور
تتداخل رؤياه وتتعدد مشاربه بتعدد
الذائقة، ولا ريب في أنَّ الشكَّ يعد شبهة
ذهنية عقدية تحتاج إلى لغة شبيهة بها
خارجة عن ظاهر النص إلى فجوة وكوة
باتت غير مأنوسة وغير مُدركة، فهي تحتاج
إلى نفص الغبار عنها لتلتقي بظاهر الفهم
وتتداخل معه، فالظاهر يحتملها ولا يبتعد
عنها.

وجاء المبحث الأول رديفاً للتمهيد
ليستشقق عطر المفسرين ورؤاهم بلحاظ
أنهم يمثلون الفئة الواعية والواعدة في
قراءة النص، لنصل الى: مساك المعنى
وإشكاليات الفهم وتعدد الاحتمال عند
الإمام، وهذا ما سنقف عليه في المبحث
الثاني، لتأتي بعده نتائج البحث ثم قائمة
المصادر والمراجع التي استعان بها الباحثان
في كتابة هذا البحث، فإن وفقنا فذلك
فضل من الله ؛ وإن لم نكن كذلك فهذا ما
آلت إليه معرفتنا المتواضعة، وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه
محمد الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

التمهيد: التأويل وردود الشبهات
(مدخل قرآني)

التأويل مصطلح علمي قرآني له تأثير واضح في دوائر معرفية كثيرة كالتفسير وعلم الكلام والفلسفة والعرفان والفقه وأصوله.

وقد اختلف في دلالة هذا المصطلح حتى عند المفكرين الغربيين الذين عنوا بالدراسات الإسلامية، ولا نريد الخوض في دلالته ومعناه من حيث اللغة والاصطلاح؛ فقد بات الأمر جلياً واضحاً لذوي الاختصاص فضلاً عن عامة القراء. ولكن ما نريد قوله هنا أن هذا المفهوم قد شكل مشكلاً علمياً بلحظات مختلفة بحسب إدراك المتلقي وتلقيه للعلوم والمعارف والعقائد، وهذه مسألة تختلف فيها بين أهل العلم، فمفهوم التأويل فضلاً عن معناه اللغوي له معنى اصطلاحى في كل دائرة من الدوائر المعرفية المختلفة، فهناك تأويل للقول وآخر للفعل وثالث للرؤيا وغير ذلك بلحاظ السياقات القرآنية غيرها^(١).

وعلى نحو الإجمال فقد ذهب أهل

(١) ينظر: الحيدري، السيد كمال، أصول التفسير والتأويل، ص ٢٢٠.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
٢٠٢٣/هـ ١٤٤٥

بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تضرب ليقرب بها المقاصد وتوضح بحسب ما يناسب فهم السامع"^(٣).

والحق أنَّ علاقة التأويل بردود الشبهات عند ظاهر سياق النصوص القرآنية علاقة مترابطة ومتداخلة ولها صلة واضحة، فالتأويل كما أشرنا يحصل نتيجة مشكل أو مجمل في ظاهر السياق وباطنه (إذا صحَّ التعبير)، إذ يعمل المعبرُّ أو المؤول على إظهار ذلك المشابه بما أُوتي من معرفة لغوية وعلمية وكلُّ بحسب مذهبه وعقيدته مع وجود قرينة دالة على التأويل من قبل المؤول.

وقد اختلفت أنظار القراء إلى النص اللغوي أو القرآني ومستوياته، تبعاً للقيمة الفنية والجمالية للنص، ومحط نظر القارئ قد ينصب على الجمالي، فيما يتجه نظر بعضهم إلى دلالة اللفظ أو الفعل، وربما تستحوذ طريقة التواصل الجمالية على القيمة الدلالية أو التعبيرية^(٤).

العلم إلى أنَّ في التأويل اتجاهين الأول: التأويل من مقولة المعنى، وينضوي تحت هذا الاتجاه نظريتان، الأولى: إنَّ المراد من التأويل هو التفسير، وهذا ما عليه جملة من السلف المفسرين منهم واللغويين وغيرهم. أمَّا النظرية الثانية فتري أنَّ المراد من التأويل هو المعنى المخالف لظاهر اللفظ إلا أنَّ المحصلة واحدة بينهما، وهناك إشكال على النظريتين^(١). أمَّا الاتجاه الثاني فيذهب إلى أنَّ التأويل من الأمور العينية^(٢) غير أنَّ هذه العينية تختلف في مصاديقها ومدى تحققها في الخارج وفي حقيقة المعارف والأحداث، قال العلامة الطباطبائي: "إنَّ الحق في تفسير التأويل أنَّه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنَّه موجود لجميع الآيات القرآنية، محكمها ومتشابهها، وإنَّه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور الغيبية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، وإنَّما قيدها الله سبحانه

(١) ينظر: الحيدري، السيد كمال، أصول التفسير والتأويل، ص ٢٢٠.

(٢) ينظر: ابن تيمية، التفسير الكبير، ج ٢، ص ١٠٨. وينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥١-٥٥.

(٣) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٤٩.

(٤) ينظر: مجموعة من الباحثين، دراسات في تفسير النص القرآني، ج ٢، ص ٢٢٢.



ونحن نعلم أنَّ اللغة هي أصوات يعبر بها كلُّ قوم عن أغراضهم في حدود ما قاله ابن جني^(١)، ووظيفتها هي البيان مثل ما قال الجاحظ، أو الإنباء والإخبار على لسان المعتزلة، والبيان أو الإنباء يعنيان القدرة على التواصل بهدف نقل الخبرة والمعرفة^(٢).

إنَّ علاقة المفسّر بالنص هي نقطة البدء والقضية الملحة عند فلاسفة الهرمنيوطيقا^(٣)، وما دام التأويل مأخوذاً من الأوّل، أي الرجوع إلى الأصل، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه^(٤)، فإذن لا بدّ من أصول وضوابط ينبغي مراعاتها ليكون الفهم صحيحاً ومقبولاً، كما لا بدّ أيضاً من قيام علم أو فهم يعصمنا سوء

الفهم ويجعلنا أقرب إلى الواقع^(٥).

لقد أصبح النصُّ إشارات ودوالات حرة لا تقيدها حدود المعاني المعجمية، وصار القارئ المدرب هو صانع النص، فالقراءة تعد عملاً إبداعياً حاله حال إنشاء النص نفسه؛ لأنَّ النص جنين يبحث عن أبٍ يتبناه، وما ذلك الأب إلا القارئ المدرب^(٦).

نقول: لا شكّ في أنّ ردود الشبهات (مع لحاظ تعددها) تحتاج إلى مؤول من طراز خاص ولديه أدواته المعرفية واللغوية، فالشبهات مفهوم مصاديقه كثيرة ومتعددة بعضها يتعلق بالجانب الديني أو الاجتماعي أو غير ذلك.

وليس المقصود في بحثنا هذا التخريجات اللغوية والنحوية التي تحدث عنها اللغويون المعاصرون، وإنّ كانت من حيث المعنى داخلة جميعها في هذا المفهوم، وإنما المقصود من التأويل هنا هو الكيفية التي يعالج بها الإمام عليّ (عليه السلام) اللغة بوصفها نصّاً يحاول القارئ اكتشاف (٥) ينظر: معرفة، محمد هادي، التأويل في مختلف المذاهب والآراء، ص ١٥٩.

(٦) ينظر: الغدامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريفية، قراءة نقدية لنموذج معاصر، ص ٤٩.

(١) ينظر: ابن جني، الخصائص، ج ١، ص ٣٣.

(٢) ينظر: أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ٥٣.

(٣) الهرمنيوطيقا: مصطلح قديم بدأ استعماله في دوائر الدراسات اللاهوتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني (الكتاب المقدس)، ينظر: أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص ١٣.

(٤) الأصفهاني، الراغب الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، ص ٣١.



نفس القضايا الواقعة في الماضي، وإن كان إخباراً عن الحوادث والأمور الحالية والمستقبلية فهو على قسمين: فإما أن يكون المخبر به من الأمور التي تناله الحواس أو تدركه العقول كان أيضاً تأويله ما هو في الخارج من القضية الواقعة... وإن كان من الأمور المستقبلية الغيبية التي لا تناله حواسنا الدنيوية... فتأويلها أيضاً نفس حقائقها الخارجية"^(٢). قال الدكتور فاضل السامرائي: "إنَّ الجمل تعبير عن نصي أو قطعي، أي يدل على معنى واحد، وتعبير احتمالي أي يحتمل أكثر من معنى"^(٣)، ولذا قيل: "التأويل إخبار بمعنى الكلام"^(٤)، أي هو فهم يحدث بمقتضاه امتلاك للمعنى الخفي في النص من جهة علاقاته الداخلية، وكذلك علاقته بالعالم والذات"^(٥).

آلياته وصولاً إلى دلالاته ومغزاه من خلال البحث عن وسائله التحليلية والتأويلية في الوقت نفسه؛ لأنَّ النص إمكان تأويلي تتسع معانيه وتتعدد وجوه الدلالة فيه، والقراءة التأويلية هي قراءة بين بين، فهي تبحث عن النسق الكامن في طبيعة الأشياء وأصولها، ليعاد بناء النص على وفق مواصفات المؤلف المبدع، أو على وفق مواصفات القارئ عندما يكون القارئ بارعاً وحصيفاً في اكتشاف حيثيات المبدع، فاللغة بطبيعتها أو بطبيعة تشكيل المؤلف لها، أو بطبيعة وعي القارئ بها أو لها، تستطيع أن تخلق عوالم لا عهد للقارئ الاعتيادي بها، وكلما اتسعت دائرة تلك النماذج اتسعت الدائرة التأويلية"^(١).

وعليه، فإنَّ "التأويل ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ... فتأويل قوله (أقيموا الصلاة) مثلاً، هو الحالة النورانية الخارجية التي تقوم بنفس المصلي في الخارج فتنهاه عن الفحشاء والمنكر، وإن كان الكلام خبرياً، فإنَّ كان إخباراً عن الحوادث الماضية كان تأويله نفس الحادثة الواقعة في ظرف الماضي، كآليات المستمثلة على أخبار الأنبياء والأمم الماضية فتأويلها

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٢.

(٣) السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ١، ص ١٧.

(٤) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص ١٢٩.

(٥) ينظر: إيكو، إمبرتوا، التأويل والتأويل المفرط، ص ١٩٧.

(١) ينظر: هذيلي، علي حسين، إمكانات التأويل وحدوده كتاب منة المنان اختياراً، ص ٢٣٦.



المبحث الأول

مظاهر التأويل القرآني (مقاربة معرفية قرآنية في مظاهر التأويل عند المفسرين)

يمكن أن يفهم القارئ من عنوان هذا المبحث أننا سنقف على سرد تأريخي لمظاهر التأويل عند المفسرين وكيف بدأت وتحركت، ولا شك في أن هذه المسألة مهمة، لكن الوقوف عليها ليس من شأن هذا البحث، فقد تكفلت بذلك كثير من المصادر المنهجية والتاريخية، ولكن لا بأس من الإشارة إلى بعضها إن استدعى ذلك^(١)، أما الحقل أو الموضوع المهم في هذا المبحث فهو الوقوف عند المشارب المتعددة والمظاهر المتبناة في فكر المفسرين سواء أكانت هذه المظاهر عقدية أم شرعية فقهية، والكل يعلم أن بعض أوائل المفسرين كانوا من المشبهة أمثال: مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، إذ قيل عنه: "وأجمعت الكتب على أنه كان مشبهاً ومجسماً، وأنه أخذ من علم اليهود والنصارى ما يوافقه لتدعيم تفسيره... بل قيل: إن حركة التأويل العقلي في الإسلام إنما كانت رد فعل لمذهب مقاتل؛ لذا قام جهنم بن

(١) ينظر: الطاهر، عامر، التأويل عند المفسرين، ص ٥٤، أبو زيد، نصر حامد، فلسفة التأويل، ص ٢٠ وما بعدها.

صفوان (ت ١٢٨هـ) بوضع مذهبه المنزه رداً على مقاتل^(٢).

أما التأويل المستقصي والمستدرک للنصوص والمستند على منهج عقلي فإنه يرتبط بالمعتزلة الذين يرون أن كثيراً من التصورات والصفات التي لا تتفق والإلهوية لا بد من تأويلها مجازياً^(٣). فعملوا على تأويل كل ما لا يتناسب مع العقل ورؤى المنطق^(٤)، وهو نهج الإمامية في ذلك، وقد سئل الإمام الكاظم عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ﴾ الأعراف: ٣٣، فقال: "إن القرآن له ظهر وبطن"^(٥). وهذه الحقائق التي تميز بها القرآن الكريم ذات مراتب متعددة تكمن وراء اللفظ، وربما لا يكون اللفظ إلا التعبير الأخير عن تلك الحقائق،

(٢) النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ١، ص ٦٣٤.

(٣) ينظر: الأشعري، أبو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج ١، ص ٢١٦.

(٤) ينظر: قصاب، وليد، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص ١٨.

(٥) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ج ١، ص ٣٧٤، وينظر: الحيدري، السيد كمال، تأويل القرآن النظرية والمعطيات، ص ١٦٩.



معرفية تأويلية هي (القرآن الكريم، العالم، الإنسان)، فالقارئ الذي لا يكون مزوداً ببنية معرفية يستعملها كشفرة لتحليل النص، لا يستطيع أن يشكل تواصلاً معه. ولذا قيل منقولاً عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: "كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء" (٣).

ولا بأس أن نستعير عبارة ابن قتيبة ونوظفها في ما نريد، وهي جملة أوجه حين قال: "وقد كان هذا الشأن عزيزاً، والمعنيون به قليلاً، والأدب غصٌّ، والزمان زمان، فكيف به اليوم: مع دثور العلم، وموت خاطر، وأغراض الناس" (٤).

وأنت جدير بما قاله الأوائل والمحدثون عن القرآن ووجوه التأويل، وبما دفع من رتق الفتق وإثارة الفتنة وتراث المفسرين زاخراً واتجاهاتهم شتى، فالتأويل في بعض الأحيان ضرورة لا بد من ركوبها لإبعاد التجسيم حتى عند أشد المانعين له،

(٣) المجلسي، العلامة محمد بن باقر، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٣.

(٤) الدينوري، عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٦.

أو قشرة ذلك اللب كما يعبرون، على ما رسمت ذلك المدرسة الوجودية، وربما علاقة اللفظ وكيفية استعماله وتركيبه، ويعد ذلك - كما أشرنا في التمهيد - من مقولة المفاهيم والتأويلات الذهنية، وهذه مسألة ثابتة في ضوء الاتجاهين المعرفي والوجودي. وقد قيل لتصوف: ما النهاية؟ فقال: الرجوع إلى البداية (١).

ويبدو أن هذه الرؤية الكلية للنص يجب أن لا تغيب عن ذهن المؤول أو المفسر، ونحن بحاجة إلى مؤول أو مفسر بحجم تلك الغاية، أو لنقل أقرب إليها؛ ليكون قادراً على فهم النص أو الدخول في حوار معه، "فإن مراد الظاهر لا ينفي إرادة الباطن، وإرادة الباطن لا تزاحم إرادة الظاهر" (٢)، ونحن في مقارنة معرفية لمظاهر التأويل القرآني عند أرباب التفسير لا شك في أننا في بحر متلاطم ولجّي توجهه طرائق قددا لمعطيات أهل هذا الفن ولعقائدهم ومذاهبهم ومعارضهم، غير أننا - ومن دون أدنى شك - أمامنا دائرة

(١) ينظر: الالوسي، أبو الفضل شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ١، ص ٦٧.

(٢) الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص ٣١ - ٣٢.



مَجْلَدُ الْقُرْآنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أ.م.د. جبار دفتري - أ.م.د. ابتهاج محمد علي

وقد نقل عن الغزالي قوله: "كل فريق وإن بالغ في ملازمة الظواهر فهو مضطّر إلى التأويل"^(١).

هذه رؤية مختصرة ومعبرة عن التأويل ومظاهره عند المفسرين ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما ذكره العلامة الطباطبائي^(٢).

المبحث الثاني

إشكاليات القراءة ومسالك المعنى عند

الإمام الهادي عليه السلام

لا يرتاب متعلم أن النص بلغة إجرائية هو ذلك الكلم الذي سُبِكَ وقُوِّصَ ليكون منهلاً عذباً وأرضاً خصبة لإنتاج المعنى، فإن هيء له قارئ متلطف أعطاه حقه من التدبير والتأويل، وهذا منصب كما قيل على علاقة المفسر أو المؤول بالنص، وهي نقطة البدء والقضية الأصل والجنبه الملحة عند فلاسفة الهرمنيوطيقا، وقد أهملت، أو قل لم يكشف عنها اللثام

(١) الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، ص ١٨٦.

(٢) ينظر: الطباطبائي، القرآن في الإسلام، ص ٤٤-٥٢، وينظر: الصالح، حسين حامد، التأويل اللغوي في القرآن الكريم، ص ٥٣ وما بعدها.

في فكر أهل البيت عليه السلام، ولا سيما إمامنا الهادي (عليه سلام الله).

نقول سنحاول ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً أن نريكم ما نرى والهداية على الله سبحانه وتعالى: لقد وقف الإمام على بعض النصوص القرآنية موضعاً ومفسراً ومتدوقاً ومبيناً ما يناسب المقام بلحاظ فكر السائل أو السامع أو المتلقي كاشفاً عن علاقته بالنص القرآني بحسب المقام والمقال، ومن ذلك حينما سأله يحيى بن أكثم حين التبس عليه فهم بعض النصوص وإدراكها، وما المراد منها؟ فسأل عن قول الله عز وجل (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) النمل: ٤٠، فأجاب الإمام عليه السلام قائلاً: "إنه آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، لكنه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه عند آصف بأمر الله، ففهمه ذلك لئلا يختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهم سليمان في حياة داوود؛ لتعرف نبوته وإمامته من بعده لتتأكد الحجة على الخلق"^(٣).

ولا شك في أن إجابة الإمام فيها

(٣) موسوعة العلامة الكبير الشيخ محمد حسن آل ياسين، ج ٥، ص ١٣٥.



دروسٌ وعبرٌ ومنهجٌ سار عليه أهل البيت من أجل ترسيخ دعائم الحق وإعطاء كل ذي حق حقه، وأصف وزيره ومقربه فأراد له الحجة على الخلق من الإنس والجن من بعده، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنَّ علاقة الإمام بالنص تقوم على أسس تفسيرية تأويلية، فالنص عبارة عن وسيط لغوي ينقل لنا فكراً أو حادثة قابلة للأخذ والرد وعدم الوقوع في المحذور، وعلى ذلك فهناك جنبه لغوية وأخرى تأويلية، والعلاقة بينهما جدلية وأنت تعلم أنَّ النص كلما تقدم به الزمن صار غامضاً بالنسبة لنا، وصرنا من ثمَّ أقرب إلى سوء الفهم منه إلى الفهم، وهنا لا بد من مؤول أقرب إلى روح النص منا، وفي قوله تعالى المتقدم تعاطى الإمام عليه السلام مع حادثة تأريخية رمز إليها القرآن الكريم بقوله: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ)، وجعل هذه الشخصية خفية على سامعيها، فعمد الإمام عليه السلام إلى توضيحها أولاً وما مدى أثر هذه الحادثة؟ وما المغزى من ورائها؟ فالنص يفتح على مجموعة من القراءات حينما يكون من ورائه قارئ ثري وذو ثقافة؛ لأنَّ النص إمكان تأويلي تتسع معانيه وتتعدد وجوه الدلالة فيه، فاللغة بطبيعتها، أو طبيعة تشكيل المؤلف لها، أو بطبيعة وعي

القارئ بها، تستطيع أن تخلق عوالم لا عهد للقارئ الاعتيادي بها وهذا ما تحدث به الإمام، ولذا قيل: "التأويل ليس من قبيل المعاني المرادة باللفظ... فتأويل قوله (أقيموا الصلاة) مثلاً، هو الحالة النورانية الخارجية التي تقوم بنفس المصلي في الخارج فتنهاه عن الفحشاء والمنكر"^(١)، وهذا المعنى هو الشائع في عرف المتأخرين من المتفقهة والمتكلمة والمحدثه ونحوهم وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يقترن به، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف، فإذا قال أحدهم هذا الحديث أو هذا النص مؤول أو هو محمول على كذا، قال الآخر هذا نوع تأويل، والتأويل يحتاج إلى دليل^(٢)، وهذا الكلام مصداق لقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: "ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه"^(٣)، وهذا لا يعني أنَّ المؤول هو الذي يُوجدُ المعنى - قدر تعلق الأمر

(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٢. وقد وضحنا ذلك في التمهيد ص: ٨.

(٢) ينظر: ينظر: الحيدري، السيد كمال، أصول التفسير والتأويل، ص ٢٢٠.

(٣) ينظر: نهج البلاغة، ص ٣١٧.

أو ذكراً وذكراً أو أنثى وأنثى^(١) وهو أصل يدل على مقارنة شيء لشيء^(٢).

ويبدو أن الذي اتبعه الأئمة عليهم السلام مع النص القرآني تحديداً هو منهج قائم على قرآنية القرآن وتفسير بعضه لبعضه الآخر، وهو ما يسمى بسياق النص الكلي فضلاً عن سياق النص الجزئي، فالقارئ اللفظية والحالية ماثلة في ذهن الإمام عليه السلام من أجل الوصول إلى المعنى، ورؤية الإمام منبعثة من داخل النص، وليست نظرية مسلطة على النص وفي هذا النص تحديداً فسّر الإمام قوله (يزوجهم) أن الزوجية ابتداء قائمة على الاثنين لا على الزوجية بمعنى الزوج وزوجه، وهنا محل الاشكال، وهي قضية لغوية بحثت أدلتها اللغوية واضحة في ذهن الإمام ولها قرائن قرآنية كثيرة، ولكن الذي اختلف عند السائل صياغة هذه الزوجية بطريقة مختلفة مما دعاه إلى التساؤل. وهذه لغة فيها فرادة ونخبوية متخصصة تستغرب من عامة الناس،

(١) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ١٣٨، وينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٨، ص ٧٢.

(٢) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٣٥، وينظر: المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج ٤، ص ٣٨٠.

"وإذا كانت الثقافة العربية تعطي للنص القرآني هذه الأولوية فلا بد أن لهذه الثقافة مفهوماً ولو ضمناً لماهية النص وطرائق التأويل"^(٣)، ولأنه - أي القرآن الكريم - نص كوني فنحن بحاجة إلى قارئ كوني "يحمل كل تراث البشرية وأفكار عصره والمقولات التي اكتسبها في تجربته ثم يضعها بين يدي القرآن"^(٤). ليحكم فيها.

وتتراحم الأسئلة على الأئمة عليهم السلام ولا سيما الإمام الهادي وخاصة في النص القرآني، فيسأل أيضاً عن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (يونس: ٩٤). فيقول سلام الله عليه: "إن المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبيا من الملائكة؟ ولم لم يفرق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشى في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيه (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب) بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل

(٣) أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص ٩.

(٤) الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية في القرآن، ص ١٦.

خاتمة البحث ونتائجه

إذا كان لكل بداية نهاية، فإن ختام كل بحث علمي ما يؤول إليه الباحث من نتائج علمية تمثل عصارة ما توصل إليه في تجربته تلك، ويمكننا أن ندعي أننا قد توصلنا إلى الآتي:-

١- التأويل مصطلح قار وثابت في عرف العلماء، قد أشار إليه القرآن الكريم في كثير من المواضع على خلاف في الدلالة بحسب السياق.

٢- أظهرنا في بحثنا جهد الإمام الهادي عليه السلام في التعاطي مع النصوص القرآنية من أجل توضيحها وبيانها بحسب قابلية المتلقي وتلقيه لفنون العلم.

٣- يبدو أن الإمام عليه السلام قد سار على نهج آبائه في التوفيق بين اللغة والمأثور من أجل إيصال المعنى.

٤- لم يصرح الإمام بمصطلح التأويل وهو يفسر النص القرآني، وحسبه أنه قد نهج منهجاً يدفع بهذا الاتجاه ولا يحيد عنه.

٥- لا مشاحة في الاصطلاح كما يرى كثير من العلماء، وهذا ما دعا الإمام عليه السلام إلى أن يسلك مسلكاً سهلاً ممتنعاً الغاية منه بيان المجمل والمشكل في النص القرآني.

وفضائه المرجعي^(١). وهذا يدل على أن المفسر للنص القرآني أو المؤول يجب أن يكون على دراية بمقاصده الكلية والإجمالية، أي العلاقة الدائرة بين فهم الكل وفهم الأجزاء "لأن النص القرآني بمعنى الفهم ليس فيه ثابت بالمطلق، حتى المحكمات التي هي أم الكتاب، لا شك في أنها ظاهرة في معناها، ولكن قد يراد غير الظاهر، بلحاظ القرائن الواردة في هذه المسألة أو تلك"^(٢)، فاحتواء النص القرآني الغموض والوضوح يعدُّ آلية مهمة في تحويل فعل القراءة إلى فعل إيجابي يسهم في إنتاج الدلالة^(٣). وعليه لا بد من الرجوع إلى الراسخين في العلم لأنهم الأصل الذي يحتكم عنده في الشبهات.

(١) ينظر: سرحان، هيثم، استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، ص ٧٥.

(٢) فضل الله، محمد حسين، الاجتهاد بين أسر الماضي وآفاق المستقبل، ص ٢٢٢.

(٣) ينظر: أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، ص ١٧٨.



٦- مشارب المعنى ومسالكه قائمة عند الإمام عليه السلام على خطوات وثيدة تمثلت بمظاهر متعددة، وفي حقيقتها تعدُّ أصولاً أولى للتفسير فضلاً عن التأويل.

٧- المقاربات المعرفية التي نهجها العلماء من المفسرين في تناول النص القرآني تمثل ثقافتهم ومذهبهم وما يؤول إليه معتقدهم في توجيه النصوص القرآنية.

٨- قام البحث على اختيار نماذج قرآنية تطبيقية معدودة، فالوقوف على الكثير يمثل خروجاً عن نطاق البحث العلمي.

٩- يمكن القول: إنَّ البحث قد أعطى تصوراً واضحاً وبنياً عن جهد الإمام التفسيري، ويمكن لهذا النتاج أن يجمع ويعرض على المنظومة التفسيرية ويعقد بينهما درس موازن.

١٠- أحسب أنَّ التأويل المسلط على النصوص القرآنية في عرف أئمة أهل البيت عليهم السلام يُعدُّ منظومة معرفية متكاملة يأخذ بعضها برقاب بعض، وينظر فيها إلى النص القرآني والروائي على أنَّهما واحد بلحاظ متكامل.

المصادر والمراجع

١- ابن تيمية، للإمام العلامة تقي الدين (ت ٧٢٨هـ)، التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢- ابن فارس، أبو الحسين أحمد، معجم مقاييس اللغة تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٩م.

٣- أبو زيد، نصر حامد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محيي الدين بن عربي، المركز الثقافي العربي، ط ٤، ١٩٩٨م.

٤- أبو زيد، نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٩، ٢٠١٢.

٥- أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص دراسة في علوم القرآن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.

٦- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ)، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة

العصرية، صيدا، بيروت، ١٩٩٠م.

٧- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب (ت في حدود ٤٢٥هـ)، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، مطبعة كيميا، قم، إيران، ط ٤، ١٤٢٥م.

٨- الآلوسي، السيد أبو الفضل شهاب الدين البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ضبطه وصحّحه علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ٢٠٠٥م.

٩- الأملي، السيد حيدر، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق السيد محسن الموسوي التبريزي، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط ١، ١٤١٤هـ.

١٠- إيكو، أمبرتو، التأويل والتأويل المفرط، ترجمة ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، ط ١، ٢٠٠٩م.

١١- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٩٢م.

١٢- الحرائي، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط ٢، ١٤٠٤.

١٣- الحيدري، السيد كمال، تأويل القرآن، النظرية والمعطيات، دار فراق، إيران، ط ١، ٢٠٠٥م.

١٤- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٩٨١م.

١٥- السامرائي، فاضل، معاني النحو، بيت الحكمة، بغداد، ١٩٨٧م.

١٦- سرحان، هيثم، استراتيجية التأويل الدلالي عند المعتزلة، دار الحوار، سوريا، ط ١، ٢٠٠٣م.

١٧- الشريف الرضي، نهج البلاغة، من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، شرح الأستاذ: محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).

١٨- الصدر، محمد باقر، السنن التاريخية في القرآن، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠١١م.

١٩- الطباطبائي، السيد محمد حسين،



- القرآن في الإسلام، ترجمة الشيخ أحمد سامي وهبي، دار الولاء، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٣م.
- ٢٠- الطباطبائي، السيد محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
- ٢١- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق أحمد شوقي واحمد حبيب، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٩٥٧م.
- ٢٢- العسكري، أبو هلال (ت ٤٠٠هـ)، الفروق اللغوية تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٢٣- علي، هيفرو محمد، المعرفة وحدودها عند محي الدين بن عربي التكوين، دمشق، ٢٠٠٦م.
- ٢٤- عياشي، منذر، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ٢٥- الغدامي، عبد الله محمد، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرحية قراءة نقدية لنموذج معاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٤، ١٩٩٨م.
- ٢٦- الغزالي، أبو حامد، فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، دار البيروتي، ط١، ١٩٩٢م.
- ٢٧- فضل الله، محمد حسين، الاجتهاد بين أسر الماضي وآفاق المستقبل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- ٢٨- قصاب، وليد إبراهيم، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ١٩٨٥م.
- ٢٩- الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، أصول الكافي، منشورات الفجر، بيروت، ط١.
- ٣٠- الكوراني، الشيخ حسين، في المنهج، المعصوم والنص، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- ٣١- المجلسي، الشيخ محمد باقر (ت ١١١١هـ)، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
- ٣٢- مجموعة من الباحثين، دراسات في تفسير النص القرآني التأويل والمفهوم القرآني، مركز الحضارة لتنمية الفكر

الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠١٠م،
ج ٢.

٣٣- المصطفوي، التحقيق في كلمات
القرآن الكريم، المحقق المفسر العلامة
مركز آثار العلامة المصطفوي، القاهرة،
لندن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،
ط٣، ٢٠٠٩م.

٣٤- معرفة، محمد هادي، التأويل في
مختلف المذاهب والآراء، نيكار، طهران،
ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٥- موسوعة العلامة الكبير الشيخ
محمد حسن آل ياسين، دار المؤرخ العربي،
بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٣٦- النشار، علي سامي، نشأة الفكر
الفلسفي في الإسلام، دار المعارف،
القاهرة.

٣٧- هذيلي، علي حسن، إمكانات
التأويل وحدوده كتاب منة المنان اختياراً
مكتبة أهل الحق للنشر والتوزيع، النجف
الأشرف، ط١، ٢٠١٤م.

الآيات النازلة بِوَلَايَةِ الإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي زِيَارَةِ
الْغَدِيرِ لِلْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
دراسة وتحليل

**The verses revealed about Imam Ali's
(PBUH) guardianship in Al-Ghadir visi-
tation by Imam Al-Hadi (PBUH): A Study
and an Analysis**

أ.م.د. أصغر طهماسبی البلداجي

جامعة شهرکرد

إيران - أصفهان

**Assist. Prof.Dr. Asghar Tohmasaby
Al-baldaji
Islamic Republic of Iran
Shahrekord University**



دراسة وتحليل

الملخص:

من أهمّ الزيارات الخاصة بالإمام علي عليه السلام في عيد الغدير هو الزيارة المنقولة عن الإمام الهادي عليه السلام المتضمنة تصوير فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وتعدّ هذه الزيارة بالإضافة إلى كونها رسالة الزيارة، كنزاً ثميناً من المعارف في فضائل الإمام علي عليه السلام، ويشير الإمام الهادي عليه السلام في هذه الزيارة إلى فضائل الإمام علي عليه السلام من جوانب مختلفة بما في ذلك القرآنية والسردية والتاريخية، بما يشكل فيها ترتيب المعارف جنب الآيات وروايات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله. وفي هذه الزيارة محتوى عالٍ ورائع وهذا أمر مهمّ دون الحاجة إلى وثيقة الزيارة بما يثبت أصالتها وورودها عن المعصوم عليه السلام، وقد أثبتت الدراسة صحتها بالمنهج الوصفي التحليلي أولاً بقواعد علوم الحديث، ومن طريق فحص وثيقة سند هذه الزيارة ونصها. ثم تناولت أحد جوانب هذه الزيارة في ما يتعلق بآيات ولاية الإمام علي عليه السلام في زيارة الغدير بدراسة هذه الآيات بمنهج تحليلي والاستناد إلى أهمّ مصادر الفريقين. والتّيجة: إن الآيات التي أشار إليها الإمام الهادي عليه السلام تثبت ولاية الإمام علي عليه السلام بعد النبي الكريم صلى الله عليه وآله وخلافته، وأهمّ هذه الآيات هي الولاية (المائدة/ ٥٥)، والتبليغ (المائدة/ ٦٧)، والإكمال (المائدة/ ٣) والتّطهير (الاحزاب/ ٣٣).

الكلمات المفتاحية:

آيات الولاية، الإمام علي عليه السلام، الإمام الهادي عليه السلام، زيارة الغدير.

The verses revealed about Imam Ali's (PBUH) guardianship in Al-Ghadir visitation by Imam Al-Hadi (PBUH): A Study and an Analysis

Abstract:

Al-Ghadir visitation is one of the most important visitations related to Imam Ali (PBUH), which is narrated by Imam Al-Hadi (PBUH) that pictured the virtues of the Imam. This visitation, in addition to be the letter of the visitation, is considered a precious treasure of knowledge in the virtues of Imam Ali (PBUH). Imam Al-Hadi (PBUH) refers to the merits of Imam Ali (PBUH) in this visitation supported by the Quranic, narrative, and historical aspects in a way that links knowledge to authoritative Islamic sources and the Prophet's narrations. This visitation has a great and spectacular content, which is an important issue without the need for a document to prove its authenticity or narrated by the impeccable Imam. This study is verified, through the descriptive analytical approach first, the authenticity of the visitation, its rules of hadith rules and through scrutinizing the visitation's document and its text. Moreover, the study tackled one aspect of Al-Ghadir visitation concerning the verses related to Imam Ali's (PBUH) guardianship using descriptive analytical approach based on the two parties' sources. The result is that the verses mentioned in this visitation by Imam Al-Hadi (PBUH) proved the guardianship of Imam Ali (PBUH) after the prophet (PBUHP): these verses include: Al-Wilayah (religion perfection) verse (Al-Ma'idah 55), Al-tabligh (Informing) (Al-Ma'idah 67), Al-Ikmal (completion) (Al-Ma'idah 3), and Al-tather (purification) (Al-Ahzab 33).

key words:

Al-Wilayah (religion perfection), Imam Ali (PBUH), Imam Ali Al-Hadi (PBUH), and Al-ghader visitation.

الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ. ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ
التَّعَالِيمَ ثَبَتَتْ عَلَى وَجْهِ التَّحْدِيدِ الْوَصَايَةِ
وَالِاسْتِحْقَاقِ الْمَطْلُوقِ وَالْكَامِلِ لِلْإِمَامِ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِخِلَافَتِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ
وَتَشْهَدُ الْآيَاتُ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى وَلَايَةِ الْإِمَامِ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ بِشَكْلِ أَكْثَرِ تَحْدِيدٍ
عَلَى خِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ النَّبِيِّ
الْكَرِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا الْمَقَالُ بِالْإِشَارَةِ إِلَى هَذِهِ
الْآيَاتِ فِي نَصِّ الزِّيَارَةِ الَّتِي رَوَاهَا الْإِمَامُ
الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ سَوْفَ يُجَلَّلُ مُحتَوَى هَذِهِ الْآيَاتِ
بِالاعْتِمَادِ عَلَى مَصَادِرِ شِيعِيَّةٍ وَسُنِّيَّةٍ مُهِمَّةٍ.

الأول: فحص اعتبار السند ونص

الزيارة

يَعُدُّ فَحْصُ اعْتِبَارِ سَنَدٍ وَنَصِّ
الرَّوَايَاتِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ
أَهَمِّ طُرُقِ تَحْدِيدِ صِحَّتِهَا، وَهُوَ مَا ذَكَرَهُ
الْأئِمَّةُ أَنْفُسُهُمْ، لِذَلِكَ فَإِنَّ صِحَّةَ أَيِّ سَرِدٍ
تَعْتَمِدُ عَلَى الْوَثِيقَةِ وَنَصِّهَا الصَّحِيحِ، وَمِنْ
حَيْثُ الْوَثِيقَةُ يَجِبُ تَوْثِيقُ الْحَدِيثِ بِأَنْ
يَكُونَ رَوَاتُهُ مُوْتَقِنِينَ وَمِنْ حَيْثُ النَّصِّ
يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْحَدِيثُ مُتَوَافِقًا مَعَ كِتَابِ
اللَّهِ وَالسُّنَّةِ الْقَطْعِيَّةِ وَالْعَقْلِ، وَلَا تُسْتَشْنَى
مِنْ ذَلِكَ أَدْعِيَةٌ وَزِيَارَةٌ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذْ
قَدْ يَتَوَقَّفُ صِحَّتُهَا عَلَى نَصُوصِهَا وَوَثَاقِهَا
الصَّحِيحَةِ وَزِيَارَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَعُدُّ الزِّيَارَاتُ الْمَنْقُولَةُ عَنْ أَهْلِ
الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهَمِّ تَعَالِيمِ الْإِمَامِ وَمَعْرِفَةِ
أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ الْإِمَامِ
وَالِإِطْلَاعِ عَلَيْهِ إِلَّا بِالتَّعْرِيفِ مِنَ الْإِمَامِ
نَفْسِهِ لِأَنَّ فَهْمَ الْآخَرِينَ غَيْرِ الْمَعْصُومِينَ مِنْ
أَهْلِ الْبَيْتِ نَاقِصٌ وَغَيْرُ كَامِلٍ؛ لِذَلِكَ وَمِنْ
أَجْلِ الْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ وَالِدَّقِيقَةِ يَجِبُ عَلَيْنَا
أَنْ نَطْلُبَ الْمُسَاعَدَةَ مِنَ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَنْفُسَهُمْ كَمَا اسْتَحْدَمَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
طَرِيقَةَ الزِّيَارَةِ لِلتَّعْرِيفِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَكْثَرَ فَكْثَرًا، فَإِنَّ زِيَارَةَ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ وَزِيَارَةَ
الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ تَعُدُّ مِنْ هَذِهِ
الزِّيَارَاتِ وَهَاتَانِ الزِّيَارَتَانِ مِثْلُ الْبَحْرَيْنِ
مِنْ تَعَالِيمِ الْإِمَامِ وَمَعْرِفَةِ مَكَانَةِ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
كَمَا أَنَّ الزِّيَارَةَ الْجَامِعَةَ الْكَبِيرَةَ بِشَكْلِ عَامٍ
تَوْضَحُ فُضَائِلَ جَمِيعِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
أَمَّا زِيَارَةُ الْغَدِيرِ بِشَكْلِ خَاصٍّ فَتَتَحَدَّثُ
عَنْ فُضَائِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. مِنْ خِلَالِ
التَّفَكُّيرِ فِي زِيَارَةِ الْأئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَتِمُّ الْحُصُولُ
عَلَى إِضَاءَاتٍ مُهِمَّةٍ فِي التَّعَرُّفِ عَلَى هَؤُلَاءِ
النُّبَلَاءِ فِي خِلَالِ زِيَارَةِ الْغَدِيرِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَالتَّعْبِيرِ عَنْ جَوَانِبِ وَتَعَالِيمِ مُهِمَّةٍ فِي مَا
يَتَعَلَّقُ بِفُضَائِلِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنَاقِبِهِ
وَمِنْ الْمُهِّمِ أَنَّ مُعْظَمَ هَذِهِ التَّعَالِيمِ مُوْتَقَّعَةٌ فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسُنَّةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



مَجْلَدُ الزَّيَارَاتِ

العدد: الثامن
السنّة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

أ.م.د. اصغر طهاسبي البلادي

فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ مِنْ أَهَمِّ الزِّيَارَاتِ حَوْلَ
الإمام عليٍّ عليه السلام فِي يَوْمِ عِيدِ الْغَدِيرِ، وَقَدْ عُبِرَ
فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ عَنْ فَضَائِلِ الإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام
مُنْذُ الْبِدَايَةِ حَتَّى اسْتِشْهَادِهِ وَعَنِ الْمَكَانَةِ
الرَّفِيعَةِ لِلإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَالآيَاتِ الَّتِي
نَزَلَتْ بِحَقِّهِ فِي الْقُرْآنِ وَفَضْلًا عَنْ فَضَائِلِهِ
بِلُغَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذِكْرُ شَجَاعَةِ
الإِمَامِ فِي الدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللَّهِ وَتَضَحُّيْتِهِ
فِي حِفْظِ حَيَاةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَعِلْمِ وَعِبَادَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام وَحُبِّهِ
لِلإِمَامِ وَالتَّبَرُّيِّ مِنْ أَعْدَائِهِ وَوَاقِعَةِ غَدِيرِ
خُمٍّ وَتَنْصِيبِ الإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام مِنْ قَبْلِ
النَّبِيِّ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاعْتِبَارِهِ الْوَلِيِّ وَالْوَصِيِّ
عَلَى النَّاسِ يَعُدُّ مِنْ أَهَمِّ الْمَطَالِبِ فِي هَذِهِ
الزِّيَارَةِ. ^(١) فَهَذِهِ الزِّيَارَةُ مُعْتَبَرَةٌ مِنْ حَيْثُ
السَّنَدُ وَنَصُّهَا فِيهَا وَرَاءَ وَثِيقَتِهِ يَدُلُّ عَلَى
صِحَّتِهَا وَفِي مَا يَلِي سَيَتَمُّ فَحْصُ وَثِيقَةٍ
وَنَصُّ هَذِهِ الزِّيَارَةِ فِي ضَوْءِ قَوَاعِدِ عُلُومِ
الْحَدِيثِ.

فَحْصُ وَثِيقَةِ الزِّيَارَةِ

قَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الزِّيَارَةُ فِي
الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَالْمُتَأَخِّرَةِ، وَذُكِرَتْ
هَذِهِ الزِّيَارَةُ أَيْضًا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي كِتَابِ
الْمَزَارِ الْكَبِيرِ لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ

بْنِ جَعْفَرِ الْمُشْهَدِيِّ (٥٩٤هـ) ^(٢)
وَقَدْ رَوَى الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِيِّ الْمُلقَّبُ
بِالشَّهِيدِ الْأَوَّلِ (٧٨٦هـ) فِي كِتَابِهِ الْمَزَارِ
هَذِهِ الزِّيَارَةَ عَنِ الإِمَامِ الْهَادِي عليه السلام دُونَ
أَيِّ سَنَدٍ ^(٣) وَيَرَوِي الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ هَذِهِ
الزِّيَارَةَ عَنِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ عَلَى النُّحُوِّ التَّالِي:
"ثُمَّ قَالَ الْمُفِيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الثَّانِيَةُ
فَهِيَ مَا رُوِيَ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ
الْعَسْكَرِيِّ عَنْ أَبِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا
وَذَكَرَ أَنَّهُ زَارَ بِهَا فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ فِي السَّنَةِ
الَّتِي أَشْخَصَهُ الْمُعْتَصِمُ، فَإِذَا أُرِدْتَ ذَلِكَ
فَقِفْ عَلَى بَابِ الْقُبَةِ الشَّرِيفَةِ ...". ^(٤)

لَمْ يَذْكُرِ الشَّهِيدُ الْأَوَّلُ وَالْعَلَامَةُ
الْمَجْلِسِيُّ سَنَدَ هَذِهِ الزِّيَارَةِ لِصَلَابَتِهَا
وَأَصَالَتِهَا؛ لَكِنَّ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ
بْنَ جَعْفَرِ الْمُشْهَدِيِّ فِي الْمَزَارِ الْكَبِيرِ نَقَلَ
بِشَكْلِ كَامِلٍ سَنَدَ هَذِهِ الزِّيَارَةِ عَنِ الإِمَامِ
الْهَادِي عليه السلام بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ: "وَ أَخْبَرَنِي الْفَقِيهُ
الْأَجَلُ أَبُو الْفَضْلِ شَاذَانَ بْنُ جَبْرِئِلَ الْقُمِّيَّ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الْفَقِيهِ الْعِمَادِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
الْقَاسِمِ الطَّبْرِيِّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ عَنِ وَالِدِهِ عَنْ
مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ التُّعْمَانِ عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ
(٢) الْمُشْهَدِيِّ، الشَّيْخِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ،
الْمَزَارِ الْكَبِيرِ، ص ٢٦٤.

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ مَكِيِّ، الْمَزَارِ، ج ١، ص ٤٦.

(٤) الْمَجْلِسِيُّ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ج ١٠٠، ص ٣٥٩.

(١) الْمَجْلِسِيُّ، مُحَمَّدُ بَاقِرُ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ، ج ٩،
ص ٣٥٩-٣٦٩.

مَنْظُورِينَ.

أَوَّلًا: فَحْصُ صِحَّةِ كِتَابِ الْمَزَارِ الْكَبِيرِ وَمُؤَلِّفِهِ

الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ
المَشْهَدِيِّ مِنْ أَكْثَرِ رِجَالِ الشَّيْعَةِ الَّذِينَ
أَكَّدَ عُلَمَاءُ الرِّجَالِ ثِقَتَهُ وَعَظَمَتَهُ وَهَذِهِ
بَعْضُ الْأَمْثَلَةِ لِأَقْوَالِ كِبَارِ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ
الدَّالَّةِ عَلَى فَضْلِهِ وَهَذِهِ الْوَثَائِقُ وَتَقَارِيرُهَا
قَدْ وَرَدَتْ فِي بَدَايَةِ كِتَابِ الْمَزَارِ الْكَبِيرِ.

قَالَ الْمُحَدِّثُ الْحُرُّ الْعَامِلِيُّ فِي أَمَلِ
الْأَمَلِ: "الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ
كَانَ فَاضِلًا مُحَدِّثًا صَدُوقًا، لَهُ كُتُبٌ، يَرْوِي
عَنْ شَاذَانَ بْنِ جَبْرِئِيلِ الْقُمِّيِّ، قَالَ الشَّيْخُ
الشَّهِيدُ مُحَمَّدُ بْنُ مَكِّيٍّ فِي إِجَازَتِهِ لِلشَّيْخِ
شَمْسِ الدِّينِ: الشَّيْخُ الْإِمَامُ السَّعِيدُ أَبِي
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ رَحِمَهُ
اللَّهُ وَقَالَ فِي إِجَازَتِهِ الْكَبِيرَةِ: أَنَّ الشَّهِيدَ
يَرْوِي عَنْ ابْنِ الْمَشْهَدِيِّ بِوَسَائِطٍ جَمِيعِ كُتُبِهِ
وَرِوَايَاتِهِ، وَمِنْهُ يَظْهَرُ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ
الْبَارِزِينَ فِي عَصَرِهِ." وَذَكَرَ الشَّيْخُ حَسَنُ
بْنِ الشَّهِيدِ الثَّانِي فِي إِجَازَتِهِ الْكَبِيرَةِ عَنْ
الشَّيْخِ نَجْمِ الدِّينِ ابْنِ نَمَا أَنَّهُ يَرْوِي الْمُنْفَعَةَ
لِلْمُفِيدِ بِالْإِجَازَةِ عَنْ وَالِدِهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ، وَحُكِّيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ
جَعْفَرٍ أَنَّهُ قَرَأَهَا وَلَمْ يَبْلُغِ الْعِشْرِينَ عَلَى

جَعْفَرِ بْنِ قَوْلِيهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ
الْكَلَيْنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي
الْقَاسِمِ بْنِ رُوحٍ وَعُثْمَانَ بْنِ سَعِيدِ الْعَمَرِيِّ
عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْعَسْكَرِيِّ عَنْ
أَبِيهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا وَذَكَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ زَارَ
بِهَا فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ فِي السَّنَةِ الَّتِي أَشْخَصَهُ
الْمُعْتَصِمُ^(١) وَكُتِبَ الشَّيْخُ عَبَّاسُ الْقُمِّيُّ
فِي كِتَابِ هَدْيَةِ الزَّائِرِينَ عَنْ صِحَّةٍ وَاعْتِبَارٍ
هَذِهِ الْوَثِيقَةُ: "الشَّيْخُ الْجَلِيلُ، مُحَمَّدُ بْنُ
المَشْهَدِيِّ مِنْ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ. قَدْ ذَكَرَ فِي الْمَزَارِ
الْكَبِيرِ وَثِيقَةً أَصْلِيَّةً لِلْغَايَةِ لِهَذِهِ الزِّيَارَةِ
النَّبِيلَةِ وَلَكِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْأَخْبَارِ تَصَلُّ إِلَى
قُوَّةٍ وَثِيقَتِهِ، وَهَذِهِ السَّلَالَةُ النَّبِيلَةُ هِيَ كُلُّ
مِنْ نَوَابِ الْعُلَمَاءِ وَشَيْخِ الْقَبِيلَةِ وَرِجَالِ
الدِّينِ وَصَاحِبِ السَّعَادَةِ أَبُو الْقَاسِمِ
حُسَيْنُ بْنُ رُوحٍ وَعُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ كِلَاهُمَا
نَوَابُ لِمَامِ الْعَصْرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ بَعْدَ التَّأَمُّلِ
يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ فِي جَمِيعِ الزِّيَارَاتِ الْمَأْثُورَةِ لَمْ يَتِمَّ
الْعُثُورُ عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ بِسَبَبِ صِحَّةِ
الْوَثِيقَةِ وَقُوَّتِهَا وَصَلَاحَتِهَا"^(٢).

لِأَجْلِ فَحْصِ صِحَّةِ هَذِهِ الْوَثِيقَةِ
سَوْفَ نَتَنَاوَلُ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ الْمُهِّمَةَ مِنْ

(١) المَشْهَدِيُّ، الشَّيْخُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ،
الْمَزَارِ الْكَبِيرِ، ص ٢٦٤.

(٢) الْقُمِّيُّ، عَبَّاسٌ، هَدْيَةُ الزَّائِرِينَ، ص ٢٤٢ -
٢٤١.



العدد: الثامن
السنّة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أ.م.د. اصغر طهاسبى البلدايني

السَّيِّخُ الْمَكِينُ أَبِي مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ مَنْصُورِ النِّقَاشِ الْمَوْصِلِيِّ وَهُوَ طَاعِنٌ فِي السَّنِّ وَهُوَ ظَاهِرٌ فِي تَبَحُّرِهِ فِي الْعِلْمِ فِي أَوَانِ شَبَابِهِ. يُوجَدُ ذِكْرُهُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِجَازَاتِ وَفِي أَسَانِيدِ الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا أَنَّهُ مِنْ أَعَاظِمِ الْعُلَمَاءِ وَاسِعِ الرِّوَايَةِ كَثِيرُ الْفَضْلِ مُعْتَمَدٌ عَلَيْهِ^(١).

ويذكر آغا بزرگ الطهراني رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ بِمُنَاسَبَةٍ كَلَامَهُ عَنْ كِتَابِ "الِاسْتَبْصَارِ" لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ الْمَشْهَدِيِّ وَكِتَابَهُ "الْمَزَارَ"، فَيَقُولُ: وَقَدْ طُبِعَ الْإِسْتَبْصَارُ لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ بِالْهِنْدِ وَفِي إِيْرَانِ، وَالتَّسْخُةُ الْمُقَابِلَةُ بِخَطِّ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ تُوجَدُ فِي خِزَانَةِ كَتَبِ الشَّيْخِ هَادِي آلِ كَاشِفِ الْغِطَاءِ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ تَامَّةً، بَلِ الْمَوْجُودُ مِنْ أَوَّلِ الْكِتَابِ إِلَى آخِرِ كِتَابِ الصَّلَاةِ بِخَطِّ الشَّيْخِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ وَالِدِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ ابْنِ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ مُؤَلَّفِ الْمَزَارِ الْمَشْهُورِ بِمَزَارِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَشْهَدِيِّ^(٢).

وكتب السيد محسن الأمين عَنِ الْكِتَابِ وَمُؤَلَّفِهِ قَائِلًا: "أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ

بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ جَعْفَرِ الْمَشْهَدِيِّ الْخَائِرِيُّ الْمَعْرُوفُ بِمُحَمَّدِ بْنِ الْمَشْهَدِيِّ، شَيْخٌ جَلِيلٌ مُتَبَحِّرٌ مُحَدِّثٌ صَدُوقٌ، هُوَ صَاحِبُ كِتَابِ الْمَزَارِ الْمَشْهُورِ بِمَزَارِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمَشْهَدِيِّ وَالْمَزَارِ الْكَبِيرِ^(٣).

أما عن صِحَّةِ كِتَابِ الْمَزَارِ الْكَبِيرِ فَقَدْ ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ الْكِبَارُ أَيْضًا وَثَاقَةً هَذَا الْكِتَابِ وَصَحَّتْهُ، وَمِنْهُمْ الْمَجْلِسِيُّ، فَقَدْ تَحَدَّثَ عَنْ أَهْمِيَّةِ وَإِعْتِبَارِ هَذَا الْكِتَابِ بِالْقَوْلِ: "وَالْمَزَارُ الْكَبِيرُ يُعَلِّمُ مِنْ كَيْفِيَّةِ أَسْنَادِهِ أَنَّهُ كِتَابٌ مُعْتَبَرٌ، وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ السَّيِّدَانِ ابْنَا طَاوُسٍ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالزِّيَارَاتِ"^(٤). وَكُتِبَ الشَّيْخُ الْحُرُّ الْعَامِلِيُّ عَنْ أَهْمِيَّةِ هَذَا الْكِتَابِ وَصَحَّتْهُ: "وَأَمَّا الْكُتُبُ الْمُعْتَمَدَةُ الَّتِي نَقَلْنَا مِنْهَا بِالْوَاسِطَةِ وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا وَلَكِنْ نَقَلَ مِنْهَا الصَّدُوقُ وَالشَّيْخُ وَغَيْرُهُمْ فَهِيَ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَنَحْنُ نَذْكُرُ هُنَا جُمْلَةً مِمَّا صَرَّحُوا بِأَسْمِهِ عِنْدَ النُّقْلِ مِنْهُ وَنَقَلْنَا نَحْنُ عَنْهُمْ، فَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُ الْمَزَارِ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمَشْهَدِيِّ"^(٥) وَعَلَيْهِ فَقَدْ وَثَّقَ الْعُلَمَاءُ

(٣) الامين، السيد محسن، أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٢٠٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ١، ص ٣٥.

(٥) الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،

(١) المشهدي، المزار الكبير، ص ٧-٤.

(٢) الطهراني، آغا بزرگ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٢، ص ١٥.

شَخْصِيَّتِهِ وَكِتَابِهِ.

ثَانِيًا: رُؤَاةُ سِنْدِ الزِّيَارَةِ

وَثِيقَةُ هَذِهِ الزِّيَارَةِ صَحِيحَةٌ مِنْ
حَيْثُ قَوَاعِدُ عُلُومِ الْحَدِيثِ، وَجَمِيعُ رُؤَاةِ
هَذَا الْحَدِيثِ ثِقَاتٌ، يُضَافُ إِلَى أَنْ فِي
سِلْسِلَةِ وَثِيقَةِ هَذَا الْحَدِيثِ يَوْجَدُ إِمَامَانِ
مَعْصُومَانِ (الإمامُ الهادي والإمامُ الحسن
العسكري عليهما السلام) وإِثْنَانِ مِنْ نَوَابِ إِمَامِ
الزَّمَانِ عليه السلام، مِمَّا زَادَ مِنْ صِحَّةِ هَذَا الْحَدِيثِ،
وَرُؤَاةِ هَذِهِ الزِّيَارَةِ هُمْ :

- الفضل شاذان بن جَبْرِئِيلَ الْقُمِّي
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَيْخٌ جَلِيلٌ ثَقَّةٌ، كَانَ عَالِمًا
فَاضِلًا عَظِيمَ الشَّانِ جَلِيلَ الْقَدْرِ. ^(١)

- الْعِمَادُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْقَاسِمِ
الطبري: فقيهٌ، ثَقَّةٌ، جَلِيلُ الْقَدْرِ، مُحَدِّثٌ. ^(٢)

- أَبُو عَلِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ
الْحَسَنِ، فَقِيهٌ ثَقَّةٌ عَيْنٌ، كَانَ عَالِمًا فَاضِلًا
مُحَدِّثًا جَلِيلًا. ^(٣)

يُرْوَى عَنْ وَالِدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ
(الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ)، جَلِيلٌ فِي أَصْحَابِنَا،
ثَقَّةٌ، عَيْنٌ. ^(٤)

- مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ (الشَّيْخِ
المفيد): يُوصَفُ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلامِ وَالرُّوَايَةِ
وَالْعِلْمِ. ^(٥) شَيْخُنَا وَأَسْتَاذُنَا عليه السلام، فَضَّلَهُ
أَشْهَرُ مَنْ أَنْ يُوصَفَ فِي الْفِقْهِ وَالْكَلامِ
وَالرُّوَايَةِ وَالثَّقَّةِ وَالْعِلْمِ، لَهُ كُتُبُ الرِّسَالَةِ
الْمُقَنَّعَةِ الْأَرْكَانِ فِي دَعَائِمِ الدِّينِ، كِتَابُ
الْإِيضَاحِ فِي الْإِمَامَةِ، كِتَابُ الْإِفْصَاحِ فِي
الْإِمَامَةِ. ^(٦)

- أَبُو الْقَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ قُلولِيهِ: كَانَ
مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِنَا وَأَعْلَامِهِمْ فِي الْحَدِيثِ
وَالْفِقْهِ، وَكُلُّ مَا يُوصَفُ بِهِ النَّاسُ مِنْ جَمِيلٍ
وَوَثَقَةٍ فَهُوَ فَوْقَهُ. ^(٧)

- مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِينِي: أَوْثَقُ
النَّاسِ فِي الْحَدِيثِ وَأَثْبَتُهُمْ. ^(٨)

- عَلِي بْنُ إِبْرَاهِيمَ: ثَقَّةٌ فِي الْحَدِيثِ،

(٤) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٤٠٣.

(٥) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٣٨٧.

(٦) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٨،
ص ٢١٣.

(٧) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٩.

(٨) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٩،
ص ٥٤٠.

ج ٣٠، ص ١٦١.

(١) الخوئي، ابوالقاسم، معجم رجال الحديث،
ج ٩، ص ٧.

(٢) الخوئي، ابوالقاسم، معجم رجال الحديث،
ج ١٥، ص ٣٠٨-٣٠٧.

(٣) الخوئي، ابوالقاسم، معجم رجال الحديث،
ج ٥، ص ١١٤.





ثبت، معتمد، صحيح المذهب.^(١)

يروي عن أبيه ابراهيم بن هاشم:
ثقة، اعتمدوا على رواياته.^(٢)

- أبو القاسم الحسين بن روح هو
أحد السفراء والنواب الخاصين وشهرة
جلالته وعظمته وثاقته معروفة.^(٣)

- عثمان بن سعيد العمري: جليل
القدر، ثقة، عادل، أمين.^(٤)

فجميع رواة هذه الزيارة على ثقة
تامة وجدير بالاعتماد الكامل عليها فضلاً
عن وثاققتها فهي قوية وموثقة للإمام
الهادي عليه السلام.

دراسة نصية للزيارة

بعد فحص اعتبار سند الزيارة
وصلاحياتها يتيم مراجعتها نصها وتحليلها،
فإن أحد أهم معايير المراجعة النصية هو
عرض الروايات على القرآن^(٥) والسنة

(١) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٦٠.

(٢) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١،
ص ١٣٨.

(٣) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٦٣.

(٤) الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١١،
ص ١١٢.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١،
ص ٦٩.

القطعية^(٦) بما اعتبره المحدثون، وكتب
الشيخ الصدوق عن الروايات في العقائد
بعد أن ذكر آيات وروايات عن التوحيد:
"وكل خبر يخالف ما ذكرت في التوحيد
فهو موضوع مخترع، وكل حديث لا
يوافق كتاب الله فهو باطل، وإن وجد في
كتب علمائنا فهو مدلس"^(٧). وعليه، فإن
زيارة الإمام الهادي عليه السلام في يوم الغدير
موثقة بالكامل في القرآن والسنة القطعية
لنبي الله صلى الله عليه وآله، ولا تتعارض مع الكتاب
والسنة، بل قد ورد ذلك في شرح آيات
القرآن والسنة النبوية، ففي هذه الزيارة
تم الاستشهاد بعدد من آيات القرآن
بصورة صريحة وغير صريحة ونحو عدد
من الروايات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وآله
قد ذكرت في هذه الزيارة، ذلك أن هذا
المحتوى يدل على أن نص وثيقة هذه
الزيارة قوية وموثقة للإمام الهادي عليه السلام
والتي تم ذكرها حول وصاية الإمام علي عليه السلام
وفضائله، بمعنى آخر، إن هذه الزيارة
هي ترجمة للقرآن والسنة النبوية في ولاية
الإمام علي عليه السلام ومناقبه.

(٦) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٩؛ الشريف
الرضي، نهج البلاغة، ص ٥٣.

(٧) الصدوق، محمد بن بابويه، الاعتقادات،
ص ٢٢.

الثاني: آياتٌ عَنْ ولايةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في زيارةِ الغديرِ للإمامِ الهادي عليه السلام

يُشِيرُ الإمامُ الهادي عليه السلام في زيارةِ الغديرِ إلى آياتٍ مُتَعَدِّدةٍ عَنِ الْمَنَاقِبِ لِلإمامِ عليٍّ عليه السلام. وَيُمْكِنُ تَقْسِيمُ الْآيَاتِ الَّتِي اسْتَشْهَدَ بِهَا الإمامُ الهادي عليه السلام عَنِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام إِلَى فِتْنَتَيْنِ، فَفِي الْفِتْنَةِ الْأُولَى يُشِيرُ الإمامُ الهادي عليه السلام إِلَى فَضَائِلِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام وَمَنَاقِبِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَهَذِهِ الْفَضَائِلُ خَاصَّةٌ بِهِ وَتَثَبَتْ أَفْضَلِيَّتُهُ بَعْدَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ فِي الزِّيَارَةِ الْغَدِيرِيَّةِ قَوْلُهُ تَعَالَى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ" (١)

"إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِرُوا الَّذِي بَيَّعَكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" (٢)

"وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٣)

"لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" (٤)

"وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (٥)

"وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مَشْكُونًا وَبَيْتِيًّا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا" (٦). وَآيَاتٌ أُخْرَى.

الْمَجْمُوعَةُ الثَّانِيَّةُ هِيَ الْآيَاتُ الَّتِي تُشِيرُ صَرَاحَةً إِلَى وِلَايَةِ وَخِلَافَةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَدْ ذَكَرَ الإمامُ الهادي عليه السلام فِي هَذِهِ الدُّعَاءِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَعِلَاقَتَهَا الْهَادِفَةَ بِوِلَايَةِ الإمامِ عليٍّ عليه السلام صَرَاحَةً وَلَكِنْ هَذِهِ الْآيَاتُ سَيِّئٌ تَحْلِيلُهَا وَدِرَاسَتُهَا فِي مَا يَلِي.

(٤) سورة النساء، الآية ٩٥.

(٥) سورة الحشر، الآية ٩.

(٦) سورة الانسان، الآية ٨-٩.

(١) سورة البقرة، الآية ٢٠٧.

(٢) سورة التوبة، الآية ١١١.

(٣) سورة الانعام، الآية ١٥٣.



العدد: الثامن
السنّة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أ.م.د. اصغر طهاسبي البلادي

الآية الأولى: "إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" (١)

مِنْ أَهَمِّ الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ بِشَكْلٍ كَامِلٍ إِلَى وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآيَةِ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِآيَةِ الْوَلَايَةِ يَذْكُرُ الْإِمَامَ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةَ فِي زِيَارَةِ الْغَدِيرِ كَمَا حَدَّثَ فَضَائِلُ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَسْبَابُ وَلَايَتِهِ حَيْثُ يَقُولُ: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ رَبَّنَا لَا تَزُغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ». (اللَّهُمَّ إِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَالْعَنْ مَنْ عَارَضَهُ وَاسْتَكْبَرَ وَكَذَّبَ بِهِ وَكَفَرَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيِّدَ الْوَصِيِّينَ وَأَوَّلَ الْعَابِدِينَ وَأَزْهَدَ الرَّاهِدِينَ وَرَحْمَةَ اللَّهِ وَبَرَكَاتِهِ وَصَلَوَاتُهُ وَتَحِيَّاتُهُ، أَنْتَ مُطْعِمُ الطَّعَامِ عَلَى حُبِّهِ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرَ الْوَجْهِ اللَّهِ لَا تَرِيدُ مِنْهُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا".

يَسْتَخْدِمُ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جُزْءٍ آخَرَ مِنَ الزِّيَارَةِ كَلِمَتِي "وَلَايَةُ" وَ"وَلِيٌّ" الْمُزْتَبِطِينَ بِالْآيَةِ مِنَ الْمَائِدَةِ وَيَقُولُ: "فَلَعَنْ اللَّهَ مَنْ عَدَلَ بِكَ مَنْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَايَتَكَ وَأَنْتَ وَلِيُّ اللَّهِ وَأَخُو رَسُولِهِ وَالذَّابُّ عَنْ دِينِهِ".

إِنَّ أَهَمَّ آيَةٍ وَرَدَّ ذِكْرُهَا فِي هَذَا الْجُزْءِ مِنَ الزِّيَارَةِ هِيَ الْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِآيَةِ الْوَلَايَةِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَذْكُرُ اللَّهُ دَرَجَةَ الْوَلَايَةِ بِحَيْثُ تَكُونُ وَلَايَةُ اللَّهِ أَوَّلًا ثُمَّ الْوَلَايَةُ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ ثُمَّ وَلَايَةُ الَّذِينَ آمَنُوا وَآتُوا الزَّكَاةَ أَثْنَاءَ الرُّكُوعِ، وَفِي الْأَمْرَيْنِ مَعًا يَوْجَدُ جِدَالَ لِلْمُفَسِّرِينَ حَوْلَ عِبَارَةِ "الَّذِينَ آمَنُوا" بِإِعْطَاءِ أَمْثَلَةٍ لَذَلِكَ، ذَلِكَ إِنَّ التَّحْدِيدَ الْمَطْلُوقَ لِعِبَارَةِ "الَّذِينَ آمَنُوا" هُوَ الَّذِي يُحَدِّدُ وَلِيَّ الْمُسْلِمِينَ وَوَصِيَّهُمْ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَلِتَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ يَجِبُ أَنْ يَعْرِفَ الْمُرءُ أَوَّلًا كَرَامَةَ نَزُولِ الْآيَةِ، إِذْ يَعِدُّ الْمُفَسِّرُونَ الشَّيْعَةَ بِالْإِجْمَاعِ نَزُولَ الْآيَةِ بِحَقِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِي هَذَا الصَّدَدِ يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ خَبَرَ نَزُولِ الْآيَةِ عَنْهُمْ يَعِدُّ أَكْثَرَ دَقَّةً وَمُتَوَاتِرَةً. (٢) فَقَدْ رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِينَ

(٢) المفيد، تفسير القرآن المجيد، ج ١، ص ١٨٢؛ الطبري، ابن جرير رستم، دلائل الإمامة، ص ١٩؛ الرازي، ابوالفتح، تفسير روح الجنان،



العدد: الثامن

السنة: الرابعة
٢٠٢٣ هـ / ٢٠٢٣ م

مِنْ جَانِبِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَثْنَاءَ الرُّكُوعِ^(٤). وَقَدْ رَوَى كِبَارُ الرُّوَاةِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ رَوَايَاتٍ كَثِيرَةً مِنْهَا مَا قَالَهُ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ: "إِنَّ عَلِيًّا مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ بَعْدِي"^(٥).

وإنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ تَدُلُّ عَلَى إِمَامَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِدَّةِ أَسْبَابٍ:

أَوَّلًا: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ بِحَقِّ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِجْمَاعِ الشَّيْعَةِ وَاسْتِنَادًا إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الشَّيْعِيَّةِ، بِحَيْثُ تَصِلُ هَذِهِ الرِّوَايَاتُ إِلَى مُسْتَوَى التَّكْرَارِ وَالتَّوَاتُرِ، أَجَلُ ذِكْرِ السَّيِّدِ هَاشِمِ الْبَحْرَانِيِّ فِي غَايَةِ الْمَرَامِ (٢٤) حَدِيثًا مِنْ جَانِبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَ(١٩) حَدِيثًا عَنْ طَرِيقِ الشَّيْعَةِ أَنَّ سَبَبَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ كَانَ وَلَايَةَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٦). وَيَرَوِي الْحَاكِمُ الْحَسْكَانِيُّ (عَالِمُ أَهْلِ السُّنَّةِ) فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ سَبَبَ نَزُولِهَا عَنْ (٢٦) طَرِيقًا^(٧). وَيَقُولُ الْجَصَّاصُ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ: "رَوَى عَنْ

الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ تَكْرِيمًا لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَمَا أُعْطِيَ الزَّكَاةُ فِي الرُّكُوعِ"^(١).

قَدْ عَدَّ بَعْضُ الْمَفْسِّرِينَ السُّنَّةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمِصْدَاقُ الْأَسَاسِيُّ الْوَحِيدُ لِلْآيَةِ^(٢)، بَلْ اعْتَقَدَ مُعْظَمُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ شَأْنَ النُّزُولِ لِهَذِهِ الْآيَةِ هُوَ تَدْفُقُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ اعْتَبَرُوا أَنَّ هَذَا الْوَعْدَ هُوَ الْوَحْيِيُّ الرَّئِيسُ لِلْآيَةِ؛ وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ عَطِيَّةَ الْأَنْدَلِسِيِّ: "هَذَا قَوْلُ الْمَفْسِّرِينَ وَلَكِنْ اتَّفَقَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَعْطِيَ صَدَقَةً وَهُوَ رَاكِعٌ"^(٣). وَيَعُدُّ الثَّعْلَبِيُّ كَأَحَدِ الْمَفْسِّرِينَ الْمَشْهُورِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ شَأْنَ النُّزُولِ لِآيَةِ الْوَلَايَةِ هُوَ إِعْطَاءُ الْخَاتَمِ

ج ٧، ص ٢٧؛ الراوندي، القطب، فقه القرآن في شرح آيات الأحكام، ج ١، ص ١١٦؛ ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج ٢، ص ٣٠؛ الحلي، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ص ١٧٢.

(١) الطبرسي، مجمع البيان في علوم القرآن، ج ٣، ص ٢١٠.

(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٣٨٨؛ الجصاص، أحكام القرآن، ج ٢، ص ٥٥٧؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٧٤؛ السيوطي، الدر المنثور، ص ٨١.

(٣) الاندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٢، ص ٢٠٩.

(٤) الثعلبي، الكشف والبيان تفسير الثعلبي، ص ٧٥؛ وينظر: الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٦) البحراني، غاية المرام، ج ٢، ص ٥-٢٢.

(٧) الحسكاني، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٠٩-٢٣٩.



مُجَاهِدَ وَالسَّدى وَأَبِي جَعْفَرٍ وَعُتْبَةَ بْنِ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ وَهُوَ رَاكِعٌ^(١).

ثانياً: "وَالَّذِينَ آمَنُوا" لَا تَشْمَلُ جَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِأَنَّ فِي هَذِهِ الْحَالِ سَيُصْبِحُ الْمَوْلَى وَالْمَوْلَى عَلَيْهِ وَاحِداً وَتُبْتُ أَيْضاً رَوَايَاتُ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ "وَالَّذِينَ آمَنُوا" وَ"الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ" هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَيْسَ كُلُّ الْمُؤْمِنِينَ وَمِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى فَإِنَّ كَلِمَةَ "الْوَلِي" فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِمَعْنَى أُولَى فِي التَّصَرُّفِ، وَهُوَ مُرَادِفٌ لِمَعْنَى الْإِمَامِ وَالْخَلِيفَةِ، وَلَيْسَ بِمَعْنَى النَّصْرَةِ وَالْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ كُلَّ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ وَلَايَةٌ فِي الْحُبِّ وَالنَّصْرَةِ لِبَعْضِهِمُ الْبَعْضُ، بَيْنَمَا بِحَسَبِ التَّحْلِيلِ الدَّاخِلِيِّ لِنَصِّ الْآيَةِ وَرَوَايَاتِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي شَأْنِ نَزُولِهَا، فَإِنَّ الْوَلَايَةَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَنُوطَةٌ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﷺ وَالْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى هَذِهِ الْوَلَايَةِ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ نَفْسُ الْوَلَايَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ الْأُولَى فِي التَّصَرُّفِ^(٢).

ثالثاً: يُمكنُ أَنْ يُسْتَنْبَطَ مِنَ الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّ أَوْلِيَاءَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ: اللَّهُ، وَالرَّسُولُ ﷺ وَالْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَهُمْ ثَلَاثُ خِصَالٍ، وَمِنْ غَيْرِ هَؤُلَاءِ يَكُونُ الْآخَرُونَ هُمْ "مَوْلَى عَلَيْهِمْ" وَالطَّرْفُ الْآخِرُ لِلْوَلَايَةِ وَقَابِلُ الْوَلَايَةِ، وَلَنْ يَتَحَقَّقَ ذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَ الْوَلِيُّ وَالْقَائِدُ وَصَاحِبُ الشُّؤْنِ الْمَالِيَةِ هُوَ الْمَوْلَى عَلَيْهِ، لِأَنَّ هَذِهِ الْوَلَايَةَ هِيَ الْوَلَايَةُ الَّتِي يَحْتَاجُ إِثْبَاتُهَا إِلَى سَبَبٍ خَاصٍّ، فَلَا يَكْفِيهِ الْإِيْمَانُ هُنَا وَحْدَهُ، بَلْ خِلَافاً لِلْوَلَايَةِ الَّتِي بِمَعْنَى الْمَحَبَّةِ وَالْمُسَاعَدَةِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ فَرْعٌ مِنْ فُرُوعِ الْإِيْمَانِ وَكُلُّ مُؤْمِنٍ مُحِبٌّ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ وَمُسَاعِدُهُ، وَهُنَاكَ شَاهِدَانِ آخَرَانِ يُؤَكِّدَانِ تَفْسِيرَ الْوَلَايَةِ بِهَذَا الْمَعْنَى؛ أَحَدُهُمَا هُوَ الْإِنْحِصَارُ وَالْخُصُوصِيَّةُ الْمَفْهُومَةُ مِنْ كَلِمَةِ "إِنَّمَا" وَالْآخَرُ هُوَ شَأْنُ نَزُولِ الْآيَةِ بِحَقِّ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنْ تَحَوَّلَ هَذِهِ الْجَوَانِبُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْآيَةِ إِلَى نَصِّ يُشِيرُ إِلَى نَظَرِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الشَّيعِيَّةِ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ^(٣).

رابعاً: مِنْ أَهَمِّ النَّكَاتِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ اِحْتِجَاجُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِآيَةِ الْوَلَايَةِ فِي مَوَاقِفَ مُخْتَلِفَةٍ، فَقَدْ عَبَّرَ عَنْ هَذَا الْإِحْتِجَاجِ بِاخْتِلَافٍ طَفِيفٍ فِي الْكَلِمَاتِ فِي مَصَادِرِ

(٣) السبحاني، محاضرات في الالهيات، ص ٣٣٠-٣٣١.

(١) الجصاص، احكام القرآن، ج ٤، ص ١٠٢.

(٢) ينظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣، ص ٥٥٩-٥٦٤؛ الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ٥-١٥.

سُنِّيَّةٌ مُهِمَّةٌ مِنْهَا: "أَنْشَدُكُمْ بِاللَّهِ أَتَعْلَمُونَ
 حَيْثُ نَزَلَتْ أَنَّهَا وَلِيَّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ
 آمَنُوا الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَهُمْ رَاكِعُونَ ... أَمْرُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيَّهُ
 أَنْ يَعْلَمَهُمْ وَلَاةَ أَمْرِهِمْ وَأَنْ يَفْسِّرَ لَهُمْ مِنْ
 الْوَلَايَةِ كَمَا فَسَّرَ لَهُمْ مِنْ صَلَاتِهِمْ وَزَكَاتِهِمْ
 وَحُجَّتِهِمْ، فَنَصَبْنَا لِلنَّاسِ بَغْدِيرَ خَمٍّ" (١)
 وَذَكَرَ الطَّبْرَسِيُّ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 إحتِجَاجَهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ فِي مُنَاسِبَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ
 مِنْهَا فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ. (٢)

وَحُخْلَاصَةُ الْقَوْلِ، فَإِنَّ مُعْظَمَ
 الْمُفَكِّرِينَ فِي مَجَالِ التَّفْسِيرِ وَالرِّوَايَاتِ
 يَتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ آيَةَ الْوَلَايَةِ نَزَلَتْ بِحَقِّ
 الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالذَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ
 فِي حَدِّ ذَاتِهِ يُثْبِتُ وَلَايَتَهُ بَعْدَ الرَّسُولِ
 الْكَرِيمِ ﷺ.

الْآيَةُ الثَّانِيَّةُ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا
 أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
 رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣).

آيَةٌ أُخْرَى مُهِمَّةٌ تَتَنَاوَلُ صِرَاحَةَ
 وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هِيَ آيَةُ الْوَلَايَةِ الَّتِي

(١) القندوزي، ينابيع المودة، باب ٨٣، ص ١١٤.

(٢) ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) سورة المائدة، الآية ٦٧.

أَشَارَ إِلَيْهَا الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَدُلُّ هَذِهِ
 الْآيَةُ عَلَى وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ
 الْغَدِيرِ، كَمَا يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أَوْحَى إِلَيَّ رَبُّ
 الْعَالَمِينَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
 يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فَوَضَعَ عَلَى نَفْسِهِ
 أَوْزَارَ الْمَسِيرِ، وَمَهَضَ فِي رَمَضَاءِ الْهَجِيرِ،
 فَخَطَبَ وَأَسْمَعَ، وَنَادَى فَأَبْلَغَ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ
 أَجْمَعُ فَقَالَ: هَلْ بَلَغْتُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَى.
 فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ. ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُ أَوَّلَى
 بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى. فَأَخَذَ
 بِيَدِهِ وَقَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ
 مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ
 وَأَنْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ وَآخُذْ مَنْ خَذَلَهُ، فَمَا
 آمَنَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيكَ عَلَى نَبِيِّهِ إِلَّا قَلِيلٌ وَلَا
 زَادَ أَكْثَرَهُمْ غَيْرَ تَخْسِيرٍ وَلَقَدْ أُنْزِلَ اللَّهُ تَعَالَى
 فِيكَ مِنْ قَبْلُ وَهُمْ كَارِهُونَ".

وَفِي جُزْءٍ آخَرَ مِنْ هَذِهِ الزِّيَارَةِ
 أَشَارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ ضِمْنًا إِلَى هَذِهِ
 الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ وَمَسْأَلَةِ التَّبْلِيغِ (الدَّعَايَةِ)،
 ثُمَّ ذَكَرَ حَادِثَةَ الْغَدِيرِ وَبَيْعَةَ النَّاسِ لِلْإِمَامِ
 عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ يَقُولُ: "وَأَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ
 عَنِ اللَّهِ مَا أُنْزِلَ فِيكَ فَصَدَعَ بِأَمْرِهِ وَأَوْجَبَ
 عَلَى أُمَّتِهِ فَرَضَ طَاعَتِكَ وَوَلَايَتِكَ وَعَقَدَ
 عَلَيْهِمُ الْبَيْعَةَ لَكَ وَجَعَلَكَ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ كَذَلِكَ. ثُمَّ أَشْهَدُ





العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أ.م.د. اصغر طه هاشمي البنداري

اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: أَلَسْتُ قَدْ بَلَغْتُ؟
فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلَى فَقَالَ اللَّهُمَّ اشْهَدْ وَكَفَى
بِكَ شَهِيداً وَحَاكِماً بَيْنَ الْعِبَادِ".

وهنا يَعْتَبِرُ الإمام الهادي عليه السلام
مُصْداقَ آيَةِ التَّبْلِيغِ بِوَاقِعَةٍ غَدِيرِ خُمٍ
وإِبْلَاحِ وَلَايَةِ الإمام علي عليه السلام اسْتِمْرَاراً لِهَذَا
الاسْتِشْهَادِ سَيَتَمُّ فَحْصُ الإمام الهادي عليه
السَّلَامُ لهذه الواقعة مِنْ حَيْثُ التَّفْسِيرِ.

فَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ يَأْمُرُ اللَّهُ
تَعَالَى الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُنْقَلَ أَمْرًا
مَهْمًا، وَتَأْتِي أَهْمِيَّةُ هَذِهِ الْآيَةِ فِي أَنَّ عَدَمَ
إِبْلَاحِ الْمَوْضُوعِ الْمَذْكُورِ يُسَاوِي عَدَمَ إِنْجَازِ
الرِّسَالَةِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ
الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهْمَةٌ لِلْغَايَةِ لِدَرَجَةٍ أَنْ لَا
شَيْءَ يُمَكِّنُ أَنْ يُقَلَّلَ مِنْ قِيَمَتِهَا، كَانَ أَدَاءُ
الْوَاجِبَاتِ الْإِلَهِيَّةِ وَإِبْلَاحُ الْوَحْيِ وَتَبْيِينُ
الْوَحْيِ وَتَوْجِيهِ النَّاسِ وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنْ أَهَمِّ
الْوَاجِبَاتِ الَّتِي قَامَ بِهَا نَبِيُّ الْإِسْلَامِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَعَ ذَلِكَ هُنَاكَ شَيْءٌ مُهِمٌّ فِي آيَةِ التَّبْلِيغِ
وَهُوَ أَنَّ عَدَمَ الْقِيَامِ بِذَلِكَ وَإِبْلَاحَهُ يُسَاوِي
عَدَمَ الْقِيَامِ بِالْمُهْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَظِيمَةِ، إِنَّ
تَحْلِيلَ وَشَرْحَ مُصْداقِ التَّبْلِيغِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ
يُجَدِّدُ تِلْكَ النِّقْطَةَ الْمُهْمَّةَ يَعِدُّ الْمُفَسِّرُونَ
وَالْمُفَكِّرُونَ الشَّيْعَةَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَتَحَدَّثُ
عَنْ تَوَلِيَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْإِمَامِ

عَلِي عليه السلام.^(١) كَمَا ذَكَرَ عُلَمَاءُ السُّنَّةِ أَقْوَالاً
مُخْتَلَفَةً عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ وَفِي مَصَادِرِهِمُ الْمُهْمَةُ
رَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ عَنْ شَأْنِ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ،
فَيُرَوِّي السُّيُوطِيُّ رِوَايَةً بِهَذَا الْمَوْضُوعِ فِي
تَفْسِيرِ الدَّرِّ الْمَشْهُورِ قَائِلاً: "وأخرج ابن أبي
حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي
سعيد الخدري قال نزلت هذه الآية ﴿يَا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾
على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
غدِيرِ خُمٍ فِي عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَخْرَجَ
ابن مردويه عن ابن مسعود قال كنا نقرأ
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (أَنَّ
عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ
رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ".^(٢) وَقَدْ
نَقَلَ الْمُفَسِّرُونَ وَالرُّوَاةُ السُّنَّةَ الْآخَرُونَ
نَفْسَ الْأَمْرِ.^(٣)

(١) العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٦٢-٦٣؛
الكوافي، فرات، تفسير فرات الكوفي، ص ١٨٠-
١٨١؛ الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٣،
ص ١٤٤؛ الطبرسي، مجمع البيان في علوم القرآن،
ج ١، ص ٦٦-٨٦.

(٢) السيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨.

(٣) الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ٦٠؛
الآلوسي، روح المعاني في تفسير العظيم وسبع
المثاني، ج ٥، ص ٣٥٩؛ الحسكاني، الحاكم،
شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٥٠.

تَدُلُّ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى إِمَامَةِ وَخِلَافَةِ
الإمام عليٍّ عليه السلام بَعْدَ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ صلى الله عليه وآله
لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ:

أَوَّلًا: إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ الْآيَةِ فِي
الرَّوَايَاتِ، وَهُوَ الْمَوْضُوعُ الَّذِي نَشَرَهُ
النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله، وَالَّذِي يَأْمُرُ اللَّهُ بِنَشْرِهِ هُوَ وَلَايَةُ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

ثَانِيًا: الْوَلَايَةُ الْوَارِدَةُ فِي الرَّوَايَاتِ
تَعْنِي الْوَلَايَةَ فِي الْحَيَازَةِ وَالتَّصَرُّفِ وَلَيْسَ
بِأَيِّ مَعْنَى آخَرَ، لِأَنَّ سُورَةَ الْمَائِدَةِ مِنْ آخِرِ
السُّورِ الَّتِي نَزَلَتْ، وَهِيَ مِنَ الْمَوَاضِعِ
الدِّينِيَّةِ الْمَهْمَةِ حَتَّى الْآنَ مِثْلَ التَّوْحِيدِ،
النَّبَوَّةِ، الْمَعَادِ، الصَّلَاةِ، وَالْجِهَادِ، وَغَيْرِهَا
مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ وَمَا لَمْ يُعْلَنَ حَتَّى ذَلِكَ
الْيَوْمِ وَلَمْ يُنَزَّ الْعَهْدُ وَالْوَلَاءُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
كَانَ وَصِيَّةُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ صلى الله عليه وآله وَخِلَافَتُهُ.

ثَالِثًا: الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي
كَانَ عَدَمُ تَبْلِيغِهِ مُسَاوِيًا لِعَدَمِ تَبْلِيغِ
كُلِّ رِسَالَةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله هُوَ مَوْضُوعُ
خِلَافَتِهِ، لِأَنَّ رِسَالَةَ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله
تَمْتَدُّ إِذَا كَانَتْ خَلْفًا لِلنَّبَوَّةِ حَتَّى تَقْوِيَ
الدِّينَ، لِذَلِكَ فَإِنَّ مَوْضُوعَ التَّبْلِيغِ فِي هَذِهِ
الْآيَةِ هُوَ وَصَايَةُ وَخِلَافَةُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عليه السلام.

رَابِعًا: مِنَ الْأَحَادِيثِ الْمُتَوَاتِرَةِ فِي
مَصَادِرِ الْفَرِيقَيْنِ حَدِيثُ الْغَدِيرِ الَّذِي

جَاءَ فِي اسْتِمْرَارِ آيَةِ التَّبْلِيغِ وَتَشْكِيلِ
وَاقِعَةِ غَدِيرِ خُجْمٍ، عَلَى الرُّغْمِ مِنْ وُجُودِ
إِجْمَاعٍ فِي حَدِيثِ الْغَدِيرِ مِنْ حَيْثُ
التَّكْرَارِ وَمَعْلُومٌ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ صلى الله عليه وآله
أَلْقَى خُطْبَةً غَرَاءَ فِي الْغَدِيرِ وَفِيهَا
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْحَمْدِ لِلَّهِ، تَمَّ تَعْيِينَ الْإِمَامِ
عَلِيٍّ عليه السلام خَلِيفَةً، وَالتَّعْرِيفُ بِمَلَامَحِ
الْمُنَافِقِينَ، إِنَّ تَعْرِيفَ الْإِمَامِ الْهَادِي عليه السلام
بِهَذَا الْأَمْرِ جَاءَ فِي جُزْءٍ مِنْ زِيَارَةِ الْإِمَامِ عليه السلام
فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ، فَقَدْ أَشَارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عليه السلام
إِلَى حَدِيثِ الْغَدِيرِ: "وَأَنَّ الْعَادِلَ بِكَ غَيْرُكَ
عَانِدٌ [عَادِلٌ] عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي
ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَكْمَلَهُ بِوَلَايَتِكَ
يَوْمَ الْغَدِيرِ". وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَرَوِي حَدِيثَ
الْغَدِيرِ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وآله عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "فَقَالَ
اللَّهُمَّ أَشْهَدْ. ثُمَّ قَالَ: أَلَسْتُ أَوَّلَى بِالْمُؤْمِنِينَ
مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى. فَأَخَذَ بِيَدِكَ
وَقَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَأَنْصُرْ
مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ".

وَمِنَ الثَّابِتِ إِنَّ الْحَاكِمَ النِّشَابُورِي
- وَهُوَ أَحَدُ الرُّوَاةِ السُّنَّةِ الْبَارِزِينَ - يَنْقُلُ
حَدِيثَ الْغَدِيرِ كَمَا يَلِي: "عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى غَدِيرِ
خُجْمٍ فَأَمَرَ بِدَوْحٍ، فَكَسَحَ فِي يَوْمٍ مَا أَتَى عَلَيْنَا



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن
السنّة: الرابعة

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أ.م.د. اصغر طهاسبي البلدايني

يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ حَرًّا مِنْهُ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ: "يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا مَا عَاشَ نَصَفَ مَا عَاشَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"، ثُمَّ قَامَ فَأَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: "يا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، "أَ لَسْتُ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ". هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ^(١). وقد اعترف العديد من علماء السنّة بتواتر حديث الغدير^(٢)؛ لذا فإنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين نصّ آية التّليغ وواقعة غدير خم، بحيث تكون الثمرة العملية لآية التّليغ هي واقعة غدير خم وتعيين أمير المؤمنين عليه السلام خليفة للنبي الكريم صلى الله عليه وآله.

الآية الثالثة: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"^(٣)

(١) الحاكم النيشابوري، مستدرک علی الصحيحین، ج ٣، ص ٦١٣.

(٢) ينظر: الموسوي، شرف الدين، المراجعات، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٣.

بَعْدَ تَعْيِينِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام خَلَفَا لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ آيَةُ اكْتِمَالِ الدِّينِ. وَقَدْ أَشَارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عليه السلام إِلَى يَوْمِ اكْتِمَالِ الدِّينِ بِوَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام الْمَقْصُودِ بِهِ يَوْمُ الْغَدِيرِ حَيْثُ يَقُولُ: "وَأَصْلُهُمْ حَرٌّ نَارَكَ وَالْعَنَ مَنْ غَضَبَ وَلَيْكَ حَقُّهُ وَأَنْتَكَرَ عَهْدَهُ وَجَحَدَهُ بَعْدَ الْيَقِينِ وَالْإِقْرَارِ بِالْوَلَايَةِ لَهُ يَوْمَ أَكْمَلْتُ لَهُ الدِّينَ". وَفِي مَكَانٍ آخَرَ مِنَ الزِّيَارَةِ يَشْرَحُ هَذَا الْأَمْرَ: "أَشْهَدُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ الشَّاكَّ فِيكَ مَا آمَنَ بِالرَّسُولِ الْأَمِينِ وَأَنَّ الْعَادِلَ بِكَ غَيْرَكَ عَانِدٌ [عَادِلٌ] عَنِ الدِّينِ الْقَوِيمِ الَّذِي ارْتَضَاهُ لَنَا رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَكْمَلَهُ بِوَلَايَتِكَ يَوْمَ الْغَدِيرِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ الْمَعْنِيُّ بِقَوْلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ضَلَّ اللَّهُ وَأَضَلَّ مَنْ اتَّبَعَ سِوَاكَ وَعِنْدَ عَنِ الْحَقِّ مَنْ عَادَاكَ". وَفِي الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمَصَادِرَ الشَّيْعِيَّةَ بِلا خِلَافٍ تَذَكُرُ أَنَّ آيَةَ الْإِكْمَالِ مَعْرُوفَةٌ بِإِعْلَانِ وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام، عِنْدَمَا جَاهَرَ الرَّسُولُ الْكَرِيمُ صلى الله عليه وآله بِآيَةِ التَّيْلِغِ وَإِنَّمَا نَزَلَتْ بَعْدَ تَعْيِينِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام.^(٤)

(٤) الرازي، ابو الفتوح، تفسير روح الجنان، ج ٢، ص ٩٧؛ الطبرسي، مجمع البيان في علوم القرآن، ج ١، ص ٣١٢؛ الحلي، منهاج الكرامة في



العدد: الثامن
السنّة: الرابعة

١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

بخ بخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله عز وجل "اليوم أكملت لكم دينكم" (٣). ويُمكن ملاحظة نفس الموضوع في مصادر سُنِّيَّةٍ أُخَرَى. (٤)

والجدير بإثباته أنَّ التَّحْلِيلَ الدَّاخِلِيَّ لِلنُّصُوصِ وَالْخَارِجِيَّ لِلآيَةِ يَثْبُتُ أَنَّ مَعْنَى إِكْمَالِ الدِّينِ وَإِتْمَامِ النِّعْمَةِ هُوَ إِمَامَةُ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

أولاً: إِنَّ الْمَبْحَثَ مِنَ الْآيَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الْمَائِدَةِ "الْيَوْمَ يَتِمُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا" مَبْنِي عَلَى آيَاتٍ وَرَوَايَاتٍ مُنْفَصِلَةٍ عَنْ مَا قَبْلَهَا وَبَعْدَهَا وَلَا عِلَاقَةَ لَهَا بِهَا (٥).

ثانياً: إِنَّ آيَةَ الْإِكْمَالِ نَزَلَتْ فِي حَجَّةِ الْوِدَاعِ بِحَسَبِ تَوَافُقِ الْفَرِيقَيْنِ، فَجَاءَ فِي تَفْسِيرِ ذَلِكَ "الْيَوْمَ" إِلَى يَوْمٍ مُعَيَّنٍ أَوْ إِلَى (٣) ابن عساکر، تاریخ مدینة دمشق، ج ٢، ص ٧٥.

(٤) ينظر: الخوارزمي، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، ص ١٣٥؛ الخطيب البغدادي، تاریخ بغداد، ج ٨، ص ٢٩٠.

(٥) الطباطبائي، الميزان في تفسیر القرآن، ج ٥، ص ١٦٧.

وفي الْمَصَادِرِ السُّنِّيَّةِ الْمُهَمَّةِ هُنَاكَ الْعَدِيدُ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمُتَوَافِقَةِ مَعَ وَجْهَةِ النَّظَرِ الشَّيْعِيَّةِ، فَيَنْقُلُ الْحُسَكَايَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) علياً يوم غدیر خم فنَادى له بالولاية هبط جبرئیل بهذه الآية: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" (١). وَيَنْقُلُ السِّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ مَا يَلِي: "نَقَلَ ابْنُ مَرْدُويه عَنْ ابْنِ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ أَنَّ: لَمَّا نَصَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍ فَنَادَى لَهُ بِالْوِلَايَةِ هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ بَهْدِهِ الْآيَةَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ" (٢) وَيَزِيهِ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي كِتَابِهِ عَنْ نُزُولِ آيَةِ الْإِكْمَالِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِي: "عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهرا، وهو يوم غدیر خم، لما اخذ النبي (صلى الله عليه وسلم) بيد علي بن أبي طالب فقال: أأست ولي المؤمنين؟ قالوا: بلى يا رسول الله؟ قال من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر بن الخطاب:

معرفة الإمامة، ص ١١٨ الأُمِينِي، الغدير، ج ١، ص ٢٣٤.

(١) الحسكاي، شواهد التنزيل، ج ١، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) السبيوطي، الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٥٩.



فَتَرَةٌ مُحَدَّدَةٌ الَّتِي يَقُومُ عَلَى ظُهُورِ الْآيَةِ
وَالدَّلِيلِ الشَّرْدي لِيَوْمٍ مُعَيَّنٍ^(١).

ثالثاً: قِيلَ فِي "اليَوْمَ" أَرْبَعُ خِصَالٍ:
يَوْمُ يَأْسِ الْكُفَّارِ، وَيَوْمُ إِكْمَالِ الدِّينِ، وَيَوْمُ
إِتْمَامِ النَّعْمِ، وَالْيَوْمُ الَّذِي أَجَازَ اللَّهُ فِيهِ
الإِسْلَامَ كَدِينٍ، وَالْآنَ بِالنَّظَرِ إِلَى أَنَّ الْآيَةَ
الْمَذْكُورَةَ قَدْ نَزَلَتْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَإِنَّ
الْحَدَّثَ الْكَبِيرَ الْوَحِيدَ فِي هَذَا الْحَجِّ غَيْرَ
حَادِثَةِ الْغَدِيرِ هُوَ حَجُّ الْمُسْلِمِينَ الْعَظِيمِ
الَّذِي لَا يَبْنَأُ الْكُفَّارُ، لِذَلِكَ يَجِبُ الْبَحْثُ
عَنْ خَصَائِصِ الْآيَاتِ الْأَرْبَعِ فِي وَاقِعَةِ
الْغَدِيرِ، فَإِذَا قِيلَ أَنَّ مَعْنَى حَدِيثِ الْغَدِيرِ
هُوَ تَقْدِيمُ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِصِفَتِهِ مَحْبُوبِ
الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ مَحْبُوبِيَّتَهُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُشْمَلَ
خَصَائِصُ الْآيَةِ الْأَرْبَعِ، فَمَا يُمَكِّنُ أَنْ يُحْتَوَى
عَلَى خَصَائِصِ الْآيَاتِ هُوَ تَعْيِينُ الإِمَامِ
عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي إِمَامَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ
لِأَنَّهُ عِنْدَمَا يَرَى الْكُفَّارُ أَنَّهُ بَعْدَ وَفَاةِ
الرَّسُولِ ﷺ هُنَاكَ مَنْ سَيُؤَصِّلُ طَرِيقَهُ،
فَإِنَّهُمْ سَيُصَابُونَ بِالْيَأْسِ وَالْخِيبَةِ^(٢).

رابعاً: إِجْمَاعُ الرِّوَايَاتِ الشَّيْعِيَّةِ
عَلَى أَنَّ آيَةَ الْإِكْمَالِ نَزَلَتْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ
(الْبَعْضُ يُشِيرُ إِلَى نُزُولِهَا يَوْمَ عَرَفَةَ وَآخَرُ
يَوْمِ الْغَدِيرِ) عَنْ وَلَايَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَمَا
تَدُلُّ رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى أَنَّ
هَذِهِ الْآيَةَ قَدْ نَزَلَتْ فِي غَدِيرِ خُمٍ وَفِي وَلَايَةِ
الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِحَسَبِ هَذَا التَّحْلِيلِ
لِآيَةِ الْإِكْمَالِ فَإِنَّهُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي
إِمَامَةِ وَلَايَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الآيَةُ الرَّابِعَةُ: "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ
عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً"^(٣)

آيَةُ التَّطْهِيرِ مِنْ أَهَمِّ الْآيَاتِ فِي
عِصْمَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.
وَقَدْ تُشِيرُ فِي هَذَا الصَّدَدِ بِالْخُصُوصِ
إِلَى وَلَايَةِ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّتِي تُثَبِّتُ
بِذَاتِ الْوَقْتِ عِصْمَةَ الإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،
مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى وَهُنَاكَ أَشْخَاصٌ
يَسْتَحِقُّونَ خِلَافَةَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ
وَمَنْصَبَ الإِمَامَةِ وَهُمْ مَعْصُومُونَ
مِنْ الْخَطَا مِثْلُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ
كَالَّذِي يَتَمَتَّعُ بِهِ الإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وَأَبْنَاؤُهُ الْمَعْصُومُونَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُنَا يُشِيرُ
الإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي جُزْءٍ مِنْ زِيَارَةِ الإِمَامِ

(١) نجارزادغان، دراسة مقارنة لآيات الولاية
في رأي الفريقين، ص ١٧٩-١٨١.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن،
ج ٥، ص ١٦٨-١٧٦، وينظر: نجارزادغان،
دراسة مقارنة لآيات الولاية في رأي الفريقين،
ص ١٨١-١٨٤.

(٣) سورة الاحزاب، الآية ٣٣.

عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عِصْمَةِ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلِ
عَامٍّ وَالْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَكْلِ خَاصٍّ: "وَقَدْ أَعْلَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْأُمَّةِ دَرَجَتَكُمْ وَرَفَعَ
مَنْزِلَتَكُمْ وَأَبَانَ فَضْلَكُمْ وَشَرَّفَكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ فَأَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَكُمْ
تَطْهِيراً: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّ الْإِنْسَانَ
خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَإِذَا مَسَّهُ
الْخَيْرُ مُنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ» فَاسْتَنْتَى اللَّهُ تَعَالَى
نَبِيَّهُ الْمُصْطَفَى وَأَنْتَ يَا سَيِّدَ الْأَوْصِيَاءِ مِنْ
جَمِيعِ الْخَلْقِ فَمَا أَعَمَّهُ مَنْ ظَلَمَكَ عَنِ الْحَقِّ".

إِنَّ الْبَحْثَ عَنِ الْمِصْدَاقِ الرَّئِيسِ
لِكَلِمَةِ "أَهْلَ الْبَيْتِ" وَنَوْعِ الْإِرَادَةِ فِي
كَلِمَةِ "يُرِيدُ" يُثْبِتُ عِصْمَةَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
وغيره مِنَ الْمُعْصُومِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَشَارَ
الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنَّ آيَةَ التَّطْهِيرِ
هِيَ مُنْخَصَرَّةٌ فِي شَرَفِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ
وَالْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَضِرَةِ فَاطِمَةَ سَلَامَ اللَّهِ
عَلَيْهَا وَالْإِمَامِ الْحَسَنِ وَالْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ
وَلَا تَشْمَلُ الْآخَرِينَ بِأَيِّ شَكْلِ مِنَ
الْأَشْكَالِ وَمِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَإِنَّهَا تَنْبُتُ
عِصْمَتُهُمْ الْمُطْلَقَةَ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

أَوَّلًا: قَدْ وَرَدَتْ فِي هَذَا الصَّدَدِ
رَوَايَاتٌ كَثِيرَةٌ تُقَدِّمُ مِصْدَاقَ أَهْلِ الْبَيْتِ
عَلَى أَنَّهُمْ خَمْسَةُ أَهْلِ الْكِسَاءِ فَيَكْتُبُ
الشُّوْكَانِيُّ فِي هَذَا الصَّدَدِ: الرِّوَايَاتُ

الصَّحِيحَةُ وَالْمُعْتَبَرَةُ لَكَثِيرٍ مِنَ الرِّوَاةِ
مِنْهَا رَوَايَاتُ التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ جَرِيرٍ وَابْنُ
الْمُنْذِرِ وَالْحَاكِمُ النِّشَابُورِيُّ وَابْنُ مَرْدَوِيهِ
وَالْبَيْهَقِيُّ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَنَحْوُهُمْ وَالْعَدِيدُ
مِنَ الْعُلَمَاءِ الْآخَرِينَ الَّذِينَ نَقَلُوا آيَةَ التَّطْهِيرِ
وَهِيَ تَضُمُّ خَمْسَةَ أَهْلِ الْكِسَاءِ وَتَسْتَشْنِي
زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
نِطَاقِ الْآيَةِ^(١). وَيَنْقُلُ صَاحِبُ الْمُسْتَدْرَكِ
عَلَى الصَّحِيحِينَ نَفْسَ شَأْنِ النُّزُولِ عَنْ
أُمِّ سَلَمَةَ: "أَنَّهَا قَالَتْ: فِي بَيْتِي نُزِلَتْ هَذِهِ
الْآيَةُ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] قَالَتْ:
فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى
عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ، أَجْمَعِينَ فَقَالَ: "اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ
بَيْتِي" قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا
أَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ؟ قَالَ: "إِنَّكَ أَهْلِي خَيْرٌ
وَهَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ". هَذَا
حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَلَمْ
يُخْرِجَاهُ^(٢).

وَقَدْ نَقَلَ الْمَوْضُوعَ نَفْسُهُ فِي الْعَدِيدِ
مِنَ الْمَصَادِرِ الشُّنِّيَّةِ، فَقَدْ وَرَدَتْ رَوَايَاتُ
أُخْرَى فِي مَصَادِرِهِمْ تُؤَكِّدُ شَأْنَ النُّزُولِ،

(١) الشُّوْكَانِيُّ، فَتْحُ الْقَدِيرِ، ج ٤، ص ٢٧٠.

(٢) النِّشَابُورِيُّ، الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحِينَ،
ج ٢، ص ٤١٦.



وَيَقُولُ التِّرْمِذِيُّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الرَّوَايَةِ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَهُوَ أَحْسَنُ شَيْءٍ رُوِيَ فِي هَذَا الْبَابِ^(١). وَيَكْتُبُ الْعَلَامَةُ الطَّبَاطِبَائِيُّ عَنِ الرَّوَايَاتِ الْمُنْحَصَرَةِ "بَأَهْلِ الْبَيْتِ" فِي الْخَمْسَةِ أَهْلِ الْكِسَاءِ قَائِلًا: وَبِهَذَا الَّذِي تَقْدُمُ يَتَأَيَّدُ مَا وَرَدَ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ وَعَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَاصَّةً لَا يُشَارِكُهُمْ فِيهَا غَيْرُهُمْ، وَهِيَ رَوَايَاتُ جَمَّةٍ تَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ حَدِيثًا يَرُبُّو مَا وَرَدَ مِنْهَا مِنْ طُرُقِ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى مَا وَرَدَ مِنْهَا مِنْ طُرُقِ الشَّيْعَةِ، فَقَدْ رَوَاهَا أَهْلُ السُّنَّةِ بِطُرُقٍ كَثِيرَةٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ وَعَائِشَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَسَعْدِ وَوَائِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ وَأَبِي الْحَمْرَاءِ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ وَعَلِيٍّ وَالْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَرِيبٍ مِنْ أَرْبَعِينَ طَرِيقًا^(٢)، وَالرَّوَايَاتُ الْمَرْوِيَّةُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ فِي الْمَصَادِرِ السُّنَنِ الَّتِي قَالَهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ ﷺ: "إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ"^(٣)، فَإِنَّهُ قَدْ رَفَضَ نَظْرِيَّةَ صِدْقِ أَهْلِ

الْبَيْتِ عَلَى زَوْجَاتِ الرَّسُولِ ﷺ.

ثَانِيًا: إِنَّ الْأَلْفَ وَاللَّامَ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ هِيَ لِلْعَهْدِ بِالْإِشَارَةِ إِلَى أَنَاثٍ مُعَيَّنِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

ثَالِثًا: الْآيَاتُ مِنَ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ إِلَى الرَّابِعَةِ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ (مَاعَدَا آيَةِ التَّطْهِيرِ) تَتَحَدَّثُ عَنْ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ فَإِنَّ الضَّمَائِرَ الْمُتَعَلِّقَةَ بِزَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ جَاءَتْ بِشَكْلِ مُؤَنَّثٍ (كُنْتُنَ، فَتَعَالَيْنَ، ائْتَيْنَ، قَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) وَعِنْدَمَا يَصِلُ الْأَمْرُ بِآيَةِ التَّطْهِيرِ فَإِنَّ نَبْرَةَ الْآيَةِ تَتَغَيَّرُ بِحَيْثُ يَتَغَيَّرُ الْمُخَاطَبُ أَيْضًا، فَتَصْبِحُ ضَمَائِرُ الْمُؤَنَّثِ ذُكُورِيَّةً، وَهَذَا التَّغْيِيرُ فِي الْعُنْوَانِ وَتَغْيِيرُ اللَّهْجَةِ لَيْسَ إِلَّا حَقِيقَةً بَانَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ تَتَحَدَّثُ عَنْ جَمَاعَةٍ غَيْرِ زَوْجَاتِ الرَّسُولِ، لِأَنَّ ذِكْرَ ضَمَائِرِ الْمَذْكَرِ لَا يَجُوزُ لِلْأُنَاثِ^(٤)، لِذَلِكَ فَإِنَّ الْمِصْدَاقَ الْحَقِيقِيَّ وَالْفَرِيدَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ هُمْ الْخَمْسَةُ أَهْلُ الْكِسَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

رَابِعًا: لِهَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ مُطْلَقَةٌ عَلَى عِصْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَإِنَّ لِكَلِمَةِ

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٩٩.

(٢) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٦، ص ٣١١.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٩٩؛ النيشابوري، المستدرک علی

الصحيحين، ج ٢، ص ٤١٦.

(٤) ابطحي، موحد، آية التطهير في احاديث الفريقين، ج ٢، ص ١٠.

رَجَسَ فِي الْقُرْآنِ مَعَانِي مُخْتَلِفَةً، مِنْهَا الْخَمْرُ وَالْمُقَامَرَةُ وَالصَّنَمُ (المائدة: ٩٠) والضلالة (الأنعام: ١٢٥) والذبيحة والدَّم وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ (الأنعام: ١٤٥) وَالْعَذَابُ (الأعراف: ٧١) وَأَهْلُ النِّفَاقِ (التوبة: ٩٥) وَالْأَوْثَانُ وَالْأَصْنَامُ (الحج: ٣٠) وَالْكَفْرُ وَالنِّفَاقُ (التوبة: ١٢٥) وَالشَّكُّ وَالظَّنُّ (يونس: ١٠٠)، أَمَّا الْآلُفُ وَاللَّامُ فِي كَلِمَةِ (الرَّجَسِ) فِي آيَةِ التَّطْهِيرِ هِيَ آلفٌ وَلَا مِ الْجِنْسِ، وَهِيَ تَشْمُلُ جَمِيعَ مَا سَبَقَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْحَالَاتِ مِنْ أَيْ نَوْعٍ مِنَ الْقَدَارَةِ، سِوَاءَ أَكَانَتِ النَّجَاسَةُ الظَّاهِرِيَّةَ أَمْ الْبَاطِنِيَّةَ أَمْ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ أَمْ الْعَقْلَ أَمْ كُلُّ هَذِهِ. (١)

ثُمَّ أَنَّ كَلِمَةَ "إِنَّمَا" تَدُلُّ عَلَى حَضَرِ الْإِرَادَةِ فِي إِذْهَابِ الرَّجَسِ وَالتَّطْهِيرِ وَأَنَّ كَلِمَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ سِوَاءَ كَانَتْ لِمُجَرَّدِ الْإِخْتِصَاصِ أَوْ لِلْمَدْحِ الْإِذْهَابِ فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى اخْتِصَاصِ إِذْهَابِ الرَّجَسِ وَالتَّطْهِيرِ بِالْمُخَاطِبِينَ فِي قَوْلِهِ: "عَنْكُمْ"، فَفِي الْآيَةِ بِالْحَقِيقَةِ قَصْرَانِ قَصْرُ الْإِرَادَةِ فِي إِذْهَابِ الرَّجَسِ وَالتَّطْهِيرِ وَقَصْرُ إِذْهَابِ الرَّجَسِ وَالتَّطْهِيرِ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ (٢)، لِذَلِكَ فَإِنَّ (١) فَتْحَ الْهِي وَالدُّو الْفَقَارِي، تَارِيخِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص ٥٨.

(٢) الطَّبَاطِبَائِي، الْمِيزَانُ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، ج ١٦، ص ٣٠٩.

مَعْنَى آيَةِ التَّطْهِيرِ يَقْتَصِرُ عَلَى الْخَمْسَةِ أَهْلِ الْكِسَاءِ وَعِصْمَتِهِمْ الْكَامِلَةِ، وَقَدْ أَشَارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَذِهِ الْآيَةِ فِي زِيَارَةِ الْغَدِيرِ فِي فَضْلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعِصْمَتِهِمْ، لِأَنَّ اثْبَاتَ عِصْمَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِّ ذَاتِهِ يَثْبُتُ بِوَصَايَتِهِ وَالْوَلَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ، لِأَنَّ شَرْطَ خِلَافَةِ الرَّسُولِ الْأَعْظَمِ وَالْوَلَايَةِ مِنَ اللَّهِ عِصْمَةٌ تَامَّةٌ.

خاتمة البحث :

تَعُدُّ زِيَارَةُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي يَوْمِ غَدِيرِ حُجْمٍ عَنِ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهَمِّ الزِّيَارَاتِ الَّتِي ذَكَرَتِ الْإِمَامُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذَا الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ، وَهَذِهِ الزِّيَارَةُ صَحِيحَةٌ تَمَامًا وَحَقِيقِيَّةٌ مِنْ حَيْثُ الْوُثَائِقُ وَالتَّصَوُّصُ، ثُمَّ إِنَّ التَّعْبِيرَ عَنْ فَضَائِلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَهَمِّ السَّمَاتِ الْبَارِزَةِ لِهَذِهِ الزِّيَارَةِ الثَّمِينَةِ عَبْرَ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِيهَا أَبْعَادُ مُخْتَلِفَةٌ: قُرْآنِيَّةٌ، وَسَرْدِيَّةٌ، وَتَارِيخِيَّةٌ. وَفِي غُضُونِ ذَلِكَ أَشَارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عِدَّةِ آيَاتٍ تُشِيرُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلَى فَضَائِلِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمُنَاقِبِهِ. وَمِنْ أَهَمِّ الْأَسْتِنَادَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ لِلْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ آيَاتُ وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ آيَاتُ تُشِيرُ صَرَاحَةً إِلَى مَسْأَلَةِ الْخِلَافَةِ





بَعْدَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ. وقد أشارَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ وَسَبَبَ نُزُولِهَا وَشَرَحَ مَضْمُونَهَا فِي مَا يَتَعَلَّقُ بِوَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَإِنَّ آيَاتِ الْوَلَايَةِ وَالتَّبْلِيغِ وَإِكْمَالِ الدِّينِ وَالتَّطْهِيرِ مِنْ أَهَمِّ الْآيَاتِ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتُشِيرُ الْآيَةُ ٥٥ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِآيَةِ الْوَلَايَةِ صَرَاحَةً إِلَى وَلَايَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَإِنَّ مِنَ الْأَضَاءَاتِ الْمَهْمَةِ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ هُوَ تَحْدِيدُ مِصْدَاقِ "الَّذِينَ آمَنُوا"، وَالَّذِي يَقْصُدُ حَسَبَ الرِّوَايَاتِ الْمُخْتَلَفَةِ وَالْمَصَادِرِ التَّارِيخِيَةِ لِلْفَرِيقَيْنِ، فَإِنَّ مَعْنَى "الَّذِينَ آمَنُوا" هُوَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ احْتَجَّ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَرْعِيَّتِهِ فِي الْخِلَافَةِ بَعْدَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي الْمَصَادِرِ الْمُعْتَبَرَةِ لِلْفَرِيقَيْنِ شَأْنُ نُزُولِهَا وَرَوَايَاتٌ عَدِيدَةٌ فِي هَذَا السَّبِيلِ، فَفِي آيَةِ التَّبْلِيغِ أَمْرُ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنْ يَنْقُلَ أَمْرًا مَهْمًا يَعَدُّ عَدَمَ تَحْقِيقِهِ عَدَمَ تَمَامِيَةِ الرِّسَالَةِ، ذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ ﷺ كَنَمُودَجٍ حَسَنٍ لِلْبَشَرِيَّةِ تَابِعٌ مُطْلَقٌ لِأَمْرِ اللَّهِ الَّذِي يُنْفِذُ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَهَذَا الْأَمْرُ هُوَ مِثْلُ إِعْلَانِ وَلَايَةِ وَخِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْأَثَمَةِ مِنْ بَعْدِهِ وَبِحَسَبِ الرِّوَايَاتِ الْمَرْوِيَةِ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ بِتَعْيِينِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَلَفًا لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ،

فَإِنَّ آيَةَ التَّبْلِيغِ تَصِلُ إِلَى مَرْحَلَةِ الظُّهُورِ وَبِإِعْلَانِ هَذَا الْأَمْرِ يُضْبَحُ إِكْمَالُ الدِّينِ وَإِتْمَامُ النِّعَمِ عَمَلِيًّا وَيُنْبُتُ بِذَلِكَ حَقُّهُ الْكَامِلُ فِي خِلَافَةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، فِي زِيَارَةِ الْغَدِيرِ لَا يُشِيرُ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى هَذِهِ الْآيَاتِ فَحَسَبَ بَلْ يُشِيرُ أَيْضًا إِلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْآيَاتِ الْأُخْرَى عَنْ فَضْلِ وَمَكَانَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ أَهَمُّ الْآيَاتِ الَّتِي تُشِيرُ إِلَى خِلَافَةِ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ هَذِهِ الْآيَاتُ، وَفِي الْمَصَادِرِ الْمَهْمَةِ لِلْفَرِيقَيْنِ قَدْ ذُكِرَ سَبَبُ نُزُولِهَا فِي خِلَافَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

المصادر

القرآن الكريم.

١. الابطحي، موحد علي، آية التطهير في احاديث الفريقين، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم، ١٤٠٥ هـ.ق.

٢. ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٩٩ م.

٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه، بيدار، قم، ١٤١٠ هـ.ق.

٤. ابن عساكر، علي، ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، بيروت، ١٤٠٠ هـ.ق.

٥. ابن كثير، اسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.ق.

٦. الاستر آبادي، السيد شرف الدين، تأويل الآيات الظاهرة، قم، مؤسسة النشر السلام، ١٤١٧ هـ.ق.

٧. الالوسي البغدادي، تفسير روح المعاني، دار احياء التراث، بيروت.

٨. الأمين، السيد محسن، أعيان الشيعة، تحقيق وتحرير: حسن الأمين، الناشر دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٩٨٣ م.

٩. الاميني، عبدالحسين أحمد، الغدير في الكتاب والسنة والأدب، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الثانية، ١٣٦٦ هـ.ش.

١٠. الاندلسي، ابن عطية عبد الحق، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ.ق.

١١. البحراني، السيد هاشم، غاية المرام، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ٢٠٠١ م.

١٢. الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣ هـ.ق.

١٣. الثعالبي، عبد الرحمن، جواهر الحسان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ.ق.

١٤. الثعلبي، ابواسحاق أحمد، الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢ هـ.ق.

١٥. الجصاص، أحمد بن علي، احكام القرآن، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥ هـ.ق.

١٦. الجويني، إبراهيم بن محمد، فرائد



السمطين، مؤسسة المحمودي، بيروت، ١٣٩٨ هـ.ق.
محمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١١ هـ.ق.

١٧. الحاكم النيشابوري، المستدرک
على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦ هـ.ق.
٢٤. الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن، سنن الدارمي، نشر إستانبول، ١٤٠١ هـ.ق.

٢٥. الرازي، ابوالفتوح، تفسير روح الجنان، منشورات مكتبة آيت الله مرعشي، قم، ١٤٠٤ هـ.ق.

٢٦. الراوندي، قطب الدين، فقه القرآن في شرح آيات الأحكام، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٠٤٥ هـ.ق.

٢٧. السبحاني، جعفر، محاضرات في الالهيات، ترجمة عبد الرحيم سليمان، منشورات مركز مديريت حوزة های علمية، قم، ١٣٨٩ ش.

٢٨. السيوطي، جلال الدين، تفسير الدر المنثور، دار المعرفة، بيروت، لا تا.

٢٩. الشريف الرضي، نهج البلاغة، منشورات هجرت، قم، ١٤١٤ هـ.ق.

٣٠. الشوكاني، فتح القدير، دار الكتب العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.ق.

٣١. الشيرازي، مكارم ناصر، التفسير الأمثل، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ هـ.ش.

٣٢. الصدوق، محمد بن بابويه،

١٨. الحر العاملي، محمد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.ق.

١٩. الحسكاني، ابوالقاسم عبيد الله بن عبد الله، شواهد التنزيل، مؤسسة طبع والنشر، طهران، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ.ق.

٢٠. الحلي، الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، مؤسسة عاشوراء، مشهد.

٢١. الحلي، الحسن بن يوسف، نهج الحق وكشف الصدق، مؤسسة دار الهجرة، قم، ١٤٠٧ هـ.ق.

٢٢. الخطيب البغدادي، أحمد، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٣. الخوارزمي، موفق الدين، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق مالك

الاعتقادات، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ ١٣٨٧ هـ.ش.

المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.ق.

٤١. القمي، عباس، هدية الزائرين،

مؤسسة السبطين، قم، ١٣٨٣ هـ.ق.

٣٣. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان

في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي،

بيروت، ١٤١٧ هـ.ق.

٤٢. القندوزي الحنفي، شيخ سليمان،

ينابيع المودة، بيروت، مؤسسة الاعلمي،

١٤١٨ هـ.ق.

٣٤. الطبرسي، ابو علي الفضل بن

الحسن، مجمع البيان في علوم القرآن، دار

احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٩ هـ.ق.

٤٣. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول

الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران،

١٣٨٨ هـ.ق.

٣٥. الطبري، ابن جرير رستم، دلائل

الإمامة، منشورات بعثت، قم.

٤٤. الكوفي، أبو القاسم فرات بن

إبراهيم، تفسير فرات الكوفي، مؤسسة

الطبع والنشر، طهران، ١٤١٠ هـ.ق.

٣٦. الطبري، محمد بن جرير، جامع

البيان، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـ.ق.

٤٥. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق

محمد باقر البهبودي، الناشر: مؤسسة

الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية

المصححة، ١٤٠٣ هـ.ق، ١٩٨٣ م.

٣٧. الطهراني، آغا بزرك، الذريعة

إلى تصانيف الشيعة، الطبعة الثانية، دار

الأضواء، بيروت.

٣٨. الطوسي، أبي جعفر محمد بن

الحسن، التبيان في تفسير القرآن، منشورات

دفتر تبليغات اسلامي، قم، ١٤٠٩ هـ.ق.

٤٦. محمد بن مكي، المزار، مدرسة

الإمام مهدي عليه السلام، الطبعة الأولى، قم،

١٤١٠ هـ.ق.

٣٩. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير

العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية،

طهران.

٤٧. المشهدي، الشيخ أبو عبد الله

محمد بن جعفر، المزار الكبير، تحقيق،

جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر

الإسلامي، قم، نشر القيوم، ١٤١٩ هـ.ق.

٤٠. فتح ألهي، إبراهيم؛ ذوالفقاري،

شهرز، تاريخ تفسير القرآن الكريم،

طهران، منشورات نگاهی دیگر،



٤٨. المفيد، محمد بن محمد، تفسير القرآن المجيد، مركز منشورات مكتب الدعاية الإسلامية، قم، ١٤١٤ هـ.ق.

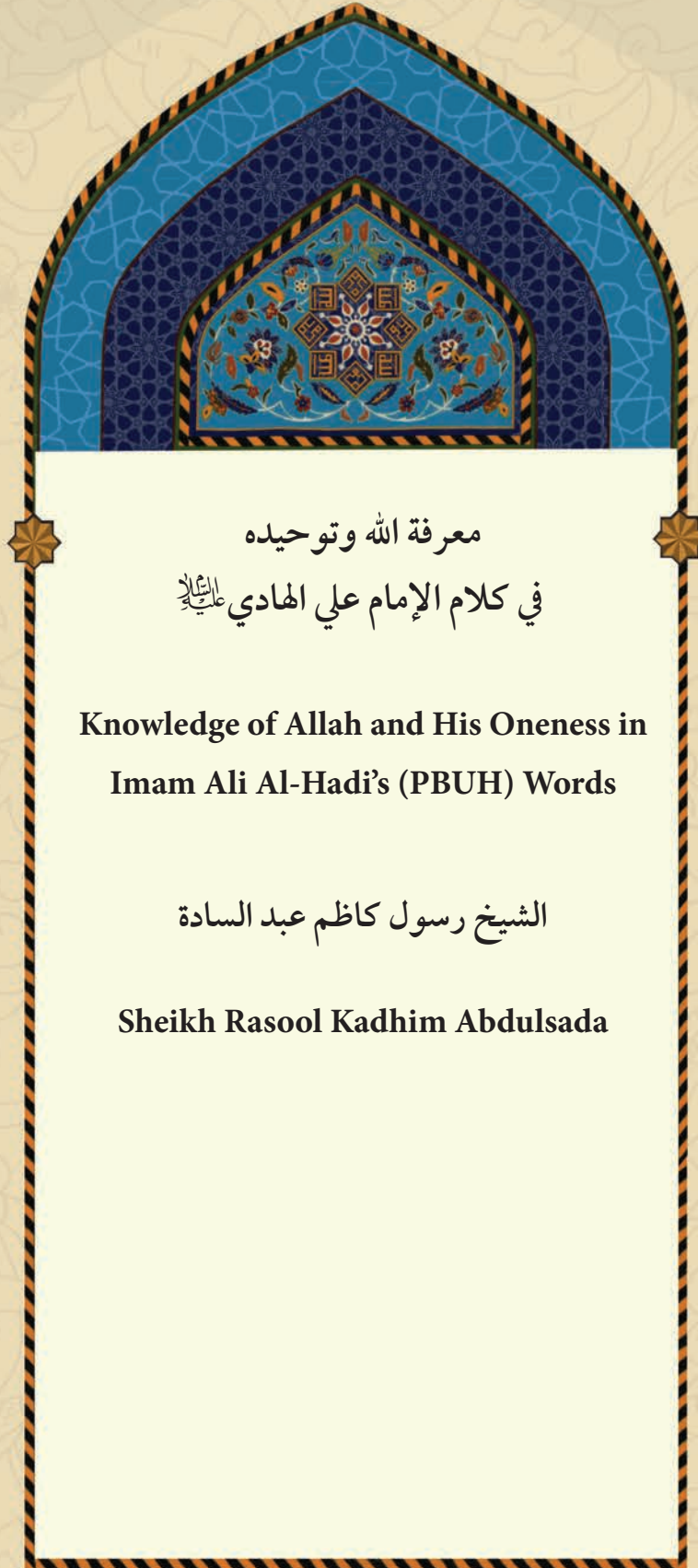
٤٩. الموسوي، شرف الدين السيد عبد الحسين، المراجعات، ترجمة محمد جعفر امامي، بنياد معارف إسلامي، قم، ١٣٨٣ هـ.ش.

٥٠. نجارزادغان، فتح الله، دراسة مقارنة لآيات الولاية في رأي الفريقين، منشورات سمت، طهران، ١٣٩١ هـ.ش.

٥١. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٦ هـ.ق.

٥٢. الهندي، المتقي، كنز العمال، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩ هـ.ق.

٥٣. الهيثمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٧ هـ.ق.



معرفة الله وتوحيده
في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام

**Knowledge of Allah and His Oneness in
Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Words**

الشيخ رسول كاظم عبد السادة

Sheikh Rasool Kadhim Abdulsada



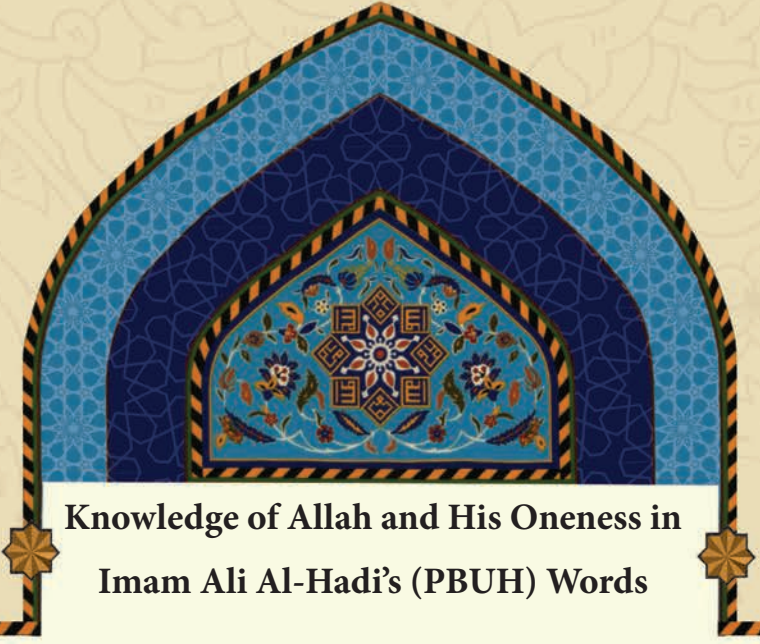
معرفة الله وتوحيده في كلام الإمام علي الهادي عليه السلام

الملخص:

يعد الأئمة عليهم السلام دعاة وهداة للخلق ومبينين لشريعة جدهم سيد المرسلين صلى الله عليه وآله ومنهم الإمام علي الهادي عليه السلام، وأبرز المسائل التي بينها الإمام عليه السلام للأمة الإسلامية هي الصفات الإلهية وتوحيد الله، فأكد على النهي عن الحديث في ذات الله وإنما يقع الكلام في صفاته، ثم بين في أحاديث كثيرة أن صفات الله منها فعلية ومنها ذاتية كما في سياق كلامه، كما بين الإمام خطورة القول بالجسمية الذي مال إليه بعض علماء الكلام، وأكد أن العلم صفة من صفات الذات وعلم الله قبل المعلوم. وأن فعل الله ينتظم في سلسلة طولية تبدأ بأمره وتنتهي بالقضاء والحتم، وكان الإمام عليه السلام يذكر لأصحابه صفات الله في سياق خطبه ومواعظه لمن يلتقيه منهم.

الكلمات المفتاحية:

الأسماء والصفات، الإمام الهادي عليه السلام، البداء، الكلام.



Knowledge of Allah and His Oneness in Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Words

Abstract:

The Imams (peace be upon them) were callers and guides of people, clarifiers of their grandfather's, the Messenger of Allah (PBUHP) sharia', including Imam Ali Al-Hadi (PBUH). The most prominent issues that the Imam clarified for the Islamic nation were the divine attributes and Oneness of Allah. He emphasized the prohibition of discussing the essence of Allah, and that discussion should be about His attributes. He explained in many narrations that the attributes of Allah are of two types: those related to His actions and those related to His essence. The Imam also explained the danger of anthropomorphism that some theologians inclined towards this view. He affirmed that knowledge is an attribute of the essence, and Allah's knowledge precedes the known. He said that Allah's action is organized in a longitudinal series beginning with His command, and ending with destiny and fate. The Imam used to mention to his companions Allah's attributes in the context of his sermons and advice to those who met.

key words:

names and attributes, Imam Al-Hadi (PBUH), Bada' and speech

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد واله الطيبين الطاهرين.

إن الله سبحانه وتعالى إنما خلق الخلق لأجل المعرفة، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم في مقام إظهار فضله على بعض عباده وإظهار فضل هؤلاء العباد على سائر الخلق (يؤتي الحكمة من يشاء)، فقد بين الأئمة عليهم السلام في تفسيرهم لهذه الآية أن الحكمة هي المعرفة، فعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول "ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً" (١). قال: المعرفة، وهذه المعرفة هي الغاية من الخلق وإياها يطلب الطالبون وبها يكمل الكاملون. قال الإمام الحسين عليه السلام إنما يعبد الله من يعرف الله، لذا فإن أسس الدين وكمال العقيدة هي المعرفة التي تبدأ من توحيد الله.

المبحث الأول

المطلب الأول: الأئمة وكلام من ذات الله

تشكل معرفة الله تعالى المحور الأساسي لمباحث العقيدة الإسلامية، ومن خلال التعرض لها بالبحث والتفسير والبيان تأسس علم الكلام منطلقاً من

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

وقد كان للأئمة عليهم السلام منذ عهد أمير المؤمنين عليه السلام وما ورد في خطبه في التوحيد وأجوبته في مسائل القضاء والقدر مروراً بالإمامين الباقرين عليه السلام ثم الإمام الكاظم والرضا حتى الإمام الهادي - موضوع بحثنا - دورٌ بارزٌ وأساسي في تشييد مباني هذا العلم وتأسيس مباحثه، وتقرير أصوله، ووضع القواعد الأساسية للعمل على ضوءها عند التعاطي معه.

وفي أيام حياة الإمام الهادي عليه السلام تطور علم الكلام من مسائل الإمامة والخلافة إلى البحث في ماهيات الوجود وصفات الله تعالى عند المتكلمين، وظهرت مقالات الفرق في هذا العلم، وكثر أهل البدع ممن لا يتورع في الدين ولا يستند إلى هاد وإلى السبيل، فكان لابد للإمام عليه السلام بوصفه الخلف من رسول الله ﷺ، الذي ينفي عن الدين انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، أن يبين الحق في أهم وأخطر

(٢) قيل وجه تسمية علم الكلام بهذا الاسم لأنه يورث قدرة على الكلام في الشرعيات، أو لأن أبوابه عنونت أولاً بالكلام في كذا، أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثر فيه التقاتل ينظر: بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، ص ١٢.



مسائل التوحيد والعقيدة الإسلامية، وهي معرفة الله وصفاته وأفعاله .

وقد حذر أصحابه من الكلام في ذات الله، مبيناً لهم أن هذا الكلام مضرته عليهم أكثر من نفعه لأنه لا يزيد الإنسان إلا تحيراً^(١)، ومن معرفة الله بعداً؛ وذلك لأن الله لا يوصف ولا تعرف ذاته ولا يحدد.

كل ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم، الطريق مسدود والطلب مردود، إنها دليله آياته وتوحيده إثباته، سبحانه ما عرفناك حق معرفتك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة^(٢).

عجز الواصفون عن صفتك

اعتصام الورى بمغفرتك

(١) عن أبي جعفر عليه السلام قال: تكلموا في ما دون العرش ولا تكلموا في ما فوق العرش، فإن قوما تكلموا في الله فتأهوا، حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه. ينظر: البرقي، المحاسن، ج ١، ص ٢٣٨.

(٢) بعض هذا الكلام للامام أمير المؤمنين والامام الباقر عليهما السلام. ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٢٩٣، الخوئي، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، ج ١، ص ٣٢٤.

تب علينا فأتنا بشر

ما عرفناك حق معرفتك^(٣)

المطلب الثاني: النهي عن الكلام في ذات الله

لذا نهى الإمام عليه السلام أصحابه عن الكلام في ذات الله تعالى، بل أمرهم بعدم مجالسة من يصفون الله بغير ما وصف به نفسه ووصفه وأوليائه.

عن الجعفري^(٤) قال: سمعت أبا

(٣) ذكر الأبيات حبيب الله الخوئي في منهاج البراعة، ج ١٣، ص ١٨٩ من غير عزو إلى أحد وعجز الثاني مضمون حديث نبوي نقله ابن أبي جمهور في عوالي اللآلئ ينظر: ج ٤، ص ١٢٢.

(٤) الجعفري: مشترك بين داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري وسليمان بن جعفر الجعفري إلا أنّ المفيد رواها مع اختلاف في الألفاظ، عن سليمان بن جعفر الجعفري، المفيد، أمالي المفيد، ج ٣، ص ١١٢، وقال التستري: الظاهر أنّ المراد بالجعفري (في رواية الكافي): هو سليمان بن جعفر الجعفري، ينظر: قاموس الرجال، ص ٢٧٦، فعلى هذا الظاهر أنّ المراد من أبي الحسن في الرواية هو الكاظم أو الرضا عليهما السلام، حيث إنّ سليمان بن جعفر الجعفري كان من أصحابهما وروى عنهما عليهما السلام، الخوئي، معجم رجال الحديث، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ رقم ٥٤١٧، وقال المجلسي: الجعفري هو أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري، وهو من أجلة أصحابنا ويقال: إنّهُ لقي الرضا إلى آخر الأئمة: وأبو الحسن يحتمل الرضا والهادي عليهما السلام، ويحتمل أن يكون سليمان بن جعفر الجعفري كما صرح به في مجالس المفيد. ينظر: مرآة العقول، ص ١١.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
٢٠٢٣/هـ ١٤٤٥

وعن الفتح بن يزيد الجرجاني قال: ضمّني وأبا الحسن عليه السلام الطريق لما قدم به المدينة، فسمعت في بعض الطريق فأول ما ابتدأني أن قال لي:

يا فتح، من أطاع الخالق لم يبال بسخط المخلوقين، ومن أسخط الخالق فليوقن أن يحلّ به سخط المخلوقين. يافتح، إنّ الله جلّ جلاله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، فأنتي يوصف الذي يعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار أن تحيط به، جلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة الناعتون، نأى^(٣) في قربه وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف الكيف فلا يقال: كيف. وأين الأين. فلا يقال: أين، إذ هو منقطع الكيفية والأينية، الواحد الأحد جلّ جلاله^(٤).

الحسن عليه السلام يقول: ما لي رأيك عند عبد الرحمن بن يعقوب؟ فقال: إنّهُ خالي، فقال: إنّهُ يقول في الله قولاً عظيماً، يصف الله ولا يوصف، فإمّا جلست معه وتركنا، وإمّا جلست معنا وتركته. فقلت: هو يقول ما شاء، أي شيء عليّ منه إذا لم أقل ما يقول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً، أما علمت بالذي كان من أصحاب موسى عليه السلام، وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحقت خيل فرعون موسى، تخلف عنه ليعط أباه، فيلحقه بموسى، فمضى أبوه وهو يراغمه^(١) حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأنتي موسى عليه السلام الخبر؟ فقال عليه السلام: هو في رحمة الله، ولكنّ النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع^(٢).

(١) المراغمة: الهجران والتباعد والمغاضبة، ومنه الحديث: (من كان من أصحاب موسى عليه السلام مع أبيه الذي هو من أصحاب فرعون فمضى أبوه وهو يراغمه): أي يغاضبه، ينظر: مجمع البحرين، ص ٧٤.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٧٤، ينظر: المفيد، أمالي، ص ١١٢، ينظر: تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ص ٤٨١. العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٦٠، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٢٠٠، النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣١٠.

(٣) نأى فلانا، ونأى عنه ينأى نأياً: بعد عنه، أقرب الموارد، ج ٥، ص ٣٢٤ نأى.

(٤) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٣٥، الإريلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٨٦، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٤٣٢، الحر العاملي، إثبات الهداة، ج ١، ص ١٣٧ وج ٣، ص ٣٨٢ و ٧٦٦، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٧ وج ٧٥، ص ٣٦٦، التستري، إحقاق الحق، ج ١٢، ص ٤٥٥، النوري، مستدرك الوسائل، ج ٢، ص ٢٠٨.



(فلا يجوز التكلم في ذات الله سبحانه؛ لأن الكلام: المحسن لا يتكلم فيه، فإن إثمه أكثر من نفعه^(٢)).

إما معنوي: وهو إدراك للشيء بلا صورة متميزة في الذهن.

وإما صوري: وهو تصور للمعنى بصورة متميزة في الذهن.

وإما لفظي: وهو إخراجك للمعنى المصور بصورة مخصوصة بمعونة النفس والهواء في عالم الشهود والاجسام، ويسمى أيضاً هذا بالكلام الجسمي.

فانحصرت أقسام الكلام في هذه الثلاثة وإن كان يستخرج له باعتبار سائر المراتب أقسام آخر لكن كلها راجعة إلى هذه الثلاثة، ولما عرفت أن معرفة الذات تعالى شأنه بكل وجه محال، علمت أن التكلم فيه أيضاً كذلك؛ إذ التكلم لا يكون ولا يمكن منك إلا في ما تعلم، وأما ما لا تعلمه فلا يمكن لك التكلم فيه^(١).

(٢) الصدوق، التوحيد، ج ٢٦، ص ٤٥٩.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٨٦، الصدوق، التوحيد، ص ٢٨٣، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٣٣، الإريلي، كشف الغمّة، ج ٢، ص ٢٨٦، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٣٤٣، الحرّ العاملي، الفصول المهمّة، ج ١، ص ١٣٤، المجلسي، البحار، ج ٣، ص ٢٦٧.

(٤) عن أبي عبيدة الحذاء قال: قال أبو جعفر عليه السلام: يا زياد إياك والخصومات، فإنّها تورث الشكّ وتحبط العمل وتردي صاحبها، وعسى أن يتكلم بالشيء فلا يغفر له، إنّه كان في ما مضى قوم تركوا علم ما وكلوا به وطلبوا علم ما

لذا أجاب عليه السلام علي بن بلال، لما قال له: روي عن آبائك: أنهم نهوا عن الكلام في الدين، فتأول مواليك المتكلمون بأنّه إنّما نهى من لا يحسن أن يتكلم فيه، فأما من يحسن أن يتكلم فيه فلم ينه، فهل ذلك كما تأولوا أولاً؟ فكتب عليه السلام: المحسن وغير

(١) الحسيني، أصول العقائد، ص ٦٧.



والكرم والرحمة والعطوفة، وعدم اتصافها بأضدادها كالجهل والعجز والعمى والأصمية والموت والبلادة والبخل والغلظة وامثالها^(٢).

(والفعلية) هي التي يجوز سلبها عن الذات ويصح له الاتصاف بها وبضدها، كالاتصاف بالارادة والمشيئة والكلام والاحياء والاماتة، وبضد الارادة كقوله تعالى: [لَمْ يَرِدْ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ] ^(٣) وعدم المشيئة [وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ] ^(٤) وعدم الكلام وعدم الإحياء وعدم الإماتة، فهذه الصفات أمور متعلقة بالخلق فلما لم يكن الخلق في الذات لم تكن تلك الصفات أيضاً^(٥).

فالصفات الذاتية هي عين الذات قل علم-مثلا-أو قل ذات، لا فرق بينهما

(٢) ينظر: المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٢٥، أبو البقاء، الكليات، ص ٢٠٢، الماتريدي، التوحيد، ص ٥٠، الباقلاني، الانصاف في ما يجب الاعتقاد به، ص ٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآية ٤٦.

(٤) سورة التكويد، الآية ٢٩.

(٥) ينظر: المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٢٥، الاشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص ٥٠٩، الماتريدي، التوحيد، ص ٥٠، الجرجاني، التعريفات، ص ١٧٤.

ومن أمهات مباحث التوحيد مبحث الصفات الذي يدخل فيه بحث العلم والكلام والجسمية والفعل الإلهي، وقد طال الكلام فيه بين علماء المسلمين حتى أصبح مدار خلاف كبير، ربما كُفّرت الفرق بعضها بعضاً تبعاً للنتائج التي توصلت إليها^(١).

وقد جعلوا (الصفات على قسمين ذاتية وفعلية:

(فالذاتية) هي التي تثبت بها الذات ولا يصح سلبها عنها ولا يجوز اتصافها بضدها، كالاتصاف بالعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة والإدراك كفوه حتى انتهى كلامهم إلى الله فتحيروا، حتى أن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه ويدعى من خلفه فيجيب من يديه . وفي رواية أخرى: حتى تاهوا في الأرض (ظ: البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٨٠ هـ)، المحاسن تحقيق: مهدي الرجائي، قم: المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ. ج ١، ص ٢٣٨، المازندراني: محمد صالح: شرح أصول الكافي. ط ١ - ١٤٢١ هـ - طبع ونشر: دار احياء التراث العربي . بيروت - لبنان ج ٣ ص ١٥٠).

(١) ظ: مهر، محمد سعدي، دروس في علم الكلام الإسلامي، ترجمة: فاطمة ال يوسف، دار زين العابدين - قم، الطبعة الأولى سنة ٢٠٢٠ م، ص ١٩٩.



كالألفاظ المترادفة كالسيف والصارم مثلاً، والصفات الفعلية حادثة.

أما الصفات الفعلية فكلها حادث مخلوق، وذلك ينطبق على المشية والإرادة، فهما من صفات الأفعال، ومن قال إنهما من الصفات الذاتية فهو مشرك ليس بموحد، قال الإمام الرضا عليه السلام (المشيئة والإرادة من صفات الأفعال، فمن زعم أن الله لم يزل شائئاً مريداً فليس بموحد)^(١).

المبحث الثاني: في الصفات

المطلب الأول: صفات الله ونفي الجسمية

التجسيم قديم في الأديان السماوية السابقة على الإسلام، إلا أنه توسع مفهومه في الإسلام من خلال الجمود على ظواهر القرآن كـ (اليد) و (العين) و (الساق) و (الوجه) وبقية الجوارح الآدمية، وقد تزعم هذا الاعتقاد من المذاهب الإسلامية الحنابلة، واستغلوا تأييد السلطة لمذهبهم فحاولوا فرض مذهبهم على علماء الأمة بالقوة.

وقوي أمر الحنابلة المجسمة في بغداد في عصر المتوكل وبعده، وكان لهم أتباع سوقة يهاجمون من يخالفهم، وهجومهم

(١) الصدوق، التوحيد، ص ٣٢٨، النوري، مستدرک الوسائل، ج ١٨، ص ١٨٢.

على المؤرخ الطبري مشهور عندما سأله عن قعود الله على العرش، فنفي أن الله تعالى يقعد على العرش ويقعد النبي صلى الله عليه وآله إلى جنبه! فأرادوا قتله! وعندما توفي هجموا على جنازته ومنعوا دفنه في مقابر المسلمين! وكذلك هاجموا ابن حبان المحدث المعروف شبيهاً بما فعلوا بالطبري!^(٢).

قال الحموي في ترجمة الطبري: (فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص وجعفر بن عرفة والبياضي وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة، وعن حديث الجلوس على العرش، فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه، فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف، فقال ما رأيته روي عنه ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم وأما حديث الجلوس على العرش فمحال، ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس

ولاله في عرشه جليس
فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم، وقيل كانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم!

(٢) ظ: الحموي، معجم الادباء ١٨ ص ٥٧،

وتدخلت شرطة الخلافة لحسم الأمر^(١).

(١) فقد ركب نازوك صاحب الشرطة في ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه وكان قد كتب على بابه:

سبحان من ليس له أنيس

ولا له في عرشه جليس

فأمر نازوك بمحو ذلك، وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث:

لأحمد منزل لا شك عال

إذا وافي إلى الرحمن وافد

فيدنيه ويقعده كريماً على

رغم لهم في أنف حاسد

على عرش يغلفه بطيب

على الأكباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقاً

كذاك رواه ليث عن مجاهد

فخلا في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكر مذهبه وإعتقاده، وجرح من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم وفضل أحمد بن حنبل، وذكر مذهبه وتصويب إعتقاده! ولم يزل في ذكره إلى أن مات! ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات فوجدوه مدفوناً في التراب، فأخرجوه ونسخوه أعني (إختلاف الفقهاء). الحموي، معجم الأدباء، ج ٩، ص ٩٩، أمين، أحمد، ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢٢٥، وقال ابن قيم الجوزية في بدائع الفوائد، ج ٤، ص ٣٩ قال القاضي:

صنف المروزي كتاباً في فضيلة النبي صلى الله عليه (واله) وسلم وذكر فيه إقاعده على العرش وهو قول أبي داود وأحمد بن أصرم... وعبد الله

وتتفق روايات أهل البيت عليهم السلام على نفي الجسمية عن الله تعالى؛ لأن الجسم يحتاج إلى محل والحال هذه يكون محدثاً ويتنفي القدم، ثم تتوالى التسلسلات الفاسدة المترتبة على هذا القول.

نعم، إثبات صفات الله سبحانه وتعالى لا يعني إثبات الجسمية، كصفة اليد والوجه مثلاً، لأن لكل جارية وردت في القرآن تنسب إلى الرب تأويلاً وهذا التأويل يخرجها عن نسبة الجسمية وهو منصوص لا يحتاج إعمال العقل فيه أكثر من الحكم بصدق قائله وهو مدار حجية العقل في الشرعيات^(٢).

عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله إني دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول: إن لله وجهاً كالوجه، وبعضهم يقول: له يدان!

بن الإمام أحمد... إلخ. ثم قال ابن القيم: قلت: وهو قول ابن جرير الطبري وإمام هؤلاء كلهم مجاهد إمام التفسير.

(٢) قَالَ ابْنُ السَّكَيْتِ لِلإمام الرضا عليه السلام: فَمَا الْحُجَّةُ عَلَى الْخَلْقِ الْيَوْمَ؟ قَالَ: فَقَالَ عليه السلام: الْعَقْلُ؛ يَعْرِفُ بِهِ الصَّادِقَ عَلَى اللَّهِ فَيَصَدِّقُهُ، وَالْكَاذِبَ عَلَى اللَّهِ فَيُكَذِّبُهُ، ينظر: الصدوق، علل الشرائع، ج ٦، ص ١٢١؛ وعيون الأخبار، ج ٢، ص ٧٩، ح ١٢.



واحتجوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى: [بيدي استكبرت] وبعضهم يقول: هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة! فما عندك في هذا يا ابن رسول الله؟ قال: وكان متكئاً فاستوى جالسا - وقال: اللهم عفوك عفوك. ثم قال: يا يونس، من زعم أن الله وجهاً كالوجه فقد أشرك، ومن زعم أن الله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنبيأؤه وأوليأؤه وقوله (خلقت بيدي استكبرت) اليد: القدرة، كقوله: وأيدكم بنصره، فمن زعم أن الله في شيء، أو على شيء، أو يحول من شيء إلى شيء، أو يخلو منه شيء، أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس، ولا يشبه بالناس، لا يخلو منه مكان، ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده، بعيد في قربه ذلك الله ربنا لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه براء^(١).

وفي رواية محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام في هذه الآية قال: اليد في كلام

(١) الخراز، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، ص ٢٥٧.

العرب: القوة والنعمة.

وعن محمد بن عبيدة قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل لإبليس: (ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قال: يعني بقدرتي وقوتي^(٢).

فالله شيء لا كالأشياء، خارج عن الحدين التعطيل والتشبيه.

ولذلك فإن الإمام الهادي أبلغ شيعته قائلاً لهم: من قال بالجسم، فلا تعطوه من الزكاة، ولا تصلّوا وراءه^(٣).

وكان عليه السلام كثيراً ما يحذر أصحابه من الاعتقاد بالجسمية لله تعالى، وكان شديداً في هذه المسألة بالذات، فقرر عبد العظيم الحسن^(٤) ما يدين به في صفات الله عندما

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٨٧ وج ٤، ص ١٠، وص ٤، النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج ١٠، ص ٥٨٥.

(٣) الصدوق، التوحيد، ص ١٠١، وينظر: من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٤٨، الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ٢٨٣، الكاشاني، الوافي، ج ٨، ص ١١٨٣، الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٢٢٨، وص ٣١٢، المجلسي، البحار، ج ٣، ص ٣٠٣، وص ٧٣، وص ٨٥، وص ٩٣، وص ٦٦.

(٤) هو عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الإمام الحسن المجتبي بن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القرشي، الهاشمي،



عرض عليه دينه، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: دخلت على سيدي علي بن محمد عليه السلام فلما بصر بي قال لي: مرحبا

الشجرة ومكانها؟ فأخبره بالرؤيا، فذكر صاحب الشجرة انه كان رأى مثل هذه الرؤيا، وانه قد جعل موضع الشجرة مع جميع الباغ وقفاً على الشريف والشيعة يدفنون فيه. فمرض عبد العظيم ومات رحمة الله عليه، فلما جرد ليغسل وجد في جيبه رقعة فيها ذكر نسبه فاذا فيها: أنا أبو القاسم عبد العظيم بن عبد الله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وعن محمد بن يحيى العطار عمن دخل على أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام من أهل الري قال: دخلت على أبي الحسن العسكري (الهادي عليه السلام) فقال عليه السلام: اين كنت؟ فقلت: زرت الحسين عليه السلام، فقال عليه السلام: أما انك لو زرت قبر عبد العظيم عندكم لكنت كمن زار الحسين بن علي عليه السلام.

ينظر: الطوسي، الرجال، ص ٤١٧ وص ٤٣٣، الفهرست، ص ١٢١، الحلي، خلاصة الأقوال، ص ٧١، العلوي، المجدي في أنساب الطالبين، ص ٣٥، العمري، الفخري في أنساب الطالبين، ص ١٥٧، ابن شهر اشوب، معالم العلماء، ص ٨١. وينظر: العلامة، رجال الحلي، ص ١٣٠، ابن عنبه، عمدة الطالب، ص ٩٧، البخاري، منتقلة الطالبية، ص ٧٢، النجاشي، الرجال، ص ١٧٣، المامقاني، تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٥٧، ينظر: الأصفهاني، روضات الجنات، ج ٤، ص ٢٠٧، التستري، قاموس الرجال، ج ٦، ص ١٩٠، النوري، خاتمة المستدرک، ص ٦١٤. القمي، الكنى والألقاب، ج ٣، ص ١٢٠٢٤٧. الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٠، ص ٤٦.

الحسيني، أبو القاسم، المعروف بالشاه عبد العظيم، من كبار علماء الشيعة الإمامية، ومن فضلاء مجتهديه، وأحد ثقات المحدثين، ومن أجلاء السادة من بني هاشم، وكان مؤمناً، عابداً، زاهداً، تقياً، ورعاً، صحب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام، وروى عنهما، هرب من ظلم وجور السلطة العباسية إلى بلاد فارس، فدخل الري مستتراً، وأقام بها في دار أحد الشيعة بساربانان، ولم يزل بها مدة طويلة من دون أن يعرف الناس بنفسه وسلالته الشريفة حتى توفي بها في النصف من شهر شوال سنة ٢٥٢ هـ ودفن بها، وأصبح ضريحه من المشاهد المتبركة ومن المزارات المقدسة لدى المسلمين عامة والشيعة خاصة، روى عنه سهل بن زياد الآدمي، وأحمد بن أبي عبد الله البرقي، وعبيد الله بن موسى الروياني وغيرهم. من آثاره كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب اليوم والليلة. ينقل عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي قوله: كان عبد العظيم ورد الري هارباً من السلطان وسكن سراً في دار رجل من الشيعة في سكة الموالي، فكان يعبد الله في ذلك السرب ويصوم نهاره ويقوم ليله، فكان يخرج مستتراً فيزور القبر المقابل قبره وبينهما الطريق ويقول: هو قبر رجل من ولد موسى بن جعفر عليه السلام، فلم يزل يأوي إلى ذلك السرب ويقع خبره إلى الواحد بعد الواحد من شيعة آل محمد صلى الله عليه وآله حتى عرفه أكثرهم، فرأى رجل من الشيعة في المنام رسول الله صلى الله عليه وآله قال له: ان رجلاً من ولدي يحمل من سكة الموالي ويدفن عند شجرة التفاح في باغ عبد الجبار بن عبد الوهاب - وأشار إلى المكان الذي دفن فيه - فذهب الرجل ليشتري الشجرة ومكانها من صاحبها، فقال له: لأي شيء تطلب



ذكره باسمه، حتّى يخرج فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال: فقلت أقررت وأقوله أنّ وليّهم وليّ الله، وعدوّهم عدوّ الله، وطاعتهم طاعة الله ومبغضهم مبغض الله ومعصيتهم معصية الله.

وأقول: إنّ المعراج حقّ، والمساءلة في القبر حقّ، وإنّ الجنة حقّ، والنار حقّ، والصراف حقّ، والميزان حقّ، وإنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور.

وأقول: إنّ الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة، والزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

فقال عليّ بن محمّد عليه السلام: يا أبا القاسم، هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه، ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة^(١).

(١) الصدوق، التوحيد، ص ٨١، إكمال الدين وإتمام النعمة، ص ٣٧٩، صفات الشيعة، ص ٤٨، الأمالي، ص ٢٧٨، الخراز، كفاية الأثر، ص ٢٨٢، النيسابوري، روضة الواعظين، ص ٣٩، الإربلي، كشف الغمّة: ج ٢، ص ٥٢٥، الطبرسي، إعلام الوري: ج ٢، ص ٢٣، المجلسي، بحار الأنوار: ج ١، ص ٦٦ وج ٣٦ ص ٤١٢ وج ٥٠ ص ٢٣٩،

بك يا أبا القاسم، أنت وليّنا حقّاً. قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! إنّني أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضياً أثبت عليه حتّى ألقى الله عزّ وجلّ. فقال: هات يا أبا القاسم. قلت: إنّني أقول: إنّ الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج من الحدّين، حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وأنّه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مجسّم الأجسام، ومصوّر الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربّ كلّ شيء ومالكه، وجاعله ومحدثه، وأنّ محمّدا عبده ورسوله خاتم النبيّين، لا نبيّ بعده إلى يوم القيامة.

وأقول: إنّ الإمام والخليفة ووليّ الأمر بعده أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، ثمّ الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ جعفر بن محمّد، ثمّ موسى بن جعفر، ثمّ عليّ بن موسى، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ أنت يا مولاي.

فقال عليه السلام: ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس للخلف من بعده.

قال: فقلت: وكيف ذلك يا مولاي؟!

قال: لا يرى شخصه، ولا يحلّ



تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فإذا انقطع الهواء عن الرائي والمرئي لم تصح الرؤية، وكان في ذلك الاشتباه، لأن الرائي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية، وجب الاشتباه؛ وكان ذلك التشبيه؛ لأن الأسباب لا بد من اتصافها بالمسببات^(٢).

أما قوله تعالى (وجوه) فان المعنى في هذا الآية ان تلك الوجوه مشرقة منظره للثواب كما بين ذلك الإمام الرضا عليه السلام^(٣).

وقال حمزة بن محمد: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصورة. فكتب عليه السلام: سبحان من ليس كمثله شيء، لا جسم، ولا صورة^(٤).

وقد أبطل الإمام القول المنسوب إلى الهشامين هشام بن سالم وهشام بن

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٩٧.

(٣) عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال علي بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال: يعنى مشرقة ينتظر ثواب ربها. (ظ: الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ) عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: مهدي الحسيني اللاجوردی، طهران: منشورات جهان، ج ١، ص ١٠٥).

(٤) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٠٤.

وقد كتب إليه إبراهيم بن محمد الهمداني قال: إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد. فمنهم من يقول: جسم، ومنهم من يقول: صورة. فكتب عليه السلام بخطه: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم - أو قال البصير^(١).

فعلى أساس نفي الجسمية تنتفي الرؤية في الدنيا وفي الآخرة، فيكون بذلك الرد على المجسمة المشبهة رداً حاسماً.

عن ابن إسحاق قال: كتبت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام أسأله عن الرؤية، وما اختلف فيه الناس؟ فكتب عليه السلام: لا

الخويزي، نور الثقلين: ج ٤ ص ٥٦٤، الحر العاملي، إثبات الهداة: ج ٣ ص ٣٩٣ وص ٤٧٩ وج ١ ص ٥٤٢، وسائل الشيعة: ١٦ ص ٢٤٠ وج ١ ص ٢٠، البحراني، حلية الأبرار: ج ٥ ص ١٣١، وينظر: النوري، مستدرك الوسائل، ج ١٢ ص ٢٨٣ و ٢٨٠، القمي، عباس، الأنوار البهية، ص ٣٤٦.

(١) الصدوق، التوحيد، ج ٩، ص ١٠٠. وينظر: الكافي، ج ١، ص ٩٠٢. وعن بشر بن بشار النيسابوري قال: كتبت إلى الرجل عليه السلام: إن من قبلنا قد اختلفوا، فمنهم من يقول: هو (جسم)، ومنهم من يقول: هو (صورة). فكتب عليه السلام: سبحان من لا يحد ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.



الحكم لما سألته ابن الفرج الرخجي^(١) عما قال هشام بن الحكم^(٢) في الجسم، وهشام

(١) محمد بن الفرج الرخجي من ثقات محدثي الشيعة الإمامية، وكان عالماً عظيم الشأن، فقيها مبرزاً ممدوحاً، وكانت له منزلة جليلة لدى الأئمة عليهم السلام، وكان من زعماء ووجوه الشيعة في زمانه، وله كتاب مسائل. صحب كلا من الأئمة الرضا والجلاد والهادي عليهم السلام وحظي لديهم. جاء اسمه في ١١ مورداً في أسناد الروايات. روى عنه علي بن محمد النوفلي، وميمون بن يوسف النخاس. الرخجي: نسبة إلى رنج: وهي مدينة بنواحي كابل (ينظر: الطوسي، الرجال، ص ٣٨٧، الحلي، الرجال، ص ١٤٠، الكشي، الرجال، ص ٦٠٣، الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٧، ص ١٣١، النجاشي، الرجال، ص ٢٦٢).

(٢) تنص كثير من الروايات على أن هشاماً كان يقول بالجسمية، منها ما عن محمد بن حكيم، قال: وصفت لأبي إبراهيم عليه السلام قول هشام الجواليقي، وحكى له قول هشام بن الحكم: إنه جسم، فقال: إن الله لا يشبهه شيء، أي فحش أو خناء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد أو أعضاء؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومنها ما رواه محمد بن زياد، قال: سمعت يونس بن ظبيان يقول: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً، يزعم: أن الله جسم لأن الأشياء شيئان: جسم وفعل الجسم، فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل، ويجوز

أن يكون بمعنى الفاعل. فقال أبو عبد الله عليه السلام: ويله، أما علم أن الجسم محدود متناه، والصورة محدودة متناهية، فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان، وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً، قال: قلت: فما أقول؟ قال: لا جسم ولا صورة، وهو مجسم الأجسام، ومصور الصور، لم يتجزء، ولم يتناه. ولم يتزايد، ولم يتناقص، لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق، ولا بين المنشئ والمنشأ، لكن هو المنشئ، فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً.

وعن الحسن بن عبد الرحمن الحماني، قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: إن هشام بن الحكم زعم: أن الله جسم ليس كمثله شيء، عالم سميع، بصير، قادر متكلم، ناطق، والكلام والقدرة والعلم تجري مجرى واحدا ليس شيء منها مخلوقاً، فقال: قاتله الله، أما علم أن الجسم محدود، والكلام غير المتكلم، معاذ الله وأبرء إلى الله من هذا القول، لا جسم ولا صورة ولا تحديد، وكل شيء سواه مخلوق وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشيته من غير كلام ولا تردد في نفس، ولا نطق بلسان، ينظر: الصدوق التوحيد، ص ٩٨ - ١٠٠.

هذه الاحاديث ظاهره في قول هشام بالجسمية ولكنه تراجع عنه بعد ان علمه الإمام أصول التوحيد والتنزيه، عن النضر بن سويد، عن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن أساء الله واشتقاقها: الله مما هو مشتق؟ قال: فقال لي: يا هشام الله مشتق من إله والاله يقتضي مألوهها والاسم غير المسمى، فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى



هشام، إنه ليس منا من زعم أن الله عز وجل جسم، ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يا ابن أبي دلف، إن الجسم محدث، والله محدثه ومجسمه^(٢).

وكان عليه السلام يقول: كل جسم متغذٍ إلا خالق الأجسام الواحد الأحد، منشئ الأشياء، ومجسم الأجسام، وهو السميع العليم، تبارك الله عما يقول الظالمون، وعلا علواً كبيراً^(٣).

فلا بد - والحال هذه - من تأويل حديث النزول - بعد ثبوت صحة صدوره - بنزول أمره أو نزول الملك عن أمره كما قال سبحانه وتعالى (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ)^(٤).

(٢) الصدوق، التوحيد، ص ١٠٤، الأمالي، ص ٢٢٨، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩١. وج ٥٤، ص ٨١، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، المسعودي، إثبات الوصية، ص ٢٣٥، الإريلي، كشف الغمة، ج ٢، ص ٣٨٦، مستدرک الوسائل، ج ١٢، ص ٢٠٨، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٤٣٢، الحر العاملي، إثبات الهداة، ج ١، ص ١٣٧، وج ٣، ص ٣٨٢، وص ٧٦٦، المجلسي، البحار، ج ٥٠، ص ١٧٧ وج ٧٥، ص ٣٦٦، التستري، إحقاق الحق، ج ١٢، ص ٤٥٥.

(٤) سورة القدر، آية ٤.

بن سالم في الصورة؟ فكتب عليه السلام: دع عنك حيرة الحيران، واستعذ بالله من الشيطان، ليس القول ما قال الهشامان^(١).

ويبدو أن قول هشام بالجسمية كان شائعاً عند الشيعة، فقد قال له الصقر بن أبي دلف: إني أقول بقول هشام بن الحكم، فغضب عليه السلام ثم قال: ما لكم ولقول

فقد كفر وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد أفهمت يا هشام؟ قال: فقلت: زدني قال: إن لله تسعة وتسعين اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه هذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز اسم للمأكل والماء اسم للمشروب والثوب اسم للملبوس والنار اسم للمحرق أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتناضل به أعداءنا والمتخذين مع الله عز وجل غيره؟ قلت: نعم، قال: فقال: نفعل الله به وثبتك يا هشام، قال هشام فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامي هذا ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٨٧. لكن يبدو أن تراجع هشام عن آراءه لم يصل إلى جميع الشيعة فبقيت مقولاته في اذهان البعض وتحولت إلى مسائل توجه إلى الأئمة عليهم السلام، وكان ما في المتن بعض منها، لذلك فإن الإمام الهادي عليه السلام لم يقل: (هشام ليس منا) وإنما قال: (ليس منا من زعم) فلاحظ. وللتفصيل في هذا الأمر راجع ما كتبه الدكتور خضر محمد نبها في كتابه مقالات الهشامين هشام بن الحكم وهشام بن سالم، ص ٦٢ و ٣٣.

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٠٥.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الشيخ رسول كاظم عبد السادة

قال محمد بن عيسى: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام: جعلني الله فداك يا سيدي، قد روي لنا: أن الله في موضع دون موضع على العرش استوى، وأنه ينزل كل ليلة في النصف الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، وروي: أنه ينزل عشية عرفة ثم يرجع إلى موضعه، فقال بعض مواليك في ذلك: إذا كان في موضع دون موضع فقد يلاقيه الهواء، ويتكف عليه، والهواء جسم رقيق يتكف على كل شيء بقدره، فكيف يتكف عليه جل ثناؤه على هذا المثال؟ فوقع عليه السلام: علم ذلك عنده، وهو المقدر له بما هو أحسن تقديرًا، واعلم أنه إذا كان في السماء الدنيا فهو كما هو على العرش، والأشياء كلها له سواء علمًا وقدرة وملكا وإحاطة^(١).

أما ما يطلق عليه من الجوارح فلها وجوه تؤول إليها:

قال محمد بن عيسى بن عبيد قال: سألت أبا الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام عن قول الله عز وجل: (وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ). فقال عليه السلام: ذلك تعيير الله تبارك وتعالى لمن شبّهه

بخلقه، ألا ترى أنه قال: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) ومعناه إذ قالوا: إن الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه كما قال عز وجل: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين، فقال: (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)^(٢).

المطلب الثاني: العلم الالهي

ومن الصفات الاخرى التي كثر البحث عنها العلم، وهذه المسألة في الحقيقة من أدق وأعقد المسائل العقائدية التي ابتلي المسلمون بخوضهم فيها من دون الاهتداء بأهل البيت عليهم السلام فضل كثيرين وتاهوا في ميدان الشرك والكفر من حيث يعلمون أو لا يعلمون، وهذا الضياع نتيجة حتمية لمخالفة كلام العترة عليهم السلام عدل الكتاب.

وخلاصة القول فيها على نهج ما قرره أهل البيت عليهم السلام: (ان الله سبحانه هو هو لا يغيب عن نفسه ولا يفقدها؛ إذ هو أحد فهو في نفسه لنفسه علم وعالم ومعلوم، وإنما ذلك عند التعبير، وإلا فلا يقال في الحقيقة إنه يعلم ذاته ويراها ويسمعها، إذ الأحد لا حاجة له إلى ذلك ولا يعقل في حقه ذلك هذا

(٢) الصدوق، التوحيد، ص ١٦٠.

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٢٦.



أي: إن الله سبحانه وتعالى لم يكن خلواً من الصفات الذاتية ثم لما أوجد الموجودات وألزمها بتلك الصفات ثبتت له الصفات، فهو عالم قبل ان يوجد شيئاً له القابلية ان يقال له معلوم، وكذلك حي قبل حياة الموجودات واذا انه كما في دعاء الجوشن الكبير (حياً لم يرد الحياة من الحي)^(٣)، فحياته أزلية أبدية أولية.

ونريد في ذلك كله كماله في نفسه لنفسه وأحديته من كل جهة ولا جهة وجميع معلوماته الخلقية حاضرة لديه بأنفسها أزلاً أبداً في أمكتتها وحدودها وأوقاتها على نحو الأحدية، يعني أن الزمان والزمانيات والدهر والدهريات والسرمد والسرمديات أبداً أزلاً حاضرة لديه يعلمها ويراهها ويسمعها بأنفسها لا بواسطة على نسبة، فلا شيء إلا معلوم لله سبحانه وهي بأنفسها علمه سبحانه لا إنها من حيث معلومة ومن حيث مجهولة إذ ليس حيث منها أقرب إليه من حيث ولا

مطبوعة السعادة - كرمان بلا تاريخ طباعة، ج ١، ص ١٧٠.

(٣) الكفعمي: الشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي العاملي (ت ٩٠٥هـ)، المصباح، الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة الثالثة - ١٤٠٣، ص ٢٥٦.

ويعلم ويرى ويسمع فعل وهو ذات أحدية فإذا لا يقال يعلم فأين العلم، وإذا لا علم أين العالم، وإذا لا عالم أين المعلوم، والمعلومة للتمييز ونفي الخلاف، وأين الخلاف؟ ولكن يقال لحضوره في نفسه بنفسه لنفسه عند التعبير إنه علم لا جهل فيه، فكان العلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور^{(١)(٢)}.

(١) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم، والسمع ذاته ولا مسموع، والبصر ذاته ولا مبصر، والقدرة ذاته ولا مقدور، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم، والسمع على المسموع، والبصر على المبصر، والقدرة على المقدور، قال: قلت: فلم يزل الله متحركاً؟ قال: فقال: تعالى الله عن ذلك، إن الحركة صفة محدثة بالفعل، قال: قلت: فلم يزل الله متكلماً؟ قال: فقال: إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية، كان الله عز وجل ولا متكلم. أقول: ليس المراد بوقوع العلم علم المعلوم تعلقه به تعلقاً لم يكن قبل الایجاد. بل المراد أن علمه قبل الایجاد هو بعينه علمه بعد الایجاد، والمعلوم قبله هو المعلوم بعينه بعده من غير تفاوت وتغير في العلم أصلاً، والتفاوت ليس إلا في تحقق المعلوم في وقت وعدم تحققه قبله، خلافاً للعامة حيث يقولون بأن الشيء سيوجد نفس العلم بذلك الشيء إذا وجد. (ظ: الكليني، الكافي: ج ١ ص ١٠٧).

(٢) الكرمانی، محمد کریم، الفطرة السليمة،



يجب حيث منها حيثاً؛ إذ هو أقرب إلى كل شيء من نفسه.

وهذا هو العلم الذي أخبر عنه الصادق عليه السلام حين سئل: هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس؟ قال: لا، من قال هذا فأخزاه الله. قيل: رأيت ما كان وما يكون إلى يوم القيامة أليس في علم الله؟ قال: بلى، قبل أن يخلق الخلق^(١).

وهو المشار إليه في حديث الإمام الكاظم عليه السلام: بالعلم علم الأشياء قبل كونها^(٢).

وما روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في العلم: هو كيدك منك^(٣).

وما روي عن الصادق عليه السلام العلم من كماله^(٤).

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن الله

تبارك وتعالى: أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان؟ أو علمه عندما خلقه وبعد ما خلقه؟ فقال: تعالى الله، بل لم يزل عالماً بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه، وكذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان^(٥).

وما قال موسى بن جعفر عليه السلام: علم الله لا يوصف منه بأين ولا يوصف العلم من الله بكيف ولا يفرد العلم من الله ولا بيان الله منه وليس بين الله وبين علمه حد.

وفي الدعاء عن الرضا عليه السلام: سبحانه من خلق الخلق بقدرته وأتقن ما صنع بحكمته ووضع كل شيء منه موضعه بعلمه.

إلى غير ذلك من الأخبار، ولهذا العلم من حيث الظهور مراتب على حسب مراتب المعلومات^(٦).

وإلى هذا العلم بهذا المعنى كانت كلمات الإمام الهادي عليه السلام تشير، قال عبد العظيم بن عبد الله: سمعته عليه السلام يخطب بهذه الخطبة: الحمد لله العالم بما هو كائن من قبل أن يدين له من خلقه دائن، فاطر السماوات والأرض، مؤلف الأسباب بما

(١) الصدوق، التوحيد، ص ١٣٤.

(٢) الكليني، الكافي، ج ١ ص ١٤٩.

(٣) الصدوق، التوحيد، ص ١٣٩، المراد به العلم الفعلي الذي هو المشيئة المخلوق بها الأشياء، فلا بأس بتشبيهها باليد فإن بها فعله كما أن الإنسان بيده فعله مع رعاية تنزيهه تعالى، كما أسند إليه تعالى اليد في الكتاب حيث قال: (يد الله فوق أيديهم) بهذا الاعتبار إلا أنها فسرت بالقدرة.

(٤) الصدوق، التوحيد، ص ١٣٤.

(٥) الصدوق، التوحيد، ص ١٣٧.

(٦) الكرماني، الفطرة السليمة، ج ١، ص ١٧٠.

جرت به الأقلام، ومضت به الاحتمام، من سابق علمه ومقدّر حكمه^(١).

وقال عليه السلام في جوابه لمسألة الفتح بن يزيد الجرجاني حين قال له: يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ قال: ويحك! إنّ مسائلك لصعبة، أما سمعت الله يقول: (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا)^(٢)، وقوله: (وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ)^(٣)، وقال يحكي قول أهل النار: (أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ)^(٤)، وقال: (وَلَوْ رُدُّوْا لَعَادُوْا لِمَا نُهُوْا عَنْهُ)^(٥) فقد علم الشيء الذي لم يكن، أن لو كان كيف كان يكون^(٦).

(١) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٣٧٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

(٣) سورة المؤمنون، سورة ٢٣.

(٤) سورة فاطر، الآية ٣٧-٣٥.

(٥) سورة فاطر، الآية ٣٧-٣٥.

(٦) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧ و ص ١٥١، و ١١٨، الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٢٧، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص ١٤١، الحراني، تحف العقول، ص ٤٨٢، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٤٨١، الحويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٧١٠ و ج ٢، ص ١٠٣ و ج ٣، ص ٤١٨ و ٥٥٠ و ج ٤، ص ٤٢٠ و ٣٦٨، و ص ٧٥٥، و ص ٦٢، الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج ١٦ ص ١٥٥،

فمعلومية الأشياء هي نفس وجوداتها، فكيف يوجد شيئاً وهو لا يعلمه؟ فعن أيّوب بن نوح، أنّه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام: يسأله عن الله عزّ وجلّ أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها؟ أو لم يعلم ذلك حتّى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عندما خلق، وما كوّن عندما كوّن؟ فوقع بخطّه عليه السلام: لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء، كعلمه بالأشياء بعدما خلق الأشياء^(٧).

فعلى هذا القول لا يوجد مندوحة من القول بأن الله لم يزل عالماً بالأشياء كما كان يظنه بعض الشيعة، وهو الذي كتب به جعفر بن محمد بن حمزة إليه عليه السلام يسأله: إنّ مواليك اختلفوا في العلم؛ فقال بعضهم: لم يزل الله عالماً قبل فعل الأشياء. وقال بعضهم: لا نقول لم يزل الله عالماً؛ لأنّ معنى يعلم يفعل، فإن أثبتنا العلم فقد أثبتنا في الأزل معه شيئاً، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تعلّمني من ذلك ما أقف عليه

المجلسي، البحار، ج ٤، ص ٨٢، و ص ١٣٩، و ص ١٤٧، و ص ٢٩٠ و ج ٥، ص ١٠١ و ج ٦٨، و ص ١٨٢ و ج ٤، ص ٣٠٣، البحراني، البرهان، ج ٤، ص ٣٦٣ و ص ٢٣٠.

(٧) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٠٧.



مَجْلَدُ الرَّابِعَةِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

ولا أجوزّه. فكتب عليه السلام بخطّه: لم يزل الله عالماً تبارك وتعالى ذكره^(١).

وكان المتوكل يعلم أن الإمام الهادي هو أعلم أهل زمانه لاسيما في مسألة الصفات، فكان يسأله بخصوص هذه المسائل، فقد قال له يوما: (أجلس يا أبا الحسن، إنّي أريد أن أسألك. فقال عليه السلام له: سل. فقال له: ما في الآخرة شيء غير الجنة أو النار يحلّون فيه الناس؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: ما يعلمه إلّا الله. فقال له: فعن علم الله أسألك. فقال عليه السلام له: ومن علم الله أخبرك^(٢).

لما كان المتوكل من أهل العدا والنصب لأهل البيت وشيعتهم فقد اجابه الإمام عليه السلام بما يجاب به امثاله بالتورية، والا فان بين الجنة والنار حضائر كما في حديث الإمام الكاظم^(٣) وهناك مقامات اعلى من الجنة يحل فيها آل محمد صلوات الله عليهم وهم عند ربهم، وهذا ما لا يحتمله امثال المتوكل، وانما اجاب الإمام ان

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٠٧.

(٢) البحراني، مدينة المعاجز، ج ٧، ص ٥٣٥.

(٣) سئل العالم عليه السلام ف قيل له، فإذا لم يدخلوا الجنة فأين يكونون؟ فقال: إن الله جعل حظائر بين الجنة والنار يكونون فيها مؤمنوا الجن وفساق الشيعة (ظ: بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٩٥).

(٤) سورة النمل الآية ٤٠.

(٥) عن محمد بن سليمان بن سدير قال: كنت انا وأبو بصير وميسر ويحيى البراز وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، وما يعلم الا الله، لقد هممت بضرب خادمي فلانة فذهبت عني فما عرفتُها في أي بيوت الدار هي. فلما ان قام من مجلسه وصار من منزله دخلت انا وأبو بصير وميسر على أبي عبد الله عليه السلام فقلنا له: جعلنا فداك سمعنا تقول كذا وكذا في امر خادمك ونحن نعلم أنك تعلم علما كثيرا ولا ننسبك إلى علم الغيب. قال فقال: يا سدير ما تقرأ القرآن! قال قلت: قرأناه جعلت فداك. قال فهل وجدت في ما قرأت من كتاب الله (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به) ما كان عنده من علم الكتاب. قال قلت: فأخبرني حتى اعلم. قال قدر قطرة من المطر الجود في البحر الأخضر، ما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال قلت: جعلت فداك ما أقل هذا! قال يا سدير ما أكثره ان لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك يا سدير، فهل وجدت في ما قرأت من كتاب الله (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) كله قال: وأوماً بيده إلى صدره فقال: علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثاً (بصائر الدرجات ص ٢٣٣٢).

المطلب الثالث: البداء

الأصل في البداء هو الظهور، قال الله تعالى: (وَبَدَأَ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ)^(١). وقد يطلق ويراد منه تغيير الإرادة وتبديل العزم تبعاً لتغير العلم^(٢).

هذا بالنسبة للخلق، أما الخالق فليس البداء عنده هكذا، ومن قال بهذا البداء فقد نسبة إلى الله الجهل بعد العلم وهو خارج عن حد الإسلام فالبداء عند الله سبحانه وتعالى (هو إظهار حكم من الأحكام الوجودية الكونية بعد انقضاء مدة الحكم السابق؛ لتغير الموضوع؛ لأن الله عز وجل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالبداء نسخ تكويني وجودي كما أن النسخ بداء تشريعي، فيمحي الحكم الأول الثابت للشيء باعتبار وصفه الذاتي أو العرضي، ويثبت الحكم الثاني له على مقتضى الحاصل له ثانياً)^(٣).

مثلاً: إن الله عز وجل حكم على زيد بمقتضى إجابته في عالم الذر مقدراً من العمر والرزق - مثلاً - خمسين سنة فإذا

(١) سورة الزمر الآية ٤٧.

(٢) الحسني، الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة، ص ٢٦٩.

(٣) الرشتي، جواهر الحكم، ج ٤، ص ١٢٥.

بقي على مقتضى تلك الإجابة فلا يمحي شيء مما كتب له إلا أن يشاء الله عز وجل فإنه قادر وقاهر على كل شيء لكن جرت حكمته تعالى أن لا يمحوه، فإذا زاد على تلك الإجابة بعمل آخر قوي - كزيارة الحسين عليه السلام فإنها تقوي الكينونة بإذن الله عز وجل - فتمحي كتابة خمسين سنة وتكتب له ثمانون سنة، وكذلك إذا نقصها بعمل قاطع - كالزنا وقطيعة الرحم - فإنها تمحي أيضاً كتابة خمسين سنة ويكتب له - مثلاً - أربعون أو ثلاثون وهكذا، فبالأعمال يغير الله أحكام الخلق.

وهناك فرق بين البداء والنسخ، وذلك (إن البداء مخصوص بأحكام القضاء والقدر لا العلم الأزلي، فإنه ليس فيه تغيير بالنسبة إلى الملائكة أو الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والبداء بمعنى الظهور والنسخ مخصوص بالأحكام الشرعية)^(٤)، يعني إن البداء يطلق على ما يتعلق بالأصول المنوطة بالاعتقاد التي لا دخل له في العمل، أما النسخ فهو مخصوص بالفروع والشرائع المتعلقة بأعمال المكلفين.

ويمكن توزيع البداء على نوعين:

بداء مقبول، وآخر غير مقبول، أما النوع

(٤) الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة ج ١، ص ٢٢١.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

والأوثان، وبعدهما انتهى هذا الابتلاء أتم
الميعاد بإضافة عشر ليال.

أما البداء غير المقبول فهو البداء
الغالي، والذي معناه جواز البداء على الله
تعالى، وهو عدة معان، البداء في العلم
وهو أن يظهر له خلاف ما علم. والبداء
في الإرادة وهو أن يظهر له صواب على
خلاف ما أراد وحكم.

ونتيجة لما تقدم، فإن هذا التقسيم
لا يصح؛ حيث انتفى القسم الثاني بانتفاء
موضوعه، ولا شك أن للفعل الإلهي
مراتب متسلسلة إذا تحققت جميع هذا
المراتب لا يقع البداء الذي هو واحد منها.

عن معلّى بن محمد^(٤) قال: سئل
العالم عليه السلام كيف علم الله؟ قال عليه السلام: علم
وشاء وأراد وقدّر وقضى وأمضى، فأمضى
ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد،
فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت
الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره
كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء،

(٤) هو معلّى بن محمد البصريّ المعنوني في رجال
النجاشي، ص ٤١٨ رقم ١١١٧، وعده السيّد
البروجردى من الطبقة السابعة. الموسوعة
الرجالية، ج ٤، ص ٣٦٣، فالمراد من العلم، هو
الإمام الهادي عليه السلام أن كان السائل معاصراً له،
وإلا فيحتمل غير الهادي عليه السلام أيضاً.

المقبول فذلك الذي يكون بمعنى النسخ
الذي قال فيه سبحانه وتعالى (مَا نَنْسَخْ مِنْ
آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا)^(١).

يقول الشيخ المفيد في هذا النوع:
(أقول في معنى البداء ما يقوله المسلمون
بأجمعهم في النسخ وأمثاله من الإفقار بعد
الإغناء والأمراض بعد الإعفاء، وهذا
مذهب الإمامية بأسرها، فالبداء من الله
ما كان مشروطاً في التقدير، وليس هو
الانتقال من عزيمة ولا من تعقب الرأي
تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كثيراً)^(٢).

ومنه قوله تعالى: (وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة ثم أتممناها بعشر)^(٣) فواعد الله
موسى لا عطاء التوراة ثلاثين ليلة، ثم غير
الوعد المذكور على الظاهر بإضافة عشر
ليال، ولم يكن هذا التغير لأجل سنوح
مصلحة جديدة كانت خفية عنه سابقاً
بل المعنى أن الميعاد المقرر عند الله لم يكن
إلا أربعين ليلة، لكنه بين أولاً بأنه ثلاثون
لحكمة امتحان إيمان تابعي موسى، فمنهم
من ثبت عند هذا الامتحان، ومنهم من
خرج عن ربة الايمان، وتعبد بالعجل

(١) سورة البقرة، الآية ١٠٦.

(٢) المفيد، أوائل المقالات، ص ٥٣.

(٣) الأعراف ١٤٢.



إن هذه المراتب التي ذكرها الإمام عليه السلام لابد وان تقع متسلسلة ل يتم الفعل ولا يمكن التقديم والتأخير فيها ولا نقص واحدة منها، وإذا كان ذلك لم يظهر الفعل تاما في الخارج.

وعن أحمد بن محمد بن عبد الله بن مروان الأنباري قال: كنت حاضراً عند مضي أبي جعفر محمد بن علي، فجاء أبو الحسن عليه السلام فوضع له كرسي، فجلس عليه وحوله أهل بيته، وأبو محمد عليه السلام قائم في ناحية، فلما فرغ من أمر أبي جعفر، التفت إلى أبي محمد عليه السلام . فقال: يا بني، أحدث لله تبارك وتعالى شكراً، فقد أحدث فيك أمراً^(٢).

وعن علي بن جعفر قال: كنت حاضراً عند أبي الحسن عليه السلام لما توفي ابنه محمد، فقال للحسن: يا بني أحدث لله بصائر الدرجات، ص ١٤٢، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٥١٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٠٢، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ١٥٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٤٨، الصدوق، التوحيد، ص ٣٣٤، الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص ١٤٢، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٥١٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٠٢، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ١٥٩.

والعلم متقدّم على المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء. فله تبارك وتعالى البدء في ما علم متى شاء، وفي ما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدء، فالعلم في المعلوم قبل كونه، والمشيئة في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً. والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات، ذوات الأجسام المدركات بالحواس، من ذوي لون وريح، ووزن وكيل، وما دبّ ودرج من إنس وجنّ، وطير وسباع، وغير ذلك مما يدرك بالحواس. فله تبارك وتعالى فيه البدء ممّا لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدء، والله يفعل ما يشاء. فبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها، وأنشأها قبل إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها، وبالتقدير قدرّ أقواتها وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها، ودلّم عليها وبالإمضاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم^(١).

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٤٨، الصدوق، التوحيد، ص ٣٣٤، الحلي، مختصر



شكرا فقد أحدث فيك أمراً^(١).

ان من عقيدة الإمامية ان الإمامة في
الأكبر من ولد السابق ما لم تكن فيه عاهة،
وكان محمد أكبر من الإمام العسكري عليه السلام،
فكانت اذهان الشيعة تتجه نحوه وتعتقد
انه خلف ابيه، وكان في علم الله ان الإمام
هو العسكري، فوقعت العاهة وهو
الموت، لذا يقال: بدا لله، أي اظهر أمر
محمد وانه ميت قبل اخيه الحسن، ليتحقق
وعد الله سبحانه ولا يكذب رسوله بعد
ان أخبر النبي بان الإمام بعد الهادي هو
العسكري عليه السلام.

المطلب الرابع: الأسماء والصفات

لا شك أن الله أسماء وصفات تطلق
عليه في الكتاب والسنة، وهذا الاطلاق
لا ينافي التوحيد الذي يقتضي التنزيه، فبعد
إثبات صفات لله تنفي مشابهة صفاته
صفات خلقه؛ وهذا هو توحيد الصفات
ومعناه أن تنزه الله سبحانه عن أن يكون
له ند في صفاته، فتصف بصفاته خلقه
أو تصفه بصفات خلقه؛ لأنه القديم،
والقديم ممتنع عن الحدث والحدث ممتنع
عن القدم، فلا توجد صفات الحادث في
الأزل سبحانه، فيقترن القديم بالحادث

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٢٦.

فيصير مركباً ومشابهاً للحوادث ومحلاً
للحوادث والفقر، ولا يوجد صفات
القديم في الحوادث فيكون قد نزل عن
حده وتغير واقترن بالفقراء المعدمين
ويشاكلهم، ولا يصح استحالة القديم إلى
الحادث ولا العكس.

فالعارف بتوحيد الصفات يوحد
الله سبحانه في صفاته فلا يجعل لأحد علماً
كعلمه ولا سمعاً كسمعه ولا بصراً كبصره
وهكذا، وإن استعمل تلك الألفاظ في غيره
أيضاً؛ فإنه محض استعمال لفظ للدلالة على
معنى مراد منه.

كان الفتح بن يزيد الجرجاني
يتحدث عن لقاء بينه وبين الإمام في
الطريق والفتح منصرف إلى خراسان (قال:
لقيته عليه السلام)^(٢) على الطريق عند منصرفي من

(٢) صرح المحقق التستري والسيد الخوئي
قدس سره بأن ضمير (لقيته) يرجع إلى أبي الحسن
الهادي عليه السلام حيث إنه الذي أشخصه المتوكل
من المدينة إلى العراق وأما الرضا عليه السلام فأنما
أشخصه المأمون من المدينة إلى خراسان، ينظر:
التستري، قاموس الرجال، ج ٨، ص ٣٧١، رقم
٥٨٧٣، والخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٣،
ص ٢٤٩ رقم ٩٣٠٠ وفيه: وأما الرضا عليه السلام
فهو لم يأت العراق وإنما أشخصه المأمون إلى
خراسان، ولكن الشيخ الصدوق رواها في عيون
أخبار الرضا عليه السلام وهو يشعر بكون المراد من أبي



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

وهو ليس بجسم ولا صورة، لم يتجزأ ولم يتناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مبرأً من ذات ما ركب في ذات من جسمه، وهو اللطيف الخبير، السميع البصير، الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، منشئ الأشياء، ومجسم الأجسام، ومصوّر الصور، لو كان كما يقول المشبهة، لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنّه المنشئ، فرّق بين من جسمه وصوره، وشيأه وبيّته، إذ كان لا يشبهه شيء^(٢).

يبين الإمام عليه السلام هنا أن مجسم الاجسام لا يمكن أن يكون جسماً والّا كان مشابهاً لتلك الاجسام، ثم ان الجسميّة تقتضي التركيب وهو منتفٍ عن الاحد البسيط وكل مركب ممكن، اذا كونه مشابه الاجسام تنتفي ربوبيته ولا يميز عن بقية الخلق وهو محال في الربوبية، عند ذلك ايتفسر فتح من الامام على اطلاق الصفات المشتركة بين الخالق والمخلوق قال (قلت: فالله واحد، والإنسان واحد، فليس قد تشابهت الوجدانيّة؟ فقال: أحلت ثبّتك الله! إنّما التشبيه في المعاني، فأما في الأسماء

مكّة إلى خراسان، وهو سائر إلى العراق فسمّعه يقول: ... إنّ الخالق لا يوصف إلّا بما وصف به نفسه، وأنّي يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا وصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعتة الناعتون، نأى في قرب، وقرب في نأيه، فهو في بعده قريب، وفي قربيه بعيد، كيف كيف فلا يقال له كيف، وأين أين فلا يقال له أين، إذ هو مبدع الكيفيّة والأينويّة^(١).

يبين الإمام عليه السلام في هذا الكلام استحالة الخلق على وصف الخالق وانما عليهم الاستعانة بكلامه الذي جاءت به الرسل عنه؛ لئلا يقعوا في التشبيه أو التعطيل، العقول والأوهام لا ترتقي إلى الاحاطة به فكيف بالحواس التي لا تناله؛ لبعده عن الجسميّة التي من مقتضى ادراك تلك الحواس، ثم يواصل الإمام عليه السلام بيان صفات الله تعالى للفتح يقول:

(يا فتح، كلّ جسم مغذّى بغذاء إلّا الخالق الرزّاق، فإنّه جسم الأجسام، الحسن هو الرضا عليه السلام).

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، و ١١٨، الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٧.

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، و ١١٨، الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٧.



مَجْلَدُ الْإِسْلَامِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

فهي واحدة، وهي دلالة على المسمّى، وذلك أنّ الإنسان وإن قيل واحد، فإنّه يخبر أنّه جثّة واحدة وليس باثنين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأنّ أعضائه مختلفة، وألوانه مختلفة غير واحدة، وهو أجزاء مجزأة ليس سواء، دمه غير لحمه، ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم، لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله واحد لا واحد غيره، ولا اختلاف فيه، ولا تفاوت، ولا زيادة، ولا نقصان، فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلّف، فمن أجزاء مختلفة، وجواهر شتّى، غير أنّه بالاجتماع شيء واحد^(١).

ان الإمام عليّ عليه السلام هنا يذكر حقيقة قلما يلتفت إليها وهي ان وجود الواحد الحقيقي منتف عن غيره تعالى اذ كل ما سواه مركب من اجزاء وان شوهده واحد وليس هناك واحد حقيقي غير الله تعالى، عند ذلك استفسر الفتح عن بقية الصفات قال:

(قلت: فقولك اللطيف فسره لي، فإنّي

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، ١١٨، الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٧.

أعلم أنّ لطفه خلاف لطف غيره للفصل غير أنّي أحبّ أن تشرح لي. فقال عليه السلام: يا فتح، إنّما قلت اللطيف للخلق اللطيف، ولعلمه بالشيء اللطيف، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف، وغير اللطيف، وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان، من الجرجس، والبعوض، وما هو أصغر منهما، ممّا لا يكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والمولود من القديم، فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد^(٢)، والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه بها في لجج البحار، وما في لحاء^(٣) الأشجار، والمفاوز^(٤) والقفار^(٥)، وإفهام بعضها عن بعض منطقها، وما تفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، علمنا أنّ خالق هذا الخلق لطيف، وأنّ كلّ صانع

(٢) سفادا بالكسر: نزو الذكر على الأنثى، ينظر: مجمع البحرين، ج ٣، ص ٧٠ سفد.

(٣) اللحاء: قشر العود أو الشجر. المنجد، ص ٧١٧ صلحي.

(٤) المفازة: التي لا ماء فيها. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٩٣ فوز.

(٥) القفر: مفازة لا نبات بها ولا ماء. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ١١٠ قفر.

شيء فَمِنْ شَيْءٍ صَنَعَ، والله الخالق اللطيف
الجليل خَلَقَ وَصَنَعَ لا من شيء.^(١)

ان مفهوم اللطافة واللطيف اذا
أطلق على الله سبحانه تعالى بحسب تعريف
الإمام له يختلف عما يتبادر في الازدهان وانما
اللطيف في الخالق حسن صنعه لخلقه
واداركه لما صنع واتمام ذلك الصنع.

ثم انتقل الفتح بسؤاله إلى تعدد
المخلوقين واطلاق صفة الخالقية على غير
الله قائلاً:

(قلت: جعلت فداك، وغير الخالق
الجليل خالق؟ قال: إن الله تبارك وتعالى
يقول: (تَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)^(٢) فقد
أخبر أن في عباده خالقين، منهم: عيسى بن
مريم خلق من الطين كهية الطير بإذن الله،
فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله؛ والسامري
خلق لهم عجلاً جسداً له خوار.

قلت: إن عيسى خلق من الطين
طيراً دليلاً على نبوته، والسامري خلق
عجلاً جسداً لنقض نبوة موسى عليه السلام وشاء
الله أن يكون ذلك كذلك، إن هذا هو

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، ١١٨،
الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار
الرضا، ج ١ ص ١٢٧ .
(٢) سورة المؤمنون، الآية ٢٣.

العجب؟

فقال: ويحك يا فتح، إن الله إرادتين
ومشييتين، إرادة حتم، وإرادة عزم، ينهى
وهو يشاء، ويأمر وهو لا يشاء، أو ما رأيت
أنه نهى آدم عليه السلام وزوجته عن أن يأكلا من
الشجرة، وهو شاء ذلك، ولو لم يشأ لم
يأكلا، ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشيئة الله،
وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام
وشاء أن لا يذبحه، ولو لم يشأ أن لا
يذبحه لغلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله عز
وجل^(٣).

بين الإمام عليه السلام تعدد إرادات الله
مما يدل على حدوث الارادة وانها ليس
من صفات الذات كما ان الخلق المختلف
المتضاد من قبل الخلق هو بإرادات الله
المختلفة منها الحتمية ومنها العزيمة، أي
ان هناك حوادث تجري بإرادة الله ولكنها
بخلاف محبته، ولما كانت الصفات الجسمية
تطلق على الله وعلى مخلوقاته كالسمع
والبصر بين الإمام عليه السلام ان سمع الله
وبصره بخلاف سمع الخلق وأبصارهم،
وذلك لانه لا يسمع ويبصر بجارحة،
وانما سمعه عين بصره كما قال عليه السلام

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، ١١٨،
الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار
الرضا، ج ١ ص ١٢٧.





(إنَّه يسمع بما يبصر، ويرى بما يسمع، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين، وسميع لا بمثل سمع السامعين، لكن لما لم يخف عليه خافية من أثر الذرّة السوداء على الصخرة الصّماء في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار، قلنا: بصير لا بمثل عين المخلوقين، ولما لم يشته عليه ضروب اللغات، ولم يشغله سمع عن سمع، قلنا: سميع لا مثل سمع السامعين)^(١).

ولأسماء الله سبحانه فعلية مؤثرة في الوجود بها يتم التكوين وعنهما تصدر حركات المكلفين على نحو الاختيار المحض، ذكر السيّد ابن طاووس رحمته الله: انه عليه السلام كان يقول في قنوته: (يا من تفرّد بالربوبية، وتوحد بالوحدانية، يا من

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٣٧، ١١٨، الصدوق، التوحيد، ص ٦٠ و ١٨٥، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٢٧، الحرائي، تحف العقول، ص ٤٨٢، الحلي، مختصر بصائر الدرجات، ص ١٤١، الكاشاني، الوافي، ج ١، ص ٤٨١، الخويزي، نور الثقلين، ج ١، ص ٧١٠ وج ٣، ص ٤١٨ و ٥٥٠ وج ٤، ص ٤٢٠ و ٣٦٨، العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٥٥، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٨٢ و ١٣٩، و ١٤٧ ح ١، و ٢٩٠ وج ٥، ص ١٠١ وج ٦٨، ص ١٨٢ وج ٤، ص ٣٠٣، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ٢٥٦، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ٢٠٦.

أضاء باسمه النهار وأشرقت به الأنوار، وأظلم بأمره حندس الليل... أسألك اللهم باسمك الذي خشعت له السماوات والأرض، وأحييت به موات الأشياء، وأمتّ به جميع الأحياء...^(٢).

فباسم الله المضيء أضاء النهار وباسمه الخاشع خشعت السماوات والأرض، وهذه الفعلية لأسماء الله تعالى ليس المراد منها فعلية الحروف اللفظية المكتوبة وان كان ايضاً لها نوع من التأثير الا انها الاسماء التكوينية الظاهرة بهذه الأسماء المكتوبة.

وقال عليه السلام (إلهي،... فأنت في المكان الذي لا يتناهى، ولم تقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات، ثم هيهات، يا أولي، يا وحداني، يا فرداني، شمخت في العلوّ بعزّ الكبر، وارتفعت من وراء كلّ غورة ونهاية بجبروت الفخر)^(٣).

وقال عليه السلام: (إنّ الله هو المثير والمعاقب، والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً)^(٤).

وكتب عليه السلام: (سبحان من لا يحدّ ولا

(٢) مهج الدعوات، ص ٨٢.

(٣) الصدوق، التوحيد، ص ٦٦.

(٤) الحرائي، تحف العقول، ص ٤٨٢.



رساله^(٤).

المطلب الخامس: المشيئة والقضاء

والقدر

ان المشيئة لله كما يقول الإمام الهادي عليه السلام: (إنَّ لله المشيئة، يقدِّم ما يشاء، ويؤخِّر ما يشاء...) (٥) وإنه عليه السلام كان يقول في خطبته (ثمَّ إنَّ هذه الأمور كلّها بيد الله تجري إلى أسبابها ومقاديرها، فأمر الله يجري إلى قدره، وقدره يجري إلى أجله، وأجله يجري إلى كتابه، ولكلِّ أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أمُّ الكتاب...) (٦). وقال عليه السلام: (المقادير تريك ما لم يخطر ببالك) (٧).

والسبب إنها مختصة به يغير منها ما يشاء ويمضي منها ما يريد، وقد خفي سرها عن الخلق فما يظهر منها خلاف ما يظن لا يستطيع المرء التكهن به، لذا يكون بالنسبة له عجيبيًا.

(٤) نهج البلاغة ج ٣ ص ٤٤.

(٥) العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦) الكليني، الكافي، ج ٥، ص ٣٧٢.

(٧) الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، ج ٢، ص ١٣٨، الطبرسي، أعلام الدين، ص ٣١١، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٦٩، ح ٤، القمي، عباس، الأنوار البهية، ص ٢٨٦، س ١٥.

يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (١) (ليس الخالق إلا الله وما سواه مخلوق...) (٢).

فاذا نسب الثواب أو الخلق إلى أحد فانما هو باجراء الثواب والخالقية من الله على يد هذا العبد اما الاثابة المطلقة أو الخلق المطلق فلا يكون الا لله وبالله

وسئل عليه السلام عن التوحيد (ف قيل له: لم يزل الله وحده لا شيء معه، ثم خلق الأشياء بديعاً واختار لنفسه الأسماء، ولم تزل الأسماء والحروف له معه قديمة؟ فكتب عليه السلام: لم يزل الله موجوداً ثم كَوَّن ما أراد، لا رادَّ لقضائه، ولا معقَّب لحكمه... فهو بالموضع الذي لا يتناهى، وبالمكان الذي لم يقع عليه عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات، هيهات!) (٣).

ان صفة القدم الازلي ثابتة لله تعالى مع الوحدانية، فليس معه في قدمه اخر سواء كانت اسماء أو حروف أو غير ذلك والا استلزم نفي التوحيد واثبات الشرك لوجود قديم اخر، وهو محال كما قال امير المؤمنين عليه السلام لو كان لربك شريك لأتتك

(١) الصدوق، التوحيد، ص ١٠١ ح ١٢.

(٢) المفيد، الأمالي، ص ٤٣٨.

(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٤٨٥.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

وتعد مباحث القضاء والقدر^(١) من أهم ما تعرضت له احاديث أهل البيت عليهم السلام؛ لان هذه المسألة من أمهات مسائل الفعل الإلهي والإنساني معا، وقد وقع النزاع فيها بين متكلمي الإسلام وخاضوا فيها وربما بلغ الحال في بعضهم إلى تكفير مخالفهم وظهرت الفرق الجبرية والمفوضة على أساس هذا البحث، والواقع أن أفعال العباد مخلوقة لله تبارك وتعالى، لانه تعالى يقول (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ)^(٢) لكن ليس بالمعنى المتبادر للذهن، وإنما مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين^(٣).

(١) قال السيد الطباطبائي في هامش الكافي، ج ١، ص ١٥٧: اعلم أن البحث عن القضاء والقدر كان في أول الأمر مسألة واحدة ثم تحول ثلاث مسائل أصلية:

الأولى: مسألة القضاء وهو تعلق الإرادة الإلهية الحتمية بكل شيء، والأخبار تقضي فيها بالإثبات. الثانية: مسألة القدر وهو ثبوت تأثير ماله تعالى في الأفعال، والأخبار تدل فيها أيضا على الإثبات. الثالثة: مسألة الجبر والتفويض، والأخبار تشير فيها إلى نفي كلا القولين وتثبت قولاً ثالثاً وهو الأمر بين الأمرين لا ملكاً لله فقط من غير ملك للإنسان ولا بالعكس بل ملكاً في طول ملك وسلطنة في ظرف سلطنة.

(٢) سورة الصافات، الآية ٩٦.

(٣) عن جعفر بن محمد عليه السلام قال في ما وصف من شرائع الدين: إن الله لا يكلف نفساً إلا

فقد سئل عليه السلام عن أفعال العباد، فقيل له: هل هي مخلوقة لله تعالى؟ فقال عليه السلام: لو كان خالقاً لها لما تبرأ منها، وقد قال سبحانه: (أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)^(٤) ولم يرد البراءة من خلق ذواتهم، وإنما تبرأ من شركهم وقبائحهم^(٥).

ولذا فلا يصح ذم من لم يكن له مدخلة في فعل ما، (قال الحسن بن مسعود: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، وقد نكبت إصبعي، وتلقاني راكب وصدم كتفي، ودخلت في زحمة، فخرقوا عليّ بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرك من يوم، فما أيشمك. فقال عليه السلام لي: يا حسن، هذا وأنت تعشاننا ترمي بذنبك من لا ذنب له. قال الحسن: فأثاب إليّ عقلي وتبينت خطئي. فقلت: يا مولاي،

وسعها ولا يكلفها فوق طاقتها، وأفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين، والله خالق كل شيء، ولا نقول بالجبر، ولا بالتفويض، وقال عليه السلام: إن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين. ومعنى ذلك أن الله تبارك وتعالى لم يزل عالماً بمقاديرها قبل كونها، ينظر: الصدوق، التوحيد، ص ٤١٦.

(٤) سورة التوبة، الآية ٣.

(٥) المفيد، تصحيح الاعتقاد، ص ٤٣، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٠، الحر العاملي، الفصول المهمة، ج ١، ص ٢٥٨.

المطلب السادس: مسألة الجبر

والتفويض

هذه المسألة المهمة في عقائد المسلمين التي أنتج الصراع حولها فرقة المجبرة والقدرية بينها الإمام في رسالة مطولة بعثها إلى أصحابه، شرح فيها بعض جواب مراتب الفعل وسر القضاء والقدر، وانه لا جبر في افعال الخلق وهم غير مفوضين ايضا وانما منزلة بين المنزلتين. وتعد هذه الرسالة من أهم ما كتب في الإسلام في هذا المجال، والحق أنها من كنوز أهل

البيت التي أخرجوها من الخزائن الغيبية، وفيها يستعرض الإمام عليه السلام هذه المسألة بالتفصيل متخذاً من الأمثلة وسيلة لتفهم من يطلع عليها، لذا لا يمكن لكل من تعرض لحياة الإمام الهادي أو لمسألة القضاء والقدر إغفالها.

قال الإمام الهادي عليه السلام في هذه الرسالة: (ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض، وجدنا الكتاب قد شهد له، وصدّق مقالته في هذا، وفي خبر عنه أيضاً موافق لهذا: أنّ الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك،

أستغفر الله. فقال: يا حسن، ما ذنب الأيام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها. قال الحسن: أنا أستغفر الله أبداً وهي توبتي يا ابن رسول الله! قال عليه السلام: والله! ما ينفعكم ولكن الله يعاقبكم بذمّها على ما لا ذمّ عليها فيه، أما علمت يا حسن إنّ الله هو المثيب والمعاقب، والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً؟ قلت: بلى، يا مولاي. قال عليه السلام: لا تعد ولا تجعل للأيام صنعة في حكم الله، قال الحسن: بلى، يا مولاي^(١).

فما يصيبنا من بلايا ونكبات هي اعمالنا ترد الينا، بل هي رحمة الله الواسعة التي تقتضي تعجيل الجزاء عليها في الدنيا وعدم ارجائها إلى الآخرة، وذلك مقتضى الرحمة التي سبقت الغضب، فان العبد بحسب العدل الالهي ينبغي اهلاكه مع اول معصية له، فلا ينبغي للمرء أن يلقي باللائمة على أحد اذا نكب بنكبة وإنما جميع الاشياء هي ادوات لله تعالى في اجراء فعله، ان خيراً فخير وان شراً فشر.

(١) الخرائي، تحف العقول، ص ٤٨٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٦، العاملي، وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٧.



فقيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام: هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك^(١).

فالعباد يقفون بين حالين: حال هم يمتلكون كل ادوات المعصية والطاعة في ان واحد ويستطيعون باختيارهم الذاتي تحديد الوجه التي يتجه فيها الفعل الصادر عنهم وامر ان الله سبحانه وتعالى لا يغلب على امره فهو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: (الناس في القدر على ثلاثة أوجه: رجل يزعم أنّ الأمر مفوّض إليه فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك. ورجل يزعم أنّ الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وكلفهم ما لا يطيقون فقد ظلم الله في حكمه فهو هالك. ورجل يزعم أنّ الله كلّف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ)^(٢).

فأخبر عليه السلام: أنّ من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف (١) الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٨، الكاشاني، مكاتيب الأئمة (معادن الحكمة)، ج ٢، ص ٢٠٤. (٢) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي إلى أهل الأهواز "الحلقة الثانية: في الجبر"، ص ٢١-٢٢.

الحقّ. فقد شرحت الجبر الذي من دان به يلزمه الخطأ، وأنّ الذي يتقلّد التفويض يلزمه الباطل، فصارت المنزلة بين المنزلتين بينهما. وان الأمر يجري بمجرى الاختيار مع تهيئة الأسباب، فمن كان من أهل السعادة وفق إليها ومن كان من أهل الشقاوة خذل لها انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا يا بن ادم انا ولى بحسناتك منك وانت اولى بسيئاتك مني

إلى أن قال عليه السلام:

(لكن نقول: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبّدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد، فقبل منهم اتّباع أمره ورضي بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته، وذمّ من عصاه وعاقبه عليها، والله الخيرة في الأمر والنهي، يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عمّا يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملّكها عباده لا تتّباع أمره واجتناب معاصيه؛ لأنّه ظاهر العدل والنصفة والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته، واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله وبعثه برسالاته إلى خلقه)^(٣).

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٨، الكاشاني، مكاتيب الأئمة (معادن الحكمة)، ج ٢، ص ٢٠٤.



الثواب الدائم في تلك الدار التي أعلمه
أنّه مخرجه إليها، وإن أنفق المال في الوجه
الذي نهاه عن إنفاقه فيه جعل له ذلك
العقاب الدائم في دار الخلود.

وقد حدّ المولى في ذلك حدّاً معروفاً
وهو المسكن الذي أسكنه في الدار الأولى،
فإذا بلغ الحدّ استبدل المولى بالمال وبالعبد
على أنّه لم يزل مالكا للمال والعبد في
الأوقات كلّها، إلّا أنّه وعد أن لا يسلبه
ذلك المال ما كان في تلك الدار الأولى إلى
أن يستتمّ سكناه فيها فوفى له؛ لأنّ من
صفات المولى، العدل والوفاء، والنصفة
والحكمة.

أو ليس يجب إن كان ذلك العبد
صرف ذلك المال في الوجه المأمور به أن
يفي له بما وعده من الثواب، وتفضّل عليه
بأن استعمله في دار فانية وأثابه على طاعته
فيها نعيماً دائماً في دار باقية دائمة؟ وإن
صرف العبد المال الذي ملكه مولاه أيام
سكنه تلك الدار الأولى في الوجه المنهيّ
عنه، وخالف أمر مولاه، كذلك تجب عليه
العقوبة الدائمة التي حدّره إيّاها، غير ظالم
له لما تقدّم إليه وأعلمه وعرفه وأوجب
له الوفاء بوعده ووعيده، بذلك يوصف
القادر القاهر.

مع أن البيان والهداية والتعريف
بسبل الخلق هي من صنع الله وليس للخلق
فيها صنع لثلا يحتاج الخلق على الله بانهم لم
يعرفوا الخير من الشر أو الحق من الباطل،
وبعد البيان يكون القبول والرفض وبعد
ذلك يكون الجزاء بحسب نوع الاستجابة.
ثم يعرج سلام الله عليه في بيان الأمر
من خلال ضرب الأمثال، لأن الحق يعرف
بالأمثال والباطل بالجدال فيقول عليه السلام:

(ومثل الاختبار بالاستطاعة مثل
رجل ملك عبداً وملك مالا كثيراً أحبّ
أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه،
فملكه من ماله بعض ما أحبّ ووقفه
على أمور عرفها العبد، فأمره أن يصرف
ذلك المال فيها، ونهاه عن أسباب لم
يجبها، وتقدّم إليه أن يجتنبها ولا ينفق
من ماله فيها، والمال يتصرّف في أيّ
الوجهين، فصرف المال أحدهما في اتّباع
أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتّباع
نهيّه وسخطه، وأسكنه دار اختبار أعلمه
أنّه غير دائم له السكنى في الدار، وأنّ له
داراً غيرها وهو مخرجه إليها، فيها ثواب
وعقاب دائمان.

فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه
مولاه في الوجه الذي أمره به جعل له ذلك



ومحبة المولى فهو الله جلّ وعزّ، وأمّا العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحتته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والأُمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الإستطاعة لاتباع الأنبياء، والإقرار بما أوردوه عن الله عزّ وجلّ، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأمّا وعده فالنعيم الدائم وهي الجنّة، وأمّا الدار الفانية فهي الدنيا، وأمّا الدار الأخرى فهي الدار الباقية، وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان، والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد. وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل^(١).

وأمّا المولى فهو الله جلّ وعزّ، وأمّا العبد فهو ابن آدم المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحتته إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم، والأُمور التي أمر الله بصرف المال إليها هو الإستطاعة لاتباع الأنبياء، والإقرار بما أوردوه عن الله عزّ وجلّ، واجتناب الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس. وأمّا وعده فالنعيم الدائم وهي الجنّة، وأمّا الدار الفانية فهي الدنيا، وأمّا الدار الأخرى فهي الدار الباقية، وهي الآخرة. والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار والامتحان، والبلوى بالاستطاعة التي ملك العبد. وشرحها في الخمسة الأمثال التي ذكرها الصادق عليه السلام أنّها جمعت جوامع الفضل^(١).

وبهذا المقدار ينتهي بنا الكلام في مسائل المعرفة والتوحيد مما صدر عن الإمام الهادي عليه السلام.

الخاتمة:

بعد كل ما تقدم وصل الباحث إلى الاستنتاجات الآتية :

أولاً: كان الإمام الهادي عليه السلام كما أبائهم الصلوات ينهى عن الكلام في ذات الله لأنه لا يزيد الانسان الا تحيراً فحضر البحث في الصفات سواء الذاتية أو العقلية .

ثانياً: كانت مشكلة التجسيم من المشاكل العقديّة التي ظهرت بشكل بارز في زمن الإمام الهادي عليه السلام وما بعده، لذا كان الإمام عليه السلام يحذر أصحابه من القول بالجسمية وكان شديداً في هذه المسألة لأنها تنافي التوحيد الخالص .

ثالثاً: تشكل مسألة العلم محوراً خطيراً في مباحث التوحيد وقد أكد الإمام الهادي عليه السلام أن الله كان عالماً ولا معلوم فالعلم من صفات الذات، وقد أكد الإمام

يبيّن الإمام في هذا المثال مقام العبد وما أعطي من الخالق وما بسط من التصرف في هذا العطاء، فان تصرف به بحسب ما امره المولى كان الشكر الذي هو الجزاء من المولى له وعدا يفني له به وان كان التصرف بحسب هواه وعلى غير إرادة (١) الحراني، تحف العقول، ص ٤٥٨، الكاشاني، مكاتيب الأئمة (معادن الحكمة)، ج ٢، ص ٢٠٤،

لأحد أصحابه أن مسألة العلم صعبة تحتاج إلى عالم عارف بالله مسدد معلوم .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

رابعاً: الصفات الإلهية هي التي فرقت علماء الكلام حتى أطلق على بعضهم (الصفاتية) والإمام الهادي عليه السلام يحذر من إطلاق (صفة) على الله لم يصف نفسه بها، فهي توقيفية ولم يكن للخلق في إطلاقها عليه نصيب.

خامساً: الفعل الإلهي كما يصفه الإمام الهادي عليه السلام ينتظم في سلسلة متعاقبة لا ينبغي لأحد تقديم أفرادها من عند نفسه فمشيئة الله تبدأ بأمره ثم قدره وقضاءه وأجله وكتابه، ثم أما بداء أو إمضاء حيث لا بداء .

١. ابن داود، تقي الدين الحلي، رجال أبي داود، منشورات جامعة طهران، ١٣٨٣ هـ.

٢. ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي السردى (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ - ١٩٦٥ م.

٣. ابن شهر آشوب، رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي السردى (ت ٥٨٨ هـ)، معالم العلماء، المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف .

٤. ابن طاووس الحسيني رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤ هـ)، مهج الدعوات ومنهج العبادات، تقديم وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م ٢.

٥. ابن عنبه، جمال الدين أحمد بن علي الحسيني المعروف (ت ٨٢٨ هـ)، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م.



٦. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين أحمد بن كرم الافريقي المصري ت ٧١١هـ، لسان العرب، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٧. الإريلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٢٥هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة عليهم السلام، تحقيق علي ال كوثر، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لاهل البيت عليهم السلام، دار التعارف، بيروت، لبنان، ٢٠١٢م.
٨. الصدوق، إكمال الدين وإتمام النعمة (كمال الدين وتمام النعمة)، تحقيق وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم المقدسة - ١٤٠٥ هـ.
٩. الصدوق، الأمالي، تحقيق مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، دار الثقافة، قم المقدسة، ١٤١٤ هـ.
١٠. الصدوق، الأمالي، تحقيق: الحسين أستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.
١١. المفيد، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، دار المفيد، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
١٢. البحراني، السيد هاشم بن سليمان البحراني (ت ١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن، الطبعة الثانية، مطبعة آفتاب، طهران.
١٣. البرقي: أحمد بن محمد بن خالد (ت ٢٨٠هـ)، رجال البرقي، نشر جامعة طهران، ت ١٣٤٢.
١٤. التستري، الشيخ محمد تقي، قاموس الرجال، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤١٩هـ.
١٥. الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام، تحقيق حسن الخرسان (ط ٤)، دار الكتب الإسلامية، إيران، ١٣٦٥هـ).
١٦. التوحيد، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة.
١٧. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي إلى أهل الأهواز "الحلقة الثانية: في الجبر"، مجلة تراث سامراء، العدد الرابع، ٢٠٢١.
١٨. الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ)، إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: تعليق وإشراف: أبو طالب تجليل التبريزي، المطبعة العلمية،

صادر، بيروت، ١٣٧٦ هـ، ١٩٥٧ م .

٢٥. الحويزي، عبد علي بن جمعة (قبل ١٠٩١ هـ)، نور الثقلين في تفسير القرآن، المطبعة العلمية، قم، ١٣٨٣ هـ .

٢٦. الخزاز القمي، أبو القاسم علي ابن محمد بن علي، كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، تحقيق السيد عبد اللطيف الحسيني، انتشارات بيدار، قم المقدسة، ١٤٠١ هـ .

٢٧. الخوئي، آية الله السيد أبو القاسم الموسوي ت (١٤١١ هـ)، معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، الطبعة الرابعة، مركز نشر آثار الشيعة، قم المقدسة، ١٤١٠ هـ - ١٣٦٩ هـ ش .

٢٨. الديلمي، الشيخ حسن بن أبي الحسن، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لأحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ .

٢٩. زين الدين العاملي، الشيخ أبو محمد علي بن يونس (ت ٨٧٧ هـ)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق وتصحيح محمد الباقر المحمودي، المكتبة المرتضوية - طهران، الطبعة الأولى،

١٩. الحرائي: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ٥، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٢٠. الحسيني، جمال الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٨ هـ)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، مؤسسة أنصاريان، قم، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٢١. الحلي، الحسن بن سليمان، مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م .

٢٢. الحلي، يحيى بن سعيد، نزهة الناظر في الجمع بين الأشباه والنظائر: تحقيق: السيد أحمد الحسيني ونور الدين الواعظي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ، نشر وتصوير، منشورات الرضي، قم المقدسة .

٢٣. حلية الأبرار في أحوال محمد وآله الأطهار عليهم السلام، تحقيق ونشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ .

٢٤. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغداد



١٣٨٤ هـ.

باغي، مؤسسة الأعلمي، طهران،
١٤٠٤ هـ.

٣٠. الشاهروردي، علي النمازي، ت
(١٤٠٥ هـ)، مستدركات علم رجال
الحديث، مطبعة حيدري، طهران،
١٤١٦ هـ.

٣٦. الطبرسي، أبو علي الفضل بن
الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى،
تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام
لأحياء التراث، قم المشرقة، الطبعة الأولى،
١٤١٧ هـ، مجلد ٢.

٣١. الشرتوني، سعيد الخوري اللبناني،
أقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد،
منشورات، مؤسسة النصر.

٣٧. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي
بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقيق: الشيخ
إبراهيم البهادري والشيخ محمد هادي،
بإشراف سماحة الشيخ جعفر السبحاني،
الطبعة الأولى، انتشارات أسوة، إيران،
١٤١٣ هـ.

٣٢. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن
عبد الكريم بن أحمد، (ت ٥٤٨ هـ) الملل
والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار
المعرفة، بيروت.

٣٨. الطريحي، الشيخ فخر الدين
(ت ١٠٥٨ هـ / ١٧٤٥ م)، مجمع البحرين،
تحقيق سيد أحمد الحسيني، مطبعة طهران،
١٤٠٨ هـ.

٣٣. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي
بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي،
(ت ٣١٨ هـ / ٩٢٩ م)، الأمالي، تحقيق:
قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة،
ط ١، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة
البعثة، طهران، ١٤١٧ هـ.

٣٩. الطوسي، أبو جعفر محمد بن
الحسن ت ٤٦٠ هـ، اختيار معرفة الرجال،
(المعروف برجال الكشي)، تصحيح
وتعليق: حسن المصطفوي، طبعة جامعة
مشهد، ١٣٤٨ هـ. ش.

٣٤. صفات الشيعة: للشيخ الصدوق،
انتشارات أعلمي، طهران.

٤٠. الطوسي، أبو جعفر محمد بن
الحسن ت ٤٦٠ هـ، رجال الطوسي تحقيق
السيد محمد صادق آل بحر العلوم، الطبعة

٣٥. الصفار، الشيخ أبو جعفر محمد
بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ)، بصائر
الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليه السلام،
تقديم وتعليق حاج ميرزا محسن كوجه



الأولى، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٣٨١ هـ، ١٩٦١ م.

٤٨. الكاشاني، المولى محسن الملقب

ب (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١ هـ)،

التفسير الصافي، تصحيح وتقديم: الشيخ

حسين الأعلمي، الطبعة الثانية، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٢ م.

٤٩. الكاشاني، المولى محسن الملقب

ب (الفيض الكاشاني) (ت ١٠٩١ هـ)،

الوافي، تحقيق ونشر: مكتبة الإمام أمير

المؤمنين علي عليه السلام، إصفهان، الطبعة الأولى،

١٤٠٦ هـ.

٥٠. الكشي أبو عمرو محمد بن عمر بن

عبد العزيز، معرفة أخبار الرجال، تحقيق

علي المحلاقي الحائري، مطبعة المصطفوية،

بمبائي، بلات.

٥١. الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب

بن إسحاق، (ت ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م)،

الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران،

١٣٦٥ هـ.

٥٢. المامقاني، الشيخ عبد الله

(١٣٥١ هـ)، تنقيح المقال في علم الرجال،

ط ١، تحقيق محي الدين المامقاني، بيروت،

مؤسسة إحياء التراث، ١٤٣٣ هـ.

٥٣. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي

٤١. العمري، السيد أبو الحسن علي

بن محمد بن علي بن محمد العلوي، المجدي

في أنساب الطالبين، تحقيق: أحمد المهدي

الدامغاني، الطبعة الأولى، مكتبة المرعشي

العامة، قم المقدسة، ١٤٠٩ هـ.

٤٢. العياشي، أبو النضر محمد بن

مسعود، تفسير العياشي، طهران، المكتبة

العلمية الإسلامية، تحقيق رسول المحلاقي.

٤٣. عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح،

السيد مهدي الحسيني اللاجوردي،

انتشارات جهان - طهران - ١٣٧٨ هـ.

٤٤. الفصول المهمة في أصول

الأئمة عليهم السلام، تحقيق وإشراف محمد بن

محمد الحسين القائني، مؤسسة معارف

إسلامي إمام رضا عليه السلام، قم المقدسة.

٤٥. الفهرست، تحقيق جواد القيومي،

ط ٢، مؤسسة نشر الفقاهة، ١٤٢٢ هـ.

٤٦. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن

يعقوب (ت ٨١٧ هـ)، القاموس المحيط،

بيروت، مطبعة دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨.

٤٧. القمي، الشيخ عباس

(ت ١٣٥٩ هـ) الكنى والألقاب، ط ١،



(ت ١١١١ هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٥٤. المحاسن تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، الطبعة الثانية، دار الكتاب الإسلامية، قم المقدسة، ج ١ و ٢.

٥٥. مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ودلائل الحجج على البشر، تحقيق، الشيخ عزة الله المولائي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، ١٤١٣ هـ، ٨ ج.

٥٦. مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول عليه السلام، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ - ١٣٦٣ هـ ش.

٥٧. المرعشي، القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مع تعليقات نفيسة عامة، بقلم العلامة البارع آية الله السيد شهاب الدين النجفي، ٣٨ ج، ٣٨ مج، مطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٩٣ ق.

٥٨. مستدرک سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٩ م.

٥٩. المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، إثبات الوصية للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مؤسسة أنصاريان - قم المقدسة - ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

٦٠. معلوف، لويس، المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الحادية والعشرون، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٣ م.

٦١. المفيد، الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد، الطبعة الثالثة، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٩ م.

٦٢. من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتعليق: السيد حسن الخراسان، الطبعة السادسة، دار الأضواء، بيروت - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.

٦٣. الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة عليهم السلام، تحقيق ومراجعة مجتبیٰ الفرجي، مطبعة دار الحديث، قم، ١٤٣١.

٦٤. النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن العباس (ت ٤٥٠ هـ)، رجال النجاشي، مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين، قم المشرفة.

٦٥. النعماني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (ت ٣٨٠هـ)، الغيبة، تحقيق فارس حسون، طهران، ١٤٢٢هـ.

٦٦. النوري، الميرزا حسين الطبرسي، (ت ١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لأحياء التراث، قم المقدسة، ١٤٠٧هـ.

٦٧. النيسابوري، الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تصحيح وتعليق: الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة الأولى، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

٦٨. ورام، أبو الحسين ورام بن أبي فراس، (ت ٦٠٥هـ)، تنبيه مجلد ١، ج ٢.

٦٩. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

جهود الإمام علي الهادي عليه السلام
في تعزيز نظام الوكلاء
دراسة تحليلية

Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Efforts in
Strengthening the System of Deputies

د. مهدي عصمتي
جامعة الأديان والمذاهب
إيران - مشهد

Dr. Mahdi Asmati
Mashhad Scientific Hawza, Iran



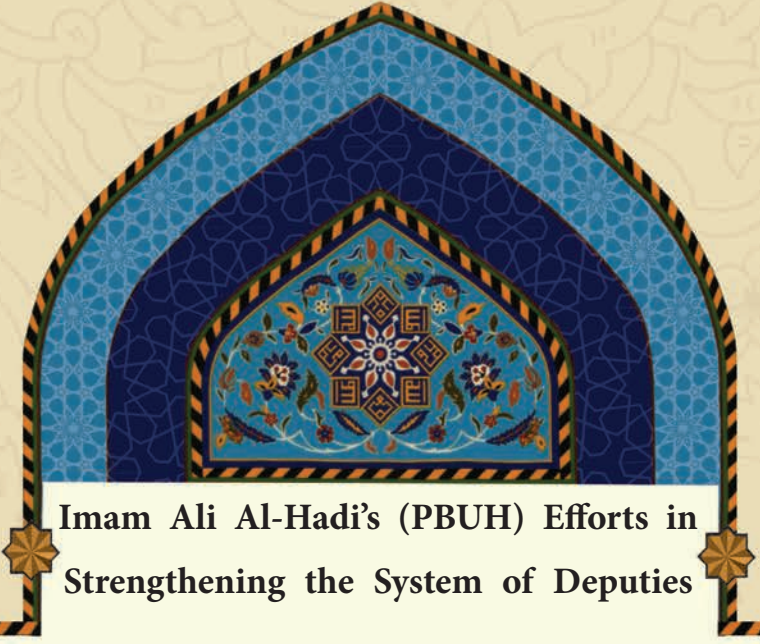
جهود الإمام علي الهادي عليه السلام في تعزيز نظام الوكلاء دراسة تحليلية

الملخص:

إن أهمية إنشاء شبكات تنظيم وتواصل للمحافظة على المجتمعات من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية وتعزيزها وانسجامها لا يخفى على أحد، كما حرص أئمة الشيعة على إنشاء شبكات وتنظيم للتواصل وفقاً للظروف الموجودة في عصرهم، فقد كان الإمام الهادي عليه السلام من بين الأعلام الذين عززوا تنظيم تواصل الوكلاء واسس له، إذ كان أعضاء شبكة التنظيم السري متناسقة ومؤلفة من الأئمة المعصومين وأتباعهم المقربين والمخلصين، وقد تم تأسيسها من أجل المضي قدماً بالأهداف الدينية والمذهبية، حاول هذا البحث شرح النشاطات السرية والمخفية لنظام الوكالة وكيفية تواصل الشيعة معه من خلال تحليل هيكلية الوكالة ووظائفها في عصر الإمام الهادي عليه السلام، كذلك وضمن دراسة السيرة السياسية للإمام النقي عليه السلام فقد تم تحليل دوره في قيادة وتعزيز شبكة الوكلاء؛ وهو الأمر الذي أدى إلى تنظيم المجتمع الشيعي في كافة أنحاء الأراضي الإسلامية خلال العصر العباسي المضطرب.

الكلمات المفتاحية:

الإمامة، الإمام الهادي عليه السلام، سامراء، الشيعة، الوكلاء.



Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Efforts in Strengthening the System of Deputies

Abstract:

Establishing organizational and communication networks to maintain societies economically, politically, culturally, and socially to strengthen society is highly important. The Imams of the Shia also strived to establish networks and organize communication according to the existing circumstances in their time. Imam Al-Hadi (PBUH) was among the prominent figures who strengthened the organization of the deputies' communication and laid its foundations. The members of the secret organizational network were harmonious, consisting of the infallible Imams and their close sincere followers. It was established in order to advance religious and doctrinal goals. The study attempts to explain the secret and covert activities of the deputyship system and how the Shia communicated with it by analyzing the structure and functions of the deputyship in the era of Imam Al-Hadi (PBUH). Moreover, the political biography of Imam Al-Naqi (PBUH), his role in leading and strengthening the network of deputies has been analyzed, which led to organizing the Shia community throughout the Islamic territories during the turbulent Abbasid era.

key words:

Imamate, Imam Al-Hadi (PBUH), Samarra, Shia, deputies.

بهم لديه ويشجعه على الإساءة إليهم، وقد حاز المتوكل على قصب السبق في ظلم أهل البيت واضطهادهم من بين الخلفاء العباسيين وإذا عَرَفَ أن هناك من يجب الإمام علياً فإنه يصادر أمواله ويقضي عليه.^(١)

ولأجل تحقيق أهداف الرسالة الجهادية للإمام عليّ في ظل هذه الظروف، ولتفادي خطر السلطة العباسية فقد كانت هناك جملة من المتطلبات توجب العمل بها لتحقيق هذا الهدف كالتقية، والكتمان، والتخطيط الدقيق، والتحرك في الظروف الصعبة، وتقوية نظام الوكلاء.

أولاً: متطلبات المرحلة السياسية

(١) التقية والكتمان

كان الإمام الهادي عليّ يسير على هدي آباءه عليّ في العفو والصفح عن المسيئين؛ لانتزاع روح الشر والانانية من نفوسهم والصبر على كيد الأعداء والظالمين، ومقابلة الإساءة بالإحسان، ويكون مثلاً على سعة حلمه، موقفه من

تحظى سيرة أهل البيت ومنهم الإمام العاشر علي بن محمد الهادي عليّ بعناية فائقة تحمل بين طياتها أهمية هذه السيرة الوضاعة المفعمة بالمعاني الأخلاقية والتربوية السامية في مجال الوعي التاريخي والديني لشريحة اجتماعية كبيرة من المسلمين حتى ترجمت إلى سلوكيات فاعلة لدى أفرادها، ومن هذا التشكيل تنبثق إشكالية في معرفة كيفية قيام الأئمة ولا سيما الإمام الهادي عليّ في متابعة شؤون أتباعه والاتصال بهم في ظل الظروف الصعبة التي عاشها الإمام عليّ. وبذلك تركز إشكالية البحث على كيفية تعامل الإمام علي بن محمد الهادي عليّ مع وكلائه على الرغم من أنه كان محبوساً في داره أو معتقلاً في السجن، ومن الطبيعي أن الأمة عندما تعيش أجواء الكبت والقمع والاستبداد، يلجأ العاملون في سبيل الله إلى العمل وراء الكواليس، وأي حركة معارضة في التاريخ كانت تتخذ من العمل السري أساساً لتحركاتها إذا لم يسمح لها العمل بصورة علنية، وفي زمن الإمام الهادي عليّ كان المتوكل يسيء معاملة بني هاشم ويضطهدهم كثيراً، وكان يسيء الظن بهم ويتهمهم دائماً، وكان وزيره (عبيد الله بن يحيى بن خاقان) يشي

(١) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٥٥؛ البشواتي، سيرة الأئمة، ص ٥٠٩.



(بريحة) ^(١) عامل المتوكل على المدينة الذي كان يقصد الإمام علياً بالإساءة والوشاية والافتراء والتهديد ومع ذلك فقد قابله بالعفو وكظم الغيظ، كذلك عندما داهمت قوات السلطة العباسية في زمان المتوكل داره في المدينة المنورة وفتشوها بدقة فلم يجدوا شيئاً فيها من متاع الدنيا وزخرفها غير المصاحف والأدعية وكتب العلم، فقد كظم الإمام غيظه من هذا العمل المشين ^(٢) وعندما وشى (البطحائي) ^(٣) بأبي الحسن علياً إلى المتوكل وقال: عنده سلاح وأموال تقدم المتوكل إلى (سعيد الحاجب) أن يهجم ليلاً عليه ويأخذ ما عنده ويحمله

(١) بريحة: هو محمد بن داود عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس العباسي الملقب (ترنجة)، ولاء المتوكل المدينة المنورة ثم عزله سنة ٢٣٣ هـ وولى مكانه ابنه المنتصر، وفي سنة ٢٣٤ هـ حج بالناس في الحرمين الشريفين ثم ولاء المدينة ثم عزله سنة ٢٤٣ هـ ثم نصبه على الصلاة في الحرمين (مكة). للمزيد من التفصيل ينظر: ابن الأثير، أبو الحسن علي، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٣١٢. وينظر: المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، ج ٢، ص ٣٢٦.

(٢) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٦٠.

(٣) البطحائي العلوي محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي علياً، للمزيد من التفصيل ينظر: الكوراني، علي، الإمام علي الهادي علياً عمر حافل بالجهاد والمعجزات، ص ٨٠.

إليه، قال (إبراهيم بن محمد): فقال لي سعيد الحاجب صرت إلى أبي الحسن علياً ليلاً فصعدت إلى السطح ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى الدار فناداني أبو الحسن علياً من الدار: يا سعيد، مكانك حتى يأتوك بشمعة، فأتوني بها فنزلت ووجدت عليه جبة صوف مقبلاً على القبلة ^(٤) فقال لي "دونك البيوت" فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً ووجدت البدرية مختومة بخاتم أم المتوكل وكيساً مختوماً معها، فقال لي أبو الحسن "دونك المصلي" فرفعته فوجدت سيفاً في جفن محبوس، فأخذت ذلك وصرت إلى المتوكل، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرية بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن البدرية، فقالت له كنت قد نذرت في علتك أن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار فحملتها إليه، فأمر أن يضم إلى البدرية بدرية أخرى وقال لي: أحمل ذلك إلى أبي الحسن وأردد عليه السيف والكيس بما فيه، فحملت ذلك واستحييت منه فقلت يا سيدي: عز عليّ

(٤) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤١٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٨؛ القاضي الشوشري، أحقاق الحق، ج ٢، ص ٤٥٢.



العالية.

فقد أجاب (سعيداً الحاجب) عندما أراد تبرير فعلته، بالآية القرآنية: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" (٣).

وهذا يدل على عدم قبول تبريره وهو بمثابة رفض إجراءات السلطة العباسية، لقد استخدم الإمام الهادي عليه السلام بالإضافة إلى التقية أسلوب السرية والكتمان فبالرغم مما كان يردّه من الأموال والكتب واتصالاته المستمرة مع أصحابه ووكلائه فإنه استطاع وفي كل مرات التفتيش من إخفاء مكامن الشك عن الدولة، وكان يستخدم أسلوباً رمزياً حينما يريد التعبير عن أمر محصور في نظر الدولة (٤)، وتعني (الشفرة)، وهذا يعني ان الإمام عليه السلام كان يتحرك بشكل سري، وفي ظل هذه السياسة المتوازنة للإمام علي الهادي عليه السلام أستطاع العمل على خلق جيل جديد يقظ يتعامل معه بسرية تامة وأن يوجهه توجيهاً حركياً قائماً على أساس الرمزية في الخطاب حيناً والتصريح بصورة سرية حيناً آخر ومعنى هذا ان الأمور تجري بينه وبين خلص

دخول دارك بغير اذنك ولكني مأمور، (١) فقال لي: "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" (٢).

نستدل من هذه الرواية عدة حقائق وهي:

(أ) إن الإمام الهادي عليه السلام كان يقابل حالة الهجوم على بيته بحالة طبيعية جداً، بل أنه يدلهم على غرف البيت لتفتيشها وهذا يضعف المهاجم معنوياً ونفسياً.

(ب) قيام الإمام الهادي عليه السلام بتوجيه عدوه إلى مكان المصلى على الرغم من أن الإمام كان يمتلك سيفاً وقد وضعه فيه، وهذا يعطي مبدءاً (شرعيه التملك) وعدم وجود خطر من ذلك.

(ج) إن هذه الحالة التي واجه بها الإمام عليه السلام أعداءه جعلتهم يستحيون لفعلتهم ويتعذرون من الإمام عليه السلام كما فعل سعيد الحاجب.

(د) ان مواجهة الإمام عليه السلام الطبيعية والهادئة لم تكن من موقع الخوف أو الضعف، بل كانت من باب الثبات والثقة

(١) المفيد، الإرشاد، ص ٣٢٨؛ ابن شهر اشوب، المناقب، ج ٤، ص ٤١٥؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١، ص ٦٧٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٤) الشيخ الطوسي، تاريخ الغيبة الصغرى، ص ١٤٩.



أصحابه بكتهان وحذر يصعب التسرب إليه واختراق خطوطه، فالإمام الهادي عليه السلام وعلى سبيل المثال يأمر وكيله عثمان بن سعيد العمري أن يعطي لأحمد بن إسحاق الأشعري وعلي بن جعفر وله مثل أحدهم مبلغ تسعين ألف دينار^(١) وهو مبلغ كبير في حينه، إذ يغلب الظن قوياً أن التكرم بمثل هذا المبلغ كان تسديداً لحسابات ضرورية في عمق اجتماعي وهو بحاجة إليه، وليس ذلك على المستوى الشخصي لسدّ دين أو قضاء حاجة فردية، وإنما كان لمصالح أكبر ومشاريع أعظم فهي إذن نفقات بإزاء المصلحة العامة، فقد حدث أبو جعفر العمري قال حج أبو طاهر بن بلال فنظر إلى علي بن جعفر الهاماني وهو ينفق النفقات العظيمة، فلما انصرف كتب بذلك إلى الإمام الهادي عليه السلام فوقع في رقعته قد كنا أمرنا له بمئة ألف دينار ثم امرنا له بمثلها فأبى قبولها إبقاءً علينا^(٢) ومنذ أن كان الإمام في المدينة المنورة مارس نشاطه باستقطاب أهلها بشكل كامل،

(١) للمزيد ينظر: ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٣، ص ٥١٢.

(٢) ينظر: الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي عليه السلام النموذج الارقى للتخطيط المستقبلي، ص ١٦٦-١٦٨.

حتى أرسل (بريحة) رسالة إلى المتوكل يخبره ان علي بن محمد الهادي قد دعا الناس إلى نفسه، وتبعه خلق كثير وان كانت له حاجة في الحرمين يجب إخراجها منها، ونتيجة لذلك أشخص المتوكل الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء، وعلى الرغم من الإقامة الجبرية في سامراء وتعرض دار الإمام عليه السلام إلى التفتيش مرات عدة وبشكل مباغت للبحث عن المال والأسلحة، ولكن الإمام عليه السلام لم يترك عمله الجهادي ونشاطاته، وإنما مارسها بشكل سري وأوصى أصحابه واتباعه بتجنب الشهرة والتزام العمل السري والتقية في هذه المرحلة^(٣) وكان الإمام عليه السلام يحتاط من انكشاف مصادر التمويل وانكشاف نوعية العلاقات التي تربط الإمام بأصحابه ووكلائه، ولذلك استخدم مع أصحابه الأسلوب الرمزي فلا يتحدث أحد أصحابه - فيما بينهم - باسمه عليه السلام بل يضعون رمزاً متفقاً عليه بينهم، ويروي أحد أصحابه (محمد بن رجاء الارجائي) قال: "كتبت إلى الطيب أني كنت في المسجد الحرام فرأيت ديناراً فأهويت لأخذه"، وهنا لم يستخدم اسم الإمام عليه السلام بل استخدم كلمه (الطيب) تقية، وكذلك استخدموا (العبد الصالح)

(٣) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٩، ص ٣٤٦.

وكلمة (الشيخ) وغير ذلك.^(١)

ومما سبق يمكن القول ان الإمام الهادي عليه السلام كان يعمل ويؤدي رسالته الجهادية ولكن بسرية وكتمان وتقية لأجل نجاح ما كان يدعو إليه من أفكار وقيم الإسلام لتغيير الأوضاع الفاسدة، وهو مثال يجب أن يحتذى به في كل زمان ومكان وحيثما وجدت مثل تلك الأوضاع الفاسدة.

٢) التخطيط والتنظيم الدقيق

كان الإمام الهادي عليه السلام يعمل بتخطيط وتنظيم دقيق جداً ولم يكن يعمل بعفوية وارتجال، فالتعامل مع نظام قوي كالنظام العباسي، وخصوصاً أيام المتوكل يتطلب المزيد من التخطيط الدقيق والحذر الشديد حتى يستطيع ممارسة أنشطته وأعماله في ظل القمع والكبت السياسي، وقد استطاع الإمام عليه السلام ان يتغلغل داخل الجهاز الحاكم وان يجمع المعلومات عن النظام بشكل كبير وان يعمل على تقويضه من الداخل، وبالرغم من قوة النظام خصوصاً في زمن المتوكل إلا ان الحركة الرسالية المنظمة بقيادة الإمام الهادي عليه السلام استطاعت ان تهز أركانه بالانتفاضات

والثورات والاضطرابات المستمرة^(٢) وكما يقول السيد (عبد الحسين شرف الدين): "لا ينتشر الهدى إلا من حيث انتشر الضلال"^(٣) وكان من اللازم والأئمة يواجهون حكماً كالحكم العباسي يقوم على حركة قوية في التقاليد والفكر التنظيمي السري ويعرف أصحابه الكثير من الوسائل والأساليب في هذا المجال ولهذا الحركة انتشار واسع في صفوف الجماهير على الأقل في بدايتها وقبل أن يكشر الحكام العباسيون عن أنيابهم^(٤).

وحيثما كان الإمام الهادي عليه السلام يقود الحركة الرسالية في عهده، لم تخرج هذه الحركة من خطوطها العريضة في العمل الثوري، بل ازدادت في عهد الإمام عليه السلام قوة في العمل ودقة في التنظيم.

وإذا نظرنا للتاريخ نجد أن بداية عهد الرواية عن الأئمة وارتباطاتهم لم تكن

(٢) اليوسف، عبدالله أحمد، سيرة الإمام علي الهادي، ص ٤٢٩.

(٣) الاسدي، مختار، اشكاليات الوحدة الإسلامية عند السيد عبد الحسين شرف الدين، ص ١٢١.

(٤) الصغير، محمد حسين علي، الإمام علي الهادي عليه السلام النموذج الارقى للتخطيط المستقبلي، ص ١٦٧.

(١) فوزي محمد، التقية في الإسلام، ص ٤٤.



بالتوكيل كما عرفنا عن الإمام الهادي عليه السلام حيث كان يوكل نواباً في كل المناطق الإسلامية فقد كان في عهد الأئمة الأوائل، أن الإمام يوثق رجلاً فيؤخذ منه الأحاديث والأموال وتعطى لأي رجل ذاهب للإمام، بينما في عهد الإمام الهادي عليه السلام أصبح الأمر أكثر دقة وتنظيماً.^(١)

فلا شك أن الأئمة وهم يفكرون في تغيير الوضع والحكم القائم، عملوا على انشاء حركة أكثر تنظيماً واشد ترابطاً واعمق كتماناً وسرية من الحركة العباسية لكي يستطيعوا التغلب عليها^(٢) ومن الجدير بالذكر أن الإمام الهادي عليه السلام قد حقق مبدأ التخطيط والتنظيم في عمله الرسالي من خلال جملة من الوسائل والأدوات نذكر منها ما يلي:

(أ) النفوذ في جهاز السلطة

لقد استولى بنو العباس على السلطة وتولوا أمر الأمة بالقهر والغلبة بعد سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢ هـ) وعاثوا في الأرض فساداً، حيث استشرى أمرهم

(٣) محمد بن علي بن عيسى: لعله متحد مع محمد بن علي بن عيسى القمي المعروف بالطلحي، كان وجهاً بقم وأميراً عليها من قبل السلطان، ذكره النجاشي في رجاله وكتب: اخبرنا أبو الفرج محمد بن علي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر قال: حدثنا أبي قال حدثنا: محمد بن أحمد بن زياد عن محمد بن علي بن عيسى بالمسائل، للمزيد ينظر: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الاسدي، رجال النجاشي، ص ٣٧١، تسلسل ١٠١٠.

(٤) للمزيد من التفصيل ينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة "مكاتيب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ومكاتيب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تحقيق مجتبی الفرجي، مطبعة دار الحديث، قم، ١٣٨٧ هـ، ج ٦،

(١) المدرسي، محمد تقی، التاريخ الإسلامي، ص ٣١٣.

(٢) فوزي محمد، عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت، ص ٦٤.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

عليّ السلام وأمرني بالجلوس فلما نظرت إلى القبر بكيت فقال: لا عليك لن يصلوا إلينا بشيء الآن، فحمدت الله، ثم قال: ودع واخرج فلا آمن عليك أن تؤخذ^(٢). ونستدل من هذه الرواية:

(١) القدرة على التغلغل داخل الجهاز الحاكم (الزرافي) صاحب المتوكل كان من أعضاء التنظيم و الحركة التي يقودها الإمام .

(٢) دقة التنظيم في عهد الإمام الهادي عليه السلام حيث نلاحظ في الرواية أن كلاً من (صقراً الكرخي) و(الزرافي) كانا من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام إلا أن (صقر الكرخي) لم يكن يعرف أن الزرافي من أصحابه بينما نلاحظ أن (الزرافي) كان قد عرف صقر الكرخي مما يعني أن (الزرافي) كان في مستوى قيادي داخل التنظيم و الحركة قال: اسكت !! مولاك هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبك !!". (٣) الحفاظ على الكوادر "ثم قال: ودّع واخرج فلا آمن عليك أن تؤخذ" ولا نستبعد أن يكون صاحب البريد من

ولما وافى كتاب الإمام عليه السلام إلى (محمد بن علي بن عيسى) بادر فكتب للإمام عليه السلام: "إن مذهبي في الدخول في أمرهم وجود السبيل إلى ادخال المكروه على عدوه وانبساط اليد في التشفي منهم بشيء أتقرب به إليهم، فأجاب الإمام عليه السلام من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً بل أجراً وثواباً"^(١).

وروى (صقر الكرخي) قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام إلى سر من رأى أحببت أن أسال عن خبره فنظر إلي (الزرافي) حاجب المتوكل ثم أمرني بالدخول فلما انفض الناس! قال: اسكت !! مولاك هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبك !! فحمدت الله، فقال: اتحب ان تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده، فلما خرج قال لغلام له: خذ بيده وادخله الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، فدخلت فإذا مولاي جالس على صدر حصير وبحدائه قبر محفور، فسلمت فردّ

ص ١٤٢-١٤٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٤؛ الصدوق، الخصال، ص ١٣٥ و ٣٩٤؛ الطبرسي، إعلام الوري، ج ٢، ص ٢٤٥؛ اعلام الهداية، ج ١، ص ١٠٩.

(١) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٧، ص ١٩؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٣٧؛ ابن ادريس، مستطرفات السرائر، ص ٦٨؛ اعلام الهداية، ص ١٨٨.



وكنيت في السجن ثمان سنين ثم ورد عليّ منه في السجن كتاب فيه: يا محمد لا تنزل في ناصية الجانب الغربي فقرأت الكتاب فقلت: يكتب إليّ في هذا وأنا في السجن، أن هذا لعجيب!! فما مكثت حتى خلي عني والحمد لله قال:

وكتب إليه (محمد بن الفرّج) يسأله عن ضياعه، فكتب إليه، سوف ترد عليك وما يضرّك ان لاترد عليك، فلما شخص ابن الفرّج الي العسكر كتب إليه برد ضياعه ومات قبل ذلك^(١). ومن خلال هذه الرواية نستدل على الحقائق التالية:

(١) توجيه (محمد بن الفرّج) لأخذ الاحتياطات اللازمة واخفاء القضايا السرية (يا محمد: اجمع أمرك وخذ حذرك). (٢) معرفة الإمام عليه السلام بالأمكان! (يا محمد: لا تنزل ناصية الجانب الغربي) لكي لا يتهم بالرفض، لأن أكثر أهل الكرخ كانوا من الشيعة، وهذا يدل على الاحتياطات الأمنية.

(٣) وجود العيون لدى الإمام عليه السلام لأنه كان في سامراء وصاحبه كان في مصر

أصحاب الإمام عليه السلام إلا أن تأخير (صقر الكرخي) من الدخول وهو موجود عند الإمام قد يكون لظروف أمنية، كذلك فإن (الفتح بن خاقان) الذي كان أكبر وزير في العصر العباسي الثاني، وكان معروفاً بأنه يظهر التشيع للإمام الهادي عليه السلام^(١).

وعندما نرى أن مثل هذه الطبقات توالي الإمام الهادي عليه السلام فإن ذلك يدل دلالة واضحة على رصانة الدور القيادي للإمام الهادي عليه السلام.

ب) توجيه الكوادر

ان على رأس الهرم القيادي أن يوجه القاعدة الشيعية بشكل يضمن سلامة الأفراد وهذا لا يكون إلا حينما تمتلك القيادة (شبكة معلومات) تستطيع من خلاله ان توجه الأفراد بصورة سليمة، تقول الرواية "عن علي بن محمد النوفلي قال: قال لي محمد بن الفرّج: إن أبا الحسن عليه السلام كتب إليه: يا محمد اجمع أمرك وخذ حذرك، قال: فانا في جمع أمري ليس ادري ما كتب به إلي حتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مقيداً وخرب علي كل ما املك

(١) المدرسي، محمد تقى، التاريخ الإسلامي، ص ٣٨٤؛ اليوسف، عبدالله أحمد، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٣٢.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٠؛ الكليني، أصول الكافي، ج ٧، ص ٣١.

(٣) المواقف المبدئية للإمام الهادي عليه السلام

لقد قدم الإمام الهادي عليه السلام نموذجاً رائعاً في كيفية تعامل الشخصية المبدئية مع الطواغيت... ولديه في هذا المجال العديد من المواقف ومنها: وشي إلى المتوكل (بعلي بن محمد الهادي عليه السلام)

ان في منزله كتباً وسلاحاً من شيعته من أهل البيت وانه عازم على الوثوب بالدولة فبعث إليه جماعة من الاثراك فهجموا على داره ليلاً فلم يجدوا فيها شيئاً ووجدوه جالساً على الرمل والحصى ومتوجهاً إلى الله. فحمل على حاله إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد في بيته شيئاً ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة.^(٢)

وكان المتوكل في مجلس الشرب فدخل عليه والكأس في يد المتوكل فلما رآه هابه وعظمه واجلسه إلى جانبه وناولوه الكأس التي كانت بيده فقال الإمام عليه السلام: والله ما يخامر لحمي ودمي قط فاعفني، فأعفاه. فقال المتوكل: انشدني شعراً. فقال عليه السلام: أي قليل الرواية للشعر. فقال المتوكل: لا بد. فأنشده وهو جالس عنده:

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤١٧؛ الطبرسي، إعلام الوري، ص ٣٤٤؛ الراوندي، الدعوات، ص ٢٠٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٩٨.

فكيف تصل إليه الأخبار مع عدم استلزام ذلك لعنصر المعجزة، وكما حصل عندما أمر المتوكل رئيس الوزراء (الفتح بن خاقان) أن يذهب ويأخذ المال من الطريق الفلاني ولكن الفتح أخبر الإمام عليه السلام بالآمر.

(٤) كيف يكتب الإمام رسالة إلى صاحبه وهو في السجن؟ وكيف يستطيع ايصالها إليه؟ وكيف يعطيه التعليمات؟ وهذا يدل على قوة ودقة عمل الإمام عليه السلام.

(٥) ان الإمام عليه السلام قال له: "سيرد عليك اموالك، وما يضررك ألا ترد عليك" وهذا يدل على عدم الاهتمام إلى أمر المال ومتاع الدنيا الزائل.^(١)

وهنا يجب التأكيد على أهمية الاستفادة من معالم طريقة الإمام الهادي عليه السلام في العمل والنشاط في ظل أجواء الاستبداد، وان نستلهم الدروس والعبر منها ونجعلها مصابيح تنير لنا الطريق في العمل الإسلامي فيما لو توفرت الأسباب والدوافع التي دفعت الإمام عليه السلام إلى فعل ذلك.

(١) المدرسي، المصدر السابق، ص ٣٩٥؛ اليوسف، عبدالله أحمد، المصدر السابق، ص ٤٣٤.



باتوا على قليل الإقبال تحرّسهم
غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستزلوا بعد عزّ عن معاقلهم
واسكنوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد دفنهم
أين الأساور والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة
من دونها تُضرب الأستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساء لهم

تلك الوجوه عليها الدود يقتل^(١)
قال: فبكى المتوكل حتى بلّت
لحيته بدموع عينيه، وبكى الحاضرون،
ودفع إلى الإمام عليه السلام أربعة آلاف
دينار ثم رده إلى منزله مكرماً.^(٢)
لقد كان الإمام عليه السلام رمزاً للرفض والثورة
والجهاد في هذا الموقف البطولي مع المتوكل
(١) للمزيد ينظر: جعفر، هاشمية حميد، الوسطية
والاعتدال في مكاتيب الإمام الهادي عليه السلام، ج ٣،
٢٠١٨، ص ٢٠٢.

(٢) الكراجي، الطرابلسي، كنز الفوائد، ج ١،
ص ٣٤٢؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٣،
ص ٢٧٢؛ المجلسي، المصدر السابق، ج ٥٠،
ص ٣٤٩؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٤،
ص ٢١؛ السبحاني، جعفر، الأئمة الاثنا عشر،
ص ١٢٨.

العباسي الذي كان أشد الطغاة إرهاباً
وتنكيلاً بالمؤمنين، حيث قتل العلويين
وأهدر حقوقهم وأباح دمهم، وهنا عبر
الإمام عليه السلام عن استنكاره وموقفه الحازم
وتوجهه نحو عواطف واحاسيس الانسان
بالحديث عن الموت الذي يخشاه الطغاة،
كذلك كان الإمام عليه السلام يشير بأصبعه إلى
المتوكل وهو يقول: (تلك الوجوه عليها
الدود يقتل) وهذا يدل على الموقف الشجاع
والقوي للإمام عليه السلام في مواجهة الطغاة.
وفي رواية أخرى: روى أبو سعيد سهل بن
زياد قال: حدثنا أبو العباس فضل بن أحمد
بن إسرائيل الكاتب ونحن في داره بسامراء
فجرى ذكر أبي الحسن عليه السلام فقال: يا أبا
سعيد إني أحدثك بشيء، حدثني به أبي
قال: كنا مع المعتز وكان أبي كاتبه فدخلنا
الدار وإذا المتوكل على سريرته جالس،
فسلم المعتز ووقف خلفه وكان عهدي به
إذا دخل رحّب به ويأمره بالقعود فأطال
القيام وجعل يرفع رجلاً ويضع أخرى
ولا يأذن له بالقعود ونظرت إلى وجهه
يتغير ساعة بعد ساعة ويقبل عليه (الفتح
بن خاقان) ويقول: هذا الذي تقول فيه
ما تقول ويردد القول والفتح مقبل عليه
ليسكنه ويقول:

مكذوب عليه يا أمير المؤمنين وهو



فلما بصر الخزر خروا سجداً مذعنين فلما خرج دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان ان يخبره بما يقولون ثم قال لهم: لم لم تفعلوا ما أمرتم؟ قالوا: شدة هيئته، رأينا حوله أكثر من مائة سيف لم نقدر أن نتأملهم، فمنعنا ذلك عما أمرت به، وامتألت قلوبنا من ذلك. فقال المتوكل: يا فتح هذا صاحبك، وضحك في وجهه. فقال: الحمد لله الذي بيض وجهه، وأنار حجته.^(٣)

ولاشك أننا عندما نتأمل في هذه الرواية تتضح لنا الابعاد القيادية في شخصية الإمام الهادي عليه السلام وأنه كان قوة يخشاه المتوكل وكل جلاوزته ويعترف المتوكل بذلك بقوله: "ارجع يا سيدي من حيث جئت، يا فتح، يا عبيد الله، يا معتر ! شيعوا سيدكم وسيدي" كذلك فإن المتوكل عندما أبصر الإمام عليه السلام انكب عليه فقبل بين عينيه ويده وسيفه بيده وهو يقول: "يا سيدي يا ابن رسول الله، يا خير خلق الله ... يا ابن عمي ... يا مولاي يا أبا الحسن" وهي حالة فريدة في تعامل

ص ٤١٧؛ الإربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١٨٥.

(٣) اعلام الهداية، ص ١٠٩-١١١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٤١؛ اليوسف، عبدالله أحمد، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٤١.

يتلظى ويقول: والله لاقتلن هذا المرائي الزنديق وهو يدعي الكذب، ويطعن في دولتي^(١) ثم قال جئني بأربعة من الخزر فجيء بهم ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يوطنوا بألستهم إذا دخل أبو الحسن عليه السلام ويقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه وهو يقول: والله لأحرقنه بعد القتل، وأنا منتصب قائم خلف المعتز من وراء الستر فما علمت إلا بأبي الحسن عليه السلام قد دخل وبادر الناس قدامه وقالوا: قد جاء والتفت فإذا أنا به وشفته يتحركان وهو غير مكروب ولا جازع فلما بصر به المتوكل رمى بنفسه عن السرير إليه، وهو سبقه وانكب عليه فقبل بين عينيه ويده وسيفه بيده وهو يقول: يا سيدي يا بن رسول الله، يا خير خلق الله، يا بن عمي يا مولاي، يا أبا الحسن!! وأبو الحسن عليه السلام يقول أعيدك يا أمير المؤمنين بالله (اعفني) من هذا، فقال: ما جاء بك يا سيدي في هذا الوقت؟ قال عليه السلام: جاءني رسولك. فقال المتوكل يدعوك. فقال: كذب ابن الفاعلة ارجع يا سيدي من حيث جئت. يا فتح ! يا عبيد الله ! يا معتر ! شيعوا سيدكم وسيدي^(٢)!!!

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٣٤١؛ اليوسف، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٤٠.

(٢) الراوندي، الخرائج والجرائح، ج ١،



السلطة العباسية مع أهل البيت عليهم السلام المعارضين لحكمهم.

وخلاصة القول في هذه الفقرة: فان فترة الظلم والاضطهاد التي عاشها الإمام عليه السلام أثناء حكم المتوكل العباسي وخصوصاً في سامراء جعلته يتخذ جملة من التدابير والمتطلبات والتي من خلالها يستطيع أن يتم رسالته الجهادية ويحافظ على أصحابه وشيعته من بطش النظام حيث تمثلت بالتقية في عمله والسرية والكتمان والتخطيط الدقيق من خلال التسلل إلى أجهزة الحكم وتوجيه كوادره المستمر نحو العمل المثمر، وفي معظم الأوقات كان رد الإمام عليه السلام عنيفاً موجعاً للسلطة وتجسد ذلك في مواقفه البطولية والشجاعة في مواجهة رأس الحكم المتوكل العباسي، ولأجل أن تستمر المسيرة الجهادية وتحقيق أهدافها وفقاً لشرعية الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام فقد عزز الإمام الهادي عليه السلام تلك المتطلبات من خلال قيامه بتقوية وتفعيل دور وكلاءه وتحصينهم معنوياً وأمنياً ومادياً.

ثانياً: تقوية وتفعيل نظام الوكلاء

لقد مارس الإمام الهادي عليه السلام وظيفته بصفته الإمام والقائد لمواليه

والراعي لمصالحهم بالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بالإمام عليه السلام وبشيعته من تتبع السلطه لهم ومطاردتهم وفرض الإقامة الجبرية على الإمام بعد اشخاصه من المدينة إلى سامراء ليكون قريباً من السلطان وتحت رقابته، وتتجلى لنا مواقف الإمام علي الهادي عليه السلام في هذا الاتجاه في المحافظة التامة على شيعته ورعاية مصالحهم الخاصة والعامة وقضاء حوائجهم وتحذيرهم مما تحوكه السلطة ضدهم، وما يجب ان يتخذوه من حيلة وكتمان لنشاطهم واتصالاتهم حتى لا يقعوا في حبال السلطة الغاشمة التي كانت تتربص بهم وبالإمام عليه السلام الدوائر.

وبسبب هذه الرقابة المشددة والصارمة تجاه الإمام الهادي عليه السلام وشيعته، وخصوصاً المتوكل الذي كان يسيء التعامل مع الإمام عليه السلام لجأ الإمام عليه السلام إلى إتباع الأساليب السرية في اتصالاته بقواعده وبوكلاءه وخواصه، واتباعه.^(١)

ان الرقابة والحصار والإقامة الجبرية وغيرها من ممارسات السلطة لم تفلح في قطع الإمام عليه السلام بشكل كلي عن المناطق التي يمتلك فيها أتباعاً

(١) اعلام الهداية، ص ١٨٧؛ اليوسف، عبدالله، المصدر السابق، ص ٤٢١.



وجماهير تدين بإمامته وتؤمن بمرجعيته، لأنه استطاع أن يكسر بعض حواجز الحصار والاحتجاب القسري عن طريق تفعيل عمل الوكلاء والمكاتبات. ومن هنا كانت له عليه السلام امتدادات واسعة في المواقع الإسلامية، تضمنها له عملية تنظيم الوكلاء والقوام وتفعيل دورهم بحيث كان له وكيل في كل منطقة له فيها أتباع وشيعة ويأترون بامرهم وينضون تحت ولايته وكانوا يتصلون به عليه السلام عن طريق المراسلة أو المكاتبه بسرية تامة ويحجب عليها بجملة توابع تصدر عنه، ومن خلالها يمارس أيضاً عملية عزل وكيل أو تعيين آخر مكانه، ويعطي سائر ارشاداته لهذا وذاك من أصحابه، وكان الوكلاء والقيّمون محتاطون كثيراً في إيصال المال إلى الإمام عليه السلام وفي حمل مكاتباته وتوابعه، وكان الإمام عليه السلام محتاطاً كثيراً في إيصال توابعه إلى أصحابه، حتى أنه كان يضع بعض الرقاق في فاه^(١). ويروي الشيخ الكليني بإسناده عن أحمد بن محمد بن عبد الله، قال: كان عبد الله بن هليل

(١) التحصين التربوي

بالرغم من كل الظروف التي فرضت على الإمام الهادي عليه السلام لعزله عن شيعته ومحبيه فإننا نجد يمارس مسؤولياته التربوية بكل ما يتسنى له من الوسائل التي تكون أبلغ في التأثير، فهو تارة يدعو لبعض الشيعة ويتوجه إلى الله ليقضي حوائجهم، وأخرى يلبي حاجاتهم المادية فيسعفهم بالمال، وثالثة يباشرهم بالكلام الصريح حول المزالق التي تنتظرهم، فهذا أخوه موسى الذي نصب له المتوكل

(٢) ويعنى (عبد الله بن جعفر الصادق عليه السلام) والقائلون بإمامته بعد أبيه هم (الفتحية).

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٥٥، باب ١٤ فصل دعوى الحق والمبطل.

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٣٧؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٥٣٣؛ اعلام الهداية، المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٥.



مصدرة ليوقة في ما هو غير لائق ويفضحه
يفضح أخاه الإمام الهادي عليه السلام فيتصدى
الإمام بنفسه ليوأجه قبل أن يلتقي
بالمؤكل ويحاول أن يبصره بحقيقة ما
ينتظره من مخاوف واطار معنوية.^(١)

فعن علي بن جعفر قال: عرضت
مؤامرتي على المؤكل فأقبل علي (عبد الله
بن يحيى) فقال: لا تتعب نفسك فإن (عمر
بن أبي الفرج) أخبرني أنه رافضي فإنه وكيل
علي بن محمد، فارسل عبيد الله إلي فعرمني
أنه قد حلف ألا يخرجني من الحبس! إلا
بعد موتي بثلاثة أيام. قال: فكتب إلى أبي
الحسن: ان نفسي قد ضاقت وقد خفت
الزيف، فوقع إلي: "أما إذا بلغ الأمر منك ما
قلت فينا، فسأقصد الله تبارك وتعالى فيك"
فما انقضت أيام الجمعة حتى خرجت من
الحبس.^(٢)

ويمكن تلخيص المنهج العام للتربية
وبناء الذات عند الإمام الهادي عليه السلام بما يلي:
(١) التوجيه التربوي من خلال
الاحاديث التربوية التي تُقدم للانسان أهم

المفاهيم الخلاقية والتربوية.

(ب) التأكيد على طاعة الله تعالى.

(ج) التأكيد على أهمية التوجه إلى الله
في الحوائج وعدم طلب الحوائج من غيره.

(د) أهمية الدعاء والالتزام به في بلورة
روح التوحيد والتوكل على الله.

(هـ) الدعاء للمؤمنين .

(و) السعي في قضاء حوائجهم.

(ي) الربط العاطفي بالقُدوة
الصالحة المتمثلة في أهل البيت عليه السلام من
خلال زياراتهم ودراسة سيرتهم.^(٣)

ويتضح من منهج الإمام الهادي عليه السلام
التربوي أنه يؤكد على المفاهيم التربوية
التي جاءت بها شريعة الإسلام والالتزام
بمدرسة أهل البيت عليه السلام وأن يحصن الفرد
نفسه تربوياً من خلال ترسيخ الايمان بالله
تعالى ومواصلة الدعاء لنفسه وللمؤمنين
وكذلك قضاء حوائج المؤمنين والافتداء
بأهل البيت عليه السلام من خلال زيارتهم
ودراسة سيرتهم .

٢) التحصين الأمني

أحاط الإمام اعماله بالسرية

(١) الكليني، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٠٢؛
اعلام الهداية، ص ١٨٢.

(٢) العطاردي، مسند الإمام الهادي، ص ١١٢ -
١٢١؛ اعلام الهداية، المصدر السابق، ص ١٨٢.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٣٦١؛ الإربلي،
كشف الغمة، ج ٣، ص ١٧٦.



وهذا ما تكشفه لنا خطابات الإمام عليه السلام إلى شيعته والتي كانت تحمل بين طياتها أدوات ووسائل مختلفة ومتعددة لمواجهة الظروف التي تحيط بها، وفيما يلي بعض أساليبه ووسائله وتعليماته الخاصة بهذا الصدد:

(أ) الحذر من الكتابة بالشكل الصريح والمكشوف

كان الإمام عليه السلام يحذر أصحابه من تدوين وكتابة بعض الأمور وخصوصاً ما يتعلق بعلاقات ووضع الجماعة الصالحة ومواقفها، فعن (داود الصرمي) (٣) أو ج ١٢، ص ٥٣٣.

(٣) أبو سليمان داود بن مافنة الصرمي، مولى بني قرة ثم بني صرمة منهم كوفي، روى الإمام الرضا عليه السلام ويكنى أبا سليمان وبقي إلى أيام أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام وله مائل إليه: وقد أخبرنا ابن النعمان قال: قال حدثنا ابن حمزة قال حدثنا ابن بطة قال: حدثنا أحمد بن محمد عن داود بها، كما عده الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الهادي عليه السلام، للمزيد ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ١٦١. وينظر: الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٣٨هـ، ص ٣٨٦. وينظر: الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة نشر الفقه، قم، ١٤٢٩هـ، ص ١٢٤.

والكتمان والحيلة إلا بالمقدار الذي تسمح به الظروف، لذلك عمد إلى اتخاذ الوكلاء والقوام التقاة الذين يمثلون خط الإمامة الأصيل في أطراف البلاد الشاسعة ليكون الإمام عليه السلام قادراً على ممارسة دوره في نشر الوعي الديني والعقائدي، والحفاظ على مفاهيم الرسالة والقيم الإسلامية المقدسة والاتصال مع قواعده الشيعية في ظل تلك الظروف العصيبة. (١)

إن وصايا الإمام عليه السلام لاتباعه تظهر مدى اهتمامه بها يجري في الساحة أولاً، ومدى قربه من الاحداث العامة والخاصة ثانياً، وكانت أوامره تصل الجماعة الصالحة بشكل دقيق وسريع بل قد تكون سابقة للأحداث في بعض الأحيان التمكن تلك الجماعة من تجاوز ما يحاك ضدها، كما أن إجراءات الإمام واساليبه كانت مظهراً لعمل حركي وتنظيمي وعلى درجة عالية من الدقة والتخطيط (٢)

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٠؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٣٧؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٢، ص ٥٣٣.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٦، ص ٢٠٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٦؛ ابن الطقطقي، الفخري في الاداب السلطانية، ص ٢٤٣؛ الذهبي، المصدر السابق،



داود الضرير قال: أمرني سيدي بحوائج كثيرة فقال عليه السلام لي: قل كيف تقول؟ فلم أحفظ مثل ما قال لي، فمدّ الدواة وكتب:

"بسم الله الرحمن الرحيم اذكره ان شاء الله والامر بيد الله" فتبسمت، فقال عليه السلام: ما لك؟ قلت: خير. فقال أخبرني؟ قلت جعلت فداك ذكرت حديثاً حدثني به رجل من اصحابنا عن جدك الرضا عليه السلام اذا أمر بحاجة كتب "بسم الله الرحمن الرحيم"، أذكر ان شاء الله فتبسمت، فقال عليه السلام لي: يا داود ولو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً.^(١) وهنا يربط الإمام الكتمان والحذر بمفهوم "التقية" والتي وردت بها أحاديث وآيات كريمة كقوله تعالى: "إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ"^(٢).

فلم تكن أوامر الإمام عليه السلام بهذا الصدد فقط خشية من انكشافها بل كانت تأكيداً لهذا المفهوم الذي عرفت به الشيعة امتثالاً لوصايا الأئمة والقرآن الكريم.

ب) تغيير الأسماء

كان الإمام عليه السلام يذكر في توقيعاته إلى بعض أصحابه وينسبهم إلى (عبيد بن زرارة) وكانوا قد عرفوا بـ: (بني الجهم) وهم من أكابر بيوت الشيعة وأصحاب الأئمة عليهم السلام فعن (الزراري) أحدهم قال: إن ذلك توريةً وستراً من قبل الإمام عليه السلام ثم اتسع ذلك وسمينا به وكان عليه السلام يكتبه في أمور له في الكوفة.^(٣) وكان صحابة الإمام الهادي عليه السلام لا يتحدثون -فيما بينهم- عن الإمام عليه السلام باسمه وانما كانوا يضعون رمزاً متفقاً عليه بينهم مثل (الطيب) أو (الشيخ) أو العبد الصالح لكي لا ينكشف اسم الإمام وعلاقاته معهم.^(٤) (ج) التحذير من الحديث في الأماكن العامة كان الإمام عليه السلام يمنع بعض أصحابه من الحديث والمساءلة في الطريق وغيره من الأماكن التي يكون فيها عيون للسلطان. فعن (محمد بن شرف قال: كنت مع أبي الحسن عليه السلام) أمشي في المدينة فقال لي: ألسنت ابن شرف؟ قلت بلى، فاردت أن أسأله عن مسألة، فابتدأني من

(٣) البراقى، أحمد، تاريخ الكوفة، ص ٣٩٣؛ اعلام الهداية، ص ١٨٧.

(٤) فوزى محمد، مفهوم التقية في الإسلام، ص ٤٤.

(١) العطاردي، مسند الإمام الهادي، ص ٣٠١؛

المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨١؛ الحرافى، تحف العقول، ص ٣٨٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية ٢٨.

هـ) الحفاظ على أصحابه وشيعته

حرص الإمام الهادي عليه السلام اشد الحرص على الحفاظ على أصحابه وشيعته من جور وظلم الحكام، ففي ظل الظروف السياسية الصعبة والمراقبة الشديدة كان الإمام عليه السلام ينبه أصحابه إلى عدم اللقاء به أحياناً وفي أحياناً أخرى النهي عن سؤاله بأسئلة قد تؤدي بالضرر عليهم أو استعمال الأسماء المستعارة أو بالنقبة والكتمان أو تحذيرهم من القيام ببعض الاعمال التي قد تشكل خطراً عليهم . روى (محمد بن الريان بن الصلت) قال: كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أستأذنه في كيد عدو لم يمكن كيده فنهاني عن ذلك، وقال كلاماً معناه تكفاه فكفيته والله احسن غاية، ذل وافقر ومات في أسوء الناس حالاً في دنياه ودينه.^(٤) وعن محمد بن داود القمي، ومحمد الطلحي قال: حملنا مالا من خمس ونذور وهدايا وجواهر اجتمعت في قم وبلادها وخرجنا نريد بها سيدنا أبا الحسن عليه السلام فجاءنا رسوله في الطريق أن أرجعوا فليس هذا وقت الوصول إلينا، فرجعنا إلى قم واحرزننا ما كان عندنا، فجاءنا أمره بعد

غير أن أسأله فقال: (نحن على قارعة الطريق وليس هذا موضع مسألة)^(١) وهذه الواقعة تبين شدة أجواء الرعب السائدة ومدى سرية الإمام الاجبارية بشكل جيد.

د) التحدث بلغات مختلفة

كان الإمام الهادي عليه السلام يستخدم في بعض لقاءاته المهمة لغات أخرى غير العربية من أجل الحفاظ على مضمون اللقاءات بينه وبين الوافدين عليه وعدم معرفة السلطة بها، فتارة يتكلم بالفارسية، أو بالصقلابية وغيرها من اللغات، فقد روى (علي بن مهزيار قال: أرسلت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام غلامي - وكان صقلابياً^(٢) - فرجع الغلام إلي متعجباً، فقلت له: ما لك يا بني ؟ فقال: وكيف لا أتعجب ما زال يكلمني بالصقلابية كأنه واحد منا ! وإنما أراد بهذا الكتمان عن القوم.^(٣)

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠٩، ص ٥٠٩؛ الإربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١٧٥.

(٢) ينظر: المفيد، محمد بن محمد النعمان، الاختصاص، ص ٢٨٩.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب أبي طالب، ج ٤، ص ٤٤٠.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠٩، ص ١٨١؛ اليوسف، عبدالله، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٢٦.



أيام. أن قد أنفذنا إليكم إبلاً غبراء، فاحملوا عليها ما عندكم، وخلوا سبيلها فحملناها واودعناها لله فلما كان من قابل قدمنا عليه. قال عليه السلام انظروا إلى ما حملتم إلينا، فنظرنا فإذا المنايا كما هي^(١).

روى (الحسين بن حمدان الحضيبي): بإسناده عن محمد بن عبد الله القمي قال: لما حملت الطافاً من قم، إلى سيدي أبا الحسن عليه السلام إلى سر من رأى فوردتها واستأجرت بها منزلاً، وجعلت أروم الوصول إليه أو من يوصل إليه تلك اللطاف، فتعذر عليّ ذلك، فكلفت عجوزاً كانت معي في الدار أن تلتمس لي امرأة أتمتع بها، فخرجت العجوز في طلب حاجتي، فإذا أنا بطارق قد طرق بابي وقرعه فخرجت إليه فإذا أنا بصبي منحول، فقلت له: ما حاجتك؟

فقال لي: سيدي ومولاي أبو الحسن عليه السلام يقول لك: قد شكرنا برك وأطافك التي حملتها تريدنا بها، فاخرج إلى بلدك واردد أطافك معك، واحذر الحذر كله أن تقيم بسر من رأى أكثر من ساعة، فانك إن خالفت وأقمت عوقبت فانظر لنفسك. فقلت: إني والله أخرج ولا أقيم، فجاءت

(١) الحافظ، رجب البرسي، مشارق أنوار اليقين، ص ١٥٤؛ المجلسي، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٨٥، رقم ٦.

العجوز ومعها المتبعة، فتمتعت بها وبت ليلتي وقلت: في غدٍ أخرج. فلما تولى الليل طرق باب دارنا ناس وقرعوه قرعاً شديداً فخرجت العجوز إليهم فإذا أنا بالطائف والحارس وشرطة معهما مشعل وشمع، فقالوا لها: أخرجي إلينا الرجل والمرأة من دارك، فوجدتهم، فهجموا على الدار فأخذوني والمرأة ونهبوا كل ما كان معي من اللطاف وغيرها، فرفعت وأقمت في الحبس بسر من رأى ستة أشهر، ثم جاءني بعض مواليه فقال لي: حلت بك العقوبة التي حذرتك منها، فاليوم تخرج من حبسك، فصر إلى بلدك، فأخرجت في ذلك اليوم وخرجت هائماً حتى وردت قم، فعلمت ان بخلافي لأمره نالتني تلك العقوبة^(٢).

ومن خلال هذه الوسائل والأساليب استطاع الإمام الهادي عليه السلام أن يحافظ على أصحابه ووكلائه من عيون السلطة العباسية التي كانت تفرض رقابة مشددة عليه، واستطاع الإمام عليه السلام من خلالها التواصل معهم لإيصال توجيهاته ووصاياه، واجاباته عن استلتهم التي تصل إليه، ويستلم الحقوق الشرعية

(٢) اليوسف، عبدالله أحمد، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٢٦.

والأموال التي كان ينفقها على المحتاجين والفقراء وطلبة العلم.

(٣) التحصين الاقتصادي

لقد ظلت الشيعة عموماً تعاني من سوء الوضع المالي وترزخ تحت الضغوط الاقتصادية منذ رحيل الرسول ﷺ، حيث تم سلب فذك من فاطمة الزهراء سلام الله عليها لأجل إضعاف بني هاشم اقتصادياً، ثم تبعها ما فعله معاوية اللعين تجاه الشيعة وخاصة من بني هاشم فقد قام بقطع العطاء من بيت المال عن بني هاشم محاولة منه لأخذ البيعة من الحسين بن علي عليه السلام لابنه يزيد (لعنه الله)^(١) وقد اتبع العباسيون نفس الأسلوب الذي اتبعه من سبقوهم، فنجد أن أبا جعفر المنصور الدوانيقي - ثاني خلفاء بني العباس - قد أمض في تطبيق سياسة التجويع والافقار على نطاق واسع، وقد شملت سياسة التجويع والافقار والضغوط الاقتصادية الشيعة والعلويين أكثر من غيرهم، غير أن سياسة التجويع والضغوط والمضايقات الاقتصادية التي مارسها (المتوكل) اتخذت أبعاداً أكثر اتساعاً

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٥١١؛ الدنيوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج ١، ص ١٩١.

وخطورة، هذه الأبعاد تمثلت بما يأتي:

(أ) المبالغة في التضييق على الشيعة حتى قيل أنه لم يكن للنساء العلويات ثياب سالمة يرتدينها للصلاة.^(٢)

(ب) قيام (عمر بن فرج الرخجي - والي المدينة ومكة - بمنع الناس من التقرب إلى آل أبي طالب والإحسان إليهم. (ج) مصادرة المتوكل لذك وهو كل ما يملكه العلويون حيث وهبها إلى (عبد الله بن عمر البازيار) وهو أحد أصحابه.^(٣)

(د) عدم امتلاك العلويين في مصر لأي شيء، وعدم التنقل من الفسطاط إلى المدن الأخرى، وعدم انصافهم في الخصومات.^(٤)

وإلى جانب كل ما مارسه المتوكل من ضغوط وتضييق وافقار مضمن ضد الشيعة فإنه كان يعيث بأموال المسلمين ويقوم بتشيد القصور الفخمة وإقامة المجالس

(٢) القمي، عباس، تمت المنتهى، ص ٢٣٨ - ٢٣٩؛ الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩٦. (٣) حسين، جاسم، تاريخ سياسي غيب امام، ص ٨٤.

(٤) البشواتي، سيرة الأئمة الاثني عشر، ص ٥٢٧؛ حسين، جاسم، المصدر السابق، ص ٨٤.

المفعمة بالبذخ والمجون والتبذير.^(١) ونتيجة لسياسة (المتوكل) هذه فقد عانى أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام وبعض شيعته من قطع ارزاقهم والتضييق المالي والاقتصادي عليهم ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم، بسبب ولأئهم لأئمة أهل البيت الأطهار عليهم السلام، ولأجل ذلك كان الإمام الهادي عليه السلام يمارس نشاطاته بشكل سري ويتصل بالشيعّة القاطنين في المدن والمناطق المختلفة ويستلم الحقوق الشرعية والأموال المرسلة من قبلهم بسرية تامة لينفقها بمقدار ما استطاع عليه ويدعمهم مالياً ومادياً لتوفير متطلباتهم الحياتية والمعاشية.^(٢) والشواهد والأمثلة على ذلك كثيرة وعديدة نذكر منها ما يلي:

(١) دعم ثلاثة من أصحابه بتسعين ألف دينار

وفي المناقب دخل (أبو عمر عثمان بن سعيد) و(أحمد بن إسحاق الأشعري) و(علي بن جعفر الحمداني) على أبي الحسن العسكري عليه السلام فشكا إليه أحمد بن اسحق (١) اليعقوبي، تاريخ يعقوبي، ج ٣، ص ٢٢٣؛ البشواتي، سيرة الأئمة الاثنى عشر، ص ٥٢٨. (٢) اليوسف، عبدالله، سيرة الإمام الهادي، ص ٤٤٣؛ البشواتي، المصدر السابق، ص ٥٠٩.

ديناً عليه، فقال: يا أبا عمر - وكان وكيله - ادفع إليه ثلاثين ألف دينار وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار وخذ أنت ثلاثين ألف دينار.^(٣)

وهذا العطاء يعد عملاً فريداً من نوعه في ظل سياسة التجويع التي اتبعها العباسيون.

(٢) دعم أبي هاشم الجعفري بسبيكة

ذهب

عن (داود بن القاسم الجعفري) قال: دخلت عليه بسر من رأى وأنا أريد الحج لأودعه فخرج معي فلما انتهى إلى آخر الحاجز نزل ونزلت معه فخط بيده الأرض خطة شبيهة بالدائرة ثم قال لي: يا عم خذ ما في هذه يكون في نفقتك وتستعين بها على حجبك، فضربت بيدي فاذا سبيكة ذهب فكان منها مئتا مثقال^(٤) وفي رواية أخرى، عن أبي هاشم قال: شكوت إليه قصور يدي فأهوى بيده إلى

(٣) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٤، ص ٤٠٩؛ الطبسي، حياة الإمام الهادي، ص ٢١٤؛ الإربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١٦٦؛ الكعبي، الإمام الهادي، ص ١١٣؛ اعلام الهداية، ص ١٨٩.

(٤) الطبسي، المصدر السابق، ص ٢١٤؛ ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٤، ص ٤٠٩؛ اليوسف، عبدالله، المصدر السابق، ص ٤٤٤.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

ورمل كان عليه جالساً فناولني منه كفاً وقال: اتسع بهذا. فقلت للصايغ: اسبك هذا فسبكه، وقال: ما رأيت ذهباً أشد حمرة منه^(١).

وروى (المجلسي) هذه القصة بشكل آخر حيث يرويه عن (يحيى بن زكريا الخزاعي) عن أبي هاشم الجعفري قال: خرجت مع أبي الحسن عليه السلام إلى ظاهر سر من رأى يتلقى بعض القادمين فابطأوا، فطرح لأبي الحسن غاشية السرج فجلس عليها ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو يحدثنني فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه كفاً وقال: اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت، فخبأته معي ورجعنا فاذا هو يتقد كالنيران، ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: أسبك لي هذه السبيكة فسبكها وقال لي: ما رأيت ذهباً أجود من هذا وهو كهية الرمل فمن أين لك هذا؟ فما أعجب منه، قلت: كان عندي قديماً.^(٢)

وروى (المجلسي) هذه القصة بشكل آخر حيث يرويه عن (يحيى بن زكريا الخزاعي) عن أبي هاشم الجعفري قال: خرجت مع أبي الحسن عليه السلام إلى ظاهر سر من رأى يتلقى بعض القادمين فابطأوا، فطرح لأبي الحسن غاشية السرج فجلس عليها ونزلت عن دابتي وجلست بين يديه وهو يحدثنني فشكوت إليه قصر يدي وضيق حالي فأهوى بيده إلى رمل كان عليه جالساً فناولني منه كفاً وقال: اتسع بهذا يا أبا هاشم واكتم ما رأيت، فخبأته معي ورجعنا فاذا هو يتقد كالنيران، ذهباً أحمر، فدعوت صائغاً إلى منزلي وقلت له: أسبك لي هذه السبيكة فسبكها وقال لي: ما رأيت ذهباً أجود من هذا وهو كهية الرمل فمن أين لك هذا؟ فما أعجب منه، قلت: كان عندي قديماً.^(٢)

ومن الجدير بالذكر فإن هذه الرواية

(١) اعلام الهداية، ص ١٩٠.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٣٨؛ الطبسي، المصدر السابق، ص ٢١٥.

(٣) قضاء دين الاعرابي المؤمن

روى العلامة الإربلي عن (محمد بن طلحة) قال: خرج الإمام الهادي عليه السلام يوماً من سرى من رأى إلى قرية لمهمة عرض له، فجاء رجل من الاعراب يطلبه فقيل له: قد ذهب إلى الموضع الفلاني فقصده فلما وصل إليه قال له: ما حاجتك؟ فقال الاعرابي أنا رجل من اعراب الكوفة متمسك بولاية جدك (علي بن أبي طالب عليه السلام) ركني دين فادح أثقلني حمله، ولم أر من أقصده لقضائه سواك، فقال أبو الحسن: طب نفساً وقر عيناً، وانزله عنده ولما أصبح ذلك اليوم قال له عليه السلام أريد منك حاجة أن لا تخالفني فيها، فقال الاعرابي: لا أخالفك، فكتب أبو الحسن عليه السلام ورقة بخطه معترفاً بها أن عليه مالا للأعرابي واتفق مع الاعرابي أن يطالبه ويغلظ القول عليه ومخالفته أثناء اجتماع الإمام مع جماعته في سر من رأى، ففعل الاعرابي ذلك، فألان أبي الحسن عليه السلام له القول وجعل يعتذر منه، فنقل ذلك إلى



المتوكل فأمر أن يحمل إلى أبي الحسن عليه السلام ثلاثون ألف درهم، وعندما حملت إلى أبي الحسن عليه السلام تركها إلى أن جاء الرجل فقال له: خذ هذا المال واقض منه دينك وانفق الباقي على عيالك واهلك، واعدرنا^(١).

(٤) الدعاء لأبي هاشم

عن عبد الله بن عبد الرحمن الصالحى أنه شكّا أبو هاشم إلى أبي الحسن عليه السلام ما لقي من السوق إليه إذ انحدر من عنده إلى بغداد وقال: يا سيدي ادع الله لي فما لي مركوب سوى برذوني هذا على ضعفه، قال قوّاك الله يا أبا هاشم وقوى برذونك. قال: وكان أبو هاشم يصلي الفجر ببغداد والظهر بسر من رأى والمغرب ببغداد إذا شاء^(٢).

لقد استطاع الإمام عليه السلام ورغم الظروف القاسية ومراقبة السلطة العباسية له ولأصحابه أن يخفف عنهم بعد وقطع ارزاقهم ومصادرة ممتلكاتهم من قبل العباسيين عموماً والمتوكل العباسي بشكل خاص.

ولو تمعنا في سلسلة الأحداث الالفة الذكر لوجدنا أن الإمام الهادي عليه السلام كان يتحمل مسؤولية أصحابه وشيعته من المتمسكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام

(١) الإربلي، كشف الغمة، ج ٣، ص ١٣٩-١٤٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٥، رقم ٥٥ / للمزيد من المعلومات عن هذه القصة مراجعة الفصل الأول في هذا البحث (سيرة حياة الإمام الهادي عليه السلام).

(٢) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٢، ص ٤٤٨؛ اعلام الهداية، ص ١٩٠.

النتائج

في ختام هذا البحث عن نظام الوكلاء في عهد الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام وكيفية تعامله مع وكلائه وبعد الانتهاء من دراسة هذا الموضوع دراسة تحليلية من أبعاده الروحية والأخلاقية والفكرية والسياسية، توصل الباحث إلى النتائج الآتية:

(١) إن الأئمة عليهم السلام كانوا متميزين في جميع الأبعاد والجوانب وانهم مثال رائع للإنسانية وأن الإمام الهادي عليه السلام تميز بمستوى علمي رفيع حيث استطاع بناء صفوة علمية متميزة.

(٢) توضيح مدى معاناة الإمام الهادي والأئمة المعصومين عليهم السلام من سياسة السلطة العباسية الحاكمة والتي تميزت بالدكتاتورية والاستبداد فكان للإمام الهادي عليه السلام الدور المهم والفاعل في تنمية الوعي السياسي والإرشادي للشيعية ليكون القائد الحقيقي الذي التف الناس حوله.

(٣) بين البحث الأساليب والآليات التي اتبعتها الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة الظروف الصعبة من خلال تحصين الجماعة الصالحة والتواصل معهم، واختيار نوعية

الوكلاء ليكون منسجماً مع طبيعة المرحلة وتحدياتها فقد استمرت وكالة بعضهم ومنهم بعد عصر الإمام الهادي عليه السلام.

(٤) استطاع الإمام الهادي عليه السلام التمهيد التدريجي لغاية حفيده الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من خلال تهيئة المجتمع وتحصينه وتفعيل الوكلاء والاحتجاب عن الناس في بعض الأوقات، وبذلك استطاع أن يحفظ هبة ومكانة الامة وأن يحافظ على المجتمع الشيعي من التفتت والانقسام.

التوصيات:

من خلال هذه الدراسة العلمية عن نظام الوكلاء في عصر الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام وكيفية تعامله مع وكلائه انتهى الباحث إلى توصيات عدة وهي:

(١) دعوة العلماء والباحثين إلى تأليف المزيد من الدراسات عن وكلاء الأئمة عليهم السلام وإقامة المؤتمرات والندوات التي تتناول مسيرة أهل البيت عليهم السلام واعتمادهم (لنظام الوكلاء)، لان ذلك يجعله أكثر منهجية وموضوعية وشمولية.

(٢) انشاء مؤسسات خاصة لترجمة تراث الأئمة المعصومين عليهم السلام وخصوصاً فيما يتعلق (بنظام الوكلاء) لتسليط الضوء



على الجوانب الايجابية لعمل الوكلاء كونهم ثقات اجلاء وعدم التركيز على الفئة القليلة التي انحرفت عن خط الوكالة الصحيح .

(٣) الاستفادة من الأدوات والأساليب والوسائل الحديثة في إدارة الأموال الشرعية واتباع نظام مالي ينسجم مع الأسس الحديثة لأجل تعزيز (نظام الوكلاء) من جهة، والاستفادة القصوى من اموال الحقوق الشرعية من جهة أخرى، بحيث يعزز الثقة والاطمئنان عند المؤمنين.

(٤) حث المؤمنين وتوجيههم لأدامه التواصل مع المراجع الدينية لإدارة شؤونهم وحل مسائلهم ومشاكلهم التي تواجههم وكذلك حثهم على تسليم الحقوق الشرعية لهم، لكونهم المرجع الشرعي الوحيد بعد غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وانتهاء مدة السفراء الأربعة.

(٥) توجيه المؤمنين إلى دراسة قضية غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لمعرفة أسبابها والهدف منها ومعالجة الأفكار التي تهدف إلى تشويه هذه القضية المقدسة، كما يجب حث المؤمنين للاستعداد والتهيؤ لظهور الإمام

(١) ابن شهر آشوب، المناقب، ج ٣٢، ص ٣٩٣؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج ٢، ص ٣١٧؛ الشيخ الصدوق، كمال الدين واتمام النعمة، ج ١، ص ٣١٩؛ الكوراني، علي، معجم احاديث المهدي، ج ٣٢، ص ١٩٤.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

في معرفه الأئمة، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م، ج ٢-٣.

٦. الأسدي، مختار، اشكاليات الوحدة الإسلامية عند السيد عبد الحسين شرف الدين، مجلة المنهاج، العدد ٣٨، لسنة ٢٠٠٥.

٧. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)، مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد صقر، دار المرتضى، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م.

٨. البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد، رجال البرقي، منشورات جامعة طهران، ط ١، ١٣٨٣ هـ.

٩. البشوائي، مهدي، سيرة الأئمة عليهم السلام، تعريب حسين الواسطي، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، إيران، ١٤٢٦ هـ.

١٠. الحر العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، التفصيل وسائل الشيعة الي تحصيل مسائل الشريعة، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٣ م.

١١. الحراني، ابن شعبة، أبو محمد الحسن

١. ابن الأثير، ابوالحسن علي ابن أبي الكرم محمد ابن محمد ابن عبدالكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الرقاق، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٤، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م.

٢. ابن الجوزي، ابوالفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.

٣. ابن شهر اشوب، ابوجعفر محمد ابن علي السروي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق وفهرست يوسف البقاعي، دار الاضواء، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١ م.

٤. ابن كثير، ابوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ): البداية والنهاية، اعتني به: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٣٣ هـ، ٢٠٠٢ م.

٥. الإريلي، ابوالحسن علي بن عيسى ابن أبي الفتح (ت ٦٩٣ هـ)، كشف الغمة



بن علي بن الحسين، تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م.

١٢. الحلي، ابو جعفر محمد بن منصور بن أحمد بن ادريس والمعروف بـ (ابن ادريس)، (ت ٥٩٨ هـ)، مستطرفات السرائر، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ط: بلا، التاريخ: بلا.

١٣. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨ هـ)، سير اعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ١١، ١٤١٧ هـ، ١٩٩٦ م.

١٤. الراوندي، قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام، قم، إيران، ط ١، ١٤٠٩ هـ.

١٥. السبحاني، الشيخ جعفر، الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، مجموعه مصادر سيرة النبي والأئمة، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ١٤٣٦ هـ، ٢٠١٥ م.

١٦. الشبستري، الشيخ عبدالحسين، النور الهادي إلى اصحاب الإمام الهادي عليه السلام، المكتبة التاريخية التخصصية، ط ١، ١٤٢١ هـ.

١٧. الصدوق، أبو جعفر محمد ابن علي

بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ): الخصال، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤١٠ هـ، ١٩٩٠ م.

١٨. الصدوق، ابو جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، معاني الأخبار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٣٧٩ هـ ش.

١٩. الصدوق، ابو جعفر محمد ابن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمه في اثبات الرجعه، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران، ١٤٠٥ هـ.

٢٠. الطبرسي، أبو علي الفضل ابن الحسن (ت ٥٤٨ هـ)، اعلام الوري باعلام الهدى، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٨٥ م.

٢١. الطبرسي، محمدرضا، حياة الإمام الهادي عليه السلام دراسة وتحليل، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

٢٢. العطاردي، عزيز الله، مسند الإمام الهادي عليه السلام، دار الصفوة، ط ١، ١٩٩٣ م.

٢٣. فوزي، محمد، عن الجهاد والثورة في حياة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة الوفاء،



بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م. ٢٤. فوزي، محمد، مفهوم التقية في الإسلام، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٤ م.

٢٥. الكليني، محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩ هـ)، أصول الكافي، صححه وعلق عليه: الشيخ محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ، ١٩٩٢ م.

٢٦. لجنة التأليف، اعلام الهداية، الإمام علي ابن محمد الهادي عليه السلام، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام، قم، إيران، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢٧. المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي، بحار الأنوار، مؤسسة أهل البيت، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩ م. ٢٨. المدرسي، السيد محمد تقي، التاريخ الإسلامي... دروس وعبر، دار البصائر، ط١، ١٤٠٤ هـ، ١٩٨٣ م.

٢٩. المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري، البغدادي (ت ٤١٣ هـ)، الإرشاد، مؤسسة التاريخ يعقوبي، بيروت، لبنان، ط١، بلا.

٣٠. اليوسف، عبد الله أحمد، سيرة الإمام

٣١. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الفهرست، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ١٤٢٩ هـ.

٣٢. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٣٨ هـ.

٣٣. جعفر، هاشمية حميد، الوسطية والاعتدال في مكاتيب الإمام الهادي عليه السلام، وقائع المؤتمر العلمي الأول بعنوان "الإمام علي الهادي عقب النبوة والسلم المجتمعي، بإشراف مركز تراث سامراء، ج٣، ٢٠١٨.

٣٤. الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة "مكاتيب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ومكاتيب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تحقيق مجتبی الفرجي، مطبعة دار الحديث، قم، ١٣٨٧ هـ، ج٦.

٣٥. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الأسدي، رجال النجاشي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم، ١٤٣٩ هـ،

ص ٣٧١، تسلسل ١٠١٠.

٣٦. الصغير، محمد حسين علي، الإمام
علي الهادي عليه السلام النموذج الارقى للتخطيط
المستقبلي، طبع مؤسسة البلاغ، بيروت،
٢٠٠٨.

٣٧. الكوراني، علي، الإمام علي
الهادي عليه السلام عمر حافل بالجهاد والمعجزات،
الناشر مركز تراث سامراء، مطبعة الكفيل،
كربلاء المقدسة، ٢٠١٨.

٣٨. المفيد، محمد بن محمد النعمان،
الاختصاص، صححه وعلق عليه علي
أكبر الغفاري، ورتب فهارسه السيد محمود
الزرندي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي
لجماعة المدرسين، إيران، قم.

علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة
دراسة تحليلية

The knowledge of Imam in Light of
Comprehensive Visit: An Analytical Study

د. إبراهيم مرتضوي
جامعة المثقفين
إيران - قم

Dr. Said Ibrahim Mortadhawi
University of Intellectuals, Qom

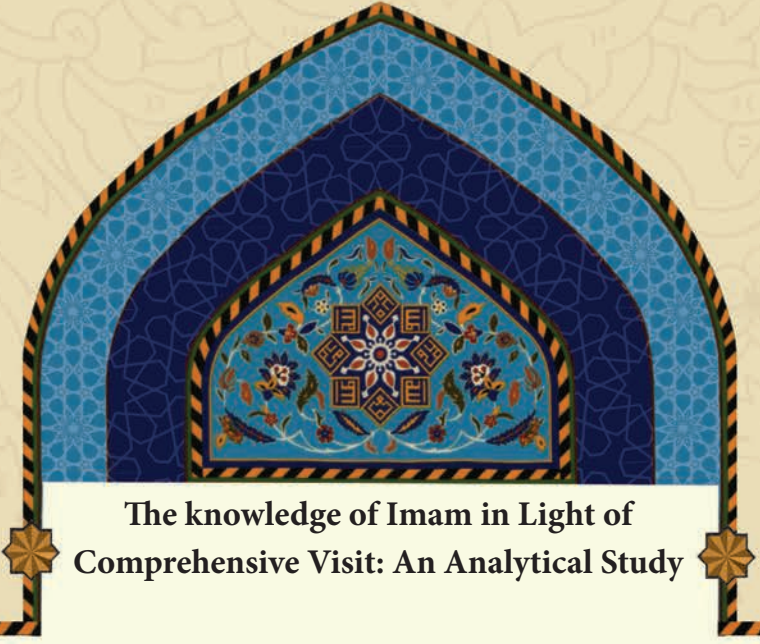


الملخص:

الزيارة الجامعة الكبيرة للإمام الهادي عليه السلام من المنقولات المهمة والمعتمدة التي تحتوي على معارف عالية ومن بينها قضية "علم الإمام بالغيب"، باعتبار أن الموضوع المذكور مطروح في هذه الزيارة بعبارات مختلفة مثل: "خزان العلم" - وهو موجز ومختصر جداً؛ وقد بحثت في هذا البحث الموضوع وتناولته باستخدام المنهج الوصفي التحليلي واستخدام الأدلة القرآنية. والنتيجة هي: أن في الزيارة الجامعة من مبدأ معرفة الإمام بالغيب أمر مؤكد ينبع من مصادر مختلفة مثل: "الكتب السماوية" و"الوحي والملائكة" و"العلوم الموروثة عن الأنبياء"، لكن هذا العلم ليس علماً مستقلاً ولا يقتصر نطاقه على إطار معين، ولكن يمكن توسيع نطاقه وتحفيز كوامنه، ووفقاً لمتطلبات الإرشاد؛ لذلك يجب عدُّ علم الإمام علماً تطوعياً (ارادياً).

الكلمات المفتاحية:

الإمام الهادي عليه السلام، الزيارة الجامعة الكبيرة، علم الإمام، القرآن والروايات.



The knowledge of Imam in Light of Comprehensive Visit: An Analytical Study

Abstract:

The Great Comprehensive Ziyarat of Imam Al-Hadi (PBUH) is one of the important and authoritative transmitted texts containing profound knowledge, as the issue of "the unseen Imam's knowledge". This topic is raised in this Ziyarat with different expressions like "The Treasures of Knowledge", which is very concise and brief. In this study, I have examined and explained this topic using a descriptive analytical approach and drawing on Quranic evidence. The conclusion is that the Great Comprehensive Ziyarat confirms the principle of the Imam's knowledge of the unseen from various sources such as "divine books", "revelation and angels", and "the sciences inherited from the prophets". However, this knowledge is not an independent absolute knowledge, but its scope can be expanded and its latent aspects stimulated, according to the requirements of guidance. Therefore, the Imam's knowledge should be considered voluntary knowledge.

key words:

Imam Al-Hadi (PBUH), The Great Comprehensive Ziyarat, Imam's knowledge, Quran and narrations.

وهو يعتمد على الإرادة، يعنى اذا أراد الإمام ان يعلم شيئاً علم، وإلا فلا^(٣).

كل هذه الاختلافات في وجهات النظر لها أصل روائي، لأنه في العديد من الأدلة حول معرفة الإمام هناك اقوال مختلفة لا يمكن الجمع بينها - في كثير من الاحيان - ، فطريقة واحدة لتقليل الاختلافات المذكورة هي فحص كل من المنقولات المتعلقة بهذه المسألة بشكل منفصل، مثلاً بحث واحد يتحدث عن علم الإمام في الأدعية فقط، وبحث آخر يعالجه في الزيارة، وبحث ثالث يتولاه في الروايات المتعلقة بالإمام، وقس على ذلك. ثم ينبغي مقارنة النتائج التي تم الحصول عليها من هذه الاستطلاعات مع بعضها البعض، وبناءً على المنفعة المذكورة أعلاه، فإن هذا البحث يركز على الزيارة الجامعة الكبيرة للإمام الهادي عليه السلام، كما يهدف إلى بيان علم الإمام ودراسته لكي يتضح لنا ما مدى علم الإمام وشموله من وجهة هذه الزيارة؟ ما طبيعتها؟ ومن أي مصادر ينشأ؟

لقرون خلت وحتى الآن كانت هناك نقاشات كثيرة بين العلماء حول (٣) ينظر: الصالحي، حكم المرأة في الفقه الإسلامي، ص ٢٥٨.

يعد علم الإمام من الموضوعات التي تم الحديث عنها كثيراً في الروايات. الموضوع الأساسي فيها هو انتفاع الإمام بالعلم، وهو أمر متفق عليه، والقضية الأساسية الخلافية ما مدى علم الإمام؟ وما طبيعته؟ ولكن بشكل عام هناك ثلاثة مناهج عامة في ما يتعلق بعلم الإمام وهي: ١- قد رفض بعض العلماء إبداء رأي محدد في هذا الأمر، ويعتقدون أنه لا يمكن التوصل إلى نتيجة واضحة فيه، والأدلة العقلية والنقلية لا تعطي أحكاماً واضحة ومحددة حول هذا الموضوع، لذلك فالأفضل إحالة حقيقة الأمر إلى الإمام نفسه^(١)، ٢- وعلى وجهة نظر أخرى معرفة الإمام شاملة وغير محدودة النطاق^(٢)، ٣- ولعلماء المنهج الثالث قول آخر هو أن علم الإمام علم غير شامل،

(١) ينظر: الانصاري، فرائد الأصول، ج ١، ص ٣٧٤

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٠، ص ٥٩؛ مثلاً يقول العلامة ناقلاً رواية عن الإمام الرضا عليه السلام أن علم الإمام يشمل ما كان وما يكون الى يوم القيامة (الصفحة نفسها) ولكن المحتوى الرئيسى للعلامة في هذا الموضوع موجود في بحثه الذي كتبه لعلم الإمام، اذا شئت راجعه.



هذا الموضوع، وقد تمت كتابة العديد من الأعمال، وبعض هذه الأعمال تعامل معها بشكل مستقل والبعض الآخر أجرى مناقشات مفصلة في الآراء والعقائد وهي: "علم الغيب" للشيخ جعفر السبحاني و"علم الإمام" للشيخ محمد حسين المظفر و"مصادر علم أئمة الشيعة" للسيد محمد جعفر السبحاني، و"علم الإمام من وجهة نظر الإمامية" التي كتبها ناصر الدين أوجاقي (من القرن الأول إلى القرن السابع الهجري)، و"علم الغيب" كتبه علي نمازي و"مجموعة المقالات عن علم الإمام" بقلم محمد حسن نادم ومقالات أخرى مثل "علم الإمام من وجهة نظر الشيخ المفيد والعلامة الطباطبائي" من إبراهيم عليبور و"نطاق علم الإمام في فكر علماء الشيعة" كتبه محمد رضا بهدار، ويتركز نطاق تحقيقها على نطاق علم الإمام، كما أن الموضوعات غير معروضة بشكل كافٍ في بعض الأعمال المكتوبة الأخرى.

المبحث الأول: مساحة علم الإمام

في هذا المبحث نريد أن نتحدث عن مدى علم الإمام ولكن قبل ذلك سوف نشرح قليلاً عن معنى العلم.

حقيقة العلم هي اكتشاف أشياء خارج العقل من خلال الشكل العقلي^(١)، ان العلم - كما قال الباحثون على قسمين: الذي يتم تحقيقه من خلال الحس والعقل والتجربة^(٢) وتقابله العلوم العملية والمصاديق الوضعية الاعتبارية التي نضعها للعمل في خلال حياتنا، والاستناد إليها في مستوى الاجتماع الإنساني فنستند إليها في إرادتنا ونعلل بها أفعالنا الاختيارية، لكن ذلك إنما هو بحسب الوضع لا بحسب الحقيقة والواقع كالأحكام الدائرة في مجتمعاتنا من القوانين والسنن والشؤون الاعتبارية^(٣)، من خلال تقسيم العلم إلى فئتين "الحضوري" و"الحصولي" فيقال إن العلم الحصولي هو الصورة النفسانية وهو غير مستقر، والعلم الحضوري مثل

(١) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٠.

(٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٤٧-٥٠.

(٣) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٥٣.



النوبختي^(٤)، تطورت هذه الفكرة تدريجياً وفي العصور الأخيرة أصبحت الفكرة السائدة في أذهان المتكلمين والمحدثين وعلماء الدين، وبعضهم مثل محمد رضا المظفر^(٥)، آية الله المرعشي النجفي^(٦)، والعلامة الطباطبائي^(٧)، الجوادى الآملي^(٨) وغيرهم ذهبوا إلى هذا المنهج. وهناك نهج آخر وهو ضد نهج اللانهايي إذ يقول: لعلم الإمام حدّ محدد وليس لانهائياً^(٩)، وبحسب هذا النهج يتلخص علم الإمام في نطاق الشؤون الظاهرية للأحكام الشرعية والإمامة^(١٠)، ويرى البعض أنه قبل القرن الثاني عشر - كما قيل - كان علماء الإمامية

الملاحظة وله طبيعة مستقرة وأكثر فائدة من العلم الحسولي^(١١)، في فئة أخرى تنقسم معرفة الإمام إلى نوعين: "المعرفة غير المرئية" و"المعرفة المكتسبة بالطرق العادية"، فالغيب يعني حقائق الكون وكل ما هو أبعد من إدراك الإنسان وفهمه^(١٢) ومصدر هذه المعرفة بإذن الله (ليس بمعزل عن الله)^(١٣) وعلم الإمام تركيب إضافي، وفي هذا البحث تعني علم الغيب للنبي ﷺ والأئمة وغيرهم من المعصومين عليهم السلام

المطلب الأول: الاطار النظري (تحديد مساحة علم الإمام)

في مساحة علم الإمام وجهات النظر متعددة، بعض العلماء يقولون علم الإمام لا نهاية له، ويشمل الجميع من العلم بضمائر وأسرار الناس واللغات واللهجات والصناعات وأحداث الماضي والمستقبل و.... و، الخ، من المؤيدين المتقدمين لهذا الرأي إسماعيل بن إسحاق

(٤) المفيد، الإرشاد، ص ٢٧.
(٥) المظفر، علم الإمام، ص ٢٣ - ٢٤.
(٦) استادي، رضا، قصة كتاب الشهيد الجاويد، ص ١٩٢.
(٧) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٨، ص ١٩٢.
(٨) الجوادى الآملي، التشابه بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام، ص ٢٢٠.

(٩) ينظر: المفيد، الإرشاد، ص ٦٧.
(١٠) الطوسي، تلخيص الشافي، ج ١، ص ٢٤٥؛ ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج ١، ص ٢١١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص ٥١٧.

(١١) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ٦، ص ١٧٢؛ ج ٨، ص ١٦٣.

(١٢) ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٤٦.

(١٣) الطباطبائي، الدراسات الإسلامية، ص ٣٥٦.

يعدّون معرفة الإمام محدودة.^(١)

المطلب الثاني: مساحة علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة

من العلماء إلى هذه الزيارة بنظرة إيجابية^(٤)، تعدّ الزيارة الجامعة الكبيرة زيارة شاملة تفصح عن كرامة ومكانة أهل البيت في الكون، يتوافق السياق العام لهذه الزيارة تمامًا مع السياق العام للتعاليم القرآنية وموضوعاته بحيث لا يمكن إصداره لأشخاص غير المعصومين^(٥).

في ما يتعلق بعلم الإمام في الزيارة الجامعة الكبيرة يجب أن نشير إلى عبارة "خُزَانُ الْعِلْمِ"^(٦). فإن كلمة "خزان" من وجهة نظر علم الصرف هي اسم المبالغة وجمع التكسير لكلمة "خازن"، وكلمة "الخازن" تعني "الحارس" و"صاحب المفتاح"^(٧)، ومذكور في رواية أخرى بنفس الموضوع: "هُم خُزَانِي عَلَى عِلْمِي"^(٨)، وبحسب هذه العبارات فإن الأئمة عليهم السلام هم حراس علم الله ويحفظونه ككنز ثمين، وقد

الزيارة الجامعة الكبيرة هي زيارة رواها "موسى بن عمران بن يزيد النخعي" عن الإمام الهادي عليه السلام، وأول من روى هذه الزيارة هو الشيخ الصدوق الذي ذكرها في كتابي "من لا يحضره الفقيه" و"عيون أخبار الرضا" - مع اختلاف طفيف في سند الزيارة^(٢).

تعدّ هذه الزيارة من الزيارات الأكثر موثوقية على الرغم من وجود "موسى بن عبد الله" في سلسلة رواة هذه الزيارة - من وجهة نظر علماء الحديث المتأخرين - فهي لا تعدّ رواية صحيحة من حيث الوثاقة، ولكن علماء مثل العلامة المجلسي يعتقدون أنها من أصح الروايات وأقوى الكلمات وأفصح المعاني^(٣)، وقد نظر كثير

(٤) ينظر: الحر العاملي، الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، ص ٢٢٣؛ وينظر: الشهيد الثاني، مسالك الافهام، ج ٢، ص ٢٣.

(٥) ينظر: الجواد الآملي، ادب فناء المقربين، ج ١، ص ٨٨.

(٦) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٠.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٣٩.

(٨) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٧٥.

(١) ينظر: رهبر، إعادة التفكير في علم الإمام، ص ٣٤.

(٢) ينظر: الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦٠٩.

(٣) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١٤٤.



وَأَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ، وَأَمَّا عِلْمُهُ الْعَامُّ فَإِنَّهُ عِلْمُهُ الَّذِي أَطْلَعَ عَلَيْهِ مَلَائِكَتَهُ الْمُقَرَّبِينَ وَأَنْبِيَاءَهُ الْمُرْسَلِينَ، وَقَدْ وَقَعَ إِلَيْنَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ^(٤)؛ كما تم ذكر بعض الأمثلة على هذا العلم الخاص في القرآن ^(٥). ومع ذلك من أجل شرح هذه المناقشة نحتاج إلى بعض المقدمات والتي سنناقشها أكثر.

المراجعة والتحليل الفكري:

للتحليل العقلاني لهذه المسألة نتبع النتيجة بذكر المقدمات مما يلي:

النقطة الأولى: في التعاليم القرآنية، إن الله الذي تكون معرفته بالأشياء كاملة وأفعاله هي الكمال المطلق ^(٦)، لم يخلق العالم عبثاً ^(٧) ويهدي كل الكائنات إلى كمالهم ^(٨). وهنا تطلبت حكمة الله أن يرسل الأنبياء

ذكر في رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام: "وَاللَّهِ إِنَّا لَخَزَانُ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، لَا عَلَى ذَهَبٍ وَلَا عَلَى فِضَّةٍ إِلَّا عَلَى عِلْمِهِ" ^(١)، قد جاء في هذه الزيارة عبارة "عِيَّة علمه" ^(٢) والتي يمكن تفسيرها بنفس الطريقة مع كلمة "خزان"، يمكن أيضاً تفسير العبارات الأخرى مثل "معادن حكمة الله"، "حفظه لِسره"، "محال معرفة الله" و... الخ وفي هذه الزيارة وفي نفس السياق.

في ما يتعلق بهذه التعابير وكيف تمثل هذه العبارات نطاق المعرفة للأئمة عليهم السلام، لا بد من الإشارة إلى نقاط أولية، ولكن قبل ذلك لا بد من ذكر هذا الأمر: المعنى الأول الذي تشير إليه كلمة "خزان" هو أن علم الإمام ليس مستقلاً، بل مرهون بإذن الله، كما قد أشار إليه في القرآن الكريم ^(٣)، وهذا العلم - كما تستنبط من الزيارة - ذو إطلاق، ومع ذلك في بعض الروايات تم ذكر الافتراضات التي تعتبر بعض المعرفة محدودة بالله، كما ورد في رواية: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عِلْمًا خَاصًّا وَعِلْمًا عَامًّا، فَأَمَّا الْعِلْمُ الْخَاصُّ فَالْعِلْمُ الَّذِي لَمْ يُطْلَعْ عَلَيْهِ مَلَائِكَتُهُ الْمُقَرَّبِينَ" ^(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٤٧٤.

^(٢) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١١.

^(٣) سورة الجن، الآيات ٢٦-٢٧.

(٤) الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٠٩.

(٥) سورة لقمان، الآية ٣٤.

(٦) سورة النمل، الآية ٨٨.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٩١.

(٨) الهدف الأسمى من الخلق البشري هو العبودية (سورة الذاريات، الآية ٥٦) والتي وفر الله لها مجال الاختبار (سورة الملك، الآية ٢) وأعطى العلم والمعرفة (سورة الطلاق، الآية ١٢) للإنسان، ونتيجته النهائية هي الغرق في كثرة رحمته (سورة هود، الآية ١١٩).



لتعريف الناس بهدف الخلق وتحقيقه^(١)، كما يقوم نبي الإسلام على أساس الوحي الإلهي^(٢)، بإبلاغ استمرار تدفق الهداية الإلهية من قبل الأئمة عليهم السلام لدرجة أنه حسب رواية الإمام الرضا عليه السلام سيتم تدمير أركان الوجود دون وجود دليل إلهي^(٣).

النقطة الثانية: لقد وعد الله المؤمنين برحمته أن يهديهم من الظلمات إلى النور^(٤) لذلك يمكن اعتبار تعيين "إمام" من الأمثلة البارزة لرحمة الله^(٥)، في الواقع فإن منصب الإمامة هو موقف تحقيق أهداف الخلق، والإرشاد بمعنى "الايصال إلى المطلوب"، وليس مجرد "توفير الطريق"، بالإضافة إلى ذلك يتضمن أيضًا الهداية التكوينية، ومن هذا المنطلق فإن الإمام مثل الشمس التي تنبت بأشعته الحية النباتات وتحيي الكائنات الحية، ويقوم الإمام بالدور نفسه في الحياة الروحية^(٦).

(١) محمدى، شرح كشف المراد، ص ٣٤٨.

(٢) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٣) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٠٤.

(٤) سورة الاحزاب، الآية ٤٣.

(٥) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٠١.

(٦) الشيرازي، مكارم ناصر، التفسير الامثل، ج ١، ص ٤٣٨.

النقطة الثالثة: العالم مجموعة متناغمة^(٧) ومن وجهة النظر الفكرية، فمن الواضح أن أي تغيير فيه يكون له تأثير على حركة الكائن ونحو هدفه النهائي، وبما أن دور الإمام في الهداية التكوينية والتشريعية للعالم هو دور عالٍ وفريد من نوعه، فمن الضروري أن يستفيد الأئمة عليهم السلام من كل ما يوفر وسائل هداية العالم؛ رغم أنه من الواضح أن فهم نوع البشر مستبعد من فهم قدرة الإمام في أستيعاب وفهم بعض العلوم.

النقطة الرابعة والنتيجة: بحسب التعاليم القرآنية إن الدور الفريد للإمام في نظام هداية العالم يقتضي أن يطلعه الله بكل الأمور التي تجعله ناجحاً في هداية البشر بأنواعهم المتعددة والمختلفة ولهذا فإن قضية الهداية يمكن أن يكون نطاقها واسعاً جداً وتشمل قضايا مختلفة في ابعاد شتى، هذا الدليل يعزز النطاق اللامحدود لعلم الإمام ولكن لنفحص تفاصيلها بناءً على الروايات الصحيحة (ستأتي تفاصيلها فيما بعد)، والجدير بالذكر أن كلمة "اللامحدود" تشير إلى نوع نظرة الأشخاص الذين لديهم معرفة محدودة، وإلا فمن الواضح أن علم الإمام ليس بعلم ذاتي ولا يشمل علم الله (٧) سورة الملك، الآية ٣.



الله^(٢)، وفي بعض هذه الأحاديث كان الإمام ينكر أحياناً علم الغيب في حضور أصحابه، وقد جاء في الحديث أن "أبا بصير دخل مجلساً مع بعض كبار أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. دخل الإمام إلى المجلس غاضب وقال: "يا عَجَباً لِقَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّا نَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ، إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لَقَدْ هَمَمْتُ بِضَرْبِ جَارِيَّتِي فَلَأَنَّهُ فَهَرَبَتْ مِنِّي فَمَا عَلِمْتُ فِي أَيِّ بُيُوتِ الدَّارِ..."^(٣)، أو أنهم عبروا عن عدم علمهم بزمان وفاتهم^(٤).

وبحسب بعض الروايات الأخرى فإن الأئمة لم يخبروا كل الحقائق؛ بسبب عدم القدرة من الناس على تقبل الأسرار^(٥)، ومن ناحية أخرى هناك روايات كثيرة تتعلق بمعرفة الإمام اللاحدودة، ومن الممكن اقتراح شرح موجز لها، كما جاء في رواية قول المعصوم: "إنني أرى السماء والأرض وما فيهما، الدنيا والآخرة، والماضي والمستقبل كما

كله، بل هو علم مأذون من الله وليس له أي استقلال لأنه من وجهة النظر العقلية يوجد فرق جوهري بين الخالق والمخلوق، والمخلوق ليس لديه مقدرات وسعات وصفات بقدر الخالق لكي يعثر على صفاته الكاملة.

شرح المستندات النقلية:

إن التحليل الفكري - الذي سبق ذكره - لم ينفِ اللاحدودية والنطاق اللاحدود لعلم الإمام، بل إثبات خارج نطاق التحليل الفكري، نظراً لذلك إلى تفسير "خزان العلم" ينبغي أن يعلق على الروايات الأخرى ليفهمها بشكل أفضل، هناك بعض الأحاديث في المصادر الروائية تنكر النطاق اللاحدود لعلم الإمام؛ وقد سبق ذكره مثلاً. وفي ما يلي سنذكر بعض الروايات الأخرى، فقد روى في رواية صحيحة عن أبي بصير أنه سأل الإمام الصادق عليه السلام عن علمه بنقط المطر وعدد النجوم وعدد الأوراق على الشجر وحجم الماء في البحار وما بداخلها واعتبر الإمام علمه حصرياً عند الله^(١)، وفي رواية أخرى نفى علم الإمام بنهاية الحياة ووقت ظهور إمام الزمان عليه السلام ويعدّ علمه حصرياً عند

(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ص ٢٠٧.

(٥) ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٦٤.

(١) الكشي، رجال الكشي، ص ٢٩٩.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

أرى كف يدي"^(١). أو في رواية أخرى: "إذا كانت الجدران حجابنا كحجابك، إذن نحن وأنتم سواسية"^(٢).

وعليه، فإن الروايات المتعلقة بإنكار المعرفة اللامحدودة للإمام يمكن أن تنتقل إلى إنكار المعرفة الذاتية والمستقلة للأئمة، أو يمكن عدّها تقيّة للحفاظ على حياة التابعين أو الحفاظ على الأسرار الخاصة ونفي الغطرسة، وكمثال على ذلك في استمرار حديث الإمام الصادق عليه السلام عن عدم علمه بمكان اختفاء الخادمة، وبعد أن غادر الإمام الاجتماع المذكور رافقه عدد من الصحابة إلى بيته وأعربوا عن دهشتهم من كلام الإمام، ويؤكد الإمام الذي يرى التجمع خاليًا من الناس المختلفين، أن كل علم الكتاب هو للأئمة عليهم السلام^(٣).

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا عليه السلام في تفسير آية "خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ"^(٤) ينحصر علم الإمام في "مما

يحتاج الناس إليه"^(٥)، وهو دليل آخر على النطاق المحدود لعلم الإمام، على الرغم من أنه يمكن أيضًا تفسيرها على نطاق واسع لأن عبارة "مِمَّا يَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْهِ" أنه تشرف على أبعاد إرشاد الناس، واعتمادًا على الأوقات والأماكن والجمهير المختلفة يمكن أن تتخذ مستويات ودرجات مختلفة.

كما أن هناك بعض الروايات التي تدل على زيادة علم الإمام، وبحسب هذه الروايات فإن علم الإمام يزداد كثيرًا ليلة الجمعة^(٦)، إذا كان العلم بلا حدود، فلا معنى لزيادته، وسألوا الإمام الصادق عليه السلام سؤالاً فقال: لا أعرف إجابة السؤال، وبعد لحظة أجاب عليه ثم قال: إذا لم يزداد علمنا، فإن ما نعرفه سينتهي^(٧)، يمكن النظر إلى هذه الروايات على أنها فرق بين "العلم" و"المعلوم" بعناية في الأدلة مثل نزول القرآن الدفعي والتدريجي على النبي صلى الله عليه وآله أو تعليم العديد من العلوم لعلي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وآله وفي رواية أن الرسول صلى الله عليه وآله

(١) العياشي، تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٢) ابن شهر آشوب، متشابه القرآن ومختلفه، ج ٤، ص ٨٢.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٧.

(٤) سورة الرحمن، الآيات ٣-٤.

(٥) الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ٥٠٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٠؛ الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٤.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٦، ص ٩١.



والعلم الحضورى والاحاطى يعنى ان الاشياء حاضرة لدى المعصوم لكن لا بوجودها الخارجى كما قد يفهم، بل حاضرة بحقيقتها، وبمعنى آخر أن الأشياء لها حقائق شهودية هذه الحقائق حاضرة لدى الإمام فهو يعلمها علماً حضورياً. ومن العلماء القائلين أن علم الإمام شهودى وحضورى: المجلسي، والملا صالح المازندراني، وعبدالحسين اللاري، وزينالعابدين الكلبيكاني، ومحمد حسين المظفر، والطباطبائي^(٥).

وجدير بالذكر ان أحد معاني الحضور هو وجود شيء ما دائماً مع شخص ما، بمعنى آخر يمكن إعطاؤه درجة أقل، ويمكن فهم الحضور على أنه يعني أن الشخص ليس محاطاً بأي شيء من جميع النواحي ومحاط دائماً بشيء ما، ولأن روح الإنسان مرتبطة بجسم الإنسان فإن الحضور الكلي والمستمر يعني أن هذا العلم حاضر عند الشخص في جميع الأوقات والأماكن وفي جميع الظروف مثل الشمس، قد يكون أمراً مستحيلاً، لكن إذا أخذنا الحضور ليعني أن الإمام يولي حضورى، ص ٧٩-٨٠.

(٥) ينظر: المظفر، علم الإمام، ص ٢٣-٢٤؛ الطباطبائي، ج ١، ص ١٩٥.

وهو على فراش المرض^(١) قال: أن علم الأئمة تدريجي وليس أن معرفتهم نفسها تدريجية^(٢). وفقاً للمحتويات السابقة لا يُمنع نقل تفسير "خزان العلم" والتعبير الأخرى المذكورة في الزيارة الجامعة إلى النطاق اللامحدود لعلم الإمام؛ لكن - كما قيل - هذا العلم ليس علماً مستقلاً وذاتياً، لكنه يُعطى لهذه الذوات المقدسة بإذن من الله.

المبحث الثاني: طبيعة علم الإمام

المطلب الأول: تحديد المعنى والآراء في طبيعة علم الإمام

يذهب جملة من علماء الإمامية أن علم الإمام إرادي وشأني، وهو بمعنى متى ما أراد الإمام العلم بشيء فسيعلم به، واستدلوا على ذلك بالروايات التي تشير إلى مضمون مشترك وهو "لو شاء أن يَعْلَمَ لَعَلِمَ"^(٣). ومن العلماء القائلين أن علم الإمام شأنى وإرادي الشيخ السبحاني، وجوادي الآملي، ومكارم الشيرازي^(٤)،

(١) الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ٣١٣.

(٢) الطباطبائي، الدرسات الإسلامية، ص ٣٣١.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٨، ح ١.

(٤) ينظر: فرضى پوريان، علم الإمام؛ شأنى أم



أدنى اهتمام للموقف الذي يشتق منه العلم الغيبي ويصبح على علم به فيمكن قبول أن هذا العلم حضوري أو إحاطي، في الواقع هنا مفهوم الإرادة والحضور قريبان جداً من بعضهما البعض بطريقة يصعب للغاية فصلهما عن بعضهما البعض، لأن الانتباه لموقف التنوير والموقف الذي هو مصدر العلم الغيبي يتم بالإرادة، وعندما يتعلق الأمر بالإرادة يتم إزالة العلم عن الحضور بمعنى "الشمول والتمتع دائماً" ويرتبط بالعلم الإرادي.

المطلب الثاني: تحديد طبيعة علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة

ما يمكن الاستفادة منه في كيفية علم الإمام (سواء كان حضورياً أو ارادياً) من الزيارة الجامعة الكبيرة هو تعبير "خَزَنَةُ الْعِلْم" (أو خُزَان الْعِلْم) والذي يشير أيضاً إلى البعد الكمي، ما هو قريب من الحقيقة فيما يتعلق بجودة علم الإمام - والله أعلم - يمكن تفسيره على النحو التالي: يتمتع الأئمة بمكانة رفيعة في نظام الهداية للوجود بحيث تتوفر لهم معرفة ما يريدون، ولكن إذا كان من المناسب عدم معرفة شيء ما فلن يفعلوا أي شيء لمعرفة ذلك، لذلك فإن علم الإمام ليست لدرجة

أن جميع الأحداث الجزئية أو العامة في العالم تكون واضحة جداً بالنسبة لهم بحيث تكون حاضرة في وعي عقولهم، أساس هذا هو الوعد الإلهي^(١) أنه إذا وضع البشر أنفسهم تحت تصرف الله فإن الله سيهتم بشؤونهم، عندما يعطون سلطتهم إلى الله وعندما يحتاجون إلى شيء ما فإن الله يوفر الأرضية لظهور هذه الرغبة في قلوبهم، وكما ورد في تعاليم القرآن^(٢) والروايات^(٣) فإن قلوب الأئمة عليهم السلام هي آنية إرادة الله؛ وكل ما يريده الأئمة عليهم السلام هو ما أراده الله وإذا لم يظهر في قلوبهم طلب شيء فذلك لأن الله لم يراهم أن يطلبوه، طبعاً لا بد من التنويه إلى أن هذا لا يتعارض مع إرادتهم الحرة؛ لأن مقدمات هذه الأمور بمعنى ترك الإرادة في يد الله اختيارية، وبالتالي فإن النتيجة تخضع أيضاً للإرادة الحرة^(٤)، فعلم الإمام هو نعمة الله وعنايته^(٥)، ولأن الإمام هو هادي الناس إلى الله فحيثما دعت الحاجة إلى الهداية فإن حدود علمه

(١) ينظر: الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٢) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٣) ينظر: الطوسي، الغيبة، ص ٢٤٧.

(٤) مصباح يزدي، صهباي حضور، ص ١٣١ - ١٢٣.

(٥) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٥.



المذهب الشيعي، وذكر علماء المذهب مجموعة من النظريات حول مصادر هذا العلم. قسمها بعض الباحثين إلى قسمين: مصادر عامة ومصادر خاصة، فالمصادر العامة المشتركة يستفاد منها جميع الأئمة نحو: القرآن، التعليم من قبل الرسول، كتاب الإمام علي، الجفر، مصحف فاطمة، تحديث الملائكة و...، والمصادر الخاصة يستفاد منها بعض الأئمة نحو: الصحيفة المختومة، النداء من السماء، نداء السيف، نشر العلم و...^(٢).

المطلب الثاني: مصادر علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة

و يتضح من فحص الزيارة الجامعة الكبيرة أنّ مصادر علم الإمام هي: الكتب السماوية، كلام الله مع الإمام وأخذ العلم من الأنبياء.

١- أخذ العلم من الكتب السماوية:

و من المصادر التي ينبع علم الإمام منها هو كتاب الله، يمكن وضع هذا العنوان في فئتين؛ ١- الكتب السماوية قبل القرآن. ٢- القرآن الكريم.

في الزيارة الجامعة الكبيرة يُذكر

(٢) ينظر: السبحاني، مصادر علم الأئمة، ص ٨٥-١٦٨.

تتسع بإذن الله، وهذه النقطة موثقة أيضًا في الروايات كما جاء في حديث من الإمام الباقر عليه السلام: "يَسْطُرُ لَنَا الْعِلْمُ فَنَعْلَمُ وَيُقْبَضُ عَنَّا فَلَا نَعْلَمُ"^(١). وهذا القبض والبسط مرتبطان بالهداية، لأن فلسفة حضور الإمام في الكون هي هدى للكائنات الإلهية، وهذه الذوات المقدسة تستخدم كل قدراتها وأصولها لتوجيه الناس نحو الكمال وغاية الخلق.

المبحث الثالث: مصادر علم الإمام

و نقدم مقالتين حول مصادر علم الإمام وهما: "تحديد المعنى والآراء في مصادر علم الإمام" و"مصادر علم الإمام في ضوء الزيارة الجامعة".

المطلب الأول: الاطار النظري

لا يوجد أي نص يثبت أن الإمام تعلم على يد معلم أو أستاذ أو أنه أخذ أحكام دينه من أحد، وهذه قضية محددة أنّ علم الإمام يأتي بطرق غير بشرية وإنّ علمهم يصدر من معين الهی، وهذا يختص بهم وانهم ليسوا بمستقلين عن الله تعالى ابدا. هناك مصادر متعددة تشكل بمجموعها شخصية الإمام العلمية وهذا الأمر من أهم القضايا التي يناقشها

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٥٦.



مَجْلَدُ الرَّابِعَةِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الأئمة بـ "حملة كتاب الله"^(١). "حملة"، جمع التفسير لكلمة "حامل" وتعني "الناقل"، يرتبط "الحمل" بكل من الجانب اللفظي من كتاب الله ويتضمن الجانب الروحي^(٢)، ومن هذه العبارة ينشأ علم حقائق كتاب الله؛ لأن - كما ورد في روايات أخرى - فالأنبياء ينظرون إلى حقائق كتاب الله، وبما أن منزلة الإمامة - بحسب بعض التعاليم والروايات القرآنية - أعلى من منزلة النبوة^(٣) ومعرفة هذه الحقائق ترتبط بالأئمة كذلك، وبحسب معنى "كتاب الله" في هذه العبارة فإنه لا يمكن حصره في القرآن الكريم بل يمكن تعميمه وتطبيقه على جميع الكتب السماوية.

كما ورد معرفة الأئمة بالكتاب في آيات القرآن، وجاء في الآية ٤٣ من سورة الرعد (عنده علم الكتاب): أن أبا سعيد سأل الرسول الكريم ﷺ عن مثال هذه الآية الكريمة: "قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" قال النبي ﷺ: "ذَاكَ أَخِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي

طالِب"^(٤).

٢- أخذ العلم من الله ومن خلال

الوحي

مصدر آخر لعلم الإمام هو أخذه من خلال الوحي، هذا هو التفسير الوارد في الزيارة الجامعة: "مُخْتَلَفَ الْمَلَائِكَةِ وَمَهْبِطَ الْوَحْيِ"^(٥). كلمة "مختلف" من حيث علم الصرف هي "اسم مكان من الثلاثي المزيد" وهي مشتقة من مصدر "اختلاف"، ولكلمة "الاختلاف" معنيان: ١- "ذهاب وإياب". ٢- "معارضة شخصين أو مجموعتين مع بعضهما البعض"^(٦)، في الزيارة الجامعة المعنى الأول هو الغرض، وقد شهد القرآن أيضاً في جملة "اختلاف الليل والنهار"^(٧)، لذلك فإن كلمة "مختلف الملائكة" تعني "مكان إياب وذهاب الملائكة" وتشير إلى التواصل المستمر والمتكرر، كما يتم تفسير مصطلح "مهبط الوحي" بنفس الطريقة في

(٤) الصدوق، الأمالي، ص ٥٦٥.

(٥) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٠.

(٦) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ٢، ص ١٧٩.

(٧) سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

(١) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٦١٠.

(٢) ينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٩١.

(٣) ينظر: سورة البقرة، الآية ١٢٤.



لغيبه"، هذا التعبير يدل على أخذ العلم من ذاته تعالى، يختار الله أهل البيت عليهم السلام لكي يكونوا عيبة علمه، أعلى صفات الله عز وجلّ علمه؛ لأنّ كل المخلوقات في علم الله، ويختار الله هذه الذوات المقدسة وقد تجلّى فيهم أعلى وأفضل صفاته، هذه العبارة تدل على أنّ المعصومين عليهم السلام لهم أعلى درجة في علم الله بالاضافة الى الله تعالى قد عهد اليهم أعلى صفاته الكمالية. عبارة "ارتضاكم لغيبه" تظهر ان الله اصطفى الأئمة عليهم السلام ولهذا اطلعهم عن عوالم الغيب ولا رتضائه عنهم ما احبّ قلة معرفتهم وعلمهم، واعطى لهم كل ما لديه من العلم.

٣- أخذ العلم من الأنبياء

مصدر آخر لعلم الأئمة في الزيارة الجامعة هو الميراث العلمي من الأنبياء، ينقسم ميراث علم الأئمة من الأنبياء إلى قسمين: ١- ميراث العلم من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ٢- وراثته العلم عن سائر الأنبياء عليهم السلام.

في ما يتعلق بالفئة الثانية، ورد ذكر الأئمة عليهم السلام في زيارة الجامعة الكبيرة والعديد من الرسائل والنصوص الأخرى بعنوان "وراث الأنبياء" (ورثة الأنبياء)،

ما يتعلق بـ "مختلف الملائكة"، أي أن الملاك بالتواصل المستمر بينه وبين الإمام فيوحي إليه علومًا.

وقد ذكر هذا المصدر العلمي في روايات أخرى، وقد ورد في بعض الروايات أن الأئمة والأنبياء ملهمون بروح القدس ويكتسبون العلم من خلال هذه الروح^(١). وهناك العديد من الروايات الأخرى التي تتحدث عن الصلة بين ملائكة الوحي والأئمة والمعصومين عليهم السلام؛ مثل روايات مصحف حضرة فاطمة التي يخبرها جبرئيل بأحداث العالم حتى يوم القيامة^(٢)، أو الروايات التي تتحدث عن حديث الإمام مع الملائكة^(٣)، وكذلك روايات نزول الملائكة ليلة القدر على الإمام صاحب الزمان^(٤) والعديد من الأدلة الأخرى التي تؤكد انتقال العلم إلى الإمام من خلال اللقاء الملائكي.

هناك عبارة أخرى في الزيارة الجامعة وهي: "اصطفاكم بعلمه وارضاكم

(١) ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٧٨

(٢) ينظر: الصفار، بصائر الدرجات، ج ١، ص ١٥٤

(٣) ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٢٧١

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٤٨



النص الوارد في الزيارة الجامعة الكبيرة هو كما يلي: "سُلَالَةُ النَّبِيِّينَ وَصَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ ... وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ"، وقد ورد في رواية عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: "نحن ورثة الأنبياء"^(١)، ميراث الأئمة من الأنبياء هو ميراث علمي وروحي؛ ذكر العلامة المجلسي عن هذا: "سلام الله على ورثة الرسول صلى الله عليه وآله، هذا يعني أن لديهم كل العلوم والكمال التي كان للأنبياء ..."^(٢)، كما ورد في بعض الروايات الأخرى: "إِنَّ فِي عَلِيٍّ عليه السلام سُنَّةَ أَلْفِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عليه السلام لَمْ يَرْفَعْ، وَمَا مَاتَ عَالِمٌ فَذَهَبَ عِلْمُهُ؛ وَالْعِلْمُ يُتَوَارَثُ"^(٣)، وفي روايات أخرى تم ذكر مبدأ وراثته العلم أيضاً؛ وبحسب رواية عن الإمام الصادق عليه السلام فإن النبي نوح عليه السلام - بحسب الأمر الإلهي - يترك تراثه العلمي لوليه^(٤)، وقد تأكد مبدأ الوراثه في آيات القرآن حيث جاء فيها: "وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ"^(٥) وأحد الأمثلة على هذا

(١) مجموعة من الباحثين والعلماء، الأصول الستة عشر، ص ٨٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٨، ص ٦٨٩.

(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٥٢.

(٤) ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٣٤.

(٥) سورة النمل، الآية ١٦.

الميراث - كما قال العديد من المفسرين - هو العلم^(٦) ومضمون جزء الآية الذي يتحدث عن العلم (عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) يؤكد هذا القول.

في ما يتعلق بأخذ العلم من الرسول الكريم صلى الله عليه وآله فإن التفسير الذي يشير إليه في الزيارة الجامعة هو كما يلي: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرِّسَالَةِ... أوصياء نبي الله... وميراث النبوة عندكم"^(٧)، وبحسب بيان هذه الزيارة الشريفة فإن الأئمة عليهم السلام هم خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وورثته، وفي حديث آخر -الذي يمكن استخدامه لشرح هذا التعبير للزيارة الجامعة- يقول الإمام: " فَلَمَّا قُبِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله كُنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَثَتُهُ...عِنْدَنَا عِلْمُ الْمَنَائَا وَالْبَلَايَا وَأَنْسَابُ الْعَرَبِ...."^(٨)، مع العديد من الروايات الأخرى يمكن توثيق هذا الأمر، كما ورد في رواية أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام - صراحة - هذا الميراث العلمي ويقول: "إِنَّ جَبْرِئِيلَ عليه السلام أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله بِرُمَاتَيْنِ،

(٦) ينظر: الطبرسي، مجمع البيان، ج ٧، ص ٣٣٤؛

الطوسي، التبيان، ج ٨، ص ٨٣.

(٧) الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج ٢،

ص ٦١٠.

(٨) القمي، تفسير القمي، ج ٢، ص ١٠٤.



الجامعة تذكر ثلاثة منها، وهي: "القرآن، والكتب السماوية الأخرى"، و"الوحي والملائكة"، و"العلم الموروث عن الرسول الكريم ﷺ وغيره من الأنبياء". من هذه الزيارة - بناءً على أدلة أخرى - يُستفاد أن علم الإمام بالغيب له نطاق غير محدود ولا يمكن - بشكل مطلق - رسم حد له والشئ الذي يحدد العلم هذا هو القضايا المتعلقة بهداية البشر؛ بعبارة أخرى، يكون علم الإمام بالحضور وإذا أراد الإمام أن يهدي شخصاً إلى طريق الهدى وهو يحتاج إلى استفادة هذا العلم يستضيء به ولا فلا، لذلك يجب عدّ علم الإمام علماً ارادياً؛ وهذا يعني أن الأئمة عليهم السلام - بصفتهم أمناء علم الله - فتحوا حجاب ذلك العلم وفق مقتضيات الهداية وبأقل قدر من الاهتمام، وحسب مستوى وقدرة المخاطبين يخبرونهم أو في إرشادهم يستخدمونه، بناءً على ذلك، في تحديد حجم وكيفية علم الإمام، فإن قضية الهداية هي التي تعمل كمؤشر محدد وتحدد مدى ونطاق علم الغيب للإمام.

فَأَكَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِحْدَاهُمَا، وَكَسَرَ الْأُخْرَى بِنِصْفَيْنِ، فَأَكَلَ نِصْفًا، وَأَطْعَمَ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نِصْفًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَخِي، هَلْ تَدْرِي مَا هَاتَانِ الرُّمَّانَتَانِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَمَّا الْأُولَى فَالْنُّبُوَّةُ، لَيْسَ لَكَ فِيهَا نَصِيبٌ؛ وَأَمَّا الْأُخْرَى فَالْعِلْمُ، أَنْتَ شَرِيكِي فِيهِ^(١).

لذلك وبحسب العديد من الأدلة فإن معنى "الوراثه" في الزيارة الجامعة هو الميراث العلمي من الأنبياء عمومًا والنبي الكريم ﷺ خصوصًا، وهو من مصادر علم الأئمة عليهم السلام ولا شك في ذلك.

الخاتمة

هناك عبارات مختلفة حول علم الإمام في الزيارة الجامعة الكبيرة نحو: "خزان العلم"، "خزنة علمه"، "معادن حكمة الله"، "مهبط الوحي"، "مختلف الملائكة"، "اصطفاكم بعلمه وارتضاكم لغيبه" و... الخ، على ما يستفاد من هذه العبارات، لدى الإمام علم الغيب وهذا العلم لا يختص بذاته تعالى، ولكن الله عز وجل يعلم الغيب لذاته والإمام يعلمه بتعليم من الله وبإذنه، وهم قد حصلوا على هذا العلم من مصادر مختلفة والزيارة

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٦٥٤.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام، مركز نشر اسراء للطباعة والتوزيع، إيران، قم .

٩. الحر العاملي، محمد بن الحسن، الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة، قم، دليل، ١٣٧٨هـ .

١٠. الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق صبحي صالح، قم، إيران، ١٤١٤هـ .

١١. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام، مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، قم، ١٣٧٨ .

١٢. الشيرازي، ناصر مكارم، التفسير الامثل، طبع ونشر دار الكتب الإسلامية، إيران، طهران، ١٣٧٤ .

١٣. الصالحى، نجف آبادي، نعمت الله، حكم المرأة في الفقه الإسلامي، جنبا إلى جنب مع بعض المقالات الأخرى، طهران، ١٣٨٨ .

١٤. الصدوق، محمد بن علي، الأملي، كتابجى، طهران، ١٣٧٦هـ .

١٥. الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق علي اكبر غفاري، دار النشر الإسلامية تابعة لمجتمع المدرسين، إيران، قم، ١٤١٣هـ .

١٦. الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات في فضائل آل محمد عليهم السلام، مكتبة

١. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران، قم، ١٤٠٤هـ .

٢. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، متشابه القرآن ومختلفه، مؤسسة الإمامية للثقافة والبحث العلمي، إيران، مازندران، ١٣٩٣هـ .

٣. ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، إيران، قم، ١٣٧٩هـ .

٤. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٤هـ .

٥. أستاذي، رضا، قصة كتاب شهيد جاويد، قم، ١٣٨٢ .

٦. الأنصاري، مرتضى، فرائد الأصول، مؤسسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١١ق .

٧. الجوادى الأملي، عبدالله، أدب فنای مقربان، مركز نشر اسراء للطباعة والتوزيع، إيران، قم، ١٣٩٠هـ .

٨. الجوادى الأملي، عبدالله، التشابه



آية الله المرعشي النجفي، إيران، قم، ١٣٨٢.

١٤٠٤هـ.

٢٥. العياشي، محمد بن مسعود، تفسير

العياشي، المطبعة العلمية، إيران، طهران،

١٣٨٠هـ.

١٧. الطباطبائي، السيد محمد حسين،

الدراسات الإسلامية، ج ١، طهران،

١٣٨٨.

٢٦. الفيومي، أحمد بن محمد، مصباح

النير في غريب الشرح الكبير، المطبعة

الاميرية، القاهرة، ١٩٢٦، ج ٢.

١٨. الطباطبائي، السيد محمد حسين،

الميزان في تفسير القرآن، مكتب المطبوعات

الإسلامية، قم، ١٤١٧هـ.

٢٧. القمي، علي بن إبراهيم، تفسير

القمي، دار الكتاب، إيران، قم، ١٤٠٤هـ.

١٩. الطباطبائي، السيد محمد حسين،

علم الإمام (جامع محمد حسن نادم)،

دانشگاه ادیان ومذاهب، إيران، قم،

١٣٨٨.

٢٨. الكشي، محمد بن عمر، رجال

الكشي - اختيار معرفة الرجال، مؤسسة

نشر جامعة مشهد، إيران، مشهد،

١٤٠٩هـ.

٢٠. الطباطبائي، السيد محمد حسين،

مجموعة رسائل، طبع حديقة الكتاب،

إيران، قم، ١٣٨٧.

٢٩. الكليني، محمد بن يعقوب، اللجنة

الكافية، مترجم: حميد رضا آثري، مطبعة

سرور، إيران، قم، ١٣٨١

٢١. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع

البيان لعلوم القرآن، طبع مؤسسة ناصر

خسرو، إيران، طهران، ١٣٧٢

٣٠. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي،

تحقيق علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي،

دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٤٠٧ق.

٢٢. الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان

في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي،

لبنان، بيروت.

٣١. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار،

بيروت، دار إحياء التراث العربي،

١٤٠٣هـ.

٢٣. الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة،

مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران، قم،

١٤١١هـ.

٣٢. مجموعة من الباحثين والعلماء،

الأصول الستة عشر، طبع دار الشبستري

للطباعة، إيران، قم، ١٣٦٣.

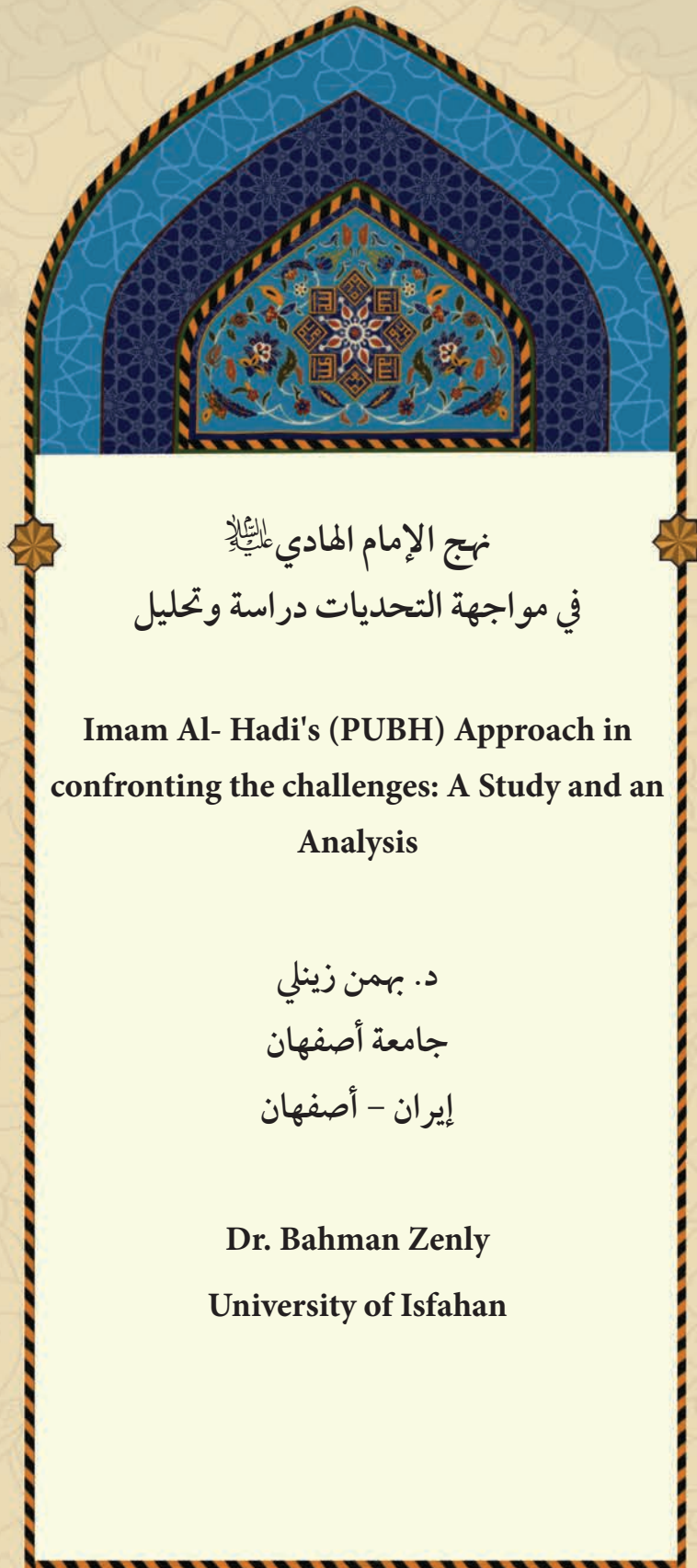
٢٤. الطوسي، محمد بن الحسن، تلخيص

الشافعي، طبع دار نشر المحبين، إيران، قم،

٣٣. المحمدي، علي، شرح كشف المراد،



- دار الفكر، إيران، قم، ١٣٧٨.
٣٤. مصباح يزدي، محمد تقی، صهبای حضور (تعليق على الدعاء الرابع والأربعون للصحيفة السجادية)، طبع ونشر معهد الإمام الخميني التعليمي، إيران، قم ١٣٩١ هـ.
٣٥. المظفر، محمد حسين، علم الأمام، دار الزهراء، بيروت، لبنان، ١٤٠٢ هـ.
٣٦. المفيد، محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.
٣٧. المفيد، محمد بن النعمان، أوائل المقالات في المذاهب والمختارات المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ هـ.
٣٨. النجاشي، أحمد بن علي، رجال النجاشي، طبع ونشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين، إيران، قم، الطبعة السادسة، ١٣٦٥ هـ.
٣٩. النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٤ هـ.



نهج الإمام الهادي عليه السلام
في مواجهة التحديات دراسة وتحليل

**Imam Al- Hadi's (PUBH) Approach in
confronting the challenges: A Study and an
Analysis**

د. بهمن زينلي
جامعة أصفهان
إيران - أصفهان

**Dr. Bahman Zenly
University of Isfahan**

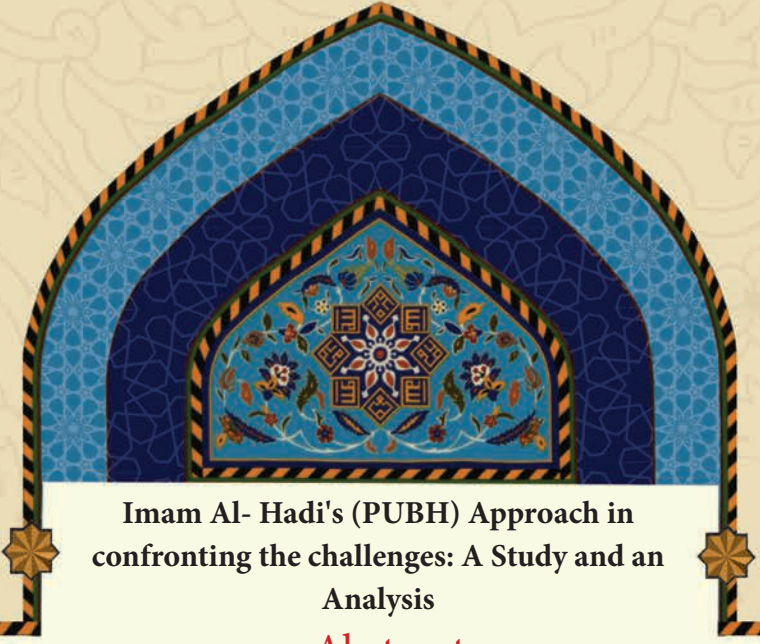


نهج الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة التحديات دراسة وتحليل الملخص:

إنّ دراسة حياة الأئمة وتحليل خصائص عصرهم والقضايا المنوطة بمجتمعهم وبيئتهم هي من ضمن الموضوعات التي إذا امتازت بدراسة صحيحة، مستندة إلى أسانيد موثوقة وإلى أسلوب بناء، من شأنها أن تسهم في إصلاح الموقف ووجهة النظر لدى المؤمنين بالأئمة إسهاماً بارزاً، إذ تُعدّ مدة إمامة الإمام الهادي عليه السلام واحدة من المدد المميّزة في تاريخ الشيعة، حيث تحسب مدة انتقالية بين عصرين مختلفين من الحكم العباسي، فأخضع الحكام العباسيون القادة والعطاء للرقابة ومتبعيهم للضغط، نظراً إلى فطنتهم إلى روح مناهضة للاضطهاد لدى الشيعة وسعيهم لإحياء الدور الشيعي، فضلاً عن الظروف السياسية العامة، فإنّ ظهور الانتفاضات لجماعات شيعية مختلفة، وانتشار الأفكار المنحرفة؛ منها: إشاعات لتحريف القرآن الكريم، ومسألة الجبر والتفويض ونشاط الغلاة كمحمد بن نصير، وفارس بن حاتم القزويني، ونشوء مذاهب كمذهب المجسمة، تسببت في خلق ظروف معقدة، وبناءً على الظروف أعلاه، واجه الإمام عليه السلام جبهات وتحديات عدة، ما جعله يقف بوجهها بمخطط يتسم بالدقة والانتظام. يتناول هذا البحث القائم على المنهج الوصفي التحليلي، الرد على هذا السؤال: ما أهم التحديات التي واجهت الإمام الهادي عليه السلام خلال مدة إمامته؟ وما المنهج الذي تبناه الإمام عليه السلام لمواجهتها؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، تُطرح هذه الفرضية: أنّ الإمام عليه السلام اصطدم بتحديات ثلاثة جادة تتمثل في خلافة العباسيين، والتيارات المنحرفة، والانتفاضات العاطفية الشيعية، ما جعل الإمام عليه السلام يعمد إلى تخطيط برنامج دقيق يحمي المجتمع من تأثيراتها السلبية.

الكلمات المفتاحية:

الانتفاضات، التيارات المنحرفة، الشيعة الإمام الهادي عليه السلام، الخلافة العباسية، سامراء.



Imam Al- Hadi's (PUBH) Approach in confronting the challenges: A Study and an Analysis

Abstract:

Studying the lives of the Imams (PBUH), analyzing the characteristics of their age, and examining the issues related to their society and environment, are among the topics that, if studied correctly based on reliable sources and a constructive methodology, can significantly contribute to reforming the perspective of the believers in the Imams. Imam Al-Hadi's (PBUH) imamate age is considered one of the most distinctive periods in Shiite history, as it is seen as a transitional period between two different ages of Abbasid rule. The Abbasid rulers subjected leaders and nobles to supervision and their followers to pressure, noticing their anti-oppression spirit and efforts to revive the Shiite role, in addition to the general political circumstances. The emergence of revolts by various Shiite groups, the spread of deviant ideas, including rumors about distortion of the Holy Quran, the issue of predestination and free will, the extremists like Muhammad bin Nasir and Faris bin Hatim Al-Qazwini, and the emergence of doctrines like the anthropomorphists, created complex conditions. Based on the above circumstances, Imam Al-Hadi (PBUH) faced several fronts and challenges, which led him to confront them with a meticulously organized plan. This study, which depends on a descriptive analytical methodology, answers the question: What were the most important challenges faced by Imam Al-Hadi (PBUH) during his imamate? And what approach did the Imam adopt to confront them? To answer these questions, the hypothesis is that Imam Al-Hadi (PBUH) collided with three serious challenges: the Abbasid Caliphate, deviant currents, and emotional Shiite revolts. This led the Imam to develop an accurate plan to protect society from their negative effects.

key words:

Shiite revolts, deviant currents, Imam Al-Hadi (PBUH), Abbasid Caliphate, Samarra.

المقدمة:

تعدّ مدة الإمام الهادي عليه السلام مدة انتقالية بين عصرين مختلفين من العهد العباسي، حيث ظهرت ظواهر حديثة لم تكن متواجدة في مدة الحكم العباسي، لقد ضاعت الهيبة والمجد التي تتمتع بها الحكومة العباسية منذ تولي السلطة، وباتت القوة أداة يباذلها ذوو النفوذ، انتقلت العاصمة العباسية من بغداد إلى سامراء لتصبح موقعاً حديثاً للعنصر التركي، وقد عاصر الإمام عليه السلام عدداً من حكام بني العباس، وهم حسب الترتيب: المعتصم بالله، الواثق بالله، المتوكل، المنتصر، المستعين والمعتز، كان الإمام عليه السلام مواجهاً لتحديات مهمة أخرى، فضلاً عن اصطدامه بالحكام العباسيين الذين كانت لدى أكثرهم مقاربة عداوية للأئمة، وهي تتمثل في الزمر المنحرفة كالغلاة الذين كانوا يروجون بين الناس ونقلًا عن الأئمة، رؤى خاطئة تخالف الآيات الصريحة للقرآن الكريم، مفترطين في مدحهم إلى درجة وضعهم موضع الله تعالى، مؤدين بذلك إلى ضلالة عدد كبير من الناس، التحدي الآخر للإمام عليه السلام يتجسّد في انتفاضات العلويين، حيث قاموا بثورة ضد ظلم الدولة العباسية، ولكن الإمام عليه السلام

رأى أنّ الظروف غير مهيأة وأنّ قضية توعية المجتمع الشيعي أهم بكثير منها، فلم يبادر إلى التعاون معهم بشكل علني. تكمن أهمية هذا البحث أنّ معرفة حياة الأئمة والسياسات التي انتهجوها أمام الأزمات المختلفة، تسهم في إحياء نهجهم في كل العصور، فنظرًا إلى المدة الخاصة التي عاشها الإمام الهادي عليه السلام وما واجهه من التحديات، ومعرفة المسار الذي اتخذه لمقابلتها، من شأنه أن يلقي الضوء على مشكلات الشيعة، خصوصًا في العصر الحاضر.

تهدف هذه الدراسة إلى رصد التحديات السياسية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الإسلامي في عصر الإمام الهادي عليه السلام ومعرفة سيرته والسياسة التي تبناها لمواجهةها، كما يتناول هذا البحث مختصر حياة الإمام عليه السلام ومميزات عصره وسياسات حكام الدولة العباسية، والحالة العامة للدولة العباسية والحركات التي تعمل ضدها خاصة الانتفاضات العلوية، ونشاط الغلاة والجماعات المنحرفة، والسياسة التي اتخدها الإمام الهادي عليه السلام لمواجهة كل هذه التيارات السياسية، الاجتماعية والثقافية.





خلفية البحث

زاده ورضية سادات سجادي المعنون: "الدراسة المقارنة وطريقة تفاعل الأئمة العسكريين عليه السلام مع طوائفهم وأديانهم وتياراتهم الفكرية المعاصرة؛" تتحدث عن ردة الفعل الإمامين الهادي والحسن العسكري عليه السلام ضد الجماعات المنحرفة، خاصة مسألة خلق القرآن، مشيرةً إشارة مختصرة إلى الغلاة، ولكنها لم تعتن بانتفاضات الشيعة وكيفية تعامل الإمام مع الحكام العباسيين.

التمهيد:

أولاً: سيرة الإمام الهادي عليه السلام وأمرائه

زمانه:

ولد الإمام الهادي عليه السلام في منتصف ذي الحجة عام ٢١٢ هـ في المدينة المنورة، اسمه علي ولقبه أبو الحسن^(١) وأشهر ألقابه النقي والهادي^(٢) كما يسمونه أبو الحسن الثالث والفقير العسكري^(٣) ومن ألقابه: النقي، الهادي، العالم، الفقيه، الأمين،

ثمة دراسات جدية بالذكر حول الإمام الهادي عليه السلام وحياته السياسية، ولكنها مصبوعة بطابع روائي، وعلى الرغم أنها استمدت من مصادر كثيرة، إلا أنها تفتقر إلى صيغة تتعرض للبحث بشكل تحليلي، علاوة على الكتب المذكورة أدناه في ثنايا البحث، يشار إلى عدة مقالات تسلط الضوء على جزء من الحياة السياسية والاجتماعية للإمام الهادي عليه السلام.

كتب الباحثان مجيد أحمد كجايي وروح الله تراي ميدي بحثاً: يدرس أسلوب الإمامين العسكريين عليه السلام ضد التيارات المنحرفة ضمن الدائرة الشيعية وخارجها، مشيرةً إلى أسماء ثلاثة عشر من الغلاة المعاصرين للإمامين بشكل ملخص، بيد أنها لم تبد اهتماماً بمواقف الإمام عليه السلام ضد الدولة العباسية والثورات الشيعية، وبحثاً ثانياً بأسم: "شرح دور الاتباع والشيعة في إيران في عهد الإمام الهادي عليه السلام" لأبي الفضل سلمان گواري وزملائه، التي اهتمت بنظام الوكالة خلال مدة الإمام الهادي عليه السلام دون اهتمام بتحديات الشيعة داخلياً وخارجياً. والبحث الثالث للباحثين ريجانه كريم

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٢.

(٢) المجلسي، جلاء العيون، ص ٥٦٨.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ص ٤٣٢.



كان معاصراً للعديد من الخلفاء العباسيين^(٩) وهم المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين والمعتز، خلف المعتصم الخلافة عام ٢١٨ هـ بوفاة المأمون وحكمها حتى ٢٢٧ هـ، بعد وفاته،^(١٠) خلف ابنه الواثق بالله الخلافة^(١١) اقتدى بمثل المأمون ووالده المتوفى سنة ٢٢٧ هـ.^(١٢) وتولى أخوه جعفر بن محمد بن هارون الملقب بالمتوكل وسماه أحمد بن أبي داود المتوكل على الله^(١٣) كان المتوكل شديد الوطئة والقسوة، مما دفع الجميع بعيداً مع غضبه، لدرجة أن حبه لم يظهر أبداً لأي شخص، ولهذا السبب دائماً ما ذكره الجميع على أنه سيئ وسيئ السمعة^(١٤)

ارتكب العديد من الجرائم خلال خلافته، وتعد مدة حكمه من أصعب الأوقات بالنسبة للشيعه والعلويين في ج ١٢، ص ٨١.

(٩) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٣.

(١٠) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ٢، ص ٤٥٩.

(١١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥١٠.

(١٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥١١.

(١٣) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٩٥.

(١٤) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥١٣.

الطياب، ناسيه والمرتضى^(١) والدهم الكريم الإمام محمد تقي جواد الأئمة عليهم السلام واسم والدته "سمانة"^(٢) ست سنوات وخمسة أشهر من عمره المبارك لم تكن قد انقضت على استشهاد والده الكريم^(٣) وثلاث وثلاثون سنة هي مدة إمامته^(٤) أمضى السنوات العشر الأخيرة من حياته تحت إشراف المتوكل وأبنائه في سامراء^(٥) وفي شهر رجب سنة ٢٥٤ هـ أستشهد الإمام مسموماً على يد الحكام العباسيين^(٦) وتم دفنه في منزله في سامراء^(٧) من أعظم معجزات الإمام الهادي عليه السلام بلوغه رتبة الإمامة وهو صغيراً.^(٨)

(١) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٢١٧، الطبرسي، إعلام الوري، ص ٣٥٥.

(٢) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٤١٧.

(٣) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٣.

(٤) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٣.

(٥) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٣. المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٦) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٦٦٠، الطبرسي، إعلام الوري، ص ٣٦٣.

(٧) الطبرسي، إعلام الوري، ص ٣٣٩.

(٨) المركز العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية،



العدد: الثامن

السنة: الرابعة

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

العصر العباسي، وفي عهده أستقدم الإمام الهادي عليه السلام إلى سامراء، ومن أفعاله المشينة تدمير قبر حضرة سيد الشهداء عليه السلام عام ٢٣٦ هـ، الأمر الذي أغضب الشيعة بشدة ^(١) وقد كانت نصف مدة إمامة حضرة الإمام الهادي عليه السلام معاصرًا لخلافة المتوكل ورغم أن كل خلفاء بني العباس حاولوا جاهدين إيذاء الإمام الهادي عليه السلام وشيعته، إلا أن المتوكل في هذه الأثناء سرق زمام القيادة من الآخرين في محاصرة الإمام ووضعه تحت الإقامة الجبرية ^(٢) كانت قسوة الخلفاء العباسيين السابقين أقل للشيعة، لذلك استقر عدد كبير منهم في سامراء مركز العباسيين، لكن المتوكل كان صارمًا ومضطهدًا لدرجة أنهم تفرقوا ^(٣) خلال مدة حكمه، وقُتل العديد من الشيعة أو تسمموا أو فروا ^(٤) وأخيرًا قتل المتوكل على يد ابنه المنتصر بالتعاون مع الاتراك ^(٥)

بعد المتوكل وصلت الخلافة إلى المنتصر، على عكس أبائه وأجداده، أظهر المنتصر اهتمامًا بالأعمال الصالحة ولم يتسامح مع الظلم، وكان لطيفًا مع العلويين، وأعاد فدك إلى أبناء الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام، وأعاد إليهما ما صادرتهم الحكومة منهم، كما أرسل هذه الأملاك ليعطيها للعلويين في المدينة المنورة وسمح بأعادة الزيارة إلى مرقد أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذي كان ممنوعاً في زمن المتوكل، لم يدم حكمه طويلاً وقتل بعد ستة أشهر من بعد أستلامه للخلافة ^(٦) وبعده جاء المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم إلى عمله وكان شهوانيًا جدًا ومبذراً، وعاد أسلوب القسوة والتشدد كالخلفاء السابقين، وانتشر الفساد والصخب ^(٧) ولم يدم حكمه طويلاً وعام ٢٥٢ هـ، قتل في سامراء بأمر المعتز ^(٨) بعده جاء المعتز الذي اشتهر بالعداء لآل محمد عليهم السلام وقتل

(١) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٢) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩٥.

(٣) هيئه تحرير معهد البر، سلمان الفارسي، ص ٦-٧.

(٤) هيئه تحرير معهد البر، سلمان الفارسي، ص ٦-٧.

(٥) سعد، طعمة، المصاييح الزاهرة، ص ٢٢٨؛

المركز العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، ج ١٢، ص ١١٢؛ الطبرسي، إعلام الوري، ص ٣٦٣.

(٦) القمي، الشيخ عباس، تنمة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ج ٢، ص ٣٥٢.

(٧) القمي، الشيخ عباس، تنمة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ص ٣٥٣.

(٨) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٦٨.



أيضاً^(٤) ومن ناحية أخرى، أدت الحرب مع الرومان^(٥) كعامل خارجي إلى ضعف سلطة العباسيين، بل إن الأتراك تدخلوا في تنحية وتنصيب الخلفاء وشاركوا في مؤامرة قتل بعضهم^(٦) وفي هذا الوقت بدت الخلافة في أيدي الخلفاء الضعفاء من العنصر العباسي، الذين لم يخشوا إراقة دماء بعضهم البعض، كانوا يقضون معظم أوقاتهم في الصخب، وفي دور الخلافة الإسلامية كانوا يشربون الخمر، ويرتدون الملابس المزركشة والمذهبة، ولم يكن هناك وقت كان فيه الإنفاق والعطاء بقدر ما كان في عهد خلافة المتوكل^(٧) صراعات المعتقدات والخلافات العلمية والتمييز العرقي والضغط الاقتصادي والسياسية وفوضى رجال الدولة العباسيين حولت دولتهم إلى ساحة صراع بين الجماعات والأحزاب المختلفة، بدأ كل منهم انتفاضات مسلحة بدافع ومن أجل تحقيق أهدافهم واجهوا نظام الخلافة، حركات

المناهضين للخلافة^(١)، كما قتل خلال مدة حكمه العديد من الشيعة أو بقوا في السجن حتى ماتوا.^(٢)

ثانياً: الوضع الداخلي للحكومة العباسية:

كانت الحكومة العباسية في عهد الإمام الهادي عليه السلام خالية من الرهبة والكرامة، ولم يكن في هذه الحكومة سوى الصراع والفوضى والإذلال، في هذه الأثناء كان الأتراك هؤلاء الأشخاص حفاة ومحتاجين، وجعلوا من الخليفة العباسي دمية يحركونها كما يرغبون، وأصبح الخليفة مثل الدجاجة المدربة، ينفذ كلام رجال الدولة الجشعين^(٣) وفي هذا الوقت ومن خلال اكتساب الكثير من السلطة في الحكومة، بدأ الأتراك يفكرون في الانفصالية والاستقلال، من خلال استغلال سلطتهم ونفوذهم في البلاط، بدأوا تمرداً هائلاً ضد الخلفاء وجعلوا قادة وحكام الولايات الأخرى يتمردون

(١) المركز العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، ج١٢، ص١١٤.

(٢) المركز العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، ج١٢، ص١١٤.

(٣) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٥٧٧.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٤٧٥.

(٥) المسعودي، مروج الذهب، ج٢، ص٧٤٥.

(٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥٣٦.

(٧) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٥١٥.



تمرد منها: تمرد الغجر^(١)، حركة مازيار^(٢)، حركة بابك خرمدين^(٣)، والتمرد فضلاً عن المنشقين في بغداد^(٤).

كان الحكام العباسيون، مصريين على مناهضة وأضطهاد الشيعة، ويبقون دائماً قاداتهم، بمن فيهم الإمام الهادي عليه السلام، تحت رقابة عسكرية صارمة ويمارسون الضغط على أتباعهم قدر استطاعتهم، كان المتوكل صارماً للغاية ويسئ التصرف مع العلويين والشيعة والأئمة عليهم السلام وعاملهم بالعنف والقسوة، كان في قلبه ضغينة شديدة عليهم وكان سوء سلوكه مع الشيعة لدرجة أن أيا من الخلفاء العباسيين لم يعاملهم بهذه الطريقة^(٥) كان صعباً جداً على العلويين ومنعهم من التواصل مع الآخرين^(٦)، نتيجة لهذه الضغوط أصبح الوضع الاقتصادي للعلويين مثيراً للشفقة لدرجة أن بعض العلويين أحياناً كانوا

المبحث الأول

تحركات الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة تحديات المجتمع .

أولاً: التشكيك في شرعية الدولة:

الإمام الهادي عليه السلام باستخدام الفرص المناسبة، من خلال تعريف

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٩، ص ٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٠٢.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٨.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٠٨.

(٥) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩٥.

(٦) القمي، الشيخ عباس، تتممة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٧) القمي، الشيخ عباس، تتممة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٨) القمي، الشيخ عباس، تتممة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ج ٢، ص ٣٤٤، ٣٩٦.

(٩) القمي، الشيخ عباس، تتممة المنتهى في وقائع أيام الخلفاء، ج ٢، ص ٣٤٥، ٣٩٦.

(١٠) الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٣٩٩.



وكيف المذهب في ذلك؟ فقال عليه السلام " ماكان المدخل فيه بالجبر والقهر فالله قابل العذر، وما خلا ذلك ذلك فمكروه، ولا محالة قليله خير من كثيره، وما يكفر به ما يلزمه فيه (من) يرزقه، ويسبب على يديه وما يسرك فينا وفي موالينا" فقال كتبت إليه في جواب ذلك أعلمه أن مذهبي في الدخول في أمرهم وجود السبيل إلى إدخال المكروه على عدوه، وأنسباط اليد في التشفي منهم بشيء وأن أتقرب إليه به اليهم، فأجاب عليه السلام " من فعل ذلك فليس مدخله في العمل حراماً، بل أجراً وثواباً" (٢) وفي هذه الحالة لا يحرم التعاون معهم فقط، بل له أجر ومكافئة" (٣) في هذه الرواية شرح الإمام بوضوح طريقة التعامل الصحيح لهذا الشخص وأوضح له ولغيره من الشيعة أن أجهزة الدولة الحاكمة ليس لديها أدنى شرعية وأنه من الممكن استخدام ميزانية الدولة لمهاجمتهم ومحاربتهم.

(٢) للمزيد من التفصيل ينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة " مكاتيب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ومكاتيب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، تحقيق مجتبى الفرجي، مطبعة دار الحديث، قم، ١٣٨٧ هـ، ج ٦، ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ١٣٧.

العباسيين بأنهم غير شرعيين، حذر الإمام المسلمين من أي تعاون معهم - إلا في حالات الضرورة - وبذلك جعلوا وجوههم أكثر وضوحاً للناس، وقد كتب محمد بن علي بن عيسى^(١)، أحد موظفي الحكومة العباسية، في رسالة إلى الإمام الهادي عليه السلام يسأل فيها عن رأيه في العمل لدى بني حكومة بني العباس وأخذ المال منهم مقابل العمل .

أذ جاء بكتاب مسائل الرجال من مسائل محمد بن علي بن عيسى (محمد بن أحمد بن محمد بن زياد وموسى بن محمد عن محمد بن علي بن عيسى قال: كتبت إلى الشيخ أعزه الله وأيده «يقصد الإمام علي الهادي عليه السلام» أسأله عن العمل لبني العباس أخذ ما أتمكن من أموالهم، هل فيه رخصه؟

(١) محمد بن علي بن عيسى: لعله متحد مع محمد بن علي بن عيسى القمي المعروف بالطلحي، كان وجهاً بقم وأميراً عليها من قبل السلطان، ذكره النجاشي في رجاله وكتب: اخبرنا أبو الفرج محمد بن علي قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن جعفر قال: حدثنا أبي قال حدثنا: محمد بن أحمد بن زياد عن محمد بن علي بن عيسى بالمسائل، للمزيد ينظر: النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الاسدي، رجال النجاشي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم، ١٤٣٩ هـ، ص ٣٧١، تسلسل ١٠١٠.



ثانياً: التأثير العاطفي في بعض

الحاشية:

الحاشية والقادة والجنرالات العسكريون في النظام العباسي، مثل أسيادهم، كانوا مرتبطين بالحكومة والتسلط على الناس، وكان لديهم ضغينة خاصة ضد الأئمة والشيعة، والسبب في اختيار هؤلاء الأشخاص وتعيينهم مناصب رئيسة هو توجيه خبثهم في قمع الشيعة، وعلى هذا فقد أبعد الأئمة أنفسهم وشيعتهم عنهم، ولكن في بعض الحالات عندما توفرت الشروط كانوا يتصلون بهم ويوجهونهم إلى الطريق الصحيح، وكانوا يستخدمونهم لتخفيف الضغط على الشيعة وحل مشاكلهم، من بينها، يمكن ذكر (بغا) من بين القادة والجنرالات الآخرين، كان مخلصاً للدين وأظهر اللطف والسلوك الجيد تجاه العلويين في عام ٢٣٥ هـ^(١)، عندما كان الأئمة في المدينة، تعرضت هذه المدينة لهجوم من قبل ثوار بني سالم، وأرسل الواصل العباسي (بغا) بجيش مسلح لقمع المتمردين، دخل (بغا) في حرب معهم وهزمهم، ولما دخل المدينة خرج الإمام الهادي عليه السلام خارج المدينة

(١) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٦٤،

وشاهد جيشه يمر، عندما رأى الإمام (بغا) تحدث معه باللغة التركية^(٢) وبهذا السلوك وفر الإمام وسيلة التأثير العاطفي في أحد كبار قادة التنظيم وجعله مفتوناً لدرجة أنه قبل قدمي الإمام عليه السلام، ثم شجعه الإمام على قمع اللصوص الذين أساءوا إلى أهل المدينة بنهب الممتلكات العامة وقتلهم، وبعيداً عن ذلك، فقد وجد الإمام شخصاً بين رجال الدولة ويمكنه استخدام نفوذه في النظام لصالح الشيعة المضطهدين من الحكام.

كما أن سلوك الإمام اللطيف مع "يحيى بن هرثمة" قائد الحملة الموكلة لنفي الإمام إلى سامراء وتغيير سلوكه وانبهاره للإمام أمر مهم للغاية^(٣) وفي الطريق كانت هناك كرامات من الإمام وحوادث جعلت يحيى بن هرثمة يهتم ويغير سلوكه^(٤) ومن ذلك الوقت اختار الشيعة وخدم الإمام حتى وفاته^(٥). يقول يحيى بن هرثمة: "بعد دخولي بغداد التقيت أولاً بإسحاق بن إبراهيم أمير بغداد قال لي: "يحيى! هذا

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ١٢.

(٣) المفيد، الإرشاد، ج ٢، ص ٤٣٨.

(٤) المسعودي، إثبات الوصية، ص ١٩٧.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٤٢.



الرجل: فأحضرني عبيد الله بن يحيى وكان يعنى بأمرى ويحب خلاصى فعرفني الخبر ووصف سروره بما جرى وأمرني بالاشهاد على نفسي ببيع الغلام، فأنعمت له، ووجه لإحضار العدول وكتب العهدة، فقلت في نفسي: والله ما بعته غلاما وقد ربته وقد عرف بهذا الأمر واستبصر فيه فيملكه طاغوت فان هذا حرام عليّ.

فلما حضر الشهود وأحضر الغلام فأقرّ لي بالعبودية، قلت للعدول: اشهدوا أنّه حرّ لوجه الله، فكتب عبيد الله بن يحيى بالخبر، فخرج التوقيع ان يقيّد بخمسين رطلا ويغلّ بخمسين ويوضع في أضيق الحبوس.

فقال: فوجّهت بأولادي وجميع أسبائي إلى أصدقائي واخواني يعرفونهم الخبر ويسألونهم السعي في خلاصى وكتبت بعد ذلك بخبري إلى أبي الحسن علي الهادي عليه السلام فوقع إليّ: لا والله لا يكون الفرج حتى تعلم ان الأمر لله وحده.

قال: فأرسلت إلى جميع من كنت راسلته وسألته السعي في أمري أسأله أن لا يتكلّم ولا يسعى في أمري، وأمرت أسبائي ألا يعرفوا خبري ولا يسيروا إلى زائر منهم.

الرجل هو ابن النبي، إذا شجعت المتوكل على قتله فاعلم أن عدوك سيكون رسول الله ﷺ، قلت في رده: أقسم بالله أني لم أر منه شيئاً سوى الخير الذي يجعلني أرغب من فعل شيء كهذا".^(١)

ثالثاً: تقوية الأسس الشعبية:

يراقب الإمام الوضع المأساوي للحكام، ومن أجل منع تدمير قواعد المقاومة لدى الشعب، ومنع اليأس والانفتاح في عملهم، ومن خلال إرضاء الناس ودعمهم واستكشاف أمورهم لحظة بلحظة، حيث كان على الإمام مراقبة الظروف المعيشية، للمجتمع والاستمرار في الدعم حتى لا يفقدوا الأمل عند مواجهة المشاكل والظلم، كذلك من خلال الاستفادة من معرفة ومعرفة إمامته، جعل الإمام الشيعة يدركون المستقبل ويأملون في التفكيك والتغلب على الظلم، أذ ذكر بهذا الشأن مايلي: قال المسعودي: حدّثني بعض الثقات قال: كان بين المتوكل وبين بعض عمّاله من الشيعة معاملة فعملت له مؤامرة ألزم فيها ثمانون ألف درهم فقال المتوكل: ان باعني غلامه الفلاني بهذا المال فليؤخذ منه ويخلّى له السبيل؟ قال (١) ابن الجوزي، تذكرة الخواص، ص ٣٦٠؛ المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٥٧٣.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٥٥ هـ / ٢٠٢٣ م

فلما كان بعد تسعة أيام فتحت الأبواب عني ليلاً فحملت فأخرجت بقيودي فادخلت إلى عبيد الله بن يحيى فقال لي مستبشراً: ورد علي الساعة توقيع أمير المؤمنين يأمرني بتخلية سبيلك، فقلت له: اني لا أحب أن يحل قيودي حتى تكتب إليه تسأله عن السبب في إطلاقي.

اغتاظ علي واستشاط غضباً وأمرني فنحيت من يديه، فلما أصبح ركب إليه ثم عاد فأحضرني وأعلمني أنه رأى في المنام كأن آتياً أتاه وبيده سكين، فقال له: لئن لم تخل سبيل فلان بن فلان لأذبحنك. وأنه انتبه فزعاً فقراً وتعوّذاً ونام. فأتاه الآتي فقال له: أليس أمرتك بتخلية سبيل فلان، لئن لم تخل سبيله الليلة لأذبحنك. فانتبه مذعوراً ودخله شأن في تخليتك ونام. فعاد إليه الثالثة فقال له: والله لئن لم تخل سبيله في هذه الساعة لأذبحنك بهذا السكين. قال: فانتبهت ووقعت إليك بما وقعت. قال: ثم نمت فلم أر شيئاً، فقلت له: اما الآن فتأمر بحل قيودي، فحلوها فخرجت إلى منزلي وأهلي ولم أرد من المال درهما^(١).

سأل رجل من أهل المدائن بأنه سئم من ظلم المتوكل الإمام وعن مدة حكم المتوكل رداً على ذلك، كتب الإمام الهادي عليه السلام مستشهداً بأية من سورة يوسف (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ)^(٢).

والآية الاخرى (ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ هُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ (٤٨) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ)^(٣). وأخيراً كما تنبأ الإمام الهادي عليه السلام، قُتل المتوكل في أول أيام السنة الخامسة عشرة من حكمه^(٤).

رابعاً: النقاش مع الفقهاء أمم الخلفاء:

كان من طرق الخداع المتبعة من قبل أبناء الخلفاء العباسيين استخدام القضاة والفقهاء لكسب ثقة الناس ورسم صورة إسلامية مقدسة عن أنفسهم، لكن الإمام الهادي عليه السلام وقف ضد نظرياتهم ومعتقداتهم وأدانهم مستشهداً بتعاليم الوحي، على سبيل المثال، في يوم من الأيام

(٢) سورة يوسف، الآية ٤٧.

(٣) سورة يوسف، الآية ٩٤.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٨٦.

(١) للمزيد من التفصيل ينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة"، ج ٦، ص ٦٧، تسلسل ٣٣.



بعد الوقوع في الذنب (٢).

خامساً: موقف الإمام الهادي عليه السلام من الحركة العلوية

تزامنت مدة إمامة الإمام الهادي عليه السلام مع الصراعات الدينية والخلافات العلمية والتمييز العرقي والضغط الاقتصادي والسياسية والفوضوية لرجال الدولة العباسيين، مما حوّل أراضهم إلى ساحة صراعات بين الجماعات والأحزاب والحركات المختلفة، يمكن تقسيم هذه الحركات إلى فئتين، الدينية وغير الدينية، اندلعت أعمال الشغب ذات الأهداف الساعية للسلطة والفتنة والحركات التي قام بها العلويون بدوافع مختلفة، على الرغم من أن الإمام كان في وضع صعب للغاية وكان تحت الرقابة المركزة ؛ لكنه بقي كملجأً للشيعة، كانت الدولة العباسية تراقب تحركاتهم بشكل مستمر، طبعاً الظروف لم تسمح لهم بالتواجد بشكل مباشر في التيارات والحركات السياسية إلا أن الإمام عليه السلام تأثر بأخبار الوضع الاقتصادي والسياسي المزري للشيعة، وفي بعض الاوقات المناسبة كان يريهم ويعاملهم بلطف إن أمكن، على الرغم

تم إحضار مسيحي ارتكب الزنا مع مسلمة إلى المتوكل، أراد المتوكل أن يفرض عليه حداً شرعياً، فقال: لكن الرجل المسيحي شهد في تلك اللحظة وأسلم، وأحالوا الحكم إلى يحيى بن أكثم، قال: ولا يسري الحد عليه بسبب إسلامه، كانت الدعوى محل نزاع وأصدر كل من الفقهاء فتوى بطريقة مختلفة، ودفع الخلاف بين الفقهاء المتوكل إلى مناقشة هذه المسألة مع الإمام الهادي عليه السلام، فقال الإمام: "يجلد حتى يموت"، وقد انتقد فقهاء المحكمة بشدة فتوى الإمام وعارضها فقهاء المحكمة، ولا سيما يحيى بن أكثم، وقالوا إن هذه الفتوى ليس لها أي دعم قرآني، لذلك طلبوا من المتوكل أن يطلب فتوى الإمام كتابة، كتب المتوكل رسالة إلى الإمام، وكتب الإمام رداً على رسالته الآيتين من سورة يوسف (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ، فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) (١)، وشرح لهم الإمام الهادي عليه السلام بذكر هذين الآيتين الشريفتين: كما أن إيمان المشركين لم يمنعهم من عقاب الله بعد هزيمتهم، فإن اعتناق هذا النصراني للإسلام لا يزيل عنه الحد

(٢) العاملي، وسائل الشيعة، ج ٨١، ص ٨٠٤.

(١) سورة غافر، الآية ٨٤-٨٥.



مَجْلَدُ الرَّابِعَةِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

من ذلك الاختناق الشديد، لم يكن للثوار قيادة كاملة من قبل الإمام، لكن يتضح من بعض الروايات أن نصائح الإمام الميرة وإرشاداته النافعة قد وردت في حالتهم.

لم ير الإمام الهادي عليه السلام أن أوضاع المجتمع مناسبة للقيام بأنتفاضة مسلحة بسبب خنق وضغوط العباسيين كانت سارية على قدم وساق ^(١) لأن أتباع الإمام كانوا قليلين مقارنة بعدد عامة المسلمين، معتبراً أن الجو العام للمجتمع يتشكل من الباحثين عن الرفاهية واللامبالاة بالمصير السياسي، لأن فكر المجتمع كان في وقتها يتشكل مع مراعاة المصالح الشخصية ونهج الحياة المادية وهذا هو السبب، كان ذلك مثل الحكام الأشرار، تحولوا أيضاً إلى عدم الانضباط، ولو كان الإمام الهادي عليه السلام قد بدأ مثل هذه الحركة أو ذهب باتجاه الثورة المسلحة، لكان قد واجه معارضة الجماهير عليه، فإن الإمام عليه السلام مثل أسلافه الأتقياء وجد أن خلاص الأمة في الصبر والصمت وتربية النفوس والضمائر وتهيئة المجتمع بطرق أخرى ^(٢).

الإمام الهادي عليه السلام بأتباعه سياسة

النضال السلبي مع الحكام المستبدين والاهتمام بنمو الأمة الإسلامية وتطورها، أعطى الجمهور مهلة للوصول إلى النضج السياسي اللازم خلال هذه المدة وعدم التضحية بإسلامهم وتعريضهم للقتل والتشريد، لم يكن موقف الإمام عليه السلام الصريح ضد الحكومة هو الذي يضمن الأهداف المذكورة أعلاه ؛ بل يؤدي إلى ضعف وانهيار الجبهة الشيعية الثائرة، لذلك خلال هذه المدة، شكل الإمام جهاده بشكل غير مسلح وكتب رسائل إلى الشيعة في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي، دعاهم إلى الاستنارة في الدين، لتجنب الوقوع في الفتن والتيارات التي يخلقها ويدفعها العباسيون، ومن بينها رسالة لأحد الشيعة في بغداد جاء فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة فإن يفعل فأعظم بها نعمة). ^(٣)

(١) الطبرسي، اعلام الوري، ص ٣٤٣.

(٢) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٠٥.

(٣) الدخيل، أئمتنا، ج ٢، ص ٢٢٢.

المبحث الثاني

تحركات الإمام الهادي عليه السلام في مواجهة الانحرافات الدينية والعقائدية:

أولاً: الإمام الهادي عليه السلام وإشاعة

تحريف القرآن

كان تحريف القرآن من الموضوعات التي نوقشت في عهد الإمام الهادي عليه السلام، اعتقدت الطائفة الحشوية من أهل السنة أن القرآن قد تم العبث به وأن كتاب الوحي ربما حذفوا بعض الآيات، نقل علماء الحديث: من الآيات التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله جملة " كان فيما انزل عشرة رضعات معلومات فنسخن بخمسة معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وآله وهن مما يقرأ من القرآن^(١) في وقت استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله كانت هذه الجمل موجودة في القرآن وثقراً، لكنها الآن غير موجودة، كما روى البخاري عن عمر بن الخطاب أن هناك آية في الرجم قرأناها وعملنا بها، وهذه الآية لم تعد موجودة في القرآن، وروى أهل السنة عن أبي موسى الأشعري أن في القرآن سورة مثل سورة البراء، فكانت آياتها على النحو التالي: لو

(١) السيوطي، الاتقان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٧٠.

كان لأبن آدم واديان من مال لأتبعى واديا ثالثاً ولايملاً جوف ابن آدم الا التراب^(٢) أطلق السنة فيما بعد على هذا التغيير نسخة التلاوة، أثناء قبول مطالبهم يعني تأكيد القرآن.

استغل الإمام الهادي عليه السلام كل فرصة مناسبة لدحض آراء الذين آمنوا بتحريف القرآن وأكد أن القرآن محصن من أي نقص أو إضافة وكتب عن هذا: قد اجتمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم ان القرآن حق لا ريب فيه عند جميع الفرق وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه^(٣)، يقسم الإمام الهادي عليه السلام الأخبار إلى قسمين: الأخبار الصحيحة والأخبار الكاذبة التي يجب تجنبها، وإذا دل القرآن على صحة الرواية، ولكن جماعة من الناس لا تقبلها، فعليهم قبول صحتها؛ لأن كل الأمم متفقة على أصالة القرآن^(٤) وأشار الإمام الهادي عليه السلام إلى حديث الثقلين أنه في آية الولاية وكرامة نزول الآية وجوب طاعة أهل البيت، ثم خلص إلى ما يلي: بما أن القرآن أكد هذا الخبر مع شواهد أخرى

(٢) النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٠٠، باب ان كان لأبن آدم واديان.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٣٨.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٣٨.





العدد: الثامن

السنّة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

تقر الأمة بأنه ضروري والقرآن شاهد على صدق هذه الأخبار وهذه الأخبار متوافقة مع القرآن والقرآن متفق معها^(١) ناقش الإمام الهادي عليه السلام بآيات قرآنية عدة مرات في أحكام الشريعة وقضايا أخرى ومنها: سلطة الحاكم الإسلامي في تطبيق الحدود، وأعمال الإيمان بدافع الخوف^(٢)، وعلم الأئمة، ونحو ذلك، وهو دليل واضح على أصالة القرآن، وعلم الأئمة ونبذ التحريف الباطل للقرآن.

ثانياً: الإمام الهادي عليه السلام وقضية الجبر والتفويض.

رداً على رسالة كتبها إليه أهل الأهواز، أثار الإمام الهادي عليه السلام قضية الأشخاص الذين يتبعون منهج الجبر والتفويض وطالب بالحل وقدم الإمام الحلول لبعض المشاكل والانحرافات وأعتبرها قضية أساسية في هذا الموضوع هو العودة والتمسك بالقرآن وآل النبي صلى الله عليه وسلم، وأن الإمام الهادي عليه السلام سعى جاهداً لأثبات وجهة نظره بطريقة مكثفة وجادة، ثم أشار إلى بعض الآيات

السمائية والروايات النبوية، فذكر وأثبت سلطان وعظمة ومكانة أمير المؤمنين علي عليه السلام^(٣) الإمام الهادي عليه السلام بعد أن ذكر تلك المقدمة نقول: "أنه قال بقول الإمام الصادق عليه السلام الذي قال: لا جبرَ ولا تفويضَ ولكنْ مَنْزِلَةٌ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ"^(٤) يبدأ باقتراح إجابة ويعتبر كلا النظريتين خاطئتين، والنظرية الصحيحة شيء بينهما، ويعتبر رأي القرآن شاهداً على صدق مثل هذا القول ويؤكد مرة أخرى ويستشهد بقول الإمام الصادق عليه السلام فيقول: وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا^(٥) إِنَّ الْإِمَامَ الصَّادِقَ عليه السلام سُئِلَ هَلْ أَجَبَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَى الْمَعَاصِي؟ فَقَالَ الصَّادِقُ عليه السلام "هُوَ أَعْدَلُ مِنْ ذَلِكَ. فَقِيلَ لَهُ: فَهَلْ فَوَّضَ إِلَيْهِمْ؟ فَقَالَ عليه السلام: هُوَ أَعَزُّ وَأَقْهَرُ هُمْ مِنْ ذَلِكَ"^(٦) ثم يقول: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "النَّاسُ فِي الْقَدَرِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ: رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ مَفْوُضٌ إِلَيْهِ فَقَدْ وَهَنَ اللَّهُ فِي سُلْطَانِهِ فَهُوَ هَالِكٌ وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٣٨.

٣٣٩.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤٠.

(٥) وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، ينظر: سورة الكهف،

الآية ٤٩.

(٦) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤٠.

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٣٨.

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٢،

ص ٤٢٣.



عَزَّ وَجَلَّ أَجَبَ الْعِبَادَ عَلَى الْمُعَاصِي وَكَلَّفَهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ فَهُوَ هَالِكٌ وَرَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ كَلَّفَ الْعِبَادَ مَا يُطِيقُونَ وَلَمْ يَكْلَفْهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ فَإِذَا أَحْسَنَ حَمْدَ اللَّهِ وَإِذَا أَسَاءَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ؛ فَهَذَا مُسْلِمٌ بِالْغُ"^(١).

الْعَجَزَ وَأَوْجَبَ عَلَيْهِ قَبُولَ كُلِّ مَا عَمَلُوا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَأَبْطَلَ أَمْرَ اللَّهِ وَنَهْيَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، لِإِلْعَالِهِ مَا زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَوَّضَهَا إِلَيْهِ لِأَنَّ الْمُفَوَّضَ إِلَيْهِ يَعْمَلُ بِمَشِيئَتِهِ، فَإِنْ شَاءَ الْكُفْرَ أَوْ الْإِيمَانَ كَانَ غَيْرَ مَرْدُودٍ عَلَيْهِ وَلَا مُحْظُورٍ^(٣).

بعد ذلك يشرح الإمام عليه السلام أكثر في مسألة الجبر والتفويض ويوضح أن كلاهما على خطأ، يقول الإمام الهادي عليه السلام "فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يَلْزُمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطَأُ فَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجَبَ الْعِبَادَ عَلَى الْمُعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" وَقَوْلُهُ "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"^(٢)، وَأَمَّا التَّفْوِيزُ الَّذِي أَبْطَلَهُ الصَّادِقُ عليه السلام وَأَخْطَأَ مَنْ دَانَ بِهِ وَتَقَلَّدَهُ فَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ فَوَّضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ

الإمام الهادي عليه السلام بعد دحض كل من النظريات المتطرفة، يطرح الرأي الصحيح والصحيح، وهو "الأمر بين الأمرين": لكن نقول: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ وَمَلَكَهُمْ إِسْطِطَاعَةً تَعَبَّدَهُمْ بِهَا، فَأَمَرَهُمْ وَنَهَاَهُمْ بِمَا أَرَادَ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ اتِّبَاعَ أَمْرِهِ وَرَضِيَ بِذَلِكَ لَهُمْ، وَنَهَاَهُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ وَذَمَّ مَنْ عَصَاهُ وَعَاقَبَهُ عَلَيْهَا.^(٤)

ثالثاً: موقف الإمام الهادي عليه السلام من الغلاة

من بين المشاكل الثقافية الأخرى للمجتمع الإسلامي أثناء إمامة الإمام الهادي عليه السلام وجود المغالين، لقد استخدموا كلام الأئمة الطاهرين لنشر كلام غير شرعي ومخالف لآيات القرآن الواضحة بين الناس، وأساءوا إلى الأبرياء وبهذه

(١) للمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع، ينظر: الحجاج، ماهر سامي كباشي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز - شرح حديث الإمام الصادق عليه السلام القسم الخامس، ص ٢١.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤١.

(٣) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤٤.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤٠.

بعد ذلك يشرح الإمام عليه السلام أكثر في مسألة الجبر والتفويض ويوضح أن كلاهما على خطأ، يقول الإمام الهادي عليه السلام "فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يَلْزُمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطَأُ فَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجَبَ الْعِبَادَ عَلَى الْمُعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" وَقَوْلُهُ "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"^(٢)، وَأَمَّا التَّفْوِيزُ الَّذِي أَبْطَلَهُ الصَّادِقُ عليه السلام وَأَخْطَأَ مَنْ دَانَ بِهِ وَتَقَلَّدَهُ فَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ فَوَّضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ

بعد ذلك يشرح الإمام عليه السلام أكثر في مسألة الجبر والتفويض ويوضح أن كلاهما على خطأ، يقول الإمام الهادي عليه السلام "فَأَمَّا الْجَبْرُ الَّذِي يَلْزُمُ مَنْ دَانَ بِهِ الْخَطَأُ فَهُوَ قَوْلُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ أَجَبَ الْعِبَادَ عَلَى الْمُعَاصِي وَعَاقَبَهُمْ عَلَيْهَا وَمَنْ قَالَ بِهَذَا الْقَوْلِ فَقَدْ ظَلَمَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ وَكَذَّبَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ قَوْلَهُ "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" وَقَوْلُهُ "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ"^(٢)، وَأَمَّا التَّفْوِيزُ الَّذِي أَبْطَلَهُ الصَّادِقُ عليه السلام وَأَخْطَأَ مَنْ دَانَ بِهِ وَتَقَلَّدَهُ فَهُوَ قَوْلُ الْقَائِلِ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرَهُ فَوَّضَ إِلَى الْعِبَادِ اخْتِيَارَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَأَهْمَلَهُمْ؛ فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوَّضَ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ إِلَى عِبَادِهِ فَقَدْ أَثْبَتَ عَلَيْهِ

(١) للمزيد من التفصيل عن هذا الموضوع، ينظر: الحجاج، ماهر سامي كباشي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الاهواز - شرح حديث الإمام الصادق عليه السلام القسم الخامس، ص ٢١.

(٢) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٣٤١.



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الطريقة رفعوا هؤلاء النبلاء إلى مرتبة الله وقادوا الكثير من الناس إلى الضلال بهذه الأفكار الخاطئة، كان لوجود هؤلاء خلفية تاريخية في زمن الإمام الهادي عليه السلام ويعود إلى ما قبله وحتى عهد الإمام علي عليه السلام، يتجنب الإمام زين العابدين عليه السلام المغالين هكذا ويقول: "إِنَّ قَوْمًا مِنْ شِيعَتِنَا سَيَحْجُبُونَا حَتَّى يَقُولُوا فِينَا مَا قَالَتْ الْيَهُودُ فِي عَزْرٍ وَقَالَتْ النَّصَارَى فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ فَلَا هُمْ مِنَّا وَلَا نَحْنُ مِنْهُمْ"^(١) لقد حارب الأئمة الأطهار عليهم السلام دائماً هؤلاء الناس وفي جميع الظروف، وبتخاذهم موقفاً حازماً ضد طريقة التفكير هذه، لم يسمحوا لهؤلاء الناس بتشويه سمعتهم بنسب أنفسهم إلى الشيعة، عن الإمام السجاد عليه السلام قال: أَحَبُّونَا حُبَّ الْإِسْلَامِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ بِنَا مَا تَقُولُونَ حَتَّى بَغَضْتُمُونَا إِلَى النَّاسِ"^(٢) ونظراً لوجود هؤلاء وأنشطتهم ووجود الشخصيات في رؤوسهم، لم يعد الإمام الهادي عليه السلام السكوت أمام هذه المجموعة المضلة والمضللة جائزاً وحاربهم بشكل حاسم وعلمي، كان بخطابه الحكيم ورسائله المنيرة يحدد حدود التجاوزات ويحذر المحبين الحقيقيين لأهل البيت من

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ١٠٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٥، ٢١٤.

الميل نحو أفكارهم الخاطئة ويتعاملون مع هؤلاء بطرق مختلفة^(٣) وكان قادة هذه المجموعة الضالة والخطيرة أناساً مثل: علي بن حسكة القمي، وقاسم اليقطيني، وحسن بن محمد بن البابائي القمي، ومحمد بن نصير الفهري، وفارس بن حكيم^(٤).

كتب أحمد بن محمد بن عيسى وإبراهيم بن شيبه رسالة مفصلة للإمام الهادي عليه السلام ذكروا فيها طريقة تفكير ومعتقدات أهل زمانهم، وعبر عن بعض تلك المعتقدات، وذكروا أيضاً شخصيتين من العظماء في زمانهما، كان علي بن حسكة وقاسم اليقطيني، يطلبان الآراء والواجبات من الإمام، فكتب الإمام بوضوح في الجواب: كَيْسَ هَذَا دِينُنَا فَأَعْتَرَلَهُ"^(٥) وفي مكان ما يلعن الإمام الهادي عليه السلام هذين الشخصين صراحة، يقول أحمد بن محمد بن عيسى: كتب إلي الإمام الهادي عليه السلام رسالة كانت بدايتها كالتالي: "لَعَنَ اللَّهُ الْقَاسِمَ الْيَقْطِينِي وَلَعَنَ اللَّهُ عَلِيَّ بْنَ حَسَكَةَ الْقُمِي، إِنَّ شَيْطَانَنَا

(٣) القرشي، باقر شريف، حياه الإمام علي الهادي، ص ٨٦٤.

(٤) الپیشوایی، سيرة القادة، ص ٦٠٣.

(٥) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥١٨ -



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

المدة^(٤) كما نشر علي بن حسكة ومجموعة من بين الناس فكرة أن كل شيء له مظهر خارجي وداخلي، ولا ينبغي لأحد أن يلتفت لمواجهة آيات القرآن، والجوهر هو باطنه، ومعرفة ما بداخل الآيات أمر يفوق فهم الناس، فسروا معاني الآيات حسب رغباتهم، فكان ذلك حافزا على النفاق ومهد الطريق لمن يبحث عن اللذة والمتعة، حاول الإمام الهادي عليه السلام وأتباعه بكل قوتهم مواجهة هذا التيار الخطير، وبتفسير العقائد التوحيدية بشكل صحيح، أزالوا الشكوك عن أذهان الشيعة، وكان يقول: إن ألائمة عباد الله وموتهم وحياتهم وإعالتهم بيده وهم كباقي الناس ملزمون بالصلاة والصوم، من يؤمن بربوبية الأئمة فهو كاذب ومشرک ويجب إصلاحه، وإلا رفض من المجتمع الإسلامي^(٥) وكتبت جماعة من الشيعة للإمام الهادي عليه السلام: بعض الناس يقولون أشياء وينسبون إليك روايات لك ولآبائك تشمئز القلوب عند سماعها، ولكن لأن هذه الأحاديث منسوبة إلى آبائكم، فلا يمكننا رفضها، ومن ناحية أخرى لا يمكننا قبولها^(٦).

تَرَأَى لِلْقَاسِمِ فَيُوحَى إِلَيْهِ زُخْرُفُ الْقَوْلِ غُرُورًا^(١) قال نصر بن صباح:، أن الإمام العسكري عليه السلام لعن حسن بن محمد الملقب بابن بابا ومحمد بن ناصر النميري وفارس بن حاتم القزويني^(٢) حتى على ما وصل إلينا فإن موضوع مواجهة الإمام الهادي عليه السلام يتجاوز اجتنابهم وبغضهم ولعنهم، يقول أحمد بن محمد بن عيسى: إِنَّ أَبَا الْحَسَنِ الْهَادِي عليه السلام أَمَرَ بِقَتْلِ فَارِسِ بْنِ حَاتِمِ الْقَزْوِينِيِّ وَصَمِّنَ لِمَنْ قَتَلَهُ الْجَنَّةَ فَقَتَلَهُ جُنَيْدًا^(٣).

رابعاً: موقف الإمام الهادي عليه السلام من مدعي النبوة

ادعى محمد بن نصير النميري أنه نبي الله وأرسله علي بن محمد الهادي عليه السلام رسولا كما آمن بالتناسخ واعتبر الزواج بالسفاح جائزا، كما دعمه محمد بن موسى بن فرات، وبعد وفاة محمد بن نصير، انقسم أتباعه الملقبون بالنصيرية إلى عدة مجموعات، وكان أبو العباس الطبراني وأبو عبد الله الكندي، المعروفان بـ الملك والرئيس وهم من قادة الغلاة في هذه

(٤) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢١.

(٥) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٢.

(٦) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٤٣٥.

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٠.

(٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٠.

(٣) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٥٢٤.



خامساً: الانحراف لأسباب مادية.

كان فارس بن حاتم القزويني نائباً عن الإمام الهادي عليه السلام، لكنه ترك خط الدين تدريجياً وتعبيره عن المعتقدات الكفرية، حوّل الناس عن الصراط المستقيم، كان مسؤولاً عن جباية الأموال والأموال الإسلامية، لكنه استخدمها خلافاً لمصالح الدين ورغبة الإمام عليه السلام، وذهب بعيداً في السير في الطريق الباطل وإثارة الفتنة والانقسام بين الشيعة، حتى أن مرسوم الردة والكفر صدر عن الإمام الهادي عليه السلام بحقه^(١) ومن ثم عزله الإمام من مسؤولياته وأمر مختلف الناس بعدم قبول أكاذيبه وتجنبه والاستخفاف به، لكن مكائد فارس لم تنته واستمر في التضييل، استخدمت كلماته لإحداث خلافات بين الناس، وتأكيد أكثر، نعته الإمام بالخائن وقال قال الكشي: وجدت بخط جبرئيل بن أحمد، حدثني موسى بن جعفر بن وهب، عن محمد بن إبراهيم، عن إبراهيم بن داود اليعقوبي، قال: كتبت إليه - يعني إلى أبي الحسن الإمام الهادي عليه السلام أعلمه - أمر فارس بن حاتم، فكتب: لا تحفلن به، وإن أتاك فاستخف به، وعنه بإسناده عن موسى، قال: كتب عروة إلى أبي الحسن عليه السلام

في أمر فارس بن حاتم، فكتب: كذبوه واهتكوه، أبعد الله وأخزاه، فهو كاذب في جميع ما يدعي ويصف، ولكن صونوا أنفسكم عن الخوض والكلام في ذلك، وتوقوا مشاورته، ولا تجعلوا له السبيل إلى طلب الشر، فكفانا الله مؤونته ومؤونة من كان مثله^(٢).

سادساً: مجموعة المجسمة

ومن الأفكار والمعتقدات المنحرفة التي كانت موجودة لدى بعض المسلمين وحتى تغلغل في صفوف الشيعة والتي تسببت في اختلافات وانقسامات بين الشيعة، الإيمان بتجسد الله أو الإيمان بإمكانية رؤية الله، تصور أعضاء هذه المجموعة أن الله جسد، كان لديهم تصورات سطحية وبدائية للغاية عن الدين ولم يتمكنوا من فهم الأشياء المجردة والأشياء التي كانت خارجة عن سيطرة الجسد والمادة، لذلك أنكروا العديد من حقائق الوجود التي كانت خارجة عن مملكة الأشياء المادية، رغم أن الجو الثقافي والسياسي في زمن الإمام النجم الساطع العاشر في سماء الإمامة وولاية الإمام علي الهادي عليه السلام، كان هناك ضغط

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٥٠٢. (٢) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٤٤١.



فَقَالَ وَيْلَكَ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ، قَالَ: وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ وَيْلَكَ لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْإِبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ^(٣).

سابعاً: دور الإمام الهادي ع عليه السلام في

تبديد الخرافات

من أهم واجبات الأئمة المعصومين حماية خصوصية المعتقدات والقيم الإسلامية الحقيقية، وباعتبارهم أوصياء على القرآن والسنة، فقد عارضوا بشدة التحريفات والبدع التي أضرت بالثقافة الإسلامية البحتة وضحوا بأرواحهم لتحقيق هذا الهدف الإلهي، تعد مدة إمامة الإمام الهادي ع عليه السلام، خاصة زمن خلافة المتوكل العباسي، من المدد المظلمة في التاريخ الإسلامي، لقد كانت في أيدي أناس قاتلوا ضد حرية التفكير والنقد، كانت معارضة المتوكل المباشرة للمعتزلة والشيعة في الواقع معركة ضد العقلانية، لأن هاتين المجموعتين تنتقدان الأحاديث ولا تقبلان كل شيء دون سؤال، وكان من نتائج هذا التفكير المتحجر العنف والفرقة وانتشار الخرافات والتقاليد الباطلة بأسم النبي ﷺ، مما أدى إلى ظهور طبقة من الكهان

مفرط، لكن سياسته تدل على أن موقفه من مشاكل المجتمع هي الطريقة الأكثر عقلانية والأكثر تفضيلاً، وأي حركة أو موقف آخر غير ذلك كان من الممكن أن يوجه ضربات إلى جسد الإسلام لا يمكن إصلاحها، سأل صقر بن دلف الإمام الهادي ع عليه السلام عن التوحيد قال: "إنه ليس منّا من زعم أن الله عز وجل جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة، يابن أبي دلف إنّ الجسم محدث والله محدثه ومجسمه^(١) يا ابن أبي دلف! الجسد حادث والله خلقه وأعطاه شكلاً"، كما يروي سهل بن زياد عن إبراهيم بن محمد الحمداني أنني كتبت للإمام علي النقي ع عليه السلام أن أتباعك في هذه المدينة يختلفون في التوحيد، يقول البعض أن الله جسد. ورداً على ذلك كتب الإمام ع عليه السلام بخط يده: سبحان من لا يحد ولا يوصف ليس كمثله شيء وهو السميع العليم^(٢) كما يتضح من كلمات بعض الناس أنهم آمنوا بإمكانية رؤية الله ورؤيته بالعيون، كما واجه الأئمة عليهم السلام هذا الأسلوب في التفكير، عن الإمام الصادق ع عليه السلام "جاء جبرٌ إلى أمير المؤمنين ع عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته؟

(١) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٤٠١.

(٢) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٦٥١.

(٣) الصدوق، التوحيد، ج ٦، ص ١٠٩.



والسحرة ورواة القصص خلال هذه المدة، اعتاد رواة القصص ترفيه الناس عن طريق سرد قصص مزيفة مأخوذة من التوراة المحرفة، من الموضوعات الشائعة في هذه المدة الإيمان بالخطأ أو السعادة في بعض الأماكن والأوقات والأشياء الأخرى، هذه الظاهرة متجذرة في معتقدات ما قبل الإسلام، وقد عد الإمام الهادي عليه السلام هذا التفكير شركاً وخطيئة، واعتقد أن من يتبعه عليه أن يتوب.

أذ يقول حسن بن مسعود: وصلت ذات يوم لخدمة الإمام علي النقي عليه السلام وأصيب إصبعي وتمزقت ملابسني بسبب اصطدام راكب، فقلت: يا له من يوم حزين اليوم!" قال الإمام علي الهادي عليه السلام: لماذا تضع ذنبك على من لا إثم؟ قال حسن: علمت أنني أخطأت، قلت: يا ربي! استغفر الله، قال الإمام عليه السلام: يا حسن! ألا تعلم أن الله وحده هو الذي يجازي ويعاقب ويعاقب في الدنيا والآخرة؟! قلت: أعرف لماذا! قال الإمام عليه السلام: فلا يصيبهم خلافاً لهذا^(١).

(١) القمي، الشيخ عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، ج ٢، ص ٥٨١.

ثامناً: لقاء الإمام الهادي عليه السلام

بالصوفيين:

من بين الجماعات المنحرفة الأخرى التي تسببت في شهرة الشيعة في المجتمع الإسلامي، كان أتباع المدرسة الصوفية، هذه المجموعة تضلل الناس بإظهار وجه زاهد وصوفي، كانوا يجتمعون في الأماكن المقدسة كمسجد الرسول صلى الله عليه وآله ويخضعون الجمهور بالصلوات والأذكار الخاصة، حيد الإمام الهادي عليه السلام مؤامرتهم برد فعل سريع، يقول محمد بن أبي خطاب: كنت أجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله عليه وسلم مع جماعة من أصحاب الإمام العاشر عليه السلام، وفجأة دخلت مجموعة من الصوفيين إلى المسجد وتجمعوا حوله وبدأوا يقولون "لا إله إلا الله"، التفت إلينا الإمام الهادي عليه السلام وقال: لا تلتفت إلى هؤلاء الغشاشين المنافقين، هم في تحالف مع الشياطين ومن أجل راحة الجسد، يظهر الزهد والتقوى، وحياتهم الليلية هي الحصول على الأطعمة الدسمة والحلوة، ثم تابع الإمام الهادي عليه السلام: من زارهم حياً وميتاً فقد زار إبليس وعبدته المشركين، قال أحد الشيعة: من يؤمن بإمامتك وحقوقك، فهل تقابلهم إشكال؟ ونظر إليه الإمام الهادي عليه السلام بغضب فقال:



للسلطة، أدت هذه الإجراءات إلى إحباط العديد من المؤامرات لنظام السلطة، كما أنّ الإمام خالف رأي العلويين بخصوص الانتفاضة ولكنّه شكل محاربة غير مباشرة، حيث خاطب محبيه في نقاط مختلفة من البلاد الإسلامية برسائل، داعيًا إياهم للبصيرة في الدين، الابتعاد عن الفتن والتطورات التي مردّها العباسيون، أما فيما يتعلق بمواجهة التيارات المنحرفة، رأى أنّ السكوت أمام الزمر الضالة والمضلة ليس جائزًا، فنازعهم بشكل صريح وصارم، وضع الإمام حدًا للإفراط والتفريط بأقواله الحكيمة ورسائله التنويرية، محذّرًا المحبين الحقيقيين لأهل البيت من الأفكار الخاطئة ويتعامل معهم بأساليب مختلفة.

اترك هذه الأفكار الباطلة من قبل إمامتنا لن يتعارض مع أسلوبنا ومواقفتنا، ألا تعلم أن كل الصوفيين معارضون لنا؟

الاستنتاج والخاتمة :

حسب ما جاء، يمكن القول باختصار أنّه كانت عصر الإمام الهادي عليه السلام يسوده التوتر. بغض النظر عن الميزات الفردية للخلفاء العباسيين المعاصرين للإمام عليه السلام المتمثلة في كون معظمهم معارضين لأهل البيت، أو بعبارة أخرى معارضين للشيعة، إلى درجة أنّ بعضهم كالمتموكل خلقوا أسوأ أجواء للشيعة ومحبي أهل البيت؛ كان الإمام قد واجه تحديات شاملة، بما فيها التيارات المنحرفة. فشرع الإمام عليه السلام في محاربة نظام الحكم بشكل غير مباشر، عبر مجموعة من برامج توجيهية، ثقافية وتربوية، ومارس نشاطات ضد الحكومة دون إثارة شكوكها، كما وسّع من رقعتها حسب الظروف بحيث لا يلحق الشيعة أي أذى، اتخذ الإمام عليه السلام في محاربة السلطة الظالمة، إجراءات بارزة وعميقة، منها: التشكيك في شرعية السلطة العباسية، النفوذ العاطفي في البعض من رجال الحكومة، تعزيز القواعد الشعبية، محاربة رجال الدين

القرآن كريم

١. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق عبدالله القاضي، دارالكتب العلمية بيروت، ١٤١٥ هـ، ج ٧.

٢. ابن الجوزي، سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص، مكتبة نينوى الحديثة، طهران.

٣. ابن سعد، الطبقات الكبرى، طبع دارصادر، بيروت، ١٤١٨ ق.

٤. ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، انتشارات ذوي القربى، ١٣٧٩ ق، ج ١-٤.

٥. الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبين، المكتبة الحيدرية، النجف الاشرف، الطبعة الثانية، ١٩٦٥ م.

٦. البخاري، صحيح البخاري، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج ٨، ح ٦٨٣٠.

٧. پيشوايي، مهدي، سيرة الأئمة، طبع مؤسسة الإمام صادق عليه السلام، قم، ١٤٢٣ ق.

٨. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، طبع علي أكبر غفاري، قم

٩. دخيل، محمد علي، أئمتنا، سيرة الأئمة الإثني عشر عليهم السلام، دار الكتاب الإسلامي، قم، ١٤٢٩، ج ٢.

١٠. سعد، طعمة، المصاييح الزاهرة، دارالاعتصام، قم، ج ٢، ١٤٢٠ هـ. ق، ج ٢.

١١. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٣٩٤ هـ، ج ١-٢-٤.

١٢. السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تصحيح محمود رياض الحلبي، انتشارات دارالمعرفة، بيروت، ١٤٢٥ ق.

١٣. الشيخ المفيد، محمد بن محمد بن نعمان، الإرشاد، شرح وتحقيق السيد هاشم رسولي محلاتي، علمية إسلامية، طهران، ج ٢.

١٤. الصدوق، التوحيد، تحقيق هاشم حسيني طهراني، قم، ١٣٩٨ ق.

١٥. الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، تحقيق وطبع: مؤسسة آل البيت، قم، ١٤١٧ ق.



١٦. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ق. بن رستم، تاريخ الطبري، دار روائع التراث العربي، بيروت، ج ٩.
١٧. الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال، تحقيق سيد مهدي رجائي، مؤسسة آل البيت عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٤ ق.
١٨. العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ج ١٢.
١٩. القرشي، باقر شريف، سيرة الإمام علي الهادي عليه السلام، قم، جمعية معلمي مدرسة قم، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤١٢.
٢٠. القمي، الشيخ عباس، تنمئة المنتهى في وقائع ايام الخلفاء، المكتبة المركزية، طهران، ج ١٣٢٥ ش.
٢١. القمي، الشيخ عباس، سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار، طبع دار الثقافة والفكر العامة، قم المقدسة.
٢٢. الكليني، أصول الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، تهران، ١٣٨٨ ق، ج ٣.
٢٣. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣.
٢٤. المجلسي، محمد باقر، جلاء العيون، مطبعة سرور، قم، ١٣٨٢ ش.
٢٥. المركز العالمي لأهل البيت، اعلام الهداية، منشورات ليلي، قم، ج ١٢.
٢٦. المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المنشورات العلمية والثقافية، طهران، ١٣٧٠ ش، ج ٢.
٢٧. المسعودي، علي بن الحسين، إثبات الوصية، المكتبة المرتضوية، النجف الاشرف.
٢٨. الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة "مكاتيب الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ومكاتيب الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام"، تحقيق مجتبي الفرجي، مطبعة دار الحديث، قم، ١٣٨٧ هـ، ج ٦.
٢٩. النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي الاسدي، رجال النجاشي، طبع مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، قم، ١٤٣٩ هـ.
٣٠. النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، دارالفكر، بيروت، ج ٣.
٣١. هيئه التحريرية معهد علي الطريق الصحيح، القائد العاشر سلمان الفارسي،

قم، معهد على الطريق الصحيح،
١٤١٧ق.

٣٢. اليعقوبي، أحمد ابن أبي يعقوب،
تاريخ اليعقوبي، شركة ترجمة الكتب
والنشر، طهران، ١٩٧٧ م، ج ٢.

١٩٢



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن

السنّة: الرابعة

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

د. بهمن زينلي

الْقَصْدُ وَالْقَبُولُ وَأَثْرُهُمَا فِي بِنَاءِ النَّصِّ
خِطَابُ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتِياراً

**Intention and Acceptance and Their
Effect on Text Building in Imam Al-Hadi's
(PBUH) Discourse**

م.د. أحمد موفق مهدي
جامعة البصرة
كلية التربية للبنات

**Lect.Dr. Ahmed Muafaq Mahdi
University of Basra
College of Education for Women**



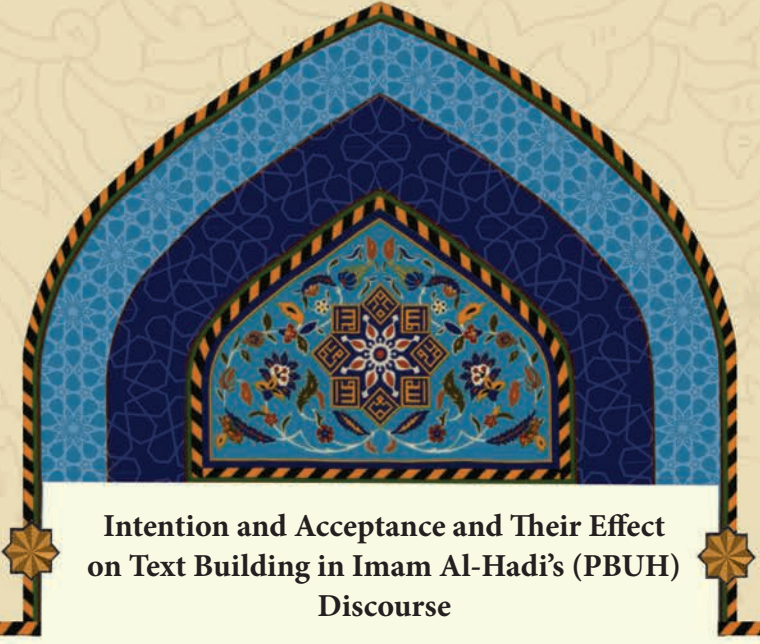
الْقَصْدُ وَالْقَبُولُ وَآثَرُهُمَا فِي بِنَاءِ النَّصِّ خِطَابُ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ اخْتِياراً

الملخص:

يستقري البحث وجوه القصد والقَبُولُ وآثرُهُمَا فِي بِنَاءِ النَّصِّ خِطَابُ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ طَرِيقِ إِيْجَاءِ الْأَلْفَاظِ، وَالْجَمْلِ، وَقَدْ وَظَفْتُ مِصْطَلَحَ الْقَصْدِ الْمَعْرُوفِ فِي عِلْمِ النَّصِّ لِأَنَّهُ مِنْ اتِّسَاعِ فِي الْإِسْتِعْمَالِ؛ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ دَقَّةً فِي التَّعْبِيرِ عَنْ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ الْبَحْثَ يَكْشِفُ عَنْ مَقَاصِدَ مُتَعَدِّدَةٍ، وَتَمَثَّلَتْ مَفَاهِيمُ الْمَقْبُولِيَّةِ عِنْدَ الْبَلَاغِيِّينَ عِبْرَ الْمِشَارَكَةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ، إِذْ أَدْرَكَ الْبَلَاغِيُّونَ الْقُدَامَى أَثَرَ الْمُتَلَقِّي وَدَوْرَهُ فِي الْعَمَلِيَّةِ الْإِبْدَاعِيَّةِ، فَالْمُتَلَقِّي قَسِيمُ الْمُبْدَعِ فِي عَمَلِيَّةٍ يَشَارِكُ بِهِ مِشَارَكَةً فَعَّالَةً تَمْنَحُهُ الْحَيَاةَ وَالتَّجَدُّدَ، وَأَمَّا أَفْقُ التَّوَقُّعِ فَقَدْ ظَهَرَ لَدَى الْعَرَبِ الْقُدَامَى عِبْرَ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَهُ لِلشَّعْرِ اسْتِنَاداً إِلَى مَا يَتَحَصَّلُ عَنْدهُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ الْأَوَّلِيَّةِ لِمَعْنَى الْأَبْيَاتِ، وَوَقَفُوا عَلَى طَبَقَاتِ الْمُتَلَقِّينَ، فَأَحْكَامُهُمْ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ تَقَانَاتِهِمْ، وَعَمَلُهُمْ وَمُخْزَوْنُهُ الْعِلْمِيِّ، وَيَسْتَنْبِطُ حُكْمَ الْمُتَلَقِّي عَلَى النَّصِّ مِنْ حَيْثُ سَلَامَةُ اللُّغَةِ، وَالتَّرْكِيبِ، وَالدَّلَالَةِ، وَالْوُضُوفَةِ، وَمِرَاعَاةَ أَفْقِ انْتِظَارِ الْمُتَلَقِّي، وَاسْتِجَابَةَ لِرِغْبَاتِهِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَالْفَنِيَّةِ، وَالشَّعُورِيَّةِ ... وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَإِنَّ الْمُتَلَقِّي هُوَ الَّذِي يَعْدُ النَّصَّ مَسْبُوكاً مَحْبُوكاً حَتَّى وَإِنْ خِلَا مِنْهُمَا، فَهُوَ يَفْهَمُهُ بِمُسَاعَدَةِ عَوَامِلٍ أُخْرَى كَالسِّيَاقِ وَتَعْبِيرَاتِ الْوَجْهِ وَالْإِشَارَاتِ ... وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمِنْ عَوَامِلِ قَبُولِ النَّصِّ أَنْ تَمِيلَ إِلَيْهِ وَإِلَى مِغْزَاهُ وَالْفُرْصِ مِنْهُ (ذَا نَفَعُ مُسْتَقْبَلُ)، فَلَا بَدَّ لِلنَّصِّ أَنْ يَحْتَوِيَ عَلَى إِعْلَامِيَّةٍ، وَتَشْوِيقٍ، وَإِثَارَةٍ لِيَشْدَ الْمُتَلَقِّي إِلَيْهِ، وَتَعَاوَنَ الْمُتَلَقِّي مَعَ الْمُتَكَلِّمِ شَرْطَ التَّوَاصُلِ، وَبِهِ يَعْدُ النَّصُّ مَقْبُولاً، وَإِنْ كَانَ الْقَبُولُ مُتَصِلاً بِالْمُتَلَقِّي، فَهُوَ أَيْضاً يُوَثِّرُ فِي الْمُتَكَلِّمِ وَلَا سِيَّيَا فِي الْمَحَاوِرَاتِ الشَّفْوِيَّةِ.

الكلمات المفتاحية:

بِنَاءُ النَّصِّ، خِطَابُ الْإِمَامِ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْقَصْدُ، الْقَبُولُ.



Intention and Acceptance and Their Effect on Text Building in Imam Al-Hadi's (PBUH) Discourse

Abstract:

The study investigates the aspects of intentionality and acceptability in the Imam Al-Hadi's (PBUH) discourse through his words, phrases, and sentences. The well-known concept of text linguistics has been employed, as it is more precise in expressing its meaning, and the study reveals multiple intentions. The concepts of acceptability were embodied in the creative participation of the recipient, as early rhetoricians realized the effect and role of the recipient in the creative process that grants life and renewal to the text. Ancient Arabs expectancy emerged when they expect the meaning of the poetry stanzas based on their knowledge. The judgments of recipients vary according to their levels, in terms of language soundness, structure, meaning, function, consideration of the recipient's horizon of expectation, and responding to his sensory, emotional, artistic and Quranic desires. The recipient is the one who identifies the text is coherent since he understands the text according to other factors as context, facial expressions and signs. Even if devoid of them, he understands it with the help of other factors like context and its implications and useful purpose (future opportunities). The text must contain acceptability factors that attract the recipient. The cooperation of the recipient with the speaker is the condition for communication. With it, the text is considered acceptable, informational, exciting, and provoking aspects to attract the recipient to it. Although acceptability relates to the recipient, it also affects the speaker, especially in oral dialogues.

key words:

Text Structure , Imam Al-Hadi's discourse, Intentionality, and Acceptability.

الحمدُ لله جلَّتْ أسماؤه، وسمتْ أوصافه، الذي علَّمَ الإنسانَ، وشَرَّفَ العربيَّةَ بنزولِ القرآن، وأفضلَ الصلاةَ وأتمَّ التسليمَ على النَّبيِّ الأمينِ الذي فتحَ أبوابَ العلمِ والرحمةِ للعالمينَ، وعلى غصنِ دوحتهِ، وأوَّلَ مَنْ صَدَّقَ برسالتِهِ، وعلى الصَّديقةِ الزَّهراءِ البتولِ، وعلى الذريَّةِ الطاهرة، مِنْ وَلَدِهِمْ أَجمعينَ.

أَمَّا بَعْدُ.

فإنَّ المتأملَ في الدِّراساتِ اللسانية الحديثة يجد أنَّها أسهمتْ بولادة علمٍ جديدٍ يُعرَفُ بـ(نحوِ النَّصِّ)؛ إذ يقومُ هذا العلمُ على تجاوزِ الرِّبطِ بَيْنَ أجزاءِ الجملةِ الواحدةِ إلى الرِّبطِ بَيْنَ مجموعةٍ من الجملِ، فهو ينبثقُ من النِّظرةِ الكليةِ للنَّصِّ مِنْ دُونِ الفصلِ بَيْنَ أجزائه، ليُظهرَ - أعني النَّصِّ - نسيجاً واحداً، وبنيةً متكاملةً، وَمِنْ ثَمَّ الحكمُ على جودةِ النَّصِّ.

لقد عُنِيََ البَحْثُ بـخطابِ الإمامِ الهادي عليه السلام، للكشفِ عن الجوانبِ النَّصِّيَّةِ في النَّصِّ، مستفيداً ممَّا قَدَّمتهِ الدِّراساتُ الغربيَّةُ في هذا المجال، تلك التي اعتمدتْ على مجموعةٍ من المعايير التي حُدِّثَتْ بسبعةِ معاييرٍ في ضوئها يكون الحكمُ على نصيَّةِ

النَّصِّ، وهي: السَّبْكُ، والحبْكُ، والقصدُ، والقبولُ، والتَّنَاصُّ، ورعايةُ الموقفِ، والإعلامُ، وقد وقعَ الاختيارُ على معيارين مِنْ هذهِ المعاييرِ، وهما (القصدُ، والقبولُ) دارساً إياهما دراسةً تحليليَّةً تطبيقيةً على نصوصٍ لطالما تَرَدَّدَ على ألسنِ محبي أهلِ البيتِ عليه السلام، واقتبسهُ أغلبُ أهلِ العلمِ والفضلِ في خطبهم، أو الدِّفاعِ عن حقهم.

وحاولتْ جاهداً - في هذا البَحْثِ - تطبيقَ معياريِ القصدِ، والقبولِ على خطابِ الإمامِ الهادي عليه السلام، مستهلاً البَحْثَ بمقدِّمةٍ وتمهيدٍ، وَمِنْ ثَمَّ ألحقتها بمبحثين، وخاتمةً.

وأما التمهيدُ فقد تناولتُ فيه ماهيَّةَ القصدِ والقَبُولِ في ضوءِ الدِّراسةِ، واشتملَ المَبْحَثُ الأوَّلُ عَلَى القصدِ وأثرِهِ فِي بِنَاءِ النَّصِّ، إذ جاءَ فِيهِ: القصدُ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاحِ، وَمَفْهُومُ القصدِ فِي التُّرَاثِ وَالْحَدَاثَةِ، وَطُرُقُ الاسْتِدْلَالِ عَلَيْهِ، وَوَسَائِلُ تَحْقِيقِ القصدِ فِي خِطَابِ الإمامِ الهادي عليه السلام. وعَرَضْتُ فِي المَبْحَثِ الثَّانِي: القَبُولَ وأثرَهُ فِي بِنَاءِ النَّصِّ، وَضَمَّ القَبُولَ فِي اللُّغَةِ وَالاصْطِلَاحِ، وَوَسَائِلُ القَبُولِ فِي خِطَابِ الإمامِ الهادي عليه السلام.

ولا بُدَّ مِنْ الإشارةِ إِلَى أَنَّ الباحِثَ



قد اعتمد منهج التحليل؛ لأنّ طبيعة الدراسة تتطلب ذلك، فهي دراسة تقوم على إظهار القصد والقبول، وبيان أثرهما في بناء النص، وترابط أجزائهما، وإبرازهما بوصفهما وحدة متكاملة، ولا ريب في أنّ ذلك يتعلّق بتطبيق هذين المعيارين على النص.

التمهيد

القصدية بمعناها الواسع تلك الخاصية لكثير من الحالات والحوادث العقلية التي تتجه عن طريقها إلى الأشياء وسير الأحوال في العالم، أو تدور حولها وتتعلق بها، فتضمّ ظواهر عقلية كثيرة: كالحب، والأمل، والرغبة، والقصد، والاعتقاد، والإدراك الحسي، والتذكير، والخوف، وغيرها، فالقصد صورة مجردة من صور القصدية المتعددة، يقول سيرل: "القصد بالمعنى العادي هو مجرد صورة واحدة من القصدية بالإضافة إلى الاعتقاد، والرغبة، والأمل، والخوف، وهلمّ جرّاً"^(١)، فالقصدية بمعناها الفلسفي العام صفة عقلية تعبّر عن توجه، أو تعلّق، وظيفتها التمثيل العقلي، والعقل يتمثل ما هو واقعي - الموجود من الأمور - وما ليس

واقعيّاً منها^(٢) فللكائنات البشرية مجموعة مختلفة من الطرق المترابطة؛ لتقريب ملامح العالم وتمثيلها لذواتها، وهذه الطرق هي الإدراك الحسي، والتفكير، واللغة، والاعتقادات، والرغبات، فضلاً عن الصور والخرائط والرّسوم البيانية^(٣).

فاللغة بحسب سيرل واحدة من الطرق لتمثيل ملامح العالم، فهي إذن قصديّة، تمثيلية، فلدراستها يستوجب علينا التركيز على مسألة القصد فيها، فوظيفة القصد في اللغة تبدأ من دلالة الكلمة المفردة وصولاً إلى التركيب؛ لنصل إلى تواصل ناجح الذي هو غاية اللغة؛ فالكلمة من دون القصد تكون خالية من المعنى، ويأتي القصد فينقلها من حيّز الخلوّ إلى كلمة لها معنى^(٤).

أمّا فعل القصد في التركيب، فيشمل جانبيين؛ الأوّل: بناء التركيب، والآخر: دلالته، ففي الجانب التركيبي، فإنّه هو الذي يحدد خارطة للكلمات ليوصل فكرته عن طريق هذا التركيب، "فالقصد

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٥٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٤) ينظر: الشهري: عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطاب، ص ١٧٦.

(١) إسماعيل، صلاح، فلسفة العقل (دراسة في الفلسفة سيرل)، ص ١٥٣.



النَّصِيَّة؛ فلمعرفة هذا المفهوم واصطلاحه، وتأصيله في التراث العربيّ وبيان أهميته في النصوص، وطرق الاستدلال عليه، وتطبيق هذا المفهوم على خطّاب الإمام الهاديّ عليه السلام، ومحاولة الوصول إلى المقاصد فيها؛ جاء المبحث الأول.

أمّا المبحث الثاني فنُصِّص بالكلام عن القبول في النصوص، إذ وُضِعَ هذا المعيار للتّركيز على محور من محاور العملية التّواصلية وهو المتلقي، وبيان وجود هذا المفهوم - القبول - في تراثنا اللغويّ والبلاغيّ العربيّ، ثمّ بيان ما وصل إليه المحدثون بشأن وظيفة المتلقي، وكيفية جعل النصّ مقبولاّ لديه، وما وظيفته وما وظيفة المتلقي نفسه في نجاح القبول والتّواصل؟ ثمّ بيان الكيفية التي جعلت من نصوص أدعية الإمام مقبولةً، ومتداولةً حتى عصرنا الحاضر كلّ هذا سيبحثه المبحث الثاني من هذا الفصل.

والخطاب والاجراء وهو كتاب متخصص بإنشاء علم النص المتعدد الوجوه بحيث تتعدد جهات النظر إلى النص من الرصف إلى المفاهيم إلى طريقة التوصيل. للمزيد من التفصيل ينظر: روبرت، دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ص ١٣-١٧.

هو الذي يوجهه ويحرك التّرتيب^(١)، وفي الجانب الدّلاليّ لا يمكن معرفة المعنى من دون الوصول إلى قصد المتكلم^(٢)، فمراعاة القصد في التّحليل يحصر التّأويلات غير المحدودة، فهي وسطٌ بين طرفين؛ التّأويلات غير المحدودة - التي قد تكون متضادةً أحياناً - والتّأويل الحرفيّ الوحيد^(٣)، فعملية التّأويل النّاجحة تجري حينما تحصل ماثلة بين العناصر الثلاثة التي هي: فهم المتلقي، ودلالة العبارة، وقصد المتكلم^(٤)، وعلم النصّ بصفته أحدث العلوم والمناهج اللغويّة، أقرّ في أبحاثه مبدأ القصد، وجعله دي بوجراند^(٥) أحد المعايير

(١) دنياجي، نور الدين محمد، التفكير اللغويّ عند عبد القاهر الجرجانيّ (قراءة في اللغة ولغة الخطاب)، ص ١٣٧.

(٢) ينظر: خميس، ليلي عباس، نظرية القصد وأثرها في المعنى عند القاضي عبد الجبار المعتزليّ، ص ٢٦.

(٣) ينظر: مفتاح، محمد، مجهول بيان، ص ١٠٦.

(٤) ينظر: المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التّحتية أو التّمثيل الدّلاليّ التّداولي)، ص ١٤٠.

(٥) روبرت دي بوجراند: عالم لغوي ومحلل خطاب أمريكي له دور كبير في توحيد الخطاب النقدي وهو أحد الشخصيات الرائدة في التقاليد القارية، وله تأليفات كثيرة منها كتاب النص



الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ

الْقَصْدُ وَأَثَرُهُ فِي بِنَاءِ النَّصِّ

أَوَّلًا: تَعْرِيفُ الْقَصْدِ فِي اللُّغَةِ وَالْإِصْطِلَاحِ: كانت اصطلاحات الباحثين النَّصِّيِّينَ لهذا المعيار بين (القصْد) ^(١)، و(القصديّة) ^(٢)، و(النّيّة) ^(٣)، وهذا الأخير قليل التداول في الأبحاث النَّصِّيَّة؛ فابتعدت عنه، أمّا القصد والقصديّة فهما مشتقان من الفعل (قَصَدَ)، والقصد في اللغة هو "إِتْيَانُ الشَّيْءِ (قَصَدْتُ الشَّيْءَ قَصْدًا)، وأَقْصَدَ السَّهْمَ، إِذْ أَصَابَ فِقْتَلَ مكانه" ^(٤)، فنلاحظ الاقتراب الواضح بين المعنى اللغويّ الحقيقيّ للقصْد ومفهوم القصد الاصطلاحيّ، فمعرفة القصد إصابةٌ للمعنى، فكان اختياري لمصطلح القصد؛ لسهولة ووضوحه على

المفهوم، وللابتعاد عن الخلط بين القصد، والقصديّة بمفهومها الواسع.

ويرتبطُ القصد في اللغة بعدة دلالات، فابن فارس في (مقاييسه) يُورد ثلاثة أصولٍ للقصْد، يدلُّ أحدها على إتيان شيءٍ وأمّته، والآخرُ على اكتنازٍ وامتلاءٍ في الشيء، والثالثُ يدلُّ على الكسر ^(٥)، وهناك دلالات أخرى؛ كالاستقامة، والتبيين، والسهولة، والعدل، والاعتدال، ففي (اللسان): "القصْد: استقامة الطريق، قَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا، فهو قاصِدٌ، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ ^(٦)؛ أي: على الله تبين الطريق المستقيم... وطريق قاصِد: سهل مستقيم... والقصْد: العَدْل... والقصْد في الشيء: خلاف الإفراط، وهو ما بين الإسراف والتقتير" ^(٧).

أمّا في الاصطلاح فالقصْد يختلف من مجالٍ إلى مجالٍ، ففي الاصطلاح الشرعي: المقصْد: هو الأهداف التي يسعى الشَّرْعُ إلى تحقيقها في حياة النَّاسِ في ضوء الأحكام الشرعيّة، أنّها "الغايات

(١) ينظر: بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣، وينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النص، ص ٢٧، وينظر: الراضي، أحمد محمد عبد، نحو النَّص، ص ٨٨.

(٢) ينظر: فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٤٧، وينظر: شبيل، عزة، علم لغة النص، ص ٢٨.

(٣) ينظر: أبو زنيد، عثمان، نحو النَّص، ص ٢٧.

(٤) القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، مجمل اللغة مادة (قصد)، ج ١، ص ٧٥٥.

(٥) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٩٥.

(٦) سورة النحل، الآية ٩.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥٣.



القصد الذي يقع به القول على وجهٍ دون وجهٍ، فيكون معنى القصد ما تعلّق به الكلام^(٤)، وجعل العرب القصد معياراً للتفريق بين الخبر والإنشاء، فالخبر: هو الكلام الذي يُقصد فيه المطابقة بين النسبة الكلاميّة، والنسبة الخارجيّة، والإنشاء: هو الكلام الذي لا يُقصد فيه ذلك، وهذا المعيار اقترحه إبراهيم الشيرازي في (شرح اللمع)، وأكد عليه مجموعة من العلماء، ومنهم (الدسوقي) في شرحه لمختصر التفتازاني^(٥)، وبدخول القصد في دراسة الخبر والإنشاء دخلت هذه الدراسة إلى حيز التداولية.

أما في الاصطلاح النقدي والنّصي فجدور القصد تعود للعصور الوسطى؛ إذ "سادت نظرية القصد في فكر فلاسفة الأوربيين، ثم طوّر (هوسرل)^(٦) هذه (٤) العسكري، أبو هلال، الفروق اللغوية، ص ٣٣.

(٥) ينظر: صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص ٦٦.

(٦) ادموند هوسرل: ولد في مورافيا في النمسا ودرس علم الرياضيات والفيزياء والفلك حيث واصل دراسته في المانيا بالرياضيات وحصل على درجة الدكتوراه وله الكثير من المؤلفات ومنها فلسفة علم الحساب، للمزيد من التفصيل ينظر:

التي وُضعت الشريعة لأجل تحقيقها، لمصلحة العباد"^(١)، أمّا عند أهل البلاغة والنقد، فالقصد مرتبط بنية المتكلم، وما يُريد تبليغاً، وغايته من كلامه، وقد ناقش العرب مفهوم القصد، أو المقصدية في أبواب مختلفة من مؤلفاتهم، كما نجد في مباحث الخبر والإنشاء، ومثال ذلك ما نجد عند الجرجاني الذي تناول مقاصد المتكلم بالدراسة، وقسمها إلى مقاصد ظاهرة، ومقاصد خفية، فالأولى سمّاها المعنى، والثانية سمّاها معنى المعنى، وهو يقصد بالمعنى "المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، و(بمعنى المعنى): أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفني بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"^(٢)، واتفق أهل البلاغة على ضرورة توافر القصد في الكلام، "فالدلالة عندهم هي فهم المقصود لا فهم المعنى مطلقاً"^(٣).

ويجعل أبو هلال العسكري القصد مُرادفاً للمعنى؛ إذ يقول: "المعنى هو

(١) الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، ص ٧.

(٢) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢٦٣.

(٣) التهانوي، محمد بن علي، كشاف اصطلاحات الفنون، ج ١، ص ٧٩٣.



النظرية حتى أصبحت أساساً معرفياً لفلسفته الظاهرية^(١)، ويرى (هوسرل) أنَّ للنصّ الأدبي قصديّةً في ذهن المؤلّف (المنشئ) ووعيه، يترجمها في ضوء اللغة، وهكذا فالنصّ الأدبي عند (هوسرل) "سيكون تجسيداً محضاً لمظاهر العالم والحياة وتجلّت في وعي المؤلّف، وسيثبت المعنى في هذا النص مرة واحدة وإلى الأبد، وهو يتطابق مع الموضوع الذهني الذي يحمله المؤلّف في عقله، أو يقصده وقت الكتابة^(٢)، غير أنَّ الإغراق في فكرة القصديّة يجعل القارئ مجرد مستقبلٍ سلبيٍّ لما في ذهن المبدع الذي يتحوّل إلى مُبلِّغٍ وناقلٍ للوقائع، وهذا يعني أنَّ الأدب مجرد أداة للتوصيل، أو سجلّ للحفظ من أجل هذا لا بدّ من التقليل من شأن المقصديّة، وتلك المقصديّة الكلية على الأقلّ،

إنّ البحث في القصد عرّف اهتمام باحثين آخرين، منهم (غرايس) الذي فرّق بين حالات تحمل دلالة مقصديّة، وحالات تكون بلا قصد؛ "فترأّم الغمام يدلّ على أنَّ السماء قد تُمطر، وهو حدث له دلالة ليس وراءها قصد، أما قولنا لأحد الناس: "اقرأ"، أو: "أغلق الباب"، فهو قولٌ ذو دلالة مقصديّة واضحة"^(٣)، وهذا يعني أنَّ المقصديّة مبحث تداوليٍّ، وهو جزء من المباحث التّداوليّة؛ ولذلك يصفّ البعض التّداوليّة بأنها "دراسة الطرق التي تتجلّى بها المقاصد في الخطاب، ومن أبرز الخطابات التي تدلّ على ذلك تلك الخطابات التي تشتمل على الأفعال اللغوية، سواء أكانت تقف عند المستوى الإنجازي، أم تتجاوزه إلى المستوى

أدموند، هوسرل، أزمة العلوم الاوربية والفنون ومينولوجيا الترنسندنالية، ص ١٠-١١.

(١) المقصديّة: نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب، سلطان زغلول، صحيفة الرأي، <http://alrai.com> بتاريخ ٢٠-٠٤-٢٠١٢.

(٢) ينظر: شوقي، عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص ١٠٤-١٠٥، نقلاً عن: الطائي، معن القصديّة والقراءة عند "هوسرل"، مجلة المثقف، مؤسسة المثقف العربي، العدد: ١٣٦٠.

(٣) المقصديّة: زغلول، سلطان، نظرية المعرفة وآفاق اللغة والأدب، صحيفة الرأي.

التأثيري" (١).

وفي لسانيات النص نجد أن القصدية مع (دي بوجراند) تتضمن "موقف مُنشئ النص من كونه صورة ما من صور اللغة، قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام، وأن مثل هذا النص وسيلة من وسائل متابعة خطة معينة للوصول إلى غاية معينة" (٢)، وهذا يعني أن "منشئ النص ينسج نصه باستخدام الوسائل اللغوية الملائمة، فهو يستثمر نصه ليقدمه للقارئ محبوباً ومتناسكاً يحقق فيه مقاصده" (٣).

ثانياً: مفهوم القصد في التراث والحداثة وطرق الاستدلال عليه

أ: مفهوم القصد في التراث والحداثة:

مفهوم القصد ورد لدى اللغويين، والبلاغيين العرب، وإن لم يوضحوه على أنه مصطلح، وقد جعل سيبويه عناية

(١) الشهري، عبد الهادي، إستراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، ص ١٩٨، عن: نعار، محمد، المقصدية في الخطاب السرد المعاصر، ص ٦٩.

(٢) دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

(٣) الحسن، أحمد حسن، الضوابط التداولية في مقبولة التركيب النحوي، ص ٢٤٧.

خاصةً لقصد المتكلم من أجل توجيه دلالة التركيب بحسب ما يراه منسجماً ونيةً المتكلم (٤)، فيقول مثلاً في باب الفاء السببية "لا يسعني شيء فيعجز عنك، أي: ألا يسعني شيء فيكون عاجزاً عنك، ولا يسعني شيء إلا لم يعجز عنك. هذا معنى هذا الكلام، فإن حملته على الأول قبح المعنى، لأنك لا تريد أن تقول: إن الأشياء لا تسعني ولا تعجز عنك، فهذا لا ينويه أحد" (٥)، فعبّر عن القصد بالنية، وهي الكاشفة للمعنى، وهو ذات المفهوم لدى المحدثين.

أمّا العناية بالقصد في المنظور البلاغي فنجد عبد القاهر الجرجاني اعتمد في بلاغته على محورين:

أ- محور النحو: ويندرج في الجانب الشكلي للغة.

ب- محور القصد: ويتعلق بغاية المتكلم في إنتاج النص في علاقته بالمتلقي

(٤) ينظر: إدريس، مقبول، الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص ٣٦١.

(٥) سيبويه، عمرو بن عثمان، الكتاب، ج ٣، ص ٣٢-٣٣.



الفرضي^(١).

قصد المرسل^(٤).

فورد (القصد) في كتابه (أسرار البلاغة) في أكثر من موضع، ومنها قوله: "وقد يقصد الشاعر على عادة التخييل، أن يوهم في الشيء أنه قاصر عن نظيره في الصفة أنه زائد عليه في استحقاقها واستيجاب أن يجعل أصلاً فيها، فيصح - على موجب دعواه وسرفه - أن يجعل الفرع أصلاً، ومثاله قول محمد بن وهيب: وبدا الصباح كأن غرته وجهه

الخليفة حين يمتدح^(٢)

فهذا على أنه جعل وجه الخليفة كأنه أعرف وأشهر وأتم وأكمل في النور والضياء من الصباح، فاستقام له بحكم هذه النية أن يجعل الصباح فرعاً ووجه الخليفة أصلاً^(٣)، فمسألة العدول عن التركيب هو الأساس في نظريته، لمعرفة

وعلم النص بصفته أحدث العلوم اللغوية أقر في أبحاثه مبدأ القصد، وعده، بوجراند أحد المعايير الكاشفة للنص، فما هو مفهوم القصد عندهم؟ أهو معيار لأجل إنتاج النصوص باختيار سبك وانسجام بحسب القصد؟ أم هو معيار لكشف المعنى، أي النص بمعانيه هو الكاشف عن القصد؟ اختلف ذوو الاختصاص في الإجابة، فقالوا إنَّ القصد، هو: "موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصاً يتمتع بالسبك والالتحام"^(٥)، إذ بهذه النظرة أن السبك والانسجام^(٦) هدفان نهائيان للقصد^(٧) في حين نجد نظرة أخرى ترى أن القصدية، هي "جميع الطرق التي يتخذها منتج النص في استغلال النصوص من أجل متابعة مقاصدهم وتحقيقها"^(٨)، فهذه نظرة

(٤) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ص ٢٠١.

(٥) بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٣.

(٦) أطلق على مصطلح الانسجام عدة مصطلحات، اخترت من بينها (الانسجام).

(٧) ينظر: فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٤٧.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٧.

(١) ينظر: بوطاجين، سعيد، الترجمة والمصطلح (دراسة في إشكالية المصطلح النقدي الجديد)، ص ١٥٥.

(٢) الأصفهاني، لأبي الفرج، الأغاني، ج ١٩، ص ٦٧. البيت من الكامل، ويقول في المأمون.

(٣) الجرجاني النحوي، الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، أسرار البلاغة، ص ٢٢٣.



فاللغة ليست نظاماً من الرموز فحسب، بل إنها في الأساس نشاطٌ تواصلٌ؛ فمحاولة فهم أي خطاب يجب أن نأخذ الجانب القصدي لتشكيله؛ ولذلك عدّ القصد لب العملية التواصلية وعاملاً أساسياً في استعمال اللغة وتشكيلها^(٣) إذن القصد هو: "الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه"^(٤).

ب: طُرُقُ الاستِدلالِ عَلَى الْقَصْدِ

قصد المتكلم هو قصدٌ باطني، "وجودٌ باطني سابقٌ على الوجود اللغوي، وكلامٌ نفسي قديمٌ على الكلام التجيزي الحادث بعارة أهل الكلام، فالمعنى بيان سيكولوجي واللفظ كيانٌ لساني، والكلام زواج الكيانين"^(٥)، فوسيلة التعبير عن القصد في الخطاب هي اللغة؛ ولهذا نجد تعريفهم للغة بأنها: "عبارة المتكلم عن مقصوده"^(٦).

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب، ص ١٨٣.

(٤) التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، ص ٢٠٠-٢٠١.

(٥) الأسس الاستمولوجية، ص ٣٦٠.

(٦) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ص ٥٤٦.

تداولية إذ ترى أن السبك، والانسجام طريقة ضمن طرق أخرى يسخرها المرسل في تحقيق قصده، فهاتان النظريتان، إحداهما مخالفة للأخرى، الأولى: ترى أن القصد هو منتج النص، والأخرى: ترى أن النص هو الكاشف للقصد، أما الأستاذ سعيد حسن بحيري فقد جمع بين الرأيين بقوله: "إن قصد المتكلم هو الذي ينتج النص اللغوي، كما أن النص هو السبيل للكشف عن قصد المتكلم"^(١).

ولعلي أرجو الصواب في ما ذهب إليه الدكتور بحيري، فهو يبدو أنه الأقرب إليه؛ لأن المتكلم عندما يريد أن ينتج نصاً فإنه يرسم خارطة ذهنية لنصه ليصل إلى قصده، وهذه الخارطة هي ما نسميها السبك والانسجام، وكذلك إذا أردنا فهم قصد المرسل علينا أن نفهم النص باتساقه، وانسجامه، وبمعايره الأخرى فهو الكاشف عن القصد، فلأجل التواصل والتفاعل مع الآخرين بنجاح يجب إعطاء فهم مقاصد الآخرين فعلاً مركزياً فيها، و"عند فشل المرسل إليه في معرفة هذا القصد، فإن عملية الاتصال لا تتم"^(٢).

(١) بحيري، سعيد، دارسات لغويه تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ٧٨.

(٢) استراتيجيات الخطاب، ص ٢٩١.



ولكن يبقى السؤال كيف نفهم اللغة؟ أنفهمها صورياً من الرموز، والعلامات والدلالة المعجمية؟ أم نفهمها على أنها حدث تواصلٍ استعمالٍ مع الدلالات الخارجية؟ وثمة نظريتان، النظرية الأولى ترى أن الخصائص اللغوية المشتركة بين فئة من الناس هي التي تحدد المعنى، إذ بمعرفتنا المعجمية، والتركيبية، والدلالية نتوصل إلى ضبط معنى النص^(١)، أما النظرية الأخرى، فتريد أن تبعد عن الدراسة الصورية للغة، إذ يرون أنها غير كافية في الفهم، فكانت مدرسة الاستعمال أوستين وسيرل وغيرهما التي أعطت مكانة محورية لمفهوم القصد عند تفسير المعنى، فهو يركّز على "علم اللغة المكبر الذي يدرس اللغة كوسيلة للتواصل، ونقل المعنى، والقصد، وليس كنظام جامد من العلامات النحوية، والشكلية، والدلالية"^(٢)، فظهرت لنا المدرسة التداولية؛ إذ جرت محاولات منها محاولة سيرل، فدُرس القصد على وفق منهج نظرية أفعال الكلام، وذكر

"أن الحالات القصدية أنواع مختلفة، ولكل حالة (مضمون قضائي)، وربما تشترك الحالات القصدية في المضمون القصدي نفسه إلى جانب اختلافها في النوع (النمط النفسي)"^(٣) مثال ذلك الجمل الآتية: أعتقد أنك ستنجح هذا العام، وأرغب أن تنجح هذا العام، وآمل أن تنجح هذا العام.

فهذه الجمل وردت في أنماط نفسية، أو أشكال سيكولوجية مختلفة (الاعتقاد، والرغبة، والأمل)، ولكن لها القصد نفسه، أو التمثيل هو النجاح في هذا العام^(٤)، إن قصدية اللغة بحسب (سيرل) هي قدرة أفعال الكلام على تمثيل الأشياء في العالم^(٥)، وكذلك ركّز أصحاب التواصل التداوليون على نوعين من القصد، قصد رئيس ويسمى القصد الأول أو الظاهر أو الصريح أو المباشر، وقصد ثانوي، ويسمى القصد الثاني أو المخفي أو المتضمن أو غير المباشر^(٦)، ولذلك جعل كل من أوستين وسيرل "المقاصد مركزاً في التفريق بين

(٣) ينظر: دلال، وشن، القصدية من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، العدد السادس، ص ٢١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٦) ينظر: محمد، عزة شبل، علم لغة النص، ص ٣٠.

(١) ينظر: مفتاح، محمد، مجهول البيان، ص ١١٠-١١١.

(٢) الخليفة، عبد الله هشام، نظرية الفعل الكلامي، ص ١٩٩.



وتلّم به لا تحلّ، ولا تُفلّ إلا باسمه وذكره
جلّ ذكره، فالعبد المؤمن عندما يدعو
الله تعالى باخلاصٍ يُحلّ كربّه، ويخرجه
بمشيئةٍ منّ ندبه من الظلمات إلى النور،
ومن الضيق إلى الرّخاء، ومن الشّدّة إلى
الفرج، فهو تعالى الذي يذلّ الصّعب،
ويسبّب الأسباب بلطفه ومنه، وما في
الكون كله يؤدي بمشيئته تعالى وظيفته
على أحسن ما يكون ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ
شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، فسبحان
الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ^(٣)، فهو
الفتاح لما يعلّق، والسّلطان على من تكبر
وتجبر، والميسر لما تعسر، والنّاصر لمن
خسر من عباده المؤمنين، وأمّا القصد
الثانوي في النّص -غير المباشر- فهو
تقريع للظلمة بأنّه تعالى هو المُحلّ بِأَسْمَائِهِ
عُقْدُ الْمَكَارِهِ والمصائب، والشّدائد، وهو
الفتاح، والسّلطان، والميسر، والنّاصر،
فالملك له تعالى، ولو شاء لزرعه منكم -أيّها
الظّلمة-؛ لأنّ المالك الحقيقيّ السرمديّ
هو الله، فلا داعي للاستمرار في الظلم.

ثمّ قدّم سيرل شروطاً للتّعبير اللبق
الذي يسهم في إيصال القصد^(٤)، وبعدها
جاءت محاولة غرايس؛ إذ قدّم غرايس

(٣) سورة يس، الآية ٨٢ - ٨٣.

(٤) ينظر: علم لغة النص، ص ٣٢.

المعنى التّعبيريّ معنى الكلمات في الملفوظ،
وبين قوّة الأفعال الغرضيّة أي النّتيجة التي
يقصد المرسل نقلها^(١)، ومثال على ذلك
قول الإمام الهاديّ (عليه السّلام): "يا
مَنْ يُحَلُّ بِأَسْمَائِهِ عُقْدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُفَلِّ
بِذِكْرِهِ حَدَّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُدْعَى بِأَسْمَائِهِ
الْعِظَامُ مِنْ ضَيْقِ الْمُخْرَجِ إِلَى مُحَلِّ الْفَرْجِ،
ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ، وَتَسَبَّتْ بِلُطْفِكَ
الْأَسْبَابُ، وَجَرَى بِطَاعَتِكَ الْقَضَاءُ،
وَمَضَتْ عَلَى ذِكْرِكَ الْأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ
دُونَ قَوْلِكَ مُؤَمَّرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ وَحْيِكَ
مُنْزَجَرَةٌ، وَأَنْتَ الْمُرْجُو لِلْمُهَمَّاتِ، وَأَنْتَ
الْمُفْرَعُ لِلْمُلَمَّاتِ لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ،
وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ، وَقَدْ نَزَلَ
بِي مِنَ الْأَمْرِ مَا فَدَحَنِي ثِقَلُهُ، وَحَلَّ بِي مِنْهُ
مَا بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَ عَلَيَّ
ذَلِكَ، وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتُهُ إِلَيَّ، فَلَا مُصْدِرَ
لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا مُيسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلَا
صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ،
وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ
إِلَّا أَنْتَ"^(٢)، القصد الطّاهر أنّ المكاره،
والمصائب، والشّدائد التي تصيب الإنسان

(١) استراتيجيات الخطاب، ص ١٩٠.

(٢) ابن طاووس، السيد رضيّ الدين علي بن
موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات،
ص ٢٧٢.



أربع قواعد يستغلها الكاتب للتدليل على قصده، قاعدة الكمّ، وقاعدة الكيف، وقاعدة المناسبة، قاعدة الأسلوب^(١)،

وأراد التمييز بين المعنى الحرفي، أو الوضعي الذي يكون بمعزلٍ عن السياق والمقام، ومعنى المتكلم الذي يُستخرجُ بمعنيّة السياق والمقام^(٢)، فهذه محاولاتُ التّداوليّين.

أمّا المنظور النصّي فيرى أنّ النصّ بمعانيه هو الكاشف عن القصد^(٣)، فلا يكتفي بشكلائيّة اللغة وإنّما يُراعي السّياق الدّاخليّ (اللغويّ)، والخارجيّ، أي دراسة الجوّ العامّ للنّصّ؛ للوصول إلى مقاصد المتكلم^(٤).

ثالثاً: وسائلُ تحقّقِ القصدِ في خطاب الإمام الهادي عليه السلام

ذكرتُ أنّ للقصد مفهوماً فالأوّل نكتشفه بوجود السّبك والانسجام،

وفي هذا المبحث سأبيّنُ بعض التّراكيب والأساليب اللغويّة وبيان القصد منها على وفق المنهج النصّي بمستوياته الثّلاثة، مع التركيز في اختيار التراكيب التي تكون بؤر النّصّ مراعاةً للاختصار، أو ذكر النّصّ كلّ إن كان قصيراً.

أولاً: الإضافة ومَعْنَاهَا: يقول المبرّد

في بيان القصد من الإضافة: "إذا أضفت اسماً إلى مثله مفرداً، أو مضافاً صار الثّاني من تمام الأوّل، وصاراً جميعاً اسماً واحداً، وانجرّ الآخر بإضافة الأوّل إليه: هذا

(١) ينظر: علم لغة النص، ص ٣١.

(٢) ينظر: الخليفة، عبد الله هشام، نظرية الفعل الكلامي، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) ينظر: فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٤٧.

(٤) ينظر: بحيري، سعيد، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ٧٨.

(٥) بحيري، سعيد، علم لغة النّص، ص ٩.



ألا وهي ملة النَّبي الأعظم والرَّسول الأكرم محمد ﷺ قاصداً الدَّعوة للتمسك بهذه الملة وترك باقي الملل وأفكارها المنحرفة، التي ظهرت في عصره ﷺ، ثُمَّ تأكيد مبدأ التَّوحيد الذي يعدُّ أهمَّ ركن في الإسلام، والشَّهادة للرَّسول محمد ﷺ بالعبوديَّة والرَّسالة؛ فهو الرِّابط بين الأرض والسَّماء، فلا ينبغي ترك مفاهيم النَّبي ومنهجه، فذكر ذلك بقصد الإقرار والدَّعوة لمنهجه ورسالته، للوصول إلى الله تعالى.

نَوْعاً الْإِضَافَةُ: يقسَّم النحويُّون^(٥) الإضافة على ضربين إضافة محضة وغير محضة، فالإضافة المحضة: إضافة غير الوصف، نحو: (كتابُ محمد)، أو إضافة الوصف إلى غير معموله، نحو: (عزيز مصر)، والقصد من هذه الإضافة هو التعريف، أو التَّخصيص^(٦) بحسب المضاف إليه، فإذا كان المضاف إليه معرفة اكتسب التعريف^(٧)، ومن ذلك دعاء الإمام عليه السلام: "أَنْتُمْ الصَّراطُ الْأَقْوَمُ وَشُهَدَاءُ دَارِ الْفَنَاءِ"

عبدُ الله"^(١)، فالقصد من الإضافة هو التوضيح ورفع الغموض؛ بنسبته إلى غيره، ويمكننا أن نجري ذلك على قول الإمام عليه السلام: "بِسْمِ اللَّهِ وَعَلَى مِلَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا شَهِدَ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَشَهِدْتُ لَهُ مَا بَيَّكْتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"^(٢) وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُتَجَبُّ وَرَسُولُهُ الْمُتَّضَى أَزْسَلُهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ"^(٣)^(٤)، فالأساء (اسم)، و(ملة)، و(عبد)، و(رسول) صفات تطلق على الكثير، فلا يفهم القصد منها إلا في ضوء الإضافة، فتبين المقصديَّة منها، ففي النَّصِّ المبارك يتبيَّن أنَّ الإمام عليه السلام يفتتح الزيارة المباركة بالاستعانة في ضوء ذكر الله تعالى، فهو الباعث للاطمئنان والنشاط، وتلمس أيضاً قصداً ضمناً في النَّصِّ، فالخطاب موجه لنا، وفيه دعوة للتمسك بخير الملل، ملة الإسلام

(١) المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، ج ٤، ص ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٨.

(٣) سورة الصف، الآية ٩.

(٤) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ص ٩٩ و ١٢٦.

(٥) ينظر: القاضي، عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عقال، شرح ابن عقال على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ٤٤.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤.

(٧) ينظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٤٤.



وَشُفَعَاءُ دَارِ الْبَقَاءِ وَالرَّحْمَةُ الْمَوْصُولَةُ
وَالْآيَةُ الْمُخْزُونَةُ وَالْأَمَانَةُ الْمُحْفُوظَةُ وَالْبَابُ
الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ^(١)، فالكلمتان (شهداء)
و(شفعاء) كلاهما نكرة، عُرِّفَتْ باسم
معرف بالاضافة (يوم القيامة) و(دار
البقاء) على الترتيب، فهنا عُرِّفَ (يوم
ب(القيامة)، وعُرِّفَ (دار) ب (البقاء)
لأجل التخصيص وهذه الإضافة تسمى
بالمحضة أو الحقيقية، وفائدتها راجعة
إلى المعنى لأنها تفيد تعريف المضاف أو
تخصيصه .

وهذا الخطاب موجّه للأمة تعظيماً
لشأن أهل البيت عليهم السلام بالتعريف بهم من
خلال هذه الصفات لأنهم (أهل بيت
النبوة ... خيرة رب العالمين) * من لزم
بهم لحق، ومن تخلف عنهم زهق ...
فالخطاب موجّه للأمة، القصد منه هو أنّ
أهل البيت عليهم السلام هم "أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ،
وَمَوْضِعُ الرِّسَالَةِ، وَخُتْلَفَ الْمَلَائِكَةِ،
وَمَهْبِطُ الْوَحْيِ، وَمَعْدِنُ الرَّحْمَةِ، وَخُزَّانُ
الْعِلْمِ، وَمُنْتَهَى الْجِلْمِ، وَأُصُولُ الْكَرَمِ،
وَقَادَةُ الْأُمَمِ، وَأَوْلِيَاءُ النَّعَمِ، وَعَنَاصِرُ
الْأَبْرَارِ، وَدَعَائِمُ الْأَخْيَارِ، وَسَاسَةُ الْعِبَادِ،
وَأَرْكَانُ الْبِلَادِ، وَأَبْوَابُ الْإِيمَانِ، وَأَمْنَاءُ

الرَّحْمَنِ، وَسُلَالَةُ النَّبِيِّينَ، وَصَفْوَةُ الْمُرْسَلِينَ،
وَعِزَّةُ خَيْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"^(٢) من لزمهم
لحق، ومن تخلف عنهم زهق، فهم الصّراطُ
المستقيم الذي يسوق سالكه إلى رضوان
الله تعالى وجنانه، وهم وشهداء الدنيا
وَشُفَعَاءُ الآخرة وساداتها، وهم وَالرَّحْمَةُ
الْمَوْصُولَةُ من ربهم العلي الأعلى، وآية الله
على خلقه، وحقته عليهم، وَأَمَانَةُ الله على
دينه، وَالْبَابُ الْمُبْتَلَى بِهِ النَّاسُ، فلا بدّ على
العبد المؤمن أن يلتزم محبتهم وطاعتهم،
وَأَلَّا يَتَخَلَّفَ عَنْهُمْ، فَمَنْ أَتَاهُمْ نَجَا،
وَمَنْ لَمْ يَأْتِهِمْ هَلَكَ. وإذا كان نكرة فتفيد
تخصيصه^(٣)، ومعنى التّخصيص "تقليل
الاشتراك، (ف(غلام) أعمّ من (غلام امرأة)
فبالإضافة قلّ الاشتراك بعد أن كان يشمل
كلّ غلام"^(٤)، والتّقليل يكون على درجات
إلى أن نصل إلى درجة تكون معلومة
واضحة القصد، منها عندما نقول مثلاً:
(ستقدم على إله عادل)؛ لأنها خصوصيّة

(٢) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار،
ج ٩٩، ص ١٢٤.

(٣) ينظر: القاضي، عبد الله بهاء الدين بن عبد
الرحمن بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن
مالك، ج ٣، ص ٤٤.

(٤) السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣،
ص ١٠٧.

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار،
ج ٩٩، ص ١٥١.

الله سبحانه^(١).

أما الإضافة غير المحضة فهي إضافة الوصف المشابه للفعل المضارع لمعموله^(٢)، ومثاله قول الإمام عليه السلام: "يا صرِيخَ المكرويين، ويا مجيبَ دعوة المضطرين، اكشف عني همِّي، وغمي، وكربي كما كشفت عن نبيِّك محمدٍ ﷺ همَّة، وغمَّة، وكربة، وكفيتُه هولَ عدوِّه في هذا المكان"^(٣)، فالإضافة غير المحضة حصلت بقوله (صرِيخَ المكرويين)، (مجيبَ دعوة المضطرين)، فالصرِيخ في اللغة من الأضداد؛ فتطلق على المغيث والمستغاث^(٤)، والكرب (الغمُّ الذي يأخذ بالنفس)^(٥)، والمكروب المغموم، فالقصد الظاهر هو طلب الإعانة لكشف الهمِّ، (١) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ١٠٧.

(٢) ينظر: القاضي، عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عقيـل، شرح ابن عقيـل على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ٤٤.

(٣) ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٢٧٢.

(٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صرخ)، ج ٤، ص ٢٤٢٦.

(٥) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، مادة (كرب)، ج ٥، ص ٣٦٠.

والغمُّ، ثم يعطي صفةً لله وهي (مجيب دعوة المضطرين)، ومجيب اسم فاعل^(٦)؛ تناسب مقام الباري، فالله المغيث والمعين فلا يزيل الهمَّ ولا يجيب الدعوة سواه، أمَّا الغرض الخفيُّ فالدُّعاء يحمل الدعوة إلى التمسك بالله فهو المفرج، فالبشر مهما ملك وتسلَّط لا يقدر على شيء، فنسبة الفرَج الحقيقيِّ له لا غيره من حاكمٍ أو سلطانٍ، ويذكرُ المسلمين بيوم الأحزاب وشدِّته وكيف نصر الله المسلمين؛ وهذا تناص مرتبطٌ مع حدثٍ وقصةٍ؛ ليقنعوا ويزداد إيمانهم بهذا.

وذكر النحويون أنَّ الإضافة غير المحضة لا تفيد التعريف، ولا التخصيص بخلاف المحضة^(٧)، وذكروا أنَّها تفيد التَّخفيف، كقولك: (هو ضاربٌ خالدٍ) أخفُّ من قولك (هو ضاربٌ خالدًا)؛ وذلك لحذف التنوين منه أو تُفِيد رفع القبح في بعض الحالات الإعرابية^(٨)،

(٦) ينظر: نهر، هادي، الصرف الوافي (دراسة وصفية في الصرف وبعض المسائل الصوتية)، ص ٨٢.

(٧) ينظر: القاضي، عبد الله بهاء الدين بن عبد الرحمن بن عقيـل، شرح ابن عقيـل على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ٤٤.

(٨) ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ج ٣،



إلا أنَّ متابعة النصوص، والتركيز على قصد النص، يلحظ أنَّ الإعمال له قصد، والإضافة لها قصد آخر^(١)؛ فالإضافة غير المحضة لها قصد في الاستعمال؛ فالمتكلم يستعمل الإضافة لقصد إطلاق الزمن^(٢)، كقوله عليه السلام: "يا نور الثور، يا مدبر الأمور، يا جواد، يا واحد، يا أحد يا صمد، يا من لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، يا من هو هكذا ولا يكون هكذا غيره، يا من ليس في السماوات العلى والارضين السفلى إله سواه، يا معز كل ذليل، ومذل كل عزيز"^(٣)، فالله تعالى هو نور، ومدبر، وجواد، وواحد، وأحد، وصمد، ولم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، وهو تعالى معز كل ذليل، ومذل كل عزيز على الدوام ماضياً، وحاضراً، ومستقبلاً، وهذه صفات مستمرة في ذلك، بالعكس تماماً لو أعمل تقييد الزمن بالحال، أو الاستقبال^(٤)،

ص ٣٢.

والجانب الآخر الذي استثمره الإمام عليه السلام في الإضافة لبيان قصده هو أنَّ الإضافة تدلُّ على الذات، والثبات بسبب اقترابها من الاسمية، أمَّا الإعمال فالوصف يقترب من الفعل فلا يدلُّ على الثبات^(٥)، كقولنا: (زيدٌ كاتبُ العقود) تدلُّ على شخصٍ صفته كتابة العقود بخلاف قولك: (زيدٌ كاتبُ العقود) فهي صفةٌ وقتيةٌ.

ثانياً: النداء: القصد من هذا الأسلوب هو إقبال المنادي، والإقبال يكون حقيقياً وقد يكون مجازياً^(٦)، أوَّل ما يلجأ إليه المتكلم هو اختيار حرف نداء مناسب بحسب البعد والقرب المكاني، أو بحسب حالة المنادي والتفاتة نحو المنادي^(٧)، وقصد النداء في أدعية الإمام يكون غير حقيقيٍّ - مجازيٍّ -، أمَّا اختيار الحرف في نصوص الدعاء فكان متفاوتاً؛ فالإمام الهادي (عليه السلام) كثر في دعائه استعمال حرف النداء (يا)، الذي له خصوصية مدِّ

ج ٣، ص ١١٤.

(٥) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ١١٤.

ج ٣، ص ١١٤.

(٦) ينظر: حسن، عباس، النحو الوافي، ج ٤، ص ١.

(٧) ينظر: الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع، ص ١٠٥.

(١) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ١١٤.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ١٤٤.

(٣) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، مصباح المتعجب، ص ٣٤٧.

(٤) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو،



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

فاعل، و(أَحَدَ، وَفَرْدَ، وَصَمَدَ) وصيغتهم (فَعَلَ) و(فَعَلَ)، فهذه من صفات الله عز وجل الثابتة، فلا تتغير ماضياً، أو حاضراً، أو مستقبلاً.

خروج النداء إلى الاستغاثة:

يخرج النداء عند طلب المنادى إلى الاستغاثة، وهي: "نداء من يخلص من شدة، أو يعين على مشقة"^(٣)، يقول الإمام عليه السلام: "يا ثقتي ورجائي، لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي لك يا سيدي ممن غير من مني عليك، بل لك المن لذلك علي، فيا رحيم ارحم ضعفي ورقة جلدي، واكفني ما أهمني من أمر الدنيا والاخرة، ويا رازق ارزقني مرافقة النبي وأهل بيته عليه وعليهم السلام في الدرجات العلى في الجنة"^(٤)، فالقصد هنا الاستغاثة بالله سبحانه وتعالى، ففي نصه عليه السلام قد تحققت أركان الاستغاثة القائمة على وجود مستغاث له وهو شخصه عليه السلام، ومستغاث به وهو الله، فطلب الاستغاثة منطلق من تخليصه عليه السلام من المعاصي و الذنوب فجاء

الصَّوت^(١)؛ مما يسهل تنغيمة؛ ليؤدي إلى الازدياد من التضرع لله العزيز وهذا من أدبيات الدعاء، فقال عليه السلام في حرزه: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ مَا أَعَزَّ عَزِيزَ الْعِزِّ فِي عِزِّهِ يَا عَزِيزَ أَعَزَّنِي بِعِزِّكَ، وَأَيَّدَنِي بِنَصْرِكَ، وَادْفَعْ عَنِّي هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَادْفَعْ عَنِّي بِدْفِعِكَ، وَأَمْنَعْ عَنِّي بِصُنْعِكَ، وَاجْعَلْنِي مِنْ خِيَارِ خَلْقِكَ يَا وَاحِدُ يَا أَحَدُ يَا فَرْدُ يَا صَمَدُ"^(٢) في النص تكرار للنداء؛ إذ تكررت بنية النداء ست مرات؛ وهذا التكرار لنداء الله يبعث في النفس الاطمئنان؛ فالإنسان المؤمن في هذه الدنيا يعيش في جهد ومشقة فهو بحاجة إلى القرب الإلهي؛ فتكرار النداء يقربه من ذلك، فالقصد من هذا النداء هو الأُنس بالمنادى؛ بذكر صفاته العظيمة، واستعمل شتى الصفات الدالة عليه، ف(الرحمن، والرحيم) صيغ مبالغة استعملها الإمام عليه السلام لتأكيد المعنى وتقويته، و(عزيز) وهي صفة ثابتة لله وإن صيغتها اسم فاعيل، وكذا الحال في (واحد) صيغتها اسم

(٣) الأزهري، خالد بن عبد الله، شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤) الأبطحي، السيد محمد باقر نجل السيد مرتضى الموحد، الصحيفة الرضوية الجامعة، ص ٢٣٨.

(١) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٤، ص ٢٧٨.

(٢) ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٤٤.



نصه ممتزجا بين النداء والاستغاثة.

ثالثاً: الدعاء: هناك أساليب عديدة يستعملها المتكلم للوصول إلى قصد الدعاء منها:

أ- فعل الأمر عند خروجه عن قصده الحقيقي إلى قصد مجازي، فأحد المقاصد المجازية هو الدعاء^(١)، كقول الإمام عليه السلام: "اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْعَذَابَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْعَثْ جَهْرَةً عَلَى الظَّالِمِينَ، اللَّهُمَّ اكْفُفِ الْعَذَابَ عَنِ الْمُسْتَجِيرِينَ، وَاصْبِرْ عَلَى الْمُغَيَّرِينَ [الْمُفْتَرِينَ، الْمُغَيَّرِينَ]، اللَّهُمَّ بَادِرْ عَصْبَةَ الْحَقِّ بِالْعَوْنِ، وَبَادِرْ أَعْوَانَ الظُّلْمِ بِالْقَضْمِ اللَّهُمَّ أَسْعِدْنَا بِالشُّكْرِ، وَامْتَحِنَا النَّصْرَ وَأَعِزَّنَا مِنْ سُوءِ الْبَدَاءِ وَالْعَاقِبَةِ وَالْخَيْرِ"^(٢)، فالأفعال (اكشف)، و(ابعث)، و(اكفف)، و(اصبب)، و(بادر)، و(أسعد)، و(امتح)، و(أعذ) خرجت كلها لقصد الدعاء فضلاً عن القصد الظاهر الواضح، فثمة دعوة للتمسك بالله الذي يكشف العذاب، ويكفّهُ عن المؤمنين والمستجيرين، ويبعثهُ،

(١) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٤، ص ٢٦.

(٢) ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٦١.

ويصبهُ على الظالمين والمفترين، وهو الذي يُعِيدُ عِبَادَهُ مِنَ الشُّوْءِ وَالشَّقَاءِ، ويسعدهم بالشُّكْرِ وَالرَّخَاءِ؛ لَأَنَّ بِيَدِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وهذا مفضٍ إلى عِزَّةِ الْإِنْسَانِ وَقُوَّتِهِ.

ب- الفعل الماضي عند استعماله ويراد به الإنشاء^(٣)، كقوله عليه السلام: "وَأَسْتَمِرَّ عَلَى جَهَالَتِهِ لِعُقْبَاهُ فِي كُفْرَانِهِ، وَأَطْمَعُهُ حِلْمُكَ عَنْهُ فِي نَيْلِ إِرَادَتِهِ"^(٤)، فهذا النص تجسيدٌ للدعوة للذي يستمرون بغيهم وطغيانهم أن يتوبوا إلى الله تعالى، ويذيقوا حلاوة الإيمان في ضوء حلم خالقهم وبارئهم.

رابعاً: التوكيد: التوكيد هو "تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره"^(٥)، ويتحقق هذا القصد بأساليب منها: التوكيد بالحروف: ويتحقق ببعض الحروف منها: إنَّ، أنَّ، قد، وغيرها^(٦)، ومما ورد في

(٣) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ٢٧٨.

(٤) ابن طاووس، السيد رضي الدين علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ٦١.

(٥) اليمني، للإمام يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، ج ٢، ص ٩٤.

(٦) ينظر: اليمني، للإمام يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، ج ٤،

الصحيفة من هذه الحروف:

أ- قد: بقوله ﷺ: "مَنْ وَالَاكُمْ فَقَدْ
وَالَى اللَّهَ، وَمَنْ عَادَاكُمْ فَقَدْ عَادَى اللَّهَ، وَمَنْ
أَحَبَّكُمْ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَكُمْ فَقَدْ
أَبْغَضَ اللَّهَ، وَمَنْ اعْتَصَمَ بِكُمْ فَقَدْ اعْتَصَمَ
بِاللَّهِ" ^(١) فأكد ﷺ أن مَنْ وإلى أهل بيت
النبي فإنه وإلى الله، وَمَنْ عاداهم فإنه عادى
الله، وَمَنْ نصرهم فقد نصر الله، وَمَنْ
خذلهم فقد خذل الله، وَمَنْ حاربهم فقد
حارب الله، مستعملاً أداة التوكيد (قد)،
فهذا النص المبارك الذي يدعو إلى التمسك
بأهل بيت رسول الله ﷺ؛ لأنهم "أهل
بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف
الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة،
وخزان العلم، ومنتهى الحلم، وأصول
الكرم، وقادة الأمم، وأولياء النعم،
وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة
العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان،
وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وصفوة
المُرسلين، وعتره خيرة رب العالمين" ^(٢)،

ص ١١٢. اليمني، للإمام يحيى بن حمزة العلوي،
الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز،
ج ٢، ص ٩٤.

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار،
ج ٩٩، ص ١٢٩.
(٢) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار،

من لزمهم لحق، ومن تخلف عنهم زهق،
فهم الصراط المستقيم الذي يسوق سالكه
إلى رضوان الله تعالى وجنانه، فلا بدَّ على
العبد المؤمن أن يلتزم محبتهم وطاعتهم،
وأن لا يتخلف عنهم، فمن آتاهم نجا،
وَمَنْ لَمْ يَأْتِهِمْ هَلَكَ.

ب- إن - أن: بقوله ﷺ: "اللَّهُمَّ
إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شَفْعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ
وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَيِّمَةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتَهُمْ
شَفْعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجِبْتَ لَهُمْ عَلَيْكَ
أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ
وَبِحَقِّهِمْ وَفِي زُمَرَةِ الْمُرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ
إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَأَلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ
الْوَكِيلُ﴾" ^(٣)، يؤكد الإمام ﷺ على أنه
لا يوجد أحسن، وأفضل من يشفع عند الله
من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار،
فهم بحق أفضل شافع؛ لأنهم الأقرب إلى
الله تعالى، والأحسن والأكمل، والأفضل
مَنْ خُلِقَ.

ج ٩٩، ص ١٢٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٤) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار،
ج ٩٩، ص ١٥١.



المبحث الثاني:

القبول وأثره في بناء النص

أولاً: القبول في اللغة والأصطلاح:

اصطلح على هذا المعيار بـ (القبول)^(١)، و (المقبولية)^(٢)، والفرق بينهما في الصيغة مع الاتفاق في أصل الاشتقاق، فهما اشتقا من الفعل (قَبِلَ)، ومعناه اللغوي هو قبول الشيء "وَقَبِلْتُ الشيءَ قَبُولًا"^(٣)، فالتقارب بين المعنى اللغوي الحقيقي ومفهوم القبول واضح، ولم يغفل النحاة الأوائل هذا المحور، إذ أقاموا صرح علم النحو العربي على دراسة مهمة المتلقي لا مهمة المتكلم^(٤)، وكذلك وردت إشارات من البلاغيين والنقاد، يقول الجرجاني: "فليس الكلام بمغنٍ عنك، ولا القول بنافع، ولا الحجة مسموعة، حتى تجد من فيه عونٌ لك على

نفسه، ومن إذا أبى عليك أبى ذاك طبعه فردّه إليك، وفتح سمعه لك، ورفع الحجاب بينك وبينه، وأخذ به إلى حيث أنت، وصرف ناظره إلى الجهة التي، أو مأت، فاستبدل بالنفار أنسا، وأراك من بعد الإباء قَبُولًا"^(٥).

فكلامُ الجرجاني ينصبُّ بشأن وظيفة المتلقي الذي يعدُّ بجانب المنتج، والنصُّ أركان العملية التواصلية^(٦)؛ إذ لا تكفي شكلانية اللغة ما لم تجد المتلقي الذي يقوم بعملية فهم النصِّ وتأويله؛ فيجبُ الاهتمام به، فهذا الاهتمام ضمانٌ للاستمرار، والتفاهم، والاتصال بين المخاطب والمتكلم^(٧)؛ فالإتصال لا يتمُّ من دون المتلقي وهذا هو مفهوم القبول لدى المحدثين.

والقبول بمعناه الواسع هو "رغبةٌ نشطة للمشاركة في الخطاب"^(٨)، وعمل النصِّين هو كيف تنمّي هذه الرغبة لدى

(٥) الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص ٣٥٩.

(٦) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم لغة النص، ج ١، ص ١١٠.

(٧) ينظر: ناصح، كريم حسين، مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية في كتاب سيبويه، ص ٢٨.

(٨) ينظر: شبيل، عزة، علم لغة النص، ص ٥٢.

(١) ينظر: بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤، وينظر: أبو زيد، عثمان، نحو النص، ص ٢٧.

(٢) ينظر: شبيل، عزة، علم لغة النص، ص ٢٨. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٤٧.

(٣) القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٥٢. مادة (قبل).

(٤) ينظر: حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ج ٢، ص ٢١.



لنصّه، بل يضع خططا للمتلقي أيضًا، فهو يساعد المتلقي في أثناء الاتصال^(٣)، فالنصّ المترابط المسبوك المترابط في تقديم قضاياه المنسجم يكون مقبولا^(٤)، والذي يكون المقام والموقف واضحين؛ إذ النصّ يمكن أن يحتوي على مقدمات أو إشارات سياقية تساعد المتلقي على الفهم والتأويل^(٥)، فيكون أكثر قبولاً، وهناك قضايا عديدة يجب مراعاتها لتحقيق القبول لدى المتلقي، كمراعاة حال المخاطب، فينتج النصّ على وفق حالة المخاطب نفسياً واجتماعياً، وثقافياً، فوجود أطر بين المنتج والمتلقي تساعد على تحقيق القبول في النصّ، والقارئ معتاداً على استقاء المعلومات المهمة، وعلى حسب ما مخزون في ذاكرته من ميول واهتمامات ومعارف^(٦)، ومراعاة درجة انتباهه وجنسه^(٧)، ومراعاة قواعد

(٣) فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٥١.

(٤) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص ١٠٤.

(٥) ينظر: قياس، ليندة، لسانيات النص، ص ٢٩٧.

(٦) ينظر: فان دايك، علم النص، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٧) ينظر: الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف

المتلقي؟ وكيف تجعل نصّك مقبولا؟، ولنا أن نسأل ما هي الجوانب التي نراعيها في النصّ لنجعله مقبولا؟ أهى الجوانب الجمالية؟ أم الجوانب اللغوية؟ أم الجوانب الدلالية ووضوح المعنى؟ أم مطابقة الكلام لمقتضى الحال (المقامية)؟ والقبول مفهوم واسع تدخل فيه قضايا لغوية وغير لغوية - كعلم النفس والاجتماع وغيرهما - فهو يعتمد على الجانب الشكلي في النصّ والدلالي وترابطهما - السبك والانسجام - وعلى الجانب الجمالي - البلاغة - وعلى ما تعارف عليه المجتمع من مفاهيم ومعارف فهو يعتمد على المخزون المعرفي لدى المتلقي اعتماداً كبيراً، فهو مرتبط بمنتج النصّ ومتلقيه، والظروف التي تحيط بالنص، الموقف أو المقامية^(١)، فهذه العملية نجاحها رهين التعاون بين المنتج والمتلقي؛ فلكل منهما فعل ووظيفة في هذا النجاح^(٢).

إجراء المنتج: وتكمن في كيفية جعل نصّه مقبولا فهو عنصر مؤثر في عملية القبول للنصّ؛ إذ لا يضع خططا

(١) ينظر: الرازي، أحمد محمد عبد، نحو النص، ص ٩٩.

(٢) ينظر: يونس، علي محمد، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص ٤٥.



المحادثة الأربعة لكرايس، إضافةً إلى ما يحمله المتكلم من قضايا جديدةٍ تحقق القبول لدى المتلقي^(١)؛ إذ التكرار في أفكار النصوص مدعاةً للنفور.

ومن القضايا الأخرى التي يجب مراعاتها في الإنتاج هو وضوح المعنى العام (البنية الكبرى في النصوص)، فالغموض يؤثر سلباً في القبول، وهذا هو الغالب؛ لأنَّ ثمَّ قرأء - نوعين - يفضلون المبهم على الواضح^(٢).

إِجْرَاءُ الْمُتَلَقِّي: قلنا إنَّ المتلقي يمثل الجانب الثاني لنجاح عملية التواصل، "فالعملية اللغوية قامت في أساسها على مدى استيعاب المخاطب لما يتلقاه من محدثه الذي يحرص على إيصال رسائله الإبداعية في ظروف تكفل لها النجاح بعيداً من اللبس، أو الغموض، أو التوهم"^(٣)، وهو العنصر الأكثر أهميةً في تحقيق القبول في النص، فهي ترتبط بالمتلقي عن طريق الله، دلالة السياق، ص ٦٠٥-٦٠٧.

(١) ينظر: الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق، ص ٦١٦.

(٢) فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٥٥.

(٣) أبو نواس، عمر محمد، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، ص ١٠٦.

حكمه على النص من جانب أنه متسق منسجم ذو غاية^(٤) إذ حياة النص تعتمد عليه^(٥)، بالقراءة الواعية للنص، وهذه ليست متوفرة لكل قارئ، "بل يجب أن تتوفر فيه الكفاءة التي تمكنه من استيعاب النص وتفكيكه، وتتمثل تلك الكفاءة في معرفة لغة النص وأسلوبه وسياقه"^(٦)، ويكون على مستوى من المعرفة بالقوانين البلاغية واللغوية^(٧)، ومن الخبرة الكافية على قراءة النصوص، فيجب أن تتوافر في المتلقي ضوابط وشروط، خوفاً من الفوضى وضماناً للنتائج^(٨)، أي: يجب عليه أن يكون بالأساس قادراً على فهم القصد من الباث^(٩)، فعند توافر هذه الشروط والضوابط نصل إلى "المتلقي المبدع المتفاعل" (٤) فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٥٢.

(٥) ينظر: إبراهيم، نبيلة، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، ص ٢١٣.

(٦) الفقي، صبحي، علم لغة النص، ج ١، ص ١١٠.

(٧) ينظر: شبل، عزة، علم لغة النص، ص ٣٤.

(٨) ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم، علم لغة النص، ج ٢، ص ٢١٧.

(٩) ينظر: بحيري، سعيد حسن، إسهامات أساسية (في العلاقة بين بنية النص والنحو والدلالة)، ص ٢٧.



المشارك، لا للنص نفسه، بل لمعناه وأهميته وقيمه^(٧)، فوجود النص وتحققه لا يكون إلا عن طريق القارئ، فعملية القراءة هي البناء الجديد^(٨)، القراءة بأنواعها الثلاثة، الإسقاطية، والشارحة، والشعرية التي تفك شفرة النص^(٩)، وهذه القراءات مسبوقة كما قلنا بشروط وضوابط للقارئ، "فالقارئ الذي يدرك طبيعة المنتج، وطبيعة النص والوسائل المستعملة في النص، وسياق النص هو ذلك القارئ أو المتلقي النموذجي"^(١٠)، فالمتلقي يعمل بالوسائل المتاحة لديه على القراءة النموذجية ليصل إلى النجاح في التواصل.

ثانيًا: وسائل القبول في خطاب الإمام الهادي عليه السلام: ذكرنا أن عملية القبول يوجد لها المنتج والمتلقي كل على حسب وظيفته في الاتصال، وهناك عدة أمور ينبغي مراعاتها لقبول النصوص، سواء

في النص^(١)، فهو المنتج الثاني^(٢) لمعنى النص^(٣)، وما الاختلاف في تفسير النص القرآني إلا برهاناً على اختلاف المتلقي بدرجاتهم المعرفية والثقافية^(٤)، فالقارئ شريك في إيجاد المعنى^(٥)، بعمله لسبك وانسجام جديدين، فإذا وجد فراغاً -حذفاً مثلاً- فالمتلقي هو الذي يسد هذا الفراغ، بالبحث عن المحذوف، كذلك يعمل على إيجاد الترابط الموضوعي في النص، فيعمل القارئ على استخراج المعلومات وعمل الاستنتاجات الضرورية، وهذا يعتمد على مدى اتساع المعلومات المخزونة المشتملة على معرفة العالم والقصد وأعراف المحادثة والأعراف البلاغية وتنوعها^(٦)، فيعيد بناء النص طبقاً لتصوره؛ فهو: "المبدع"^(١) بوسقة، محمود، الاتساق والانسجام في سورة الكهف، ص ١٧٧.

(٢) الفقي، صبحي، علم لغة النص، ج ١، ص ١٤.

(٣) ينظر: إبراهيم، نبيلة، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، ص ٢١٥.

(٤) الفقي، صبحي، علم لغة النص، ج ١، ص ١١٢.

(٥) الفقي، صبحي، علم لغة النص، ج ٢، ص ٢١٥.

(٦) فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ٥٤.

(٧) حمود، عبد العزيز، المراسم المحدبة، من النبوية إلى التفكيك، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٨) ينظر: إبراهيم، نبيلة، القارئ في النص (نظرية التأثير والاتصال)، ص ١٠٢.

(٩) ينظر: محمد، حسن، نظرية التواصل وقراءة النص الأدبي، ص ٥٥.

(١٠) الفقي، صبحي، علم لغة النص، ج ١، ص ١١١-١١٢.



اللغويُّ والدَّلاليُّ منها أو الأمور الأخرى غير اللغويَّة، وسنحاول هنا معرفة القبول وأسبابه في أدعية الإمام عليه السلام وسأذكرُ هنا قضية - وهي من القضايا الشَّكليَّة - أي من السَّبك المساعد في القبول وهي قضية التنغيم، وهي من وظائف المنتج، أو مؤدِّي الدعاء (القارئ)، وهي لا تخلُ بمنهج علم النَّصِّ المبتعد عن المعيارية في بحثه، وإنما قلت يساعده - أي ليس بمفرده - .

فالتَّغْيِيمُ ومنهجية علم النَّصِّ لا يتعارضان؛ لأنَّ علم النَّصِّ "لا يتوقَّفُ عند الحدود اللغويَّة لأيِّ عملٍ (أدبيٍّ أو غير أدبيٍّ)، ولكنَّه ينظرُ إلى ما يصاحبُ هذا العمل أثناء أدائه من مفهومات ثقافيَّة، واجتماعيَّة، وأصواتٍ كالتنغيم، والنَّبر، وحركات الجسد، والوجه..."^(١)، وذكرتُ أنَّ النَّصَّ في خطَّاب الإمام الهادي عليه السلام هو نصٌّ مكتوبٌ، لكن مؤدِّي الدُّعاء (قارؤه)، هو الذي يجعلُ النَّصَّ منطوقاً عن طريق النَّبر والتنغيم وحركات الوجه والجسد؛ بفهمه للبنى التركيبيَّة التي في النَّصِّ، وسأذكر قضية التنغيم، مع تحليلٍ للقضايا غير اللغويَّة التي ساعدت في نجاح النَّصِّ وتداوله إلى الآن.

التَّغْيِيمُ: تميَّز الإنسان بالحواسِّ الخمس التي يكونُ عن طريقها إدراك ما حوله وفهم الآخرين، ولعلَّ أفضل حاسةٍ هي حاسة السَّمْع حتى فضَّلت على البصر، فإنَّ الملحوظ على الاستعمال القرآنيُّ أنَّه قدَّم السَّمْع على البصر في آياته؛ لعظم فائدة هذه الحاسة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾^(٢)، إنَّ التأثير الصَّوتيَّ من أهمِّ المداخل إلى النَّفس البشريَّة^(٣)، ويقولُ الذين درسوا علم النَّفس الموسيقيِّ، إنَّ هناك ميلاً غريزيّاً لدى الإنسان إلى الكلام ذي الجرس، والنَّغم الموسيقي الجميل^(٤)، فالإنسان في طبيعته يميلُ إلى تلحين كلامه، وهذا التَّلحين يختلفُ من موقفٍ إلى آخر، ومن مجتمعٍ لآخر - البدواة، والحضارة - هذه الموسيقى في الكلام، أو التَّلحين في الكلام يُطلقُ عليها ظاهرة التنغيم، وعرفها الدُّكتور محمود السَّعران بقوله: "المصطلح الصوتيُّ الدَّالُّ على الارتفاع (الصُّعود) والانخفاض والهبوط في درجة pitch

(٢) سورة الملك، الآية ٢٣ .

(٣) ينظر: السَّعران، محمود، اللغة والمجتمع، ص ١٤ .

(٤) ينظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، ص ١١ .

(١) فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، ص ١٧ .



والجهر، voice في الكلام^(١)، وبينه ماريوباي قائلاً: "هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدثٍ كلاميٍّ معيّن"^(٢).

فالتنغيمُ تغيراتٌ موسيقيةٌ تتناوب الصّوت من صعودٍ إلى هبوطٍ أو من انخفاضٍ إلى ارتفاعٍ تحصلُ في كلامنا وأحاديثنا لغايةٍ وهدفٍ؛ وذلك على حسب المشاعر والأحاسيس التي تتابنا من رضا، وغضب، وبأس، وأمل، وتأثير، ولا مبالاة، وإعجاب، واستغراب، وشك، ويقين، وإثبات، وهذه الظاهرة وردت في تراثنا اللغويّ وإن لم يشيروا إليها بالمصطلح عينه، فنحن نجد ابن جني قائلاً: "وقد حذفت الصّفة ودلت عليها، وذلك في ما حكاه صاحب الكتاب من قولهم (سير عليه ليل)، وهم يريدون ليل طويلاً، وكأن هذا إنّما حذفت فيه الصّفة، لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله"^(٣).

قسّم الدكتور تّمّام حسان التنغيم على ثلاثة أنواع، النغمة الهابطة، النغمة

(٤) الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، ص ٢٦٠، نقلاً عن الكتاب المخطوط (نجوم البيان في الوقوف وماءات القرآن) للسمرقندي، ط ٥.

(٥) حسان، تمام، اللغة العربية مبناها ومعناها، ص ٢٢٦.

(١) الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة، ص ٢٠٦.

(٢) ماريوباي، أسس علم اللغة، ص ٩٣.

(٣) ابن جني، الخصائص، ج ٢، ص ٣٧٢-٢٧٣.



مَجْلَدُ الْقُرْآنِ

العدد: الثامن
السنّة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الصَّاعِدَة، النَّعْمَة الثَّابِتَة، ومجموع النِّعَمَاتِ في الكلام يشكّل اللحن^(١)، ومرّ بنا قول السَّمرقندي حول كَيْفِيَّة استخدام التَّنْغِيم مع أنواع (ما)، وكذلك وردت إشاراتٌ من المحدثين حول كَيْفِيَّة استخدام التَّنْغِيم مع الأسبابِ المختلفة، فيجبُ مراعاة التَّنْغِيم في تداولِ خطابِ الإمامِ الهادي عليه السلام؛ لكي تحقّق القبول لدى المتلقّي، ويوضّح عنده المعنى المراد؛ فضلاً عن ذلك أنّ التَّنْغِيم يعدُّ من أدبيات الدُّعاء، فلنحاول تطبيق هذه الآراء مع خطابِ الإمامِ الهادي عليه السلام مع توضيح القضايا الأخرى التي تساعد في القبول، قال الإمام عليه السلام: "يَا مَنْ مُحَلُّ بِأَسْمَائِهِ عَقْدُ الْمَكَارِهِ، وَيَا مَنْ يُقَلُّ بِذِكْرِهِ حَدُّ الشَّدَائِدِ، وَيَا مَنْ يُدْعَى بِأَسْمَائِهِ الْعِظَامِ مِنْ ضَيْقِ الْمُخْرَجِ إِلَى مُحَلِّ الْفَرْجِ، ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابُ، وَتَسَبَّيْتُ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابُ، وَجَرَى بِطَاعَتِكَ الْقَضَاءُ، وَمَضَتْ عَلَى ذِكْرِكَ الْأَشْيَاءُ، فَهِيَ بِمَشِيَّتِكَ دُونَ قَوْلِكَ مُؤَمَّرَةٌ، وَبِإِرَادَتِكَ دُونَ وَحْيِكَ مُنَزَّجَةٌ، وَأَنْتَ الْمَرْجُوُّ لِلْمُهِمَّاتِ، وَأَنْتَ الْمَفْرَعُ لِلْمُلِمَّاتِ، لَا يَنْدَفِعُ مِنْهَا إِلَّا مَا دَفَعْتَ، وَلَا يَنْكَشِفُ مِنْهَا إِلَّا مَا كَشَفْتَ، وَقَدْ نَزَلَ بِي مِنَ الْأَمْرِ مَا فَدَحَنِي ثِقَلُهُ، وَحَلَّ بِي مِنْهُ

مَا بَهَظَنِي حَمْلُهُ، وَبِقُدْرَتِكَ أَوْرَدْتَ عَلَيَّ ذَلِكَ، وَبِسُلْطَانِكَ وَجَّهْتَهُ إِلَيَّ، فَلَا مُصْدِرَ لِمَا أَوْرَدْتَ، وَلَا مُيَسِّرَ لِمَا عَسَّرْتَ، وَلَا صَارِفَ لِمَا وَجَّهْتَ، وَلَا فَاتِحَ لِمَا أَغْلَقْتَ، وَلَا مُغْلِقَ لِمَا فَتَحْتَ، وَلَا نَاصِرَ لِمَنْ خَذَلْتَ إِلَّا أَنْتَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَافْتَحْ لِي بَابَ الْفَرْجِ بِطَوْلِكَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سُلْطَانَ الْهَمِّ بِحَوْلِكَ، وَأَنْلِنِي حُسْنَ النَّظَرِ فِي مَا شَكَوْتُ، وَارْزُقْنِي حَلَاوَةَ الصَّنْعِ فِيمَا سَأَلْتُكَ، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَرْجاً وَحِيّاً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً هَيْئاً، وَلَا تَشْغَلْنِي بِالْاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهِدِ فَرَائِضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ، فَقَدْ ضَيَّقْتُ بِمَا نَزَلَ بِي ذَرْعاً، وَامْتَلَأْتُ بِحِمْلِ مَا حَدَّثَ عَلَيَّ جَزَعاً، وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كَشْفِ مَا بَلِيتُ بِهِ وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي، وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَوْجِبِهِ مِنْكَ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَذَا الْمُنِّ الْكَرِيمِ، فَأَنْتَ قَادِرٌ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ آمِينَ رَبَّ الْعَالَمِينَ"^(٢)، اَلْهَمُّ والبلاءُ يفضي بالإنسان إلى حالةٍ مِنَ الحزنِ والضعفِ، ممَّا يجعلُهُ يلتجئُ إلى خالقِهِ؛ لتخفيفِ الحالةِ النفسيَّةِ، ومنَ العقلانيَّةِ الشُّعُورِ بالتَّقْصِيرِ مع الله، فالاعترافُ بذلك فيه تربيَّةٌ رُوحِيَّةٌ لِلْإِنْسَانِ، فهو لم يجعل

(٢) ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات، ص ١٩٧.

(١) ينظر: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٦.



العدد: الثامن

السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

نفسه مع المتقين الذين ضمرت بطونهم من الجوع، وضعف بصرهم من البكاء من خشية الله، وعبر عن تقصيره بتعبير مجازي (وقد نزل بي من الأمر ما فدحني ثقله، وحل بي منه ما بهطني حمله،...، فقد ضقت بما نزل بي ذرعاً، وامتألت بحمل ما حدث عليّ جزعاً)، استعارة تناسب حالة الضيق النفساني الذي يمر به جراء الشعور بالتقصير، فنفسه تفضل الراحة والحمول مقابل العمل بطاعة الله، مبررة ذلك بوسائل شتى، ثم يستشفع بأولياء الله الصالحين ومحبيه لهم والمحن التي مر بها لطاعتهم ومحبتهم، ثم يطلب العطاء بأسلوب التقرير الخارج لقصد الدعاء، فيقول: (وَأَنْتَ الْقَادِرُ عَلَى كَشْفِ مَا بُلِيتُ بِهِ وَدَفْعِ مَا وَقَعْتُ فِيهِ، فَافْعَلْ ذَلِكَ بِي، وَإِنْ كُنْتُ غَيْرَ مُسْتَوْجِبِهِ مِنْكَ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَذَا الْمُنِّ الْكَرِيمِ، فَأَنْتَ قَادِرٌ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ)، فيشبه نفسه بالغريق بالهم والحزن، فنفس الإمام عليه السلام بيد الله تعالى، وفي قوله: (وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ فَرْجاً وَحِياً، وَاجْعَلْ لِي مِنْ عِنْدِكَ مَخْرَجاً هَيْئاً، وَلَا تَشْغَلْنِي بِالْاهْتِمَامِ عَنْ تَعَاهِدِ فَرَائِضِكَ، وَاسْتِعْمَالِ سُنَّتِكَ)، ومما يلحظ في هذا النص المبارك أنه مشكل نحويًا، متناسب وما في ذهن الإنسان من معارف

وفي مثال آخر قال الإمام عليه السلام "اللَّهُمَّ إِنِّي لَوْ وَجَدْتُ شَفْعَاءَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَخْيَارِ الْأَيِّمَةِ الْأَبْرَارِ لَجَعَلْتَهُمْ شَفْعَائِي فَبِحَقِّهِمُ الَّذِي أَوْجَبَتْ لَهُمْ عَلَيْكَ أَسْأَلُكَ أَنْ تُدْخِلَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَارِفِينَ بِهِمْ وَبِحَقِّهِمْ وَفِي رُؤْمَةِ الْمُرْحُومِينَ بِشَفَاعَتِهِمْ إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" (١) (٢)، يؤكد الإمام عليه السلام على أنه

(١) سورة آل عمران، الآية ١٧٣.

(٢) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٩٩، ص ١٥١.



لا يوجد أحسن، وأفضل من يشفع عند الله من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار، فهم بحق أفضل شفيع؛ لأنهم الأقرب إلى الله تعالى، والأحسن والأكمل، والأفضل ممن خلق، والاستعانة بالصالحين فكرة مقبولة لدى المسلمين؛ لأن في القرآن ما يؤيد ذلك، بدليل قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾^(١)، وعلى قارئ النص (المؤدّي) مراعاة التنعيم؛ لإيصال المعنى إيصالاً مفهوماً إلى متلقي النص، والمتلقي هنا هم المسلمون المستمعون للنص، فينبغي تنعيم الصوت وترقيعه ليناسب الموقف، ومراعاة التوضيح الدلالي.

أما في (ما) الخبرية فيقتضي أن نخفض الصوت^(٢)، كقوله عليه السلام: "اللهم إني وفلان بن فلان عبدان من عبيدك نواصينا بيدك تعلم مستقرنا ومستودعنا، وتعلم منقلبنا ومثوانا، وسرنا وعلانيتنا، وتطلع على نيّاتنا، وتحيط بضمائرنا علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه، ومعرفتك بما نبطنه، كمعرفتك بما نظهره، ولا ينطوي عنك شيء من أمورنا، ولا يستتر دونك حال من أحوالنا- ولا لنا منك معقل يحصننا، ولا

حرز يحجزنا، ولا هارب يفوتك منا، ولا يمتنع الظالم منك بسلطانه، ولا يجاهدك عنه جنوده، ولا يغالبك مغالب بمنعة، ولا يعارك متعزز بكثرة أنت مدركه أيّما سلك، وقادر عليه أين لجأ، فمعاذ المظلوم منا بك، وتوكل المقهور منا عليك، ورجوعه إليك، ويستغيث بك إذا خذله المغيث، ويستصرحك إذا قعد عنه النصير، ويلوذ بك إذا نفته الأفيّة، ويترقب بابك إذا أغلقت دونه الأبواب المرتجة، ويصل إليك إذا احتجبت عنه الملوك الغافلة تعلم ما حل به قبل أن يشكوه إليك، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له فلك الحمد سميعاً بصيراً لطيفاً قديراً"^(٣)، إذ رفع الصوت في (وتحيط بضمائرنا علمك بما نبديه كعلمك بما نخفيه، ومعرفتك بما نبطنه كمعرفتك بما نظهره،...) أنت مدركه أين ما سلك،... تعلم ما حل به قبل أن يشكوه إليك، وتعرف ما يصلحه قبل أن يدعوك له) توحى بأنها نافية، وهذا خلاف المعنى.

(هل والهمزة) فيستخدم التنعيم الصاعد^(٤)، كقوله عليه السلام: "استغفر الله

(٣) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٨٢، ص ٢٢٠.

(٤) ينظر: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص ٢٦٠.

(١) سورة المائدة، الآية ٣٥.

(٢) ينظر: بشر، كمال، المدخل إلى علم الأصوات، ص ٢٦٠.



ذلك بأسلوبٍ بلاغيٍّ، فهو يشبه نفسه بالغريق في بحر الذنوب، المنغمس في المحارم، المعاند عن طريق الحق، مع الرحمة التي يعيش فيها والعطاء الإلهي، ثم يذكرنا بأن لا مهرب من الحساب، وسنحاسب على كل أعمالنا صغيرها وكبيرها، فسنسأل عما اقترفته جوارحنا، فما حواه النص يؤمن به المتلقي، والمتلقي هنا هو المسلم (المستمع أو القارئ المؤدّي للدعاء)، ويشعر به في أعماق نفسه؛ مما يجعله يقتنع بالنص ويتقبله.

أما أسلوب النداء فيستعمل له التنعيم الهابط^(٣)، ثم التدرج إلى الصاعد، كقوله عليه السلام: "يا نور الثور، يا مدبر الأمور، يا جواد يا واحد، يا أحد يا صمد، يا من لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، يا من هو هكذا ولا يكون هكذا غيره، يا من ليس في السماوات العلى والارضين السفلى إله سواه، يا معز كل ذليل، ومذل كل عزيز، وعزتك وجلالك عيل صبري، فصل على محمد وآل محمد، وفرج عني كذا وكذا، وافعل بي كذا وكذا - وتسمي الحاجة وذلك الشيء بعينه - الساعة

استغفاراً من لا يعلم على أي منزلة هاجم أفي النار يُصلى أم في الجنة ناعمٌ يحيا، أستغفر الله استغفارَ من غرق في لجج المآثم وتقلب في أظاليل مقت المحارم أستغفر الله استغفارَ من عند عن لوائح حق المنهج وسلك سوادف سبل المرتج (...). أستغفر الله استغفارَ من لا يرجو سواه أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم مما أحصاه العقول والقلب الجهول واقترفته الجوارح الخاطئة واكتسبته اليد الباغية أستغفر الله الذي لا إله إلا هو بمقدار ومقياس ومكيال ومبلغ ما أحصى وعدد ما خلق وذراً وبرأ وصور ودون وأستغفر الله أضعاف ذلك كله وأضعافاً مضاعفةً وأمثالاً ممثلة حتى أبلغ رضا الله وأفوز بعفوه"^(١)، فالاستغفار هنا قائم على (التذكير)، وهو مؤكد بالمفعول المطلق المؤكد لعامله^(٢)، التذكير شمل قضايا قائمة في ذهن الإنسان، وأولها التذكير بالمصير المجهول، فلا أحد يعلم مصيره أهو في الجنة أم في النار؟ والإمام هنا يجعل نفسه في غاية التقصير ويعبر عن

ص ١٦٨.

(١) ابن طاووس، مهج الدعوات ومنهج العبادات: ص ٢٧٢.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ص ١٣٠.

(٣) ينظر: حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، ص ١٦٩.



الساعة يا ارحم الراحمين^(١)، فالله تعالى هو نورٌ، ومدبرٌ، وجوادٌ، وواحدٌ، وأحدٌ، وصمدٌ، ولم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحدٌ، وهو تعالى معزٌ كلِّ ذليلٍ، ومذلٌّ كلِّ عزيزٍ في الماضي والحاضر والمستقبل، وهذه صفاتٌ مستمرةٌ في ذلك، لعكس لو أعمل تقييد الزمن بالحال أو الاستقبال^(٢)، والجانب الآخر الذي استثمره الإمام عليه السلام في الإضافة لبيان قوة الله وقدرته، بعد هذه المقدمة المقررة بعظمة الخالق، يطلب المغفرة منه والنجاة؛ وعنده ما يسوغ ذلك، فيذكر فضائل الخالق، فهو المنعم عليه رغم قلة شكره عليها، وقلة صبره عند الابتلاء بالمصائب، وأنت يا ربِّ سترتني ولم تخزني في هذه الدنيا بفضح عيوبي، فأنت صاحب الفضائل عليّ، فهذه تجعلني أقبل عليك، فأعني على التمسك بدينك، ولا تمكن نفسي عليّ، فأنت الغنيُّ القادر، فالترابطُ الدلاليُّ بين القضايا التي يقدمها النصُّ موجودٌ، ترابطٌ مبنٍ على السبب والنتيجة، أمّا الترابطُ الشكليُّ في النصِّ فوجودُ الواوِ الرابطة (عشر مرات)، والفاء (مرة

واحدة) جعلته مسبوغاً مترابطاً، والنصُّ مشكّلٌ نحويّاً مراعاةً للدلالة، ويجب تنعيم الصوت في تلاوته فمثلاً في (يا) النداء المكررة (عشر مرات)، يجب التدرُّج في الصوت من الأعلى إلى الأسفل؛ إذ تجعل القلب في حالة من الخشوع مع الخالق.

وفي التقرير نستخدم الهابط^(٣)، كدعائه عليه السلام: "عَلَيْكَ يَا مَوْلَايَ تَوَكَّلِي، وَأَنْتَ حَسْبِي وَأَمْلِي، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ تَبَارَكَ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ رَبُّ الْأَرْبَابِ، وَمَالِكُ الْمُلُوكِ، وَجَبَّارُ الْجَبَابِرَةِ، وَمَلِكُ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ رَبِّ أَرْسِلْ إِلَيَّ مِنْكَ رَحْمَةً يَا رَحِيمُ الْبَشَرِ مِنْكَ عَافِيَةً، وَارْزُقْ فِي قَلْبِي مِنْ نُورِكَ، وَاخْبَأْنِي مِنْ عَذُوكَ، وَاحْفَظْنِي فِي لَيْلِي، وَنَهَارِي بِعَيْنِكَ يَا أُنْسَ كُلِّ مُسْتَوْحِشٍ، وَإِلَهُ الْعَالَمِينَ، قُلْ مَنْ يَكْلُوْكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ حَسْبِيَ اللَّهُ كَافِيًا وَمُعِينًا وَمُعَافِيًا، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ"^(٤)، النصُّ واضح الترابط

(٣) ينظر: مجاهد، عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، ص ١٧٨.

(٤) الشاكري، الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام، ص ٧٢.

(١) الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، مصباح المتعجب، ص ٣٤٧.

(٢) ينظر: السامرائي، فاضل، معاني النحو، ج ٣، ص ١١٤.

الخاتمة ونتائج البحث

الشكليّ إذ بنيته عبارة عن توازٍ وبالتّركيب نفسه، المبتدأ-الله- والخبر - حسبي - مع الجار والمجرور أو الطّرف، أمّا الانسجام في النّصّ فقد تحقّق بالتّسلسل الزّمنيّ؛ إذ هو تصوّرٌ لمراحل حياة الإنسان من ولادته حتى القبر، أمّا عن طريقة قراءته، فيُستعمل له النّعمة الهابطة؛ لتناسب جوّ الإقرار.

لم أفرغ من دراسة نصّ من نصوص آل محمد (عليهم صلوات الله أجمعين) إلّا وجدتني كأني لم أبدأ بعد في دراسته، وكأنّ تلك النّصوص المباركة بحور تزخر بالآلئ والجواهر ما إن يستخرج المرء منها كنزاً حتى يجد أنّ الكنوز الأخرى تنتظر من يستخرجها، فيخرج بكنزه وعينه إلى البحر، ولقد وجدت بعد الإنتهاء من استقراء المقاصد المقبولة التي رغب الإمام الهادي عليه السلام إيصالها إلى المخاطبين، مقاصد كثيرة ربما أعود إليها كرهة أخرى، ولا أريد استعراض تلك المقاصد فقد ذكرتُها بقدر من التّفصيل، ولكن التّائج الكبرى التي خرجتُ بها من هذا البحث يمكن استنباطها من المقاصد والمقبولة نفسها وأهمها:

١- بيّنت الدّراسة أنّ الإمام عليه السلام اختار اللفظ المعبر الموحى ببلاغة عالية صادرة عن وعي وفكر؛ إذ جعل الألفاظ ناطقةً معبرةً، فجاء عليه السلام بجمليّ وعباراتٍ قمة بالحكمة والعلم.

٢. أثبت الإمام عليه السلام أنّه من دعاة وحدة الإسلام، وبقاء المسلمين يداً واحدةً، وذلك بالتمسك بالقرآن الكريم،



وسنة النبي محمد ﷺ، وتطبيق ما ورد فيها بمعرفة وعلم من غير تحريف أو تغيير لمفاهيمها؛ لأن الابتعاد عن نصوص القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وأفعال الرسول ﷺ، وسننه يؤدي إلى الفرقة والاختلاف؛ لأن القرآن والسنة لهما من يصونهما ويرعاهما، ويسير في ضوء ما يدعوان إليه، وأن التفسير المحرف للقرآن والسنة له من يطلّ ويزمر، لأنه طريق الشيطان، وهذا التفاوت في الفهم والقصد يؤدي إلى التفرقة والشتات، فتتفرق الأحزاب ويحدث الشقاق، ويظهر النفاق

٣- اهتم أصحاب نظرية التلقي (القبول) بالقارئ بوصفه الطرف الثاني في العملية الإبداعية، وظهرت تبعاً لذلك أنواع عدة للقراء، إذ غدا كل منهم يرسم صورة للقارئ تتماشى وفق ما ذهب إليه من منهج في قراءة النص وسير غوره، ومن أهم أنواع القراء القارئ الضمني لدى فولفغانغ ايزر، والقارئ النموذج، والقارئ الأعلى، والقارئ المقصود، والقارئ المخير.

٤- تمثلت مفاهيم المقبولية عند البلاغيين، عبر المشاركة الإبداعية، إذ أدرك البلاغيون القدامى دور المتلقي في

العملية الإبداعية، فالمتلقي القسم المبدع في عملية يشارك به مشاركة فعالة تمنحه الحياة والتجدد، وأما أفق التوقع فقد ظهر لدى العرب القدامى عبر ما كانوا يتوقعونه للشعر استناداً إلى ما يتحصل عندهم من المعرفة الأولية لمعنى الأبيات، ووقفوا على طبقات المتلقين، فأحكامهم تختلف باختلاف تقاناتهم وعملهم ومخزونهم العلمي.

٥- من عوامل قبول النص أن تميل إليه وإلى مغزاه والفرص منه (ذا تفع مستقبل)، فلا بد للنص أن يحتوي على إعلامية وتشويق وإثارة ليشد المتلقي إليه.

٦- تعاون المتلقي مع المتكلم شرط التواصل، وبه يعد النص مقبولا.

٧- إن كان القبول متصلاً بالمتلقي، فهو أيضاً يؤثر في المتكلم ولاسيما في المحاورات الشفوية.

وأمل كُله أن يكون هذا الجهد مؤهلاً للالتحاق في مسيرة البحث الأكاديمي، ليضيء إضاءة بسيطة في ميدانه، ويفيد باحثاً أو طالب علم، والله العالم من وراء القصد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

القرآن الكريم

١. إبراهيم، نبيلة، القارئ في النص
(نظرية التأثير والاتصال)، مجلة فصول
العدد الأول، المجلد الخامس، ١٩٨٤.

٢. الأبطحي، السيد محمد باقر نجل
السيد مرتضى الموحد، الصحيفة الرضوية
الجامعة لأدعية علي بن موسى الرضا
وأبنائه الأربعة عليهم السلام، تحقيق: مؤسسة
الإمام المهدي عليه السلام، مطبعة جابخونه، قم،
إيران، ط ١، ١٤٢٠ هـ . ق، ١٣٧٨ هـ
ش.

٣. ابن جني، لأبو الفتح عثمان،
الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة
المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة .

٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد،
مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث
العربي، بيروت، لبنان .

٥. ابن طاووس، السيد رضي الدين
علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج
العبادات، قدم له وعلق عليه: الشيخ
حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة
الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤ م:
٢٧٢.

٦. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق
عبد السلام هارون، دار الفكر، دون طبعة،

الخلق والأنبياء والمرسلين، حبيب إليه
العالمين أبي القاسم المصطفى محمد ﷺ،
وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه
المتجيبين المخلصين، ومن تبعهم بإحسانٍ
إلى قيام يوم الدين.



١٩٧٩م.

دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.

٧. ابن منظور، جمال الدين أبو عبد الله محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق ياسر سليمان أبو شادي، ومجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، مصر، د.ت.

١٣. الأصفهاني، ميرزا محمد تقي الموسوي، كتاب مكيال المكارم في فوائد الدعاء، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، مطبعة جبل المتين، قم المقدسة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

٨. أبو زنيد، عثمان، نحو النص اطار نظري ودراسات تطبيقية، دار النشر عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠١٠م.

١٤. الأنصاري، ابن هشام، شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة أنصار الله، ط ١، ١٤٢٤هـ.

٩. أبو نواس، عمر محمد، علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، المملكة الأردنية الهاشمية، جامعة مؤتة، المجلد السابع العدد الثاني، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

١٥. أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣.

١٠. الأزهرى، خالد بن عبد الله (٩٠٥ ت)، شرح التصريح على التوضيح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

١٦. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

١١. إسماعيل، صلاح، فلسفة العقل (دراسة في الفلسفة سيرل)، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٧.

١٧. بحيري، سعيد، دارسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.

١٢. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق، د. إحسان عباس، د. إبراهيم السعافين، بكر عباس،

١٨. بحيري، سعيد حسن، إسهامات أساسية (في العلاقة بين بنية النص والنحو والدلالة)، مؤسسة المختار، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م.

١٩. بحيري، سعيد حسن، علم لغة النص، المفاهيم والاتجاهات، مؤسسة

المختار، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٢٠. بشر، كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

٢١. بوطاجين، السعيد، الترجمة والمصطلح (دراسة في إشكالية المصطلح النقدي الجديد)، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢٢. التهانوي، محمد بن علي بن القاضي، كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.

٢٣. روبرت، دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام أحسان، مطبعة عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩١.

٢٤. آدموند، هوسرل، أزمة العلوم الاوربية والفنون ومينولوجيا الترنسندنالية، ترجمة إسماعيل صادق، طبع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨.

٢٥. الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

٢٦. الحاج خضر، محمود بوسقة، الاتساق والانسجام في سورة الكهف،

رسالة ماجستير، جامعة بانة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠٠٨، ٢٠٠٩.

٢٧. الحارثي، لأبو بشر عمرو بن عثمان الملقب بـسيوي، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٢٨. حسان، تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٩٠.

٢٩. حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط ٦، ١٤٣٠هـ.

٣٠. الحسن، أحمد حسن، الضوابط التداولية في مقبولية التركيب النحوي، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد ١١، عدد ٢، ديسمبر ٢٠١٤م.

٣١. حسن، عباس، النحو الوافي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية

٣٢. الحمد، غانم قدوري، المدخل إلى علم أصوات العربية، مطبعة المجمع العلمي، ٢٠٠٢.

٣٣. حمود، عبد العزيز، المايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، العدد ٢٣٢، المجلس الوظيفي للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨م.



٣٤. حميدة، مصطفى، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربيّة، طبع الشركة العالميّة للنشر، لونغمان، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٧.
٣٥. خطّابي، محمد، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام الخطّاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط ٢٠٠٦م.
٣٦. الخليفة، عبد الله هشام، نظرية الفعل الكلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.
٣٧. خميس، ليلي عباس، نظرية القصص وأثرها في المعنى عند القاضي عبد الجبار المعتزليّ، رسالة ماجستير، كلية الآداب، المستنصرية، ٢٠٠٠م.
٣٨. دلال، وشن، القصديّة من فلسفة العقل إلى فلسفة اللغة، مجلة كلية الآداب العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، كلية الآداب، جامعة محمد خيضر، الجزائر، العدد السادس.
٣٩. دنياجي، نور الدين محمد، التفكير اللغويّ عند عبد القاهر الجرجانيّ (قراءة في اللغة ولغة الخطّاب)، منشورات البحث في علوم اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بنمسك، سيدي عثمان، الطبعة الأولى ١٩٩٧.
٤٠. دي بوجراند، روبرت، النص والخطّاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط ١، ١٩٩٨.
٤١. الراضي، أحمد محمد عبد، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٤٢. الريسوني، أحمد، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، الدار العالميّة للكتاب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٢م.
٤٣. السامرائي، فاضل، معاني النحو، دار الفكر، عمان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.
٤٤. السعران، محمود، اللغة والمجتمع، دار المعارف الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٩٦٣.
٤٥. الشاكري، الحاج حسين، موسوعة المصطفى والعرة عليه السلام، دار التبليغ الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.
٤٦. شبل، عزة محمد، علم لغة النّص، النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٤٧. الشهريّ، عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيات الخطّاب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
٤٨. الشهري، عبد الهادي بن ظافر،



اللغوية، تحقيق محمد إبراهيم، دار العلم، دط، دت.

٥٦. عفيفي، أحمد، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٨ م.

٥٧. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨ م.

٥٨. فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط ١، ٢٠٠١ م.

٥٩. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ)، العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م.

٦٠. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص الثري، تقديم سليمان العطار، محمود فهمي حجازي، ط ١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧ م.

٦١. الفقي، صبحي إبراهيم، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٣١هـ، ٢٠٠٠ م.

٦٢. القاضي، عبد الله بهاء الدين بن

استراتيجيات الخطاب: مقارنة لغوية تداولية، عن: محمد نعار؛ المقصدية في الخطاب السردي المعاصر، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أبي بكر بلقايد، الجزائر، ٢٠١٤.

٤٩. شوقي، عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠٧.

٥٠. صحراوي، مسعود، التداولية عند العلماء العرب (دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي)، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ م.

٥١. الطائي، معن، القصصية والقراءة عند "هوسرل"، مجلة المثقف، مؤسسة المثقف العربي، العدد ١٣٦٠، ٢٠١٠.

٥٢. الطلحي، ردة الله بن ردة بن ضيف الله، دلالة السياق، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٩.

٥٣. الطوسي، الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن، مصباح المتهجد صححه وأشرف على طباعته الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٨ م.

٥٤. عبد الحميد، محمد محيي الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة الهداية، بيروت، لبنان، دط، دت.

٥٥. العسكري، أبو هلال، الفروق



عبد الرحمن بن عبد الله بن عقيل القرشيّ،
ت(٧٦٩هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية
ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة،
١٩٩٩ م.

٦٣. القزويني، أحمد بن فارس بن زكريا
ت(٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، تحقيق زهير
عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة،
بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ،
١٩٨٦ م.

٦٤. القزويني، أحمد بن فارس بن
زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام
محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ،
١٩٧٩ م.

٦٥. القصديّة والقراءة عند "هوسرل"،
معن الطائي، مجلة المثقف، مؤسسة
المثقف العربي، العدد: ١٣٦٠ الأربعاء
٢٠١٠/٠٣/٣١.

٦٦. قياس، ليندة، لسانيات النصّ،
النظرية والتطبيق، مقامات الهمداني
انموذجاً، تقديم عبد الوهاب شعلان، ط
١، مكتبة الآداب، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩ م.

٦٧. ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة
الدكتور أحمد مختار عمر، ليبيا، ١٩٧٢.

٦٨. المتوكل، أحمد، قضايا اللغة العربية
في اللسانيات الوظيفية (البنية التّحتية أو
التّمثيل الدّلاليّ التّداوليّ)، دار الأمان،

الرباط، ١٩٩٥ م.

٦٩. مجاهد، عبد الكريم، الدلالة
اللغويّة عند العرب، دار الضياء للنشر
والتوزيع، عمّان، ١٩٨٥ م.

٧٠. المجلسي، الشيخ محمد باقر
ت(١١١١هـ)، بحار الأنوار الجامعة
لُدُرر أخبار الأئمة الأطهار تحقيق وتعليق
لفيف من العلماء، مؤسسة الوفاء، بيروت،
لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣ م.

٧١. محمد، عبد الناصر حسن، نظرية
التواصل وقراءة النص الأدبي، المكتب
المصري التوزيع المطبوعات، القاهرة،
١٩٩٩ م.

٧٢. مفتاح، محمد، مجهول البيان، دار
توبقال للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٠ م.

٧٣. مقبول، إدريس، الأسس
الابستمولوجيّة والتداوليّة للنظر النحويّ
عند سيوييه، عالم الكتب الحديث، إربد،
الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م.

٧٤. المقصديّة: نظرية المعرفة وآفاق
اللغة والأدب، سلطان زغلول،
صحيفة الرأي، <http://alrai.com>
بتاريخ ٢٠-٠٤-٢٠١٢.

٧٥. ناصح، كريم حسين، مراعاة
المخاطب في الأحكام النحويّة في كتاب
سيوييه، مجلة المورد، العدد الثالث، المجلة
الثلاثون، ٢٠٠٢.



٧٦. النّحوي، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، تحقيق الدكتور عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٧٧. النّحويّ، الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكراً (أبو فهر)، مطبعة المدني، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.

٧٨. نهر، هادي، الصرف الوافي (دراسة وصفية في الصرف وبعض المسائل الصوتية)، دار الأمل، إربد، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

٧٩. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان البديع، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٧٩هـ، ١٩٦٠م.

٨٠. اليميني، الإمام يحيى بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وحقائق الإعجاز، تحقيق د. عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م، ١٤٢٩هـ.

٨١. يونس، علي محمد محمد، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

الاستنطاق اللغوي لكلمات الإمام الهادي عليه السلام
دراسة دلالية

The linguistic Inquiry of for Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) words: A Semantic Study

م.د. كاظم حنون صجم
مديرية تربية البصرة

Lect.Dr. Kadhim Hanoon Sachim
Basra Directorate of Education

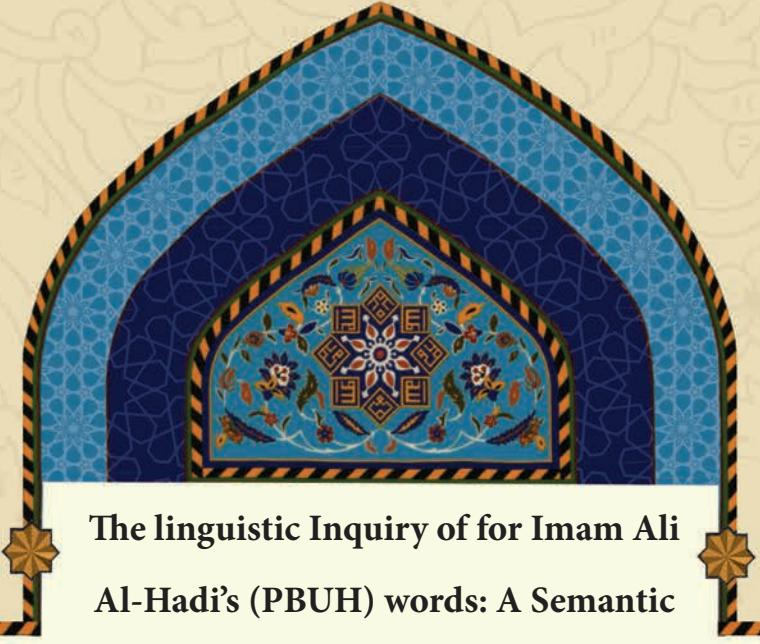


الملخص:

في الكلمات دلالات هامشية ومركزيّة، وطاقة لا تفنى على مرور الأيام حملت معها أجواء قولتها، واحتفظت بقصة ولادتها، وحالة قائلها، وأثرها في محيطها، ذلك قليل من كثير، وهذه هي الفكرة المركزية في البحث التي تقوم على استنطاق الكلمات التي قالها الإمام علي الهادي عليه السلام؛ فقد تناولت في هذا البحث عمق مظلومية الإمام علي الهادي عليه السلام ليس في ضوء الوقائع التاريخية التي تؤكد هذه الحقيقة فحسب، بل في ضوء استنطاق كلمات الإمام علي الهادي (هذه الفكرة ترفع شعار: دع الكلمات تتحدث بما حملها قائلها ما يريد أن تحمّل).

الكلمات المفتاحية:

الاستنطاق اللغوي، الأسلوب، الإمام علي الهادي عليه السلام، الدلالة.



The linguistic Inquiry of for Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) words: A Semantic Study

Abstract:

Words have marginal and central connotations, and an energy that does not dissipate over time, which carried the atmosphere of their utterance, and preserved the story of their birth, the state of their speaker, and their impact on their surroundings. The idea of the study is based on inquiring Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) words.

In this study, the researcher explored the depth of the injustice inflicted Imam Ali Al-Hadi (PBUH) not only based on the historical facts that confirm this truth, but also in light of inquiring Imam Ali Al-Hadi's words. This idea raises the motto: (Let the words speak of what their speaker intended them to convey).

key words:

linguistic inquiry, style, Imam Ali Al-Hadi (PBUH), semantic.

إِنَّ الإمام الباقر عليه السلام كان مُضيقاً عليه في فترة حكم بني أمية، فلما جاء بنو العباس زال الضغط عن آل محمد، وهذا ما مكَّن الإمام الصادق عليه السلام من نشر علوم آل البيت وخصوصاً مذهبهم الفقهي.

أو إنَّ الإمام الرضا عليه السلام أخذ قسطاً من المكانة التي يستحقها نتيجة قبوله بولاية العهد بخلاف الظلم الذي وقع على أبيه الإمام الكاظم عليه السلام، وهو راهب آل محمد، سمي الكليم المعذب في ظلم المطامير وقعر السجون كما ورد في زيارته الشريفة.

ومع هذا فإنَّ الباحث يرى أنَّهما غير صحيحين فلا الإمام الباقر كان مظلوماً أكثر من الإمام الصادق ولا الإمام الرضا كان موسعاً عليه أكثر من أبيه الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

بل الواقع يقول إنَّ هذه المسألة كانت تراثية، فالإمام الصادق عليه السلام عانى من ظلم المنصور الدوانيقي أكثر من الإمام الباقر عليه السلام في ظلم بني أمية له.

والإمام الرضا تأذى من ولاية العهد أكثر من أبيه في سجون هارون وهذه القاعدة لم يستثن منها إلا اثنين من أئمة الهدى، وهما (أولهم وآخرهم)، أي

لو نظر المتأمل المنصف في أحكامه إلى حياة أئمة الهدى لرآها تسير في خط عكسي من التضييق عليهم من قبل أئمة الجور، وتدور في فلك مفرغ من الاضطهاد والمظلومية التي لا حد لها مع تقدم الزمن.

فقد كانت المساحة من حرية الاعتقاد التي عاشها أمير المؤمنين علي عليه السلام لا نظير لها، ولعلَّ ذلك مردهً إلى أنَّ الإسلام (إنَّما بُني بسيف علي) ؛ لكن كلما تتابعت المسيرة الزمنية كلما اشتد التضييق على آل بيت النبي محمد صلَّى الله عليه وآله.

ومن هذا نستنتج أنَّ أشدَّ الأئمة ابتلاءً في هذه الأمة هما الإمامان علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام؛ بل إنَّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام صرَّح بهذه الشدة التي مرت بها إمامته بقوله: «ما مُنيَ أحدٌ من آبائي بمثل ما مُنيْتُ به من شك هذه العصابة فيَّ، فإنَّ كان هذا الأمرُ أمراً اعتقدتموه ودنتم به إلى وقتٍ ثم ينقطع فللشك موضعٌ، وإنَّ كان متصلاً ما اتصلت أمورٌ فما معنى هذا الشك؟»^(١).

ولعلَّ معترضاً يعترضُ تأريخياً قائلاً

(١) الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ص ٣٦٠ - ٣٦١.



أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهذا ثابتٌ تأريخياً، فالإمام علي عليه السلام ليس في عنقه بيعة إلا لرسول الله، وأمّا الإمام الحجة صاحب العصر والزمان عليه السلام فكذلك (ليس في عنقه بيعة إذا قام بالسيف) كما علّل ذلك الإمام الرضا عليه السلام^(١)، وهذه إحدى النقاط الكثيرة التي تجمع بين أمير المؤمنين والإمام الحجة عليهما السلام.

ولو نظرنا إلى الإمام العاشر، وهو الإمام علي النقي عليه السلام نجده في أجواء حربية، وفي حالة تعبئة تامة واستعداد كامل في أعلى درجات الجاهزية لرد كيد الأعداء وردعهم ليس عنه، بل عن الإسلام العزيز.

فهو كأجداده في التضحية بكل ما يمكن وما يملك من أجل هذا الإسلام العزيز، ولعلّ توضّحات آبائه الكرام، وصورة جده سيد الشهداء كانت حاضرة ناظرة لحاله وهو المُعذَّب في سجون الظالمين.

الاستنطاق اللغوي الدلالي لألقاب الإمام علي الهادي عليه السلام وكناه

اكتفت أغلب الكتب القديمة - وتبعتها على ذلك الكتب المعاصرة^(٢) - بذكر ألقاب الأئمة دون النظر إلى مرجعية هذه الألقاب وأثرها الدلالي والتداولي على الإمام والمأموم ومرجعيتها الدلالية وآلية الانتفاع بهذا اللقب أو هذه الكنية للمعصومين (سلام الله عليهم).

إنّ مسألة وجود لقبين أو أكثر لآل

(٢) للمزيد ينظر: الشيرازي، السيد محمد الحسيني، من حياة الإمام الهادي، ص ٧.

فلو نظر المنصف إلى التراث اللغوي الذي تركه أئمة الهدى لوجد الحالة التي كانوا عليها فأمر المؤمنين علي عليه السلام كان خطيباً مفوّهاً، ولكنّه لم يكن معروفاً بهذه البلاغة يوم كان النبي ملاً السمع والبصر رسولاً يملأ نوره المدينة، فلما دارت الأيام دورتها؛ ورأى الباطل قد أقبلت أيامه استحال خطيباً لسناً لا لأنّه يلتذ بالخطابة؛ بل لأنّ الخطابة أصبحت جزءاً من الدفاع عن تأويل القرآن الذي قاتل على تنزيله يوم كان في مقتبل العمر؛ بدليل أنّ أغلب خطبه وجدت بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم

(١) الرواية عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «كأنّي بالشيعه عند فقدهم الثالث من ولدي كالنعم، يطلبون المرعى فلا يجدونه. قلت: ولم؟ قال: لثلاث يكون في عنقه لأحد بيعة إذا قام بالسيف» ينظر: الصافي، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، ج ٢، ص ٢٦٦.



وفي كتاب جاماس وزند شاه زنان، وفي حديث التزويج النور، وفي التوراة عابدة، وفي الأنجيل مخدومة، وفي كتاب ذوهر تاج النساء، وفي كتاب البراهمة شمة الكبرى، وفي كتاب اليونانيين حبيبة الله»^(٣)

ويرى الباحث أمرين هامين في هذا الموضوع يجب الإشارة إليهما:

أ - ضرورة قيام دراسات خاصة بالألقاب الأئمة وكناهم، وظروف ولادة هذه الألقاب، وإرثها الأركلوجي، وأثرها الاستعمالي.

ب - ضرورة تفعيل هذه الألقاب في الحديث عن الأئمة، ففي ألقاب الزهراء عليها السلام مثلاً إن سألت الله حاجة وقصدت شفاعة الصديقة الطاهرة الكبرى فقل: (أسماء الزهراء المرتبطة بعالم الملكوت، مثل منصور، وكذلك التي في الكتب المقدسة)؛ وإن أردت زيادةً في أمرٍ خاص ومحدد فقل (اسم الزهراء الخاص في القرآن وهو الكوثر وهكذا)، وإن كان الأمر متعلقاً بالأمور الاجتماعية (الزواج خصوصاً) فيفضل الدعاء والتوجه إلى الله باسمها الخاص في هذه الحالة وهو (النور).

(٣) الزنجاني، إسماعيل، الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، ج ١٨، ص ٣٢٥.

بيت العصمة أمرٌ طبيعي؛ فقد كان للسيدة فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) - وهي أم الأئمة والحجة عليهم - أكثر من تسمية ملكوتية أو مقدسة؛ وإن كان اسمها بين أهل الأرض - في عالم الملك - فاطمة هو الأشهر، وفي المقدس القرآني (الكوثر)^(١) كما هو متعارف في كتب التفسير وفي معاجم اللغة^(٢)، ومعنى هذا أن فاطمة بنت محمد (وهذا الاسم المشهور بين أهل الأرض) يقابله اسم قرآني مقدس هو (الكوثر بنت أحمد) في إشارة إلى قوله تعالى في الآية السادسة من سورة الصف.

وفي المقدس التوراتي (عابدة)، وفي المقدس الانجيلي (مخدومة)

ففي كتاب (سرور الشيعة) وهو كتابٌ مخطوط - كما ذكر ذلك العلامة الزنجاني الأنصاري في موسوعته الكبرى عن فاطمة الزهراء - «إن فاطمة في السماء اسمها منصور، وفي الأرض فاطمة،

(١) لو تأملنا قول الطبرسي «وقيل هو كثرة النسل والذرية، وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة عليها السلام حتى لا يحصى عددهم واتصل إلى يوم القيامة مددهم» الطبرسي، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٥٤٩.

(٢) ينظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، ج ٣، ص ٣٢٣.



إِنَّ تطبيق هذا المثال على باقي الأئمة عَلَيْهِ السَّلَامُ له تطبيقات دلالية وتداولية مهمة جداً؛ وعلى سبيل المثال لا الحصر ونحن في معرض الحديث المبارك عن الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ نجد أَنَّ له ألقاباً كثيرة، لكن هذه الألقاب من بينها أربعة أسماء مشهورة عُرِفَ بها دون غيرها؛ ولو تأملنا هذه الأسماء لوجدناها تتناول في كل جانبٍ منها ناحيةً من نواحي أبعاد هذه الشخصية العظيمة في تاريخ الإسلام.

فالإمام (الهادي) لقبٌ أرضي عُرِفَ به الإمام بين أهل الأرض المحيين له، والمؤمنين بولايته عادة، والسائرين على منهجه.

وأما اللقب الثاني فهو لقبٌ ملكوتي، فالإمام يُعرف بين أهل السماء بالنقي، فقد قال صاحب ألقاب الرسول وعترته: «هو أبو الحسن الثالث، ساءه الله بالنقي في اللوح الذي أهداه الله إلى نبيه الذي فيه أسماء الاثني عشر من حججه»^(١)، وهناك ألقابٌ أُخرٌ وردت مضافة إلى هذا اللقب

(١) ألقاب الرسول وعترته ضمن كتاب مجموعة نفيسة ٢٠٣، الطبرسي، الفضل بن الحسن، إعلام الوري بأعلام الهدى، ص ٣٧٢، وينظر: النجف ابادي، عبد الله، موسوعة مكاتيب الأئمة، ج ٨، ص ٢٢٢.

الشريف وقد ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب منها «النقي، الولي، البار، النقي مزين الأمراء، النقي أفضل الصيام، النقي مولى المشتاقين، النقي الجلي»^(٢)؛ ومن الواضح جداً أَنَّ الصفات التي تلت اللقب المبارك ألقاب وضعية ونعوت تناقلها أصحاب الإمام وخُلَصَ أنصاره للدلالة على مدى محبتهم واخلاصهم واحترامهم لإمام زمانهم.

واللقب الثالث، وهو لقب حَدِيثِيّ - (تناولته كتب الفقه كثيراً) - يعرفه أصحاب الحديث والفقه وهو تسميتهم للإمام بأبي الحسن الثالث والملاحظ على هذا اللقب أمران:

١- إِنَّهُ في الأصل كنية، لكن مع العدد على وزن فاعل (ثالث) أصبح لقباً؛ لأنه أصبح يشعر بمدح، ويشير إشارة دلالية إلى فقه إمام محدد من أئمة الهدى.

٢- إِنَّهُ من المنظور التداولي مختص بفقه الإمام الهادي، وأحاديث معلومة الصدور عنه؛ ويقابله قسماً آخران وهما فقه أبي الحسن الأول (الإمام موسى بن جعفر) وفقه أبي الحسن الثاني (الإمام علي

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٠١.



إنَّ عدم اشتهار هذا اللقب في الأوساط الشيعية يعطي مدلولين اثنين لا ثالث لهما:

١ - كراهية تداول هذا الاسم؛ لأنَّ فيه مسحة من تحجيم دور الإمام تصغيراً لشأنه بعد ثامن الحجج علي بن موسى الرضا عليه السلام.

٢ - إنَّ المخالفين لآل البيت تأريخياً استعملوا هذا كنية بنية الانتقاص من مسماها، فلا فرق عندهم بين عبارة (يا ابن الرضا) وعبارة أعداء الحسين عليه السلام في خطابهم مع الحسين يوم عاشوراء (خصوصاً الشمر بن ذي الجوشن) بعبارة: يا ابن فاطمة؛ فكلتا العبارتين تشعران بعدم الاحترام.

ويرى الباحث ضرورة أن تُسَغَّلَ كل الألقاب التي تلقب بها هذا الإمام المبارك (علي بن محمد) عليه السلام لما يناسبها؛ فإن كان الحديث في معرض السيرة والتأريخ فإنَّ استعمال لقب الإمام الهادي أفضل؛ لما يحمل من دلالات تشير ضمناً إلى ضلالة مَنْ في الأرض من دون هداية الأئمة، والهداية متمثلة في تلك اللحظة بهذا الشخص الذي هو نور الله في أرضه.

وإنَّ كان الحديث عن منزلة الإمام

بن موسى الرضا) صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً.

وأما اللقب الرابع الأشهر من ألقاب الإمام الهادي فهو لقب (ابن الرضا)، وهو لقبٌ غيرٌ متداول في الأوساط الشيعية، لكنه لقبٌ معروف عند مخالفي المذهب الجعفري؛ لأنَّ أغلب من لا يؤمنون بإمامته يطلقون هذه التسمية (أولاد الرضا) أو لقب (ابن الرضا) على الإمام الذي جاء بعد علي بن موسى الرضا عليه السلام.

لذلك نجد المتوكل العباسي يطلب من ابن السكيت - وهو مؤدب أبنائه ومعلمهم - أن «اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي»^(١)، ومن المعلوم أنَّ الإمام الجواد لم يعاصر فترة حكم المتوكل العباسي، فهذه التسمية في رأيهم تشمل ثلاثة من أئمة الهدى وهم كلُّ من (أبي جعفر محمد بن علي الجواد، وأبي الحسن علي بن محمد النقي، وأبي محمد الحسن بن علي الزكي) صلوات الله عليهم أجمعين، فهم جاهلون بقدرهم وقيمتهم الإرشادية، وفضلهم على البشرية فضلاً عن الأمة الإسلامية.

(١) ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٤٣٤.



في عالم الملكوت ودرجته في الشفاعة، ومكانته في أهل بيت العصمة؛ فاللقب الأنسب هو الإمام النقي؛ لأنك إن أردت إجابة الدعاء ورفع درجتك في السماء فقل: اللهم إني أقسم عليك بعلي النقي عليه السلام، فهو اسم معروف بين ملائكة السماء؛ لاتصاله بعالم الملكوت الذي تضافرت الروايات على أنه لقب جاء من ذلك العالم.

وإن كان الحديث حديثاً فقهياً استدلالياً، أو حديثاً روائياً، فالأنسب له هو لقب الإمام أبي الحسن الثالث عليه السلام؛ لما فيه من مجارة أهل الصنعة في صنعتهم، وحديثهم بلغتهم.

وإن كان الحديث مع مخالف، أو نقلاً عن مخالف، أو عن تراث الإمام مع أهل المذاهب الأخرى من حجاج ومناظرات فإن استعمال مصطلح (ابن الرضا) يكون مقبولاً من جهة التداول أكثر؛ لقربه من المخالفين، ولما فيه من اشباع روح الغلبة لديهم، ولا بأس في ذلك؛ لأنهم يكونون عند ذلك أقرب إلى تقبل النقاش العلمي بعد اشاعة أجواء من الانتصارات الكاذبة في نفوسهم.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فلا تظن أن الإمام الهادي يتأذى من هذه

الكُنية التي استحالت لقباً له، ولأبيه محمد الجواد من قبله، ولولده الحسن الزكي من بعده، تجري على السنن المخالفين للحق، بل هي - فيما أظن - من أحب الأسماء إلى قلبه الشريف، فإن الحب والبغض أمران نسيان لا يعلم حقيقة مآلهما، إلا الله وحده، وهو أعلم بحقائق الأشياء.

وإلى جنب هذا كله يجب أن لا يغفل الباحث عن التسميات المتداولة بين أصحاب الإمام الهادي التي تدل على مظلومية الإمام لدرجة أن أصحاب الإمام لا يستطيعون تسميته، فقد روى «سهل عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت إلى الرجل عليه السلام - يعني الإمام - أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول جسم، ومنهم من يقول صورة. فكتب بخطه: سبحان من لا يُحد ولا يوصف، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، أو قال البصير»^(١)

الاستنطاق اللغوي الدلالي في ضوء

معادلة بوزيان

تعتمد الدراسات اللغوية المعاصرة

(١) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ٥٤ - ٥٥، الحديث ٥، ومثله الحديث ٩ في الصحيفة ٥٥.



للغة العربية فهذه هي المرة الأولى في حدود علمنا التي يجري فيها تطبيق هذا المقياس على نصوصها^(١) - فقد ضمّن كتابه فصلاً خامساً بعنوان (معادلة بوزيمان).

بوزيمان هذا عالم ألماني نشر دراسته عن النصوص في الأدب الألماني عام ١٩٢٥، ونشر دراسته بعنوان «الأسلوب والشخصية»^(٢).

وخلاصة نظريته أنه وضع الأحداث في كفة والأوصاف في كفة أخرى^(٣)، وقد عدّل د. سعد مصلوح على هذه النظرية بما يلائم اللغة العربية مستبعداً أفعال الشروع والمقاربة والأفعال الناقصة وأفعال المدح والذم، فأصبحت الكلمات عنده على نوعين: كلمات أحداث، وكلمات صفات، ثم استخرج نسبة الصفات إلى الأحداث واستنتج منها:

أولاً: إنّ الكلمات التي تتغلب فيها نسبة الأفعال على الصفات يكون الكلام فيها صادراً عن إنسان شديد الانفعال،
(١) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٧٧.

(٢) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٥٧.

(٣) ينظر: مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٧٨.

على جمع النص، واستنطاق مدلوله، خلافاً لما كان معمولاً به سابقاً من تقطيع أوصال النص، والاجتزاء بمفردات فيه للإشارة إلى غرض معين بدلالة صوتية أو صرفية أو نحوية، أو دلالة هامشية مكررة أزاحت الدلالة المركزية، كان هذا النهج معمولاً به بقوة في الدراسات اللغوية؛ لذلك كثرت الدراسات التي تشير إلى هذه الجزئيات (الصوت، الصرف، النحو، الدلالة)، لتعطي مسمى (دراسة لغوية)، فالقاسم المشترك في هذه الدراسات هو تقطيع أوصال النص، وانتقاء ثيمة أو جزئية والعمل عليها ليس غير.

إنّ حشر الأسماء أو الصفات أو الجموع بأنواعها للدلالة على حالة معينة أمرٌ لم يحدث في ما سبق أن خلطت هذه المفردات وأدخلت في معادلة رياضية نستطيع أن نُخرج منها نتائج محددة.

هذا وصف سريع لكل الدراسات اللغوية - ما خلا هذه الجزئية التي تقوم على معادلة بوزيمان، التي هي حسب ما نعرف - من أول الدراسات في هذا المجال فقد سبقني في هذا المجال دراسة الدكتور سعد مصلوح، موثقاً دراسته في تطبيق معادلة بوزيمان؛ لذلك قال: «أمّا بالنسبة



وبخلافه يكون الكلام الصادر عن الإنسان الهادئ المراتح (المستقر نفسياً).

وثانياً: الأفعال في الكلام المنطوق أكثر منه في المكتوب «كما اكتشف أيضاً وجود ارتباط مرتفع بين زيادة هذه النسبة واتصاف الشخصية بخصائص معينة مثل الحركية والعاطفية وانخفاض درجة الموضوعية والعقلانية وعدم توخي الدقة في التعبير»^(١).

فتحولت هذه النظرية إلى معادلة رياضية.

وإجمالاً نقول: إنَّ هناك عوامل تُرجِّح ارتفاع نسبة الفعل إلى الصفة، وهناك عوامل أخرى على العكس من ذلك، فهي ترجح ارتفاع نسبة الصفة إلى الفعل. فأمّا النوع الأول فإنَّها ترتفع في:

١ - الكلام المنطوق.

٢ - اللهجات.

٣ - النصوص الشعرية.

٤ - الأعمال الأدبية.

وأما العوامل التي ترفع نسبة الصفات على الأفعال فهي:

(١) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٧٦.

١ - الكلام المكتوب.

٢ - الفصحى.

٣ - النصوص النثرية.

٤ - الأعمال العلمية.

٥ - النشر الصحفي (التعليق على الخبر الصحفي).

٦ - القصص.

٧ - الشعر الموضوعي (المسرحي).

مع الإشارة إلى أنَّ نسبة الأفعال أعلى في وجهة النظر الشخصية، وأقل منها بكثير في حديث النفس فإنَّها تنخفض قياساً مع الأجزاء الأخر.

إنَّ معادلة بوزيمان تقوم على تحديد النسبة بين مظهرين من مظاهر التعبير:

أولهما التعبير بالحدث (-Ac

tive Aspect)، وثانيهما مظهر التعبير

بالوصف (Aspect Qualitative)،

ويعني بوزيمان بأولهما الكلمات التي تعبر

عن حدث أو فعل، وبالثاني الكلمات التي

تصف، والواقع أنَّ هذه النظرية عملياً

مرَّت بثلاث مراحل:

١- مرحلة بوزيمان -Buse A.

mann، وهو من أطلقها عام ١٩٢٥.



وقد أشار د. أحمد محمد قدور إلى أن

اللغة الألمانية ليس فيها توسع صرفي كما في اللغة الإنكليزية والفرنسية «إذ تعتمد الألمانية على بعض العلاقات السياقية للتعبير عن تعدد الزمن أو لبيان الفرق بين زمن وآخر، فالحاضر (Prasens) يصلح صرفياً للزمن الحاضر البسيط وللزمن الحاضر المستمر، كما يصلح المستقبل (Fu-tur) للزمن القريب والبعيد، ولتقدم زمن على زمن في المستقبل.

أما الماضي ففيه (Perfekt) الذي يستعمله المتحدث للتعبير عن نفسه أو غيره، وفيه: (Pratevium) الذي يستعمل للكتابة عن الآخرين، أو للحديث الذي ليس للكاتب أو المتكلم مشاركة فيه»^(٢).

والواقع أن المعادلة تكشف عن بعض حقائق النص؛ «لأن لغة النص هي مادة التحليل والدراسة باعتبارها مفتاح أسرار العمل»^(٣).

والخطاب والإجراء، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، ص ٢٦٥.

(٣) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية

إحصائية، ص ١٢٠.

٢- مرحلة التطوير على يدي عالم

النفس الألماني ف. نويباور V.Neu-bawer، والباحثة أ. شيلتسمان أوف انسبروك A. Schlitz mann of In-sbruck

٣- مرحلة نقلها إلى العربية

والانتفاع منها على يدي د. سعد مصلوح عام ١٩٨٦.

٤- ها هي تمر بمرحلة رابعة وهي

التعديل الذي أجره الآن- في هذا البحث- حيث أدخلت قسم المصادر وتوابعها؛ لدلالاتها على الحديثية، وأخرجت ما كان ذا دلالة مشتركة على الحديثية تارة وعلى الوصفية تارة أخرى مثل (النسب).

وأرى أنه يجب الأطلاع على هذه

النظرية في مهبها، وبيئتها (اللغة الألمانية)؛ لتكون مشروعاً متكاملًا في التحليل اللغوي مع الإشارة إلى أنه لا يمكن تطبيق معادلة بوزيمان كما وضعها صاحبها باللغة الألمانية على اللغة العربية، إذ رأى صاحب كتاب النص والخطاب والإجراء أنه توجد خصوصية للغة الألمانية في التعاطي مع الأفعال: (الفعل اللغوي، الحدث، الحالة، الصفة، البيئة أو الوظيفة)^(١)

(١) ينظر: دي بوجراند، روبرت، النص



يجب الوقوف طويلاً عند كلمات قالها رولان بارت عن اللغة، وهي إلى الأتهام أقرب منها إلى أي شيء آخر، إذ قال: «إنَّ اللغة ليست بريئة على الإطلاق، فللكلمات ذاكرة أخرى تغوص في عمق الدلالات الجديدة بطريقة عجيبة والكتابة تحديداً – هي تلك المصالحة بين الحرية والذكرى، إنَّها تلك الحرية المتذكّرة التي لا تكون حرية إلا في حركة الاختيار، ولكنها ليست حرة في ديمومتها»^(١).

قد تبدو هذه الكلمات شديدة الاختصار مكتنزة المعاني، حمالة للأوجه، وهي إلى الألغاز أقرب، لكن حين نضع كلمات د. بديعة الطاهري قد يتضح لنا جلّ هذه المعاني، إذ تقول: «اللغة إرث جماعي، والمتكلم لا يكون سيد الكلمة إلا في حالة واحدة، هي لحظة تجسيد الصوت مادياً، عند انتفاء هذه الحالة تصبح فعلاً اجتماعياً ضد سلطة المتلفظ الواحد»^(٢).

إنَّها بتعبير آخر عملية متبادلة بين الإنسان والكلام، فهما يتبادلان الأدوار في كون أحدهما في وثاق الآخر كما أشار

(١) بارت، رولان، الكتابة بدرجة صفر، ص ٢٤ - ٢٥.

(٢) الطاهري، بديعة، السرد وإنتاج المعنى، ص ٥٦.

الإمام علي عليه السلام: «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه»^(٣) إنَّ اللغة تكشف عن نفسها وعن صاحبها حتى أن القائل قد يُذهل أحياناً لما تكشف عنه هذه اللغة من أسرار اختطفها من قائلها ولاذت في صمت عميق، لكن هناك أساليب لهذا الكشف، فهو لا يأتي اعتباطاً، ومن هذه الأساليب: (معادلة بوزييان) التي ما زال الانتفاع منها في بداية المرجوة.

ولنا أن نسأل كيف كانت الحالة النفسية للمعصوم حال نطقه النص، وما هي الخوارج النفسانية التي سجلتها الكلمات لحظة نطقها فاصبحت راسمة لصورة الناطق فضلاً عن شفرة الإفهام والإبلاغ؛ ولأن المعادلة تعتمد المفردات الصرفية فالمشتق الوصفي ناظرٌ إلى (اسم الفاعل، اسم المفعول، صيغ المبالغة، اسم التفضيل، الصفة المشبهة)

أمّا الحدث فإنَّه فضلاً عن الأفعال هناك حدثية الأسماء (اسم المعنى) وهي: (المصدر، اسم المصدر، اسم المرة، اسم الهيئة، المصدر الميمي)

(٣) الشريف الرضي، نهج البلاغة، ج ٣، ص ٢٤٦، الحديث رقم ٣٨١.



وأما خطوات تطبيق معادلة بوزيمان الثنائي للأحداث والصفات ثمّ تقسيم
على النصوص الشريفة فهي اعتماد التقسيم الأحداث على الصفات ^{الأحداث}
الصفات

وحسب هذا الجدول

الأحداث					
الفعل الماضي	الفعل المضارع	الفعل الأمر	المصادر بأنواعها	اسم المرة	اسم الهيئة

الصفات					
اسم التفضيل	اسم الفاعل	اسم المفعول	صيغ المبالغة	الصفة المشبّهة	اسم الزمان والمكان

ولأنّ النصوص الواردة عن المعصومين كثيرة؛ فالعمل في هذا المجال ليس جهداً فردياً، بل يجب أن تنهض به مؤسسة متكاملة، فتطبق معادلة بوزيمان على كتب التراث الشيعي العام مثل نهج البلاغة، أو الصحيفة السجادية، أو تحف العقول لابن شعبة الحراني، أو كتب التراث الشيعي الخاص مثل المحاسن للبرقي أو الكتب الأربعة، بل وحتى المجاميع الحديثية مثل جامع أحاديث الشيعة؛ لرسم صورة متكاملة تحمل كل تفاصيل أجواء النصوص الواردة عنهم سلام الله عليهم أجمعين.

وهذا البحث يعد مثلاً تطبيقياً صغيراً، وأنموذجاً عملياً لبعض كلمات عاشر الحجج (الإمام الهادي) (سلام الله عليه) في ضوء هذه المعادلة؛ لذلك يجب الإشارة إلى ملاحظة (العمر) «إذ يرتبط منحى (ن ف ص: أي نسبة الفعل إلى الصفة) (تمثل عادة بمراحل العمر، فيميل إلى تسجيل قيم عالية في الطفولة والشباب»^(١) في ضوء هذه المعادلة.

ولما كان الهادي سلام الله عليه في شرح الشباب ومقتبل العمر إماماً هادياً لأمة جده المصطفى، فقد توفي مظلوماً

(١) مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، ص ٨٢.



مسموماً وله من العمر اثنان وأربعون سنة
فما هي طبيعة كلماته المباركة؟ ترى هل مرَّ
المعصومون الأربعة عشر بحالة الطفولة
والشباب في قدراتهم العقلية، بمعنى أنَّ
لغة أفكارهم تعاصرت مع أعمارهم؟

إنِّي أتوقفُ في الإجابة على هذا
التساؤل، ريثما يقول البحث العلمي
كلمته.

١- نصّان وصفيان:

أ- وصفُ الإمام لأُمِّه:

ورد عن الإمام الهادي نصٌّ يبين
فيه صفات أمِّه ويبين شأنها بين أمهات
الصالحين فعن «علي بن مهزيار، عن أبي
الحسن عليه السلام أنّه قال: أُمِّي عارفةٌ بحقي،
وهي من أهل الجنة، ما يقربها شيطان
مريد، ولا ينالها كيد جبار عنيد، وهي
مكلوءة بعين الله التي لا تنام، ولا تتخلف
عن أمهات الصديقين والصالحين، أُمَّةٌ
جاريةٌ اسمها سوسن، وأَنَّها أُمٌ ولد يقال
لها: سمّانة وكانت من القانتات»^(١).

استنطاق النص وفق المعادلة:

١- نسبة الأحداث إلى الصفات =

(١) عبد الوهاب، الشيخ حسين، عيون
المعجزات، ص ١٣٢، وينظر: النجف آبادي، عبد
الله، موسوعة مكاتيب الأئمة، ج ٨، ص ٢٢٥.

$$\frac{2}{9} = 1,3$$

وهذا يشير إلى أنَّ النص قد قيل في
بداية إمامة الإمام الهادي؛ بدليل تقارب
نسبتي الأحداث والصفات.

كان المنوال الحديثي هو المصدر
بواقع تكراري = ٧

والمنوال الوصفي هي صيغة المبالغة
بواقع تكراري = ٤

ذلك أنَّ المصادرَ هي أبلغ فئة
حديثية تستطيع توظيف الأحداث الدينية،
وتتمكن من تبنيها؛ فأغلب الخطاب
الديني الذي يقرر حقائق قاطعة لاشك
فيها يأتي بصيغة المصادر.

ومن الملاحظات المهمة التي
لابدَّ من الإشارة إليها والتي يكاد يقطع
الباحث بها هي أنَّ النص قد قيل حين
كانت والدّة الإمام الهادي على قيد الحياة؛
بمعنى آخر أنَّ هذه الصفات قد قيلت في
حقها وهي حاضرة؛ بدلالة كثرة حضور
الفعل المضارع الذي يدل على التجدد
والاستمرار.

٢- في النص بين الإمام الهادي عليه السلام
مكانة أُمِّه في عالمي الملك (الدنيا) والملكوت
(الآخرة)، بدأها بقوله أُمِّي عارفةٌ بحقي



الوصف؛ لكي يخرج الكلام مترابطاً ليس إلا فهو نصّ وصفي بامتياز؛ وإن كان حديث ابنِ بارٍ بأمّه.

ب- وصف الإمام لابنه الإمام الحسن العسكري عليه السلام:

روي أنّ الإمام الهادي وصف ابنه الإمام في نصٍ مهم بيّن فيه منزلة خليفته، والإمام من بعده فقد «روى إسحاق بن محمد، عن محمد بن يحيى بن رثاب، قال حدثني أبو بكر الفهفكي، قال: كتبت إلى أبي الحسن (الثالث) عليه السلام، أسأله عن مسائل، فلمّا نفذ الكتاب قلت في نفسي: لو إنّي كتبت فيما كتبت أسأله عن الخلف من بعده، وذلك بعد مضي محمد ابنه.

فأجابني عليه السلام عن مسألي: وكنت أردت أن تسألني عن الخلف، أبو محمد ابني أصحّ آل محمد عليه السلام غريزةً، وأوثقهم حجةً، وهو الأكبر من ولدي، إليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلاً عنه فأسأله؛ فعنده علم ما يُحتاج إليه، والحمد لله»^(١).

وروي في الكافي عن «علي بن محمد،

وهذه العبارة بمدلولها الصرفي (اسم فاعل)، وبمدلولها العقائدي تدل على أنّ المعرفة أقوى من رابطة النسب، وكنتيجة طبيعية لهذه المعرفة بإمام زمانها استحققت هذا الثناء الجميل.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ الفعل المستعمل بقوة هو الفعل المضارع للدلالة على المعاصرة والتجدد والثبات.

٣- كانت قاعدة الصفات أوسع، للدلالة على التأمل في الكلمات؛ وأنها لم تخرج عن تأثر في موقفٍ آني (تأثر لحظي) من فم ابنٍ بحق أمه؛ بل عن هدوء واستقرار نفسياني.

٤- صيغة المبالغة واسم الفاعل هما المهيمنتان على الصفات مع تقارب نسبتيهما للدلالة على أنّ هذه الصفات أُخِذَتْ باستحقاقٍ لا عن مجاملةٍ أو رابطةٍ نسبٍ.

$$٥ - \text{الوسط الحسابي الحديثي} = \frac{١٢}{٢} = ٦ =$$

$$\text{الوسط الحسابي الوصفي} = \frac{٩}{٤} = ٢,٢٥$$

ونلاحظ هنا ضيق قاعدة الحدث واتساعها في الوصف، وما ذلك إلا لإدارة

(١) المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٤٥، ح ١٩، وينظر: النجف ابادي، عبد الله، موسوعة مكاتيب الأئمة، ج ٨، ص ٢٥٩.



استنطاق النص وفق المعادلة:

١- في النص دلالة مهمة تشير إلى أنّ الكلمات ليست شكلاً للتعبير فقط بل هي روح وجسد.

وفي النص كلمات خلف الكلمات، حمّلها صاحبها أنفاس سؤال لم يُسأل بل كانت في أرحام الغيب.

في هذا النص دلالة قاطعة على أنّ الإحاطة بالنصوص عبر (أسلوب الكاتب)، و(أسلوبية العبارة) فقط، أمران قاصران لا يثمران فأهل النظر والمعرفة يرون سُلبيات النوايا، ومجهرات الخبايا بين أسطر الكلمات وهي تحدثهم بمكنوناتها ؛ وإن لم يجدوها مكتوبة بين السطور.

٢- النص حدثي بامتياز للدلالة على أمرين:

أ- إنّ مسؤولية الإمامة مسؤولية جسيمة، فالإمام الهادي عارفٌ بعظيم تكليفه الإلهي من إرشاد الأمة، وانتشالها من الغواية إلى الرشاد، ومن الضلال إلى الهدى، وإنقاذها من بحور الظلمات المتلاطمة إلى سفنة النجاة المتمثلة بمحمد وآل محمد.

عن إسحاق بن محمد، عن محمد بن يحيى بن درياب، عن أبي بكر الفهفكي، قال: كتب إلي أبو الحسن عليه السلام: أبو محمد ابني أصحّ آل محمد عليه السلام غريزةً، وأوثقهم حجةً، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، إليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي فسله عنه فعنده ما يُحتاج إليه^(١)

وروي في الإرشاد «هذا الإسناد (أبو القاسم عن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد)، عن إسحاق بن محمد، عن محمد بن يحيى بن رئاب، عن أبي بكر الفهفكي، قال: كتب إلي أبو الحسن عليه السلام: أبو محمد ابني أصحّ آل محمد عليه السلام غريزةً، وأوثقهم حجةً، وهو الأكبر من ولدي، وهو الخلف، إليه تنتهي عرى الإمامة وأحكامها، فما كنت سائلي عنه فأسأله عنه فعنده علم ما تحتاج إليه»^(٢).

(١) الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب، الكافي، ج ١، ص ٣٢٧، ح ١١، وينظر: النجف ابادي، عبد الله، موسوعة مكاتيب الأئمة، ج ٨، ص ٢٦٠.

(٢) المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد، ج ٢، ص ٣١٩، وينظر: النجف ابادي، عبد الله، موسوعة مكاتيب الأئمة، ج ٨، ص ٢٦٠.



ب- في النص إشارة من طرف خفي إلى قرب رحيل الإمام الهادي عليه السلام؛ فتعيين إمام من قبل إمام، وإخبار السائل أن وجه السؤال إليه، إنما هو نعي مبطن للإمام السابق.

٣- نسبة الأحداث إلى الصفات =

$$3 = \frac{12}{4}$$

الوسط الحسابي الحديثي = $\frac{12}{4} = 3$

الوسط الحسابي الوصفي = $\frac{4}{2} = 2$

تساوت نسبة الأحداث إلى الصفات مع الوسط الحسابي الحديثي؛ للدلالة على أن الأمر المفرح في هذا النص هو استمرار الإمامة مع إمام لاحق يقابله أمر محزن وهو ارتحال إمام سابق، وهنا نستذكر الآية الشريفة في سورة المرسلات قال تعالى: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا»^(١).

٤- المنوال الحديثي هو المصادر بواقع ثمان مرات تكرارية للدلالة على أن الصيغة الأقدر على التعامل مع أمر الدين والولاية هي المصادر؛ لما فيها من مركزية الحدث، وقوة التأثير والتجرد عن الزمن.

٥- في النص إشارة إلى أن المسؤول

عنه شأن عام (خليفة الإمام) والإجابة عنه تشغل تفكير الأمة «فعنده علم ما يحتاج إليه»، فالباحث يرجح صحة رواية الكليني في الكافي على رواية المفيد في الإرشاد؛ لاتساق النص مع عبارة «ما يحتاج إليه» في بناء الفعل المضارع للمجهول وليست عبارة «ما يحتاج إليه» لأنها تكون حينئذ شخصية فردية توجه خطاباً لشخص بخلاف الرواية الأولى التي توجه خطاباً للأمة عبر شخص، هذا من جانب ومن جانب آخر ففي النص دلالة على أن أنواعاً جديدة من احتياج الأمة إلى إمامها ستقع مع إمامة الإمام الحادي عشر، ونهاية إمامة الإمام العاشر سلام الله عليهم أجمعين.

٦- الإمامة بمعزل عن ترتيب ولادة إخوة الإمام، فهي ليست وراثية ملكية أو اصطفاً بشرياً، إنما هي مشروع إلهي (وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ)^(٢).

٧- جواب السؤال المفترض عام لكل موالٍ لآل محمد وإن كان خطاباً

(٢) سورة الانعام، الآية ١٢٤.

(١) سورة المرسلات، الآية ٢٥-٢٦.



الجواب موجهاً إلى صاحب الرسالة (أي والالأواء، منها: بكر الفهفكي).

أ- دعاء عند إشراف البلاء وظهور

الأعداء وتخوف الفقر وضيق الصدر:

«فقد روى محمد بن جعفر بن هشام الأصبغِي قال: أخبرني اليسع بن حمزة القمِّي، قال: أخبرني عمرو بن مسعدة وزير المعتصم الخليفة: أَنَّهُ جَاءَ عَلِيٍّ بِالْمَكْرُوهِ الْفُطَيْعِ حَتَّى تَخَوَّفْتَهُ عَلَى إِرَاقَةِ دَمِي وَفَقَرِ عَقْبِي، فَكُتِبَتْ إِلَى سَيِّدِي أَبِي الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشْكُو مَا حَلَّ بِي فَكُتِبَ إِلَيَّ: (لا روع عليك ولا بأس، فادعُ اللهَ بهذه الكلماتِ يُخَلِّصَكَ اللهُ وَشَيْكاً بِهِ مَا وَقَعَتْ فِيهِ، وَيَجْعَلَ لَكَ فَرْجاً، فَإِنْ آلَ مُحَمَّدٍ يَدْعُونَ بِهَا عِنْدَ إِشْرَافِ الْبَلَاءِ وَظُهُورِ الْأَعْدَاءِ وَعِنْدَ تَخَوُّفِ الْفَقْرِ وَضَيْقِ الصَّدْرِ).

قال اليسع بن حمزة: فدعوت الله بالكلمات التي كتب إلي سيدي بها في صدر النهار، فوالله ما مضى شطره حتى جاءني رسول عمرو بن مسعدة، فقال لي، أجب الوزير. نهضت ودخلت عليه، فلما بصر بي تبسم إلي وأمر بالحديد ففك عني وبالأغلال فحُلت مني، وأمرني بخلعة من فاخر ثيابه، وأتحنفني بطيب، ثم أدناني وقربني، وجعل يحدّثني ويعتذر إليّ، وردّ

٨- يُسْتَفَادُ مِنَ النَّصِّ عِلْمَ الْإِمَامِ الْهَادِي - بِعِلْمِ اللَّهِ - أَنَّ نِيَةَ السَّائِلِ لَا زَالَتِ السُّؤَالُ عَنْ إِمَامِ زَمَانِهِ بَعْدَ الْإِمَامِ الْهَادِي، فَهِيَ نِيَّةٌ مُسْتَدَامَةٌ، غَيْرُ مُتَزَلِّزَةٍ، فَبَادِرُهُ بِالْإِجَابَةِ عَلَى نِيَّةِ سُؤَالِ لَا السُّؤَالِ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّهَا نِيَّةٌ لَا بَدَأَ أَنْ يَأْتِيَ وَقْتُ احتِجَاجِ الْأُمَّةِ إِلَيْهَا بَعْدَ رَحِيلِ الْإِمَامِ عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

٩- فِي النَّصِّ إِخْبَارُ غِيْبِي بِأَنَّ السَّائِلَ سَيُوجَهُ أَسْئَلَةٌ لِلْإِمَامِ الزَّكِيِّ بَعْدَ رَحِيلِ الْإِمَامِ النَّقِيِّ «فَمَا كُنْتَ سَائِلاً عَنْهُ فَاسْأَلْهُ»، فَقَدْ جَاءَ الْوَصْفُ النَّحْوِي لِصَاحِبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِأَنَّهُ (خَبَرَ كَانَ النَّاْقِصَةَ)، وَصَيَّغَتْهُ الصَّرْفِيَّةُ (اسْمُ فَاعِلٍ) (سَائِلاً)، وَهَذَا مَا سَيُتَحَقَّقُ لَاحِقاً.

٢- ثَلَاثَةُ أَحْرَازٍ وَالْأَمْنُ الْمَفْقُودُ:

كَانَتْ مَدَّةُ إِمَامَةِ الْإِمَامِ الْهَادِي مَدَّةً خَفِيفَةً لِشَيْعَتِهِ، مَرْعَبَةً لِأَنْصَارِهِ ؛ وَاجْهَهُمْ فِيهَا الظَّالِمُونَ بِمُخْتَلَفِ صُنُوفِ الْعَذَابِ وَالتَّنْكِيلِ لِاسْتِثْصَالِهِمْ، وَتَحْجِيمِ دَوْرِهِمْ فِي قِيَادَةِ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَرِيَادَةِ نَهْضَتِهَا؛ لِذَلِكَ تَجَدَّدَ أَكْثَرُ مَا وَرَدَ عَنِ الْإِمَامِ الْهَادِي مِنْ نَصُوصٍ هِيَ لِدَفْعِ الْخَوْفِ وَالْبَلَاءِ وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ



فرجاً وحياءً، واجعل لي من عندك مخرجاً
هنيئاً، ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهدِ
فرائضك واستعمال سُنتك، فقد ضقت لما
نزلَ بي ذرعاً، وامتألت بحمل ما حدثَ
عليّ جزعاً، وأنت القادر على كشف ما
بُليتَ به ودفع ما وقعتُ فيه، فافعل ذلك
بي وإن كنتُ غيرَ مستجبهٍ منك، يا ذا
العرش العظيم، ويا ذا المن الكريم، فأنت
قادر كريم يا أرحم الراحمين، آمين رب
العالمين»^(١).

والناظر في هذا الدعاء يجد شبهاً
كبيراً بينه وبين الدعاء السابع في الصحيفة
السجادية للإمام علي بن الحسين السجاد،
لكنهما مختلفان من حيث:

١- دواعي الدعاء.

٢- عدد الكلمات.

٣- الاختلاف في الصيغ.

فأما دواعي الاستعمال فدعاء
السجاد يقع تحت عنوان (إذا عرضت له
مهمةٌ أو نزلت به ملمةٌ وعند الكرب)

عليّ جميع ما كان استخرجه مني، وأحسن
رفدي، وردني إلى الناحية التي كنت
أتقلدها، وأضاف إليها الكورة التي تليها.

قال وكان الدعاء: (يَا مَنْ تُحَلُّ
بِأَسْمَائِهِ عُقْدُ المكاره، ويامن يُفل بذكره حد
الشدائد، ويا مَنْ يُدعى بِأَسْمَائِهِ العظام من
ضيق المخرج إلى محل الفرج، ذلت لقدرتك
الصعابُ وتسببت بلطفك الأسبابُ،
وجرى بطاعتك القضاء، ومضت على
ذكرك الأشياء، فهي بمشيتك دون قولك
مؤتمرة، وبإرادتك دون وحيك منزجرة،
وانت المرجو للمهمات، وأنت المفرع
للملمات، لا يندفع منها إلا ما دفعت، ولا
ينكشف منها إلا ما كشفت، وقد نزل بي
من الأمر ما فدحني ثقله، وحلّ بي منه ما
بهظني حملُه، وبقدرك أوردت عليّ ذلك،
وبسلطانك وجهته إليّ، فلا مصدر لما
أوردت، ولا ميسر لما عسرت، ولا صارفَ
لما وجهت، ولا فاتح لما أغلقت، ولا مغلقَ
لما فتحت، ولا ناصر لمن خذلت إلا أنت.

صلّ على محمد وآل محمد، وافتح

لي باب الفرج بطولك، واصرف عني
سلطان الهَمِّ بحولك، وأُنلني حُسن
النظر في ما شكوتُ، وارزقني حلاوة
الصنع في ما سألتك، وهب لي من لدنك

(١) ابن طاووس، السيد علي، مهج الدعوات،
ص ٣٢٤-٣٢٥، المجلسي، الشيخ محمد، بحار
الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٤، ح ١٢، وينظر:
الميانجي، علي الأحمد، مكاتيب الأئمة، ج ٦،
ص ٢٠٩.



فظاهر الكلام موجهٌ إلى الإمام السجاد إذا عرضت له مهمةٌ، أو نزلت به ملمة، وأما دعاء الإمام الهادي فهو (عند إشراف البلاء وظهور الأعداء وعند تخوُّف الفقر وضيق الصدر) فهو في سياق القصة، مذكور باسمه (اليسع بن حمزة القمِّي)، وإن كانت فيه إشارةٌ إلى أنَّه من مختصات آل محمد فهم يدعون به عند ظهور هذه العلامات (إشراف البلاء وظهور الأعداء

وعند خوف الفقر وضيق الصدر).

وأما عدد الكلمات فدعاء الإمام السجاد يقع في مئة وتسعٍ وثمانين كلمة، على حين يقع دعاء الإمام الهادي في مئة وسبعٍ وتسعين كلمة.

وأما الاختلاف في الصيغ فنجد فروقاً مهمةً، لا يمكن للباحث أن يهملها، لذلك رصدناها في هذا الجدول:

في دعاء الإمام السجاد	في دعاء الإمام الهادي
يا من تحل به	يا من تحل بأسمائه
يفثأ به	يفل بذكره
يا من يلتمس منه المخرج إلى روح الفرج	يا من يدعى بأسمائه العظام من ضيق المخرج إلى محل الفرج
وجرى بقدرتك القضاء	وجرى بطاعتك القضاء
ومضت على إرادتك الأشياء	ومضت على ذكرك الأشياء
وبإرادتك دون نبيك منزجرة	وبإرادتك دون وحيك منزجرة
أنت المدعو للمهمات	أنت المرجو للمهمات
أنت المفزع في الملهمات	أنت المفزع للملمات
وقد نزل بي يارب ما قد تكأدني ثقله	وقد نزل بي من الأمر ما فدحني ثقله
وألّم بي ما بهضني حملهُ	وحل بي منه ما بهضني حملة
وبقدرتك أوردته علي	وبقدرتك أوردت علي ذلك



ولا صارف لما وجهت	ولا ميسر لما عسرت
ولا فاتح لما أغلقت	ولا صارف لما وجهت
ولا مغلق لما فتحت	ولا فاتح لما أغلقت
ولا ميسر لما عسرت	ولا مغلق لما فتحت
لا ناصر لمن خذلت	لا ناصر لمن خذلت إلا أنت
واكسر عني سلطان الهم بحولك	واصر ف عني سلطان الهم بحولك
وأذقني حلاوة الصنع في ما سألتُ	وارزقني حلاوة الصنع في ما سألتك
وهب لي من لدنك رحمة وفرجاً هنيئاً	وهب لي من لدنك فرجاً وحيئاً
واجعل لي من عندك مخرجاً وحيئاً	واجعل لي من عندك مخرجاً هنيئاً
ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فروضك	ولا تشغلني بالاهتمام عن تعاهد فرائضك
فقد ضقت لما نزل بي يا رب ذرعاً	فقد ضقت بما نزل بي ذرعاً
وامتلأت بحمل ما حدث علي همّاً	وامتلأت بحمل ما حدث علي جزعاً
وأنت القادر على كشف ما مُنيتُ به	وأنت القادر على كشف ما بُليت به
وإن لم أستوجه منك	وإن كنت غير مستوجهٍ منك
ياذا العرش العظيم	ياذا العرش العظيم وذا المن الكريم فأنت قادرياً أرحم الراحمين آمين رب العالمين

والناظر في هذه الفروق بين الدعاءين يجد اختصاصاً أكثر في تفاصيل الدعاء عند الإمام الهادي، مثلاً نجد أنَّ الدعاء يبدأ بعبارة (يا من تحل بأسمائه) على حين بدأ الإمام السجاد بعبارة (يا من تحل به)، وفي الموضع الثاني من نقاط الاختلاف نجد عبارة (ويا من يفل بذكره) في دعاء الإمام الهادي، وكأن هذه المشاكل قيودٌ تراكت على الإنسان فقيدته، على حين كانت في دعاء الإمام السجاد أشبه بصخرة عظيمة محددة الشكل تسد عليه طريق التقدم، فهو بحاجة إلى فأسٍ يكسر هذه الصخرة (يُفتأ به)، وبشكل عام



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

فإن الإشارة موجهة إلى الله سبحانه وتعالى في دعاء الإمام السجاد، على حين كانت الإشارة موجهة إلى أسماء الله سبحانه وتعالى في دعاء الإمام الهادي عليه السلام، فهي تقترب من أصل المشكلة وتتعاطى مع تفاصيل المعظلة، وتتوجه إلى الله بأسمائه الحسنی وصفاته العلی فی حلها، وكأنها أقرب إلى صاحب المشكلة.

استنطاق النص وفق المعادلة:

١- بدأ الدعاء باستعمال الفعل المضارع المبني للمجهول، ثم انتقل إلى الإفراط في استعمال المصادر من الأحداث واسم الفاعل من الصفات، على حين كان المسير للحركة النصية هو الفعل الماضي، ثم توقف هذا التنشيط للفعل الماضي بهذه الوتيرة ليبدأ تنشيط الفعل الأمر مجسداً طلبات الداعي هذه خريطة سير الأحداث والصفات والناظر في هذه الخريطة (النحوية الصرفية) يتبين هيمنة المصادر والأفعال منها خصوصاً، والفعل الماضي بشكل أخص؛ للدلالة على الحاجة المستمرة لهذا التعاون بينهما على طول حياة الإنسان، مع التركيز على فترة الحاضر المعاصر (المعاش) والمستقبل القريب، بتنشيط الفعل المضارع من حقل

الأحداث، يقابله تنشيط اسم الفاعل في حقل الصفات فهما اللذان يشرعان حال العبد في صعوبات عالم الملك، وما يعترضه من عقبات في السير إلى الله، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»^(١)، ذلك أن أي خلل في العلاقة مع الله ينتج مشكلة لا تخطر على بال العبد لذلك هو يعترف بالتأنيج ويقر بها (وبقدرتك أوردت علي ذلك، وبسلطانك وجهته إلي).

٢- يبدأ التعافي لحظة استعمال صيغة الصلاة على محمد وآل محمد، لأن ما بعدها سيل من الأوامر التي وردت بصيغة الدعاء، وهي سبع (افتح، اصرف، انلني، ارزقني، هب، اجعل، افعل)، إضافة إلى تركيب مهم ورد ضمن صيغة الدعاء، لكنه جاء بتركيب الفعل المضارع المسبوق بـ(لا ناهية) (لا تشغلي) بالاهتمام عن تعاهد فرائضك، واستعمال سنتك) ولا شك أن الإنشغال عن فرائض الله والبعد عن سنته هو من أهم أسباب الغفلة الموجبة لجلب الهموم وخلق المشاكل للإنسان. فمن تشاغل عن هذه المهمات أشغله الله بعويص المشكلات؛ لأن العقوبة من جنس العمل والهم على قدر المهموم.

(١) سورة الانشقاق، الآية ٦.

٣- كانت نسبة الأحداث إلى

$$\text{الصفات} = \frac{٩٢}{٢١} = ٤,٣$$

وكان المنوال الأكثر شيوعاً في الأحداث هو المصادر = ٤٩

والمنوال الوصفي هو اسم الفاعل = ١٢

$$\text{والحد الأوسط الحدثي هو} = \frac{٩٢}{٥} = ١٨,٤$$

$$\text{والحد الأوسط الوصفي هو} = \frac{٢١}{٤} = ٥,٢٥$$

لهذا فالدعاء من جهة يتطلب

استمرارية، ومن جهة ثانية يتطلب التأمل في معرفة أسباب وقوع البلاء لئلا يقع في أسبابها مرة أخرى.

ب- دعاء العزة والنصر:

ذكر السيد ابن طاووس حرزاً نسبته إلى الإمام علي بن محمد النقي، وهذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم يا عزيز العزّ في عزّه ما أعزّ عزيز العزّ في عزّه يا عزيز أعزني بعزّك وأيّدني بنصرِكَ وادفع عني همزات الشياطين وادفع عني بدفعك وامنع عني بصنعك واجعلني من خيار خلقك يا واحد يا أحد يا فرد يا صمد»^(١).

(١) ابن طاووس، السيد علي، مهج الدعوات، ص ٦٦-٦٧.

استنطاق النص وفق المعادلة:

١- لابدّ من ملاحظة الناحية

الصرفيّة في مفردة (عزيز) - التي اختارها الإمام بدقة متناهية تاركاً كل أسماء الله الحسنى وصفاته العلى - فهي قد وردت في الدعاء هنا بصيغة المبالغة؛ لأنّها صفة لله سبحانه وجاءت من فعلٍ متعدٍ، أما في البشر فتأتي من فعل لازم وبهذا تكون صفة مشبهة فانظر إلى دقة اختيار الإمام لمفردة يفترق استعمالها الصرفي بين البشر ورب البشر.

٢- فتح هذا النوع من الدعاء باباً

ولجته الأدعية اللاحقة، وهو ما أطلق عليه الباحث مصطلح إدخال الصفات في الأحداث، وإضافتها إليها، فنجد الإضافة إلى المصادر عن طريق إضافة صيغة المبالغة (عزيز العز) إنّ كانت لرب البشر؛ وما ذلك إلا لكثرة الظلم الذي تعرض له أتباع آل البيت وأئمتهم.

فتراكم الصفات وإضافتها إلى الأحداث في دعاء المتأخرين من الأئمة ناتج عن تراكم ظلم الظالمين، وتنوع أساليب ظلمهم.

٣- في الدعاء توازن منطقي،

وتماثل عددي بين عدد النداءات وبين



عدد الطلبات التي استدعت الدعاء واستوجبتُهُ، ومن المعلوم والمسلم به أنَّ الدعاء يطير بجناحي نداء الله بصفاته وأسمائه في أول الدعاء ثم يُغرق في الطلبات التي استجلبت الدعاء في آخره، وهو نهج سارت عليه أدعية المسلمين جميعاً، ففي هذا الحرز نجد كفتي النداءات مساوية لعدد الطلبات:

النداءات الطلبات

١- يا عزيز العز أعزني بعزك

٢- يا عزيز أيدني بنصرك

٣- يا واحد ادفع عني همزات الشياطين

٤- يا أحد ادفع عني بدفعك

٥- يا فرد امنع عني بصنعك

٦- يا صمد اجعلني من خيار خلقك

ولو نظرنا إلى العلاقة بين هذه النداءات وتلك الطلبات لوجدناها متناغمة مع نداءها؛

فعزيز العز يكون نداءً متناغماً مع طلب أعزني بعزك،

على حين يكون نداء (يا عزيز) نداءً مكافئاً لطلب أيدني بنصرك،

ونداء (يا واحد) مقروناً بطلب

ادفع عني همزات الشياطين، وهكذا.

٤- كانت نسبة الأحداث إلى

$$\frac{20}{5} = 4 \text{ الصفات}$$

أي إنَّها صدرت عن حالة اضطرار وخطر وانفعال، وبضميمة مسمى الدعاء على أنَّه (حرز) وهو ما يلزم الإنسان مدةً طويلةً؛ أو رُبَّما عمره كله نعلم عند ذلك أيَّ خطرٍ كان الإمام يدافعُهُ وأيَّ ظلم كان الهادي يكابده، وأيَّ ضيقٍ كان البقية الباقية من آل محمد يعانيه.

٥- كان المنوال الأشد تكراراً في كفة الأحداث، هما المصادر التي رفعت النداءات، والفعل الأمر الذي ورد بصيغة الأمر وخرج إلى الدعاء حاملاً طلبات الداعي.

ج- دعاء وأمنية وشرط حضور:

ارتبط هذا الدعاء بقصة أحد الموالين المضطهدين من قبل حكومة بني العباس الظالمة فقد روى «أبو محمد الفحام قال: حدثني أبو الحسن محمد بن أحمد (بن عبدالله المنصوري) قال: حدثني عم أبي (موسى عيسى بن أحمد بن عيسى)، قال: قصدت الإمام علي بن محمد عليه السلام يوماً فقلت: يا سيدي، إنَّ هذا الرجل قد اطرحنى وقطع رزقي ومللني، وما أتهم في



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

فقلت: ببركتك يا سيدي، ولكن قالوا لي: إِنَّكَ ما مضيت إليه ولا سألته. فقال: إِنَّ الله تعالى عَلِمَ مِنَّا أَنَّا لا نلجأ في المهمات إِلَّا إليه، ولا نتوكل في المهمات إِلَّا عليه، وعودنا إذا سألنا الإجابة، ونخافُ أَنْ نعدلَ فيعدلَ بنا.

قلت: إِنَّ الفتحَ قال لي كَيْتَ وكَيْتَ! قال: إِنَّهُ يوالينا بظاهِرِهِ، ويجانِبنا بباطنِهِ، الدعاءُ لمن يدعو به، إذا أخلصْتَ في طاعة الله، واعترفتَ برسول الله ﷺ وبحقنا أهل البيت، وسألتَ الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرملك.

قلت: يا سيدي، فتعلمني دعاءً أختصُّ به من الأدعية قال: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به، وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي، وهو:

يا عُدِّي عِنْدَ العُدِّ، ويا رَجَائِي والمُعْتَمِدُ، ويا كَهْفِي والسَّنْدُ، ويا واحِدَ يا أَحَدُ، يا قُلْ هو اللهُ أَحَدُ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ ولم تجعل في خَلْقِكَ مثْلَهُم أَحَدًا، أَنْ تُصَلِّيَ عليهم، وتُفَعِّلَ بي كَيْتَ وكَيْتَ^(١)

ذلك إِلَّا علمه بملازمتي لك، فإذا سألتَه شيئاً منه يلزمه القبول منك، فينبغي أَنْ تفضل علي بمسألته. فقال: تُكْفِي أَنْ شاء الله.

فلما كان في الليل طرقتني رُسُل المتوكل، رسولاً يتلو رسولاً، فجئت والفتح على الباب قائم فقال: يا رجل، ما تأوي في منزلك بالليل، كدني هذا الرجل مما يطلبك.

فدخلت وإذا المتوكل جالس على فراشه، فقال: يا أبا موسى، نشغل عنك وتُتْسِينا نفسك، أي شيء لك عندي؟

فقلت: الصلة الفلانية، والرزق الفلاني، وذكرْتُ أشياء، فأمرَ لي بها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافي علي بن محمد إلى هنا؟

فقال: لا. فقلت: كتبَ رقعة؟ فقال: لا.

فوليتُ منصرفاً؛ فتبعني، فقال لي: لستُ أشكُ أَنَّكَ سألتَهُ دعاءً لك، فالتمس لي منه الدعاء!

فلما دخلت إليه عليه السلام قال لي: يا أبا موسى، هذا وجه الرضا.

(١) الطوسي، شيخ الطائفة محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٢٩١، ابن شهر آشوب، مناقب آل



هذا النص من النصوص الكاشفة لحقائق الأمور، وهو ذو فقرات ثلاث:

١- نص كاشف عن علاقة الأئمة مع ربهم في صدق التوكل عليه (ولا نتوكل في الملمات إلا عليه).

٢- نص كاشف عن أسباب عدم إجابة الدعاء، وهي:

أ- النفاق ومصادقه الفتح بن حاقان، فإنه يوالي الإمام في الظاهر، ويحتبئه في الباطن.

ب- آلية العمل بالدعاء متاحة شرط الإخلاص لله سبحانه، مع تفاصيل دقيقة لبيان آلية الإخلاص.

٣- من شروط تفعيل الدعاء الاعتراف برسول الله، وبحق آل البيت الكرام.

استنطاق النص وفق المعادلة:

عند الاستنطاق اللغوي لهذه النصوص نجد في النص الأول، وهو قول الإمام عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَلِمَ مِنَّا أَنَّا لَا نَلْجَأُ فِي الْمَهْمَاتِ إِلَّا إِلَيْهِ، وَلَا نَتَوَكَّلُ فِي

أبي طالب، ج ٤، ص ٤١٠، المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٧، ح ٥، وينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ٢٤٨-٢٥٠.

الملمات إلا عليه، وعودنا إذا سألنا الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا»

١- نجد أن عدد الصفات = صفر على حين كان عدد الأحداث = ١١ لهذا فيمكن اعتبار هذا النص من الحقائق العلمية الصرفة والتي صدرت عن الإمام وهو في حالة توجس وقلق، وخوف من الله سبحانه وتعالى.

٢- نلاحظ الجناس التام في مفردتي (نَعْدِلُ فَيَعْدِلُ)، ومحض العبودية الخالصة لله بدلالة (نعدل) الأولى للدلالة على المساواة بين الخالق والمخلوق؛ لذلك نفى الإمام أن يتوجه آل محمد إلى المخلوقين لمسألتهم خوفاً من الخالق سبحانه أن (يعدل) بهم سبحانه فيميل من جانب الإجابة والإكرام إلى جانب الخذلان والهجران.

٣- نلاحظ الحضور القوي لتركيب النفي العميق المكون من لا النافية متبوعة بـ (الاستثناء)

لا نلجأ... إلا إليه

لا نتوكل... إلا عليه

وفيه إشارة إلى محض التوحيد وخالص العبودية.



٣- في النص إشارة إلى أَنَّ الفتح بن خاقان سَيُحَرِّمُ خيري الدنيا والآخرة وتجلت هذه الإشارة في أول النص وآخره، فقد قال الإمام الهادي عليه السلام بحقه: (الدعاء لمن يَدْعُو بِهِ) وفي هذا إشارة مُبْطِنَةٌ إلى أَنَّهُ ليس من أهل الدعاء، ولن يوفق لذلك، والإشارة في آخر النص بقوله: (وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك).

وفيه إشارة مبطنة أيضاً إلى أَنَّ الفتح بن خاقان حُرِّمَ إجابة الدعاء ولأسباب ذكرها الإمام في متن النص، وهي:

أ- اجتنابه أولياء الله.

ب- أظهر النفاق معهم.

ج- عدم الإخلاص في الطاعة لهم.

د- عدم الاعتراف بحق رسول الله وأهل بيته الكرام.

في النص الثالث، وهو قوله عليه السلام: «يا عُدَّتِي عِنْدَ الْعُدِّ، ويا رَجَائِي وَالْمُعْتَمِدُ، ويا كَهْفِي وَالسَّنْدُ، ويا وَاحِدِي أَحَدٌ، يا قُلُّ هو الله أَحَدٌ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَنْ خَلَقْتَهُ مِنْ خَلْقِكَ وَلَمْ تَجْعَلْ فِي خَلْقِكَ مِثْلَهُمْ أَحَدًا، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِمْ، وَتَفْعَلَ بِي كَيْتَ وَكَيْتَ»

١- نجد أَنَّ النص تضمّن شرطاً لتفعيله، وهو أن يذكر هذا الدعاء في

وفي النص الثاني نلاحظ قول الإمام عليه السلام، وهو في ما يبدو إجابة لسؤال الفتح بن خاقان طلب الدعاء من الإمام الهادي؛ لذلك قال: «إِنَّهُ يُوَالِينَا بِظَاهِرِهِ، وَيُجَانِبُنَا بِبَاطِنِهِ، الدعاء لمن يدعو به، إذا أخلصت في طاعة الله، واعترفت برسول الله ﷺ وبحقنا أهل البيت، وسألت الله تبارك وتعالى شيئاً لم يحرمك.»

١- وهو نص يصف حال منافقي الملوك، وأبناء الدنيا (الفتح بن خاقان أنموذجاً لهم) فهم يلحظون الدنيا والدين بعيني الملق، ولسان التملق للظالمين؛ لذلك نجد تفعيلاً لمادة التجدد والاستمرار في الأحداث وهي الفعل المضارع بواقع (أربعة أفعال)، واسم الفاعل مجسداً وصفاً لهم (اسمي فاعل) في هذا الوصف السريع.

٢- كانت نسبة الأحداث إلى الصفات $\frac{11}{2} = 5,5$

كان المنوال التكراري هو للفعل المضارع والمصادر للدلالة على أن هذا الفعل مجدد من جهة الفعل المضارع وعقيدة النفاق ثابتة في نفوسهم راسخة في سلوكهم صلبة في اعتقاداتهم كصلابة المصادر في تجردها عن الزمان.



مشهد الإمام الهادي عليه السلام، ونلاحظ على هذا الدعاء أمرين:

٣- الفتن والوقاية منها:

أ- الفتنة الفكرية:

واجهت الأمة الإسلامية فتناً فكرية عدة، كانت تثمر صراعاً، وتغيّر تفكيراً، وتنتج تحزباً لرأي أو فكرة فيها من الصواب، وفيها أيضاً من الجهل المركب ما فيها، وكان من أخطر تلك الفتن هي فتنة خلق القرآن التي أججها المأمون العباسي؛ واستثمرها المتوكل العباسي، كان الهدف منها سياسياً، فالسياسة لا دين لها ولا عقيدة.

أدرك الإمام الهادي هذه الإرادة الشريرة للمتوكل العباسي فاستبق أنصاره بكتابٍ محذراً فيه من فتنة الجدال في خلق القرآن؛ لذلك أرسل إلى شيعته في بغداد كتاباً جاء فيه «بسم الله الرحمن الرحيم عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الْفِتْنَةِ، فَإِنْ يَفْعَلْ فَأَعْظِمَ بِهَا نِعْمَةً، وَإِلَّا يَفْعَلْ فَهِيَ الْهَلَكَةُ، نَحْنُ نَرَى أَنَّ الْجِدَالَ فِي الْقُرْآنِ بِدْعَةٌ اشْتَرَكَ فِيهَا السَّائِلُ وَالْمُجِيبُ، فَيَتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيَتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ الْخَالِقُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَا تَجْعَلْ لَهُ اسْماً مِنْ عِنْدِكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالِّينَ، جَعَلَنَا اللَّهُ

أ- تشرف هذا الدعاء بأن الإمام الهادي قد دعا به كثيراً، فإذا كانت الأمكنة والأزمنة تتشرف بآل محمد فإن الدعاء الذي يلهج به الإمام كثيراً هو أيضاً يكون متشرفاً بهذه المنزلة.

ب- إنَّ الإمامَ قد تمنى على الله سبحانه أن لا يخيب من دعا به بعد استيفاء شرط الحضور في مشهده الشريف.

ولنا أن نسأل لماذا هذا الشرط؟

لعل الجواب الأسرع إلى الوجدان، هو أن الإمام الناظر لزواره، المرحب بهم، السامع لما يقولون بحقه، هو من يؤمن على هذا الدعاء بالاستجابة؛ فإذا قال الإمام في مشهده (آمين) مؤمناً على دعاء الداعي فعلى الداعي أن يوقن بالإجابة؛ ذلك أن الإمام الهادي أكرم على الله من أن يخذل شخصاً دعا بدعاءٍ لهج به الإمام الهادي كثيراً وعلمه للمضطرين من محبيه، وتمنى عليهم حضور مشهده الشريف، ليؤمن لهم على دعائهم. والله أعلم.

٢- نجد في النص المصادر الحديثة هي رائدة النص في التخاطب العقائدي و(الدعاء بشكل خاص) لصلتها بعالم



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

التي يتهافت ناتجها بقوله عليه السلام (فَيْتَعَاطَى السَّائِلُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَيتَكَلَّفُ الْمُجِيبُ مَا لَيْسَ عَلَيْهِ).

إِنَّ اَصْرَارَ الإِمَامِ عليه السلام على إيراد هذا التعبير حصراً (فعل مضارع + اسم فاعل + ليس = فعل مضارع + اسم فاعل + ليس = صفر) بشارة لغوية لمن ينظر بنور الايمان إلى أَنَّ هذه الفتنة في طريقها إلى الوأد والأفول .

وعند المراجعة التاريخية نجدها كذلك فعلاً ؛ فَإِنَّ فتنة خلق القرآن قد انتهت تقريباً مع نهاية المتوكل العباسي، ولم يبقَ لها أثر سوى ما في بطون الكتب .

وهذا ما ألح إليه الاستنطاق اللغوي، والله أعلم.

ب- فتنة الأفراد:

من المعروف أَنَّ نوازِعَ النفس البشرية بعيدٌ غورها، متداخلةٌ مزاياها لا يؤمنُ في تصرفاتها أنْ تَجَنَحَ نحو نوازِعِ الهوى، وأوامر النفس، ونزغات الشيطان، فليس كل أصحاب الإمام يغلبون جانب العقيدة في شخصيتهم، وكما قال تعالى في وصف المؤمنين «مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» من الآية ١٥٢ من سورة آل عمران.

وَإِيَّاكَ مِنَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ، وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ^(١)

في نص التحذير من فتنة الخوض في خلق القرآن، نجد للأحداث نسبة عالية قياساً للصفات فقد بلغت هذه النسبة = $\frac{19}{8} = 2,3$

ونجد المنوال الحدثي متجسداً في المصادر = ١٠، كونه يمثل خطاب العقيدة، كما ذكرنا سابقاً.

أمَّا المنوال الوصفي فكان في اسم الفاعل = ٧

إِنَّ استعمال الإمام اسم الفاعل فيه إشارة إلى أَنَّ هذه البدعة ستنتهي بعد أن تستفرغ أغراضها السياسية وتحقق أهدافها المرحلية ؛ فكان اسم الفاعل حاضراً بقوة في الصفات، ويعاضده في ذلك الفعل المضارع، وقد ورد (ست مرات) وهو دال على الحال والاستقبال القريب، أمَّا الاستقبال البعيد فلا يدل عليه إلا مع القرينة طبعاً.

وهذا ما ألمحت إليه العبارة المتضادة

(١) الصدوق، الأمالي، ص ٥٤٦، ح ١٤، المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١١٨، ح ٤، وينظر: الميانجي، علي الأحمدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ٢٣٧-٢٣٨.



ولو نظرنا إلى كُتُب الإمام الهادي إلى أصحابه لوجدناها تُغلبُ الجانبَ العقائديَّ على أيِّ جانبٍ آخر، وسنأخذ مثالين على ذلك، الأولُ كتابه إلى جماعة من مواليه، والثاني إلى شخصٍ محدد وهما بعنوان واحد، ويؤكدان فكرة واحدة ويخط يده الشريفة (سلام الله عليه).

١ - كتابٌ إلى جماعةٍ من مواليه:

عن «محمد بن مسعود قال: حدثني محمد بن نصير، قال: حدثني أحمد بن محمد بن عيسى، قال: نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى جماعة الموالى الذين هم ببغداد المقيمين بها والمدائن والسواد وما يليها:

أحمدُ الله إليكم ما أنا عليه من عافيتِهِ وحُسنِ عَادَتِهِ، وأُصلي على نبيه وآله أَفْضَلَ صَلَواتِهِ وأَكْمَلَ رَحْمَتِهِ ورَأْفَتِهِ، وإني أَقمتُ أبا علي بن راشدٍ مقامَ علي بن الحسين بن عبدِ ربِّهِ ومن كانَ قبلَهُ من وكلائي، وصارَ في منزلتِهِ عندي، ووليَّتُهُ ما كانَ يتولاهُ غيرُهُ من وكلائي قبلُكم، ليقبُضَ حَقِّي، وارتضيتُهُ لكم وقَدَّمْتُهُ على غيرِهِ في ذلك، وهو أَهلُهُ وموضِعُهُ.

فصيروا رحمكم اللهُ إلى الدَفْعِ إليهِ ذلكَ وإِلَيَّ، وأن لا تجعلوا لَهُ على أنفُسكم علةً، فعليكم بالخروج عن ذلك والتسرع

إلى طاعةِ الله، وتحليل أموالكم، والحقنِ لدمائكم (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى)، (واتقوا اللهَ لعلَّكم تُرْحَمُونَ)، (واعتصموا بحبلِ اللهِ جميعاً)، (ولا تموتنَّ إلا وأنتم مُسْلِمُونَ)، فقد أوجِبْتُ في طَاعَتِهِ طَاعَتِي، والخروجِ إلى عصيَانِهِ الخروجَ إلى عصيَانِي، فالزُومُوا الطَّرِيقَ يَأْجُرْكُمْ اللهُ ويزِيدْكُمْ من فضله، فإنَّ اللهَ بما عندهُ واسعٌ كريمٌ، متطولٌ على عبادِهِ رَحِيمٌ، نحنُ وأنتم في ودِعةِ الله وحَفْظِهِ. وكتبتهُ بخطِّي، والحمدُ لله كثيراً»^(١).

ومنه بكتابٍ آخر في هذا المعنى «وأنا أَمركُ يا أيوبُ بن نوح أنْ تَقطَعَ الإِكتارَ بينك وبين أبي علي، وأنْ يلزَمَ كُلُّ واحدٍ منكما ما وَكَّلَ بِهِ وأمرَ بالقيامِ فيه بأمرِ ناحيته، فإنَّكم إذا انتهيتُم إلى كل ما أُمِرْتُم بِهِ استغنيتُم بذلك عن معاودتي.

وَأَمركُ يا أبا علي بمثلِ ما أَمركَ يا أيوبُ أنْ لا تقبلَ من أحدٍ من أَهلِ بغدادَ والمدائنِ شيئاً يحملونه، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ، ومُرَّ من أُنَّاكَ بشيءٍ من غيرِ أَهلِ ناحيتك أنْ يُصيرَهُ إلى الموكَّلِ بناحيته.

(١) المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٣، ح ١١، وينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ٢٤٢-٢٤٣.



الله. وكتبْتُ بخطي، وأحمدُ الله كثيراً»^(٢).

ونلاحظ هنا أمرين مهمين، أكدّهما الإمام، وهما:

١- إِنَّ الفتن تأتي بصيغة أسئلة مشروعة؛ لكن لا ثمرة فيها.

٢- إِنَّ الإنسان حينما يتصرف فهو في عين الله؛ فكل تصرفاته ينبغي أن يطلب بها مرضاة الله سبحانه وتعالى.

٣- كان الخطاب بصيغة المضارع في ما يخص الأفراد المشمولين بالخطاب المباشر في زمنهم وصفتهم، باعتبارهم القارئ الأول لكتاب الإمام، على حين كان الفعل الماضي حاضراً، للدلالة على أن الخطاب عابرٌ للزمن ولا يشمل المخاطبين فقط، بل هو خطابٌ إشهاريٌّ عامٌ يشمل كل مؤمنٍ بالله ورسوله وآل بيته الكرام.

٤- في النصين تدريبٌ مبطنٌ على الاستعداد لاستقبال فترةٍ زمنيةٍ لا رابط فيها بين الإمام وأنصاره سوى المكتابة (فترة الغيبة الصغرى)؛ لذلك نرى أن هناك تأكيداً من الإمام على أن الكتابين كانا بخط يده، وتحت نظره (وكتبْتُ بخطي،

وأمرك يا أبا علي في ذلك بمثل ما أمرتُ به أيوب، وليقبل كل واحدٍ منكما قبل ما أمرتُ به»^(١).

٢- كتابٌ إلى شخصيةٍ محددة:

كتب «في أبي علي بن بلال، قال الكشي: وجدتُ بخط جبريل بن أحمد: حدثني محمد بن عيسى اليقطيني، قال: كتب عليّ إلى علي بن بلال في سنة اثنتين وثلاثين ومئتين:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمدُ الله إليك وأشكرُ طوله وعوده، وأصلي على النبي محمد وآله صلواتُ الله ورحمته عليهم، ثم إني أقمتُ أبا علي مقامَ الحسين بن عبد ربّه، وائتمنتُ على ذلك بالمعرفة بما عنده الذي لا يتقدمه أحدٌ، وقد أعلم أنك شيخٌ ناحيتك، فأحببتُ إفرادك وإكرامك بالكتابِ بذلك. فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحق قبلك، فذلك توفيرٌ علينا ومحبوّبٌ لدينا، ولك به جزاء من الله وأجرٌ، فإن الله يُعطي من يشاء، ذو الإعطاء والجزاء برحمته، وأنت في وديعة

(٢) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٢، ح ١، وينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ٢٤١.

(١) المجلسي، الشيخ محمد باقر، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٢٣، ح ١١، وينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ٢٤٣.



وأحمد الله كثيراً)، (وكتبته بخطي، والحمد لله كثيراً).

مشهدان:

لبیان مظلومية الإمام الهادي عليه السلام، نذكر جزئيتين مرّت بهما إمامة الإمام الهادي، إحداهما تتمثل في بداية إمامته سلام الله عليه، هذه الإمامة ملؤها جحودٌ بعض أصحابه وهو: (أبو جعفر الأشعري) فقد حاول أن يكتّم شهادته بإمامة الإمام الهادي من بعد أبيه، مع أنّه سمعها من الإمام الجواد عليه السلام، عند ذلك لجأ الشاهد الأول إلى المباهلة، فما كان من المنكر إلا أن «قال: سمعت ذلك، وهي مكرمة كنت أحب أن تكون لرجل من العرب، فأما مع المباهلة فلا طريق إلى كتمان الشهادة، فلم يبرح القوم حتى سلّموا لأبي الحسن عليه السلام»^(١)، (هكذا قالها المنكر بكل صلافة؛ وكأنّ الإمام الهادي ليس من العرب).

وأما الجزئية الثانية فهي مبيت الإمام الهادي في خان الصعاليك بعد أن وصل (سر من رأى) ليلاً، كان هذا الوصول

المتأخر بتخطيط من المتوكل العباسي - فقد أغلق أبواب قصره ليلاً بعد أن استدعاه من المدينة^(٢)، ولنا أن تصوّر أنواع المعاناة التي قاساها إمام ذلك الزمان، على يد الظالمين، والمنافقين بين يدي هاتين الحادثتين، كل ذلك جرى والإمام يرفع شعاراً قرآنيّاً مفادُهُ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وما يُلقّاها إلا الذين صبرُوا وما يُلقّاها إلا ذو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (٣٥)^(٣).

(٢) ينظر: المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار،

ج ٥٠، ص ٢٠٠، ح ١٢، وينظر: الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ٢٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية ٣٤-٣٥.

(١) المجلسي، الشيخ محمد، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٢٣، ح ٥، وينظر: الشيرازي، الإمام محمد الحسيني، من حياة الإمام الهادي، ص ١٩.

الخاتمة والنتائج :

١- يجب دراسة ألقاب الأئمة دراسة موضوعية، ويشمل ذلك المستعمل منها، وما كان وليد زمنه، وأسباب انتشار بعض الألقاب دون غيرها ودراستها دراسة تداولية، اجتماعية.

٢- كان الإمام خائفاً على الأمة الإسلامية من فتن الظالمين، وطوية الأنفس فحره على الجبهتين معاً، من دون استثناء، على أنه بين خطوات النجاح والفشل في تلك الحرب الضروس.

٣- التوسع في دراسة الاستنطاق اللغوي ليشمل حياة الأئمة، وحركتهم في الأمة، ومجالسهم، ونصوصهم كافة (ما كتب وما قيل).

٤- الدعاء كان السلاح الأمضى في مواجهة ظلم الظالمين، من دون الاستهانة ببقية الوسائل (التقية، مخاطبة الناس بما يعرفون وترك ما لا يطيقون إدراكه).

٥- المصادر بكل أنواعها هي الأقدر على استيعاب خطاب العقيدة في أحاديث آل البيت الكرام؛ فأغلب الخطاب الديني الذي يقرر حقائق قاطعة لا شك فيها يأتي بصيغة المصادر.

٦- الاستنطاق اللغوي مبرز بين

فتنتين، فتنة العقيدة وهي (الخوض في القرآن)، وفتنة الأفراد، فالله سبحانه وتعالى، الذي حفظ القرآن تكفل بإخماد كل فتنة حوله، على حين يبقى الخطر قائماً من فتنة الأفراد، وقد حدد الإمام الهادي سبل النجاة من أخطر الفتنتين، وهما: الوقوف عند نواهي الأئمة عليهم السلام، والتسليم لأوامرهم بالقول والعمل.

٧- بشر الإمام الهادي أصحابه بشارة لغوية لمن ينظر بنور الايمان إلى أن فتنة خلق القرآن في طريقها إلى الوأد والأفول، محذراً المسلمين من التعاطي بها والجدال فيها والتفاعل معها .

٨ - هيأ الإمام الأئمة لتقبل واقع الغيبة الصغرى والكبرى، عن طريق اعتماد المكاتبات بينه وبين مواليه، مؤكداً على مصداقية ما يصدر من الكتب من جهته، فلا تستغرب الأمة إتخاذ هذا النهج سلوكاً بين الإمام والمؤمنين في زمن إمامة الحسن العسكري عليه السلام، ومن بعد صاحب العصر والزمان الحجة المنتظر عليه السلام.



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

الكتب المطبوعة:

١. ابن شهر آشوب، أبو جعفر بن علي السرو المازندراني، مناقب آل أبي طالب، تحقيق يوسف البقاعي، الطبعة الثانية، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٩٩١ م.
٢. ابن طاووس، السيد علي بن موسى بن جعفر، مهج الدعوات ومنهج العبادات، مطبعة أنوار الهدى، طهران، ١٤٢٥ هـ.
٣. بارت، رولان، الكتابة في درجة الصفر، ترجمة محمد نديم خشفة، الطبعة الأولى، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ٢٠٠٢ م.
٤. الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول، تقديم الشيخ حسين الأعلمي، الطبعة السابعة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٢ م.
٥. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، الطبعة الأولى، طبع عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨.
٦. الزنجاني، إسماعيل الأنصاري،

الموسوعة الكبرى عن فاطمة الزهراء، الطبعة الثانية، مطبعة نكارش، قم، إيران، ١٤٢٩ هـ.

٧. الشريف الرضي، نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمع محمد بن الحسين بن موسى (ت ٤٠٦ هـ)، شرح: محمد عبده (ت ١٩٠٥ م)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

٨. الشيرازي، الإمام السيد محمد، من حياة الإمام الهادي عليه السلام، الطبعة الأولى، مطبعة النجف الأشرف، كربلاء، العراق، ٢٠٠٨ م.

٩. الصافي، لطف الله، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر، الطبعة الأولى، مطبعة سلمان الفارسي، طهران، ١٤٢٢ هـ.

١٠. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الأمالي، الطبعة الخامسة، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ.

١١. الطاهري، بديعة، السرد وإنتاج المعنى، الطبعة الأولى، مطبعة رؤية للنشر، القاهرة، مصر، ٢٠١٥ م.

١٢. الطبرسي، الفضل بن الحسن،



مجمع البيان في تفسير القرآن، تعليق وتصحيح السيد هاشم الرسولي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٥٩م. لبنان، ١٤١٢هـ. الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليه السلام، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث، بيروت،

١٣. الطبرسي، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن، أعلام الوري بأعلام الهدى، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٩٧٩.

١٤. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق أحمد الحسيني، الطبعة الأولى، مطبعة الأمير، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.

٥١. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن، الأمالي، مكتبة الداوري، قم، إيران.

١٦. عبد الوهاب، الشيخ حسين، عيون المعجزات، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ.

١٧. قدور، أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، الطبعة الأولى، الدار العربية، بيروت، لبنان، ٢٠١١م.

١٨. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥هـ.

١٩. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار

٢٠. المرعشي، السيد شهاب الدين، ألقاب الرسول وعترته، لمؤلف مجهول، ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة من آثار القدماء الإمامية القدماء، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.

٢١. مصلوح، سعد، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٢م.

٢٢. المفيد، الشيخ محمد بن النعمان، الإرشاد، المؤتمر العالمي، لألفية الشيخ المفيد، قم المقدسة، إيران، ١٤١٣هـ.

٢٣. الميانجي، علي الأحدي، مكاتيب الأئمة، مراجعة مجتبي الفرجي، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الحديث، قم المقدسة، إيران، ١٤٣١هـ.

٢٤. النجف آبادي، عبد الله الصالحي، موسوعة مكاتيب الأئمة، الطبعة الأولى، مكتبة أهل البيت، قم المقدسة، إيران، ١٤٤١هـ.

الخطاب القرآني عند الإمام
علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية

**Quranic Discourse by Imam Al-Hadi
(PBUH): An Analytical Reading**

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة
مديرية تربية كربلاء

Assist. Prof.Dr. Ammar Hassan

Abdulzahra

Kerbala Directorate of Education



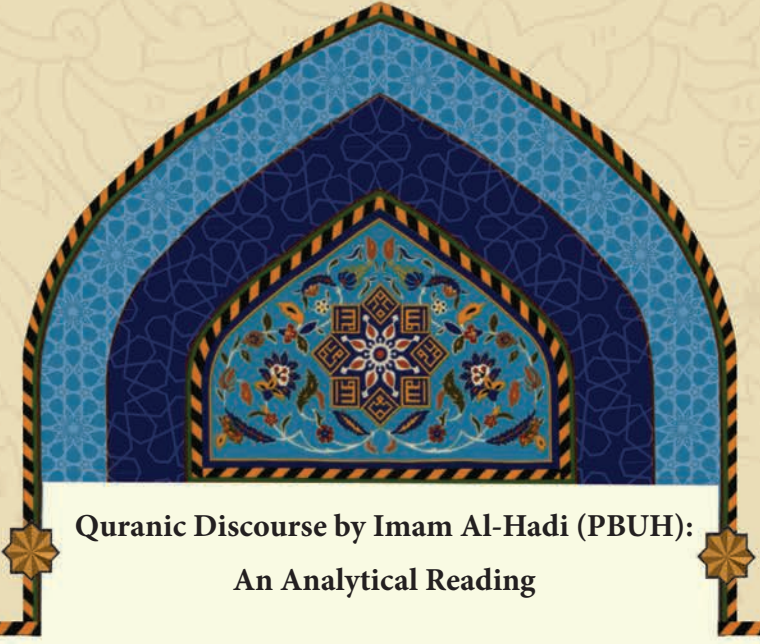
الخطاب القرآني عند الإمام علي الهادي عليه السلام قراءة تحليلية

الملخص:

يمثل أهل البيت عليه السلام الثقل الموازي للقرآن الكريم، وهم بمعيتهم وصية رسولنا الكريم ﷺ العاصمة من الضلال باتفاق المسلمين، وعليه يكون أهل البيت عليه السلام الأقرب لكتاب الله تعالى، والأعلم به، والأعرف بمحتواه ومضامينه، وقد ورد عنهم عليه السلام تفسيراً ضخماً للقرآن الكريم تفرق في بطون المصادر، ولم يأخذ حقّه من الدّراسة والبحث؛ بل ما زلنا إلى الآن نجهل كثيراً منه على الرغم من الانفتاح الذي حدث في الساحة العلميّة والمعرفيّة، ومن هنا قررتُ دراسة نماذج من تفسير الإمام علي الهادي عليه السلام - بما يسمح به المقام - على وفق منهج تحليل الخطاب؛ بوصفه المنهج الأكثر تطوراً في الساحة اللغويّة المعاصرة، على نحو أقارب فيه بين تفسيره عليه السلام ومقولات هذا المنهج، مع مقارناتٍ بينه وبين المفسّرين من الطوائف الإسلاميّة الأخرى؛ من أجل بيان القيمة المعرفيّة لتفسير الإمام الهادي عليه السلام من جهةٍ وأسبقّيته في التأسيس لكثيرٍ من القواعد المعتمدة في التفسير من جهةٍ أخرى، وكذلك اشتباهه من خالفه واتّخذ غيره دليلاً للوصول إلى المعرفة القرآنيّة من جهةٍ ثالثة. ولا نبتغي الخلاف في هذه الدّراسة بقدر ما نهدف إلى الارتقاء بالمعرفة وابتغاء السبيل الراشد فيها، فإنّ التقدّم في المعرفة يبدأ من مناقشة الآراء ثمّ نقدها، وبعد ذلك الانطلاق من السليم منها بوصفه القاعدة السليمة للبناء والتقدّم.

الكلمات المفتاحية:

الإمام علي الهادي عليه السلام، تحليل الخطاب، تفسير القرآن الكريم.



Quranic Discourse by Imam Al-Hadi (PBUH): An Analytical Reading

Abstract:

The prophet's (PBUHP) household (henceforth Ahlul Bayt) (PBUT) represent the counterpart of the Holy Quran by the will of our noble Prophet (PBUHP) as being infallible by consensus of Muslims. Therefore, Ahlul Bayt (PBUT) are the closest to the Book of Allah, the most knowledgeable about it, and the most familiar with its contents and meanings. Numerous interpretations of the Holy Quran by them are scattered across sources, but have not received due study and research. Despite the openness that has occurred in the scientific fields, we still greatly ignore many aspects of the Holy Quran. Hence, I have decided to study examples of Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) interpretations of the Holy Quran using discourse analysis, as it is the most advanced approach in contemporary linguistic and cognitive fields. On one side, I will draw parallels between his interpretations and the concepts of this approach to compare to other interpretations to demonstrate Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) cognitive value of his interpretations, and his laying the foundation of many principles adopted in interpretation, on the other side. This is also to clarify the mistake of those who opposed him and took others as evidence to reach Quranic knowledge. We do not seek disagreement in this study as much as we aim to advance knowledge and follow the right path. Progress in knowledge begins by discussing opinions then critiquing them, and then adopting the sound views, which are the sound foundations of building and progress.

key words:

Imam Ali Al-Hadi (PBUH), Discourse Analysis, Holy Quran interpretation.

المقدمة:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ، وَلَا يُحْصِي نِعْمَاهُ الْعَادُّونَ، وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ.. وصَلَّى اللهُ عَلَى خَيْرِ خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ..

يأخذ القرآن الكريم مساحةً عظمتها عند المسلمين بكل طوائفهم، وفيه بُذلت الدراسات والأبحاث على مدى العصور بشتى أصناف العلوم وأنواعها، ولا سيما تفسيره وبيان دلائله ومضامينه؛ إلا أنهم اختلفوا في الأخير من ناحية المنهج والأدوات والمرجعيات، ولذلك جاء الاختلاف في كثير من المضامين التفسيرية إلى حدِّ بلوغ التناقض في أحيان كثيرة، ومن هنا عوّلنا على دراسة نماذج من تفسير الإمام علي الهادي عليه السلام ومقارنتها مع ما انتهى إليه أئمة التفسير من طوائف المسلمين الأخرى، بوصفه عليه السلام من أهل بيت النبوة الذين جعلهم الله تعالى على لسان نبيه عدل القرآن والثقل الموازي له العاصم بمعنيته من الضلال، ومن هنا يبرز هدفنا في هذا البحث عبر المحاولة لكشف تراث أهل البيت عليهم السلام التفسيري، وإبانة أهميته ومدى توافقه مع روح القرآن الكريم ومضامينه؛ ليكون ذلك خطوة في

مسار التصحيح في علم التفسير، وحتى نرتقي به ليكون بمستوى يليق بالحاجة المعرفية المعاصرة ومتطلباتها المعرفية.

وعند النظر في المادة التفسيرية للإمام الهادي عليه السلام اخترنا منها نماذج وجدناها تأتلف مع مقولات منهج تحليل الخطاب فوقع عليه اختيارنا من هذه الجهة، ومن جهة أخرى يُعدُّ الأحدث في دراسة اللغة ومضامينها ومقاصدها ومقاربة أدواته مع لغة القرآن الكريم ومساحاتها المعرفية.

ثم اتتلفت الخطّة بعد جمع المادة والنظر فيها على تمهيد عرفنا فيه بمفهوم الخطاب، وثلاثة مباحث: كان الأول منها في بيان أهمية تحديد جهة الخطاب في تفسير القرآن الكريم وبيان صفتها، والثاني درس أهمية سبب النزول في تفسير القرآن الكريم، والثالث بحث التصاحب بين الألفاظ القرآنية على نحو تفسير بعضها لبعض.

وأخيراً لا أدعي الكمال في ما سطرته بقدر أنني بذلتُ جهدي (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [يوسف: ٧٦] فإن كان خيراً فذلك من توفيق الله تعالى، وإن كان الآخر فمن نفسي وقصورها وقلة حيلتها. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.





التمهيد/ التعريف بمفهوم تحليل

الخطاب

لم يخرج (الخطاب) في الاصطلاح عند العرب عن دائرته في المعنى اللغوي، وقد قال الآمدي (ت: ٦٣١هـ) فيه: «الَلْفُظُ الْمُتَوَاضِعُ عَلَيْهِ الْمُقْصُودُ بِهِ إِفْهَامٌ مَنْ هُوَ مَهْيٌّ لِفَهْمِهِ»^(١)، وقيل: هو «الكلام الذي يفهم المستمع منه شيئاً»^(٢)، فقصدية الإفهام في هذا التعريف تُرجعنا إلى (مراجعة الكلام)، ولا غرض من المراجعة إلا من أجل الوعي به وفهمه من لدن مستمع متهيء لذلك.

أمّا غربياً فأوّل ظهور لمصطلح (الخطاب) يعود «إلى إفلاطون بما أطلق عليه اسم المقال، ولم يظهر بلفظه إلا على يد (رينيه ديكرت) في عصر النهضة بكتابه (خطاب في المنهج)، وأهمية هذا الكتاب تكمن في كونه تأسيساً للخطاب أكثر ممّا

(١) الآمدي، أبو الحسن الثعلبي، الإحكام في أصول الأحكام، ج ١، ص ٩٥، التهانوي، محمد بن علي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، ص ٧٤٩.

(٢) الأرموي، صفي الدين محمد، نهاية الوصول في دراية الأصول، ج ١، ص ٥١، ينظر: الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ج ١، ص ٢٨٧.

هو تفسير وتحديد للمفهوم»^(٣)، ومنذ ذلك اليوم صار مصطلح (الخطاب) يتطور مع تطور الحقول المعرفية وتشعبها، ومع تطوره لم يُفارق الأصل الذي انبثق منه وإنّما ظلّ على اتّصال معه بروابط وشيجة، على العكس من المفهوم العربي الذي انقطع تماماً عن أصوله المعرفية، والعلة في ذلك ترجع إلى اتّكاء النقد العربي الحديث على النقد الغربي، واستمالة الموروث الغربي ممّا أدّى إلى القطيعة مع الموروث العربي^(٤).

وقد صاحب هذا الحقل المعرفي خلافٌ كبير على مستوى التعريف وتقنيات التحليل والأهداف على إثر ذلك تعدّدت حوله المفاهيم النظرية، وتراكت الدلالات المعرفية التي يُفيدها، وشاع مصطلح الخطاب في كثير من الدراسات وخصوصاً ما يتعلّق منها بالدراسات اللغويّة، والسبب في ذلك يعود إلى تنوّع المرجعيّات الفكرية والثقافية^(٥)،

(٣) العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، ص ١٤.

(٤) العتوم، مهى، المصدر نفسه، ص ١٤.

(٥) ينظر: عبد زيد، هيام، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، ص ٣٣.



الثقافي ولا عن معطياتها الخارج لغوية، مع الاهتمام الكامل بالعلاقات الضمنية القائمة بين الخطاب والسلوك الثقافي^(٤)، وصار الخطاب عنده نصًّا جامعا لكلّ الجمل بروابط محدّدة.

وإذا كان هاريس يرى الخطاب مجموعة من المتواليات تربط بينها علاقات معينة خاضعة لجملة من القواعد، تنتظم بموجبها الجمل في الخطاب، فإنّ الباحث الفرنسي (إميل بنفنيست E. Benveniste) يقدّم تعريفاً آخر

للخطاب هو أنّه: «ملفوظ منظوراً إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التّواصل»^(٥)، ويقول: «هو كلّ مقول يفتّرض متكلّماً ومستمعاً، وتكون لدى الأول نيّة التأثير في الثاني بصورة ما»^(٦).

ثمّ تتوالى البحوث بعد (هاريس) حول الخطاب ومدياته الفكرية وآليات اشتغاله

الباردي، محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، ص ٢٠.

(٤) العربي، ربيعة، الحد بين النصّ والخطاب، ص ٣٦.

(٥) تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ص ١٧.

(٦) صحراوي، إبراهيم، تحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، ص ١٠.

و«اختلاف الفهم وتطوراته لدى الباحثين في النظرة إلى الخطاب»^(١)، ودخوله في أكثر من معتركٍ معرفي ما أدّى إلى شيوعه في تخصصاتٍ علمية متنوعة، ولذلك صار لزاماً على من يتصدّى لتحليل الخطاب أن يحدّد الاتجاه الذي ينتمي إليه، والمجال الذي يشتغل فيه على وفق أسئلة أبستمولوجية محدّدة، فحواها: لماذا هذا التعريف؟ ما هي الأدوات والإجراءات المناسبة؟ إلى ماذا نبغي الوصول؟ وكيف يتمّ ذلك؟^(٢).

ويُعَدُّ (زليغ هاريس Zelling Harris) أوّل من اهتمّ بدراسة الخطاب من الغربيين، فاهتمّ بالعلاقات التوزيعيّة بين الجمل، وقرّر مغادرة الدّراسات التي كانت تتخذ من الجملة وحدةً كبرى في التحليل اللغوي إلى العلاقات التي تربط الجمل، وأصبح الخطاب عند هاريس يمثلّ وحدةً لسانية تتألف من متتاليّة من الجمل^(٣) غير المعزولة عن بعدها

(١) مشيل فوكو، حفریات المعرفة، ص ١٠٢.

(٢) يقطين، سعيد، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، ص ٢٦.

(٣) ينظر: مانغونو، دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: ٣٥، تحليل الخطاب الروائي (الزمن - السرد - التبئير)، ص ١٧.



المعرفية، وكلّما استجدّت فكرة صبغها صاحبها بالاتّجاه الذي يؤمن به وبالثقافة التي ينحدر منها، فهذا (بنفنست) يخرج عن الحدود المعرفية التي وضعها هاريس للخطاب فيقفز في التحليل حدود الملفوظات إلى التلفظ (Enonciation) ليعطي الأولوية للوظيفة التواصلية للغة، ومن ثمّ يصبح موضوع الدراسة عنده: هو التلفّظ وليس الملفوظ^(١). ومن وجهة أخرى يبرز دومينيك مانغنيو «Dominique Maingueneau» الذي نظر إلى الخطاب على أنّه مفهوماً ينطبق على الكلام بالنظر إلى ثنائيات سوسير، وجعل منه مقابلاً نوعياً للسان، وأصبح عنده محور الدّراسة اللغوية، وصار يدعو إلى دراسة اللغة بوصفها قيمةً إنجازيّةً في الاستعمال^(٢).

وما يمضي الوقت حتّى تحتاج الساحة الفرنسية أفكار ميشيل فوكو (Michel) Foucault الذي عرّف الخطاب بأنّه: «شبكة معقّدة من العلاقات الاجتماعية والسياسيّة والثقافيّة، التي

(١) تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبثّر)، ص ١٨-١٩.

(٢) ينظر: شرشار، عبد القادر، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص ٨٣.

تبرّز فيها الكيفيّة التي يُنتج فيها الكلام كخطاب^(٣) ينطوي على الهيمنة والمخاطر في الوقت نفسه^(٤)، وهكذا يتجاوز الخطاب مع فوكو الحدود اللسانية والآفاق التداولية إلى رؤى أشمل ترتبط بالأنظمة الثقافيّة للجماعة، تلك التي تنتج المعرفة وتقننها، وتنظّم مكوّناتها، وتبسّط هيمنتها^(٥)، ومن هنا ينتقل الخطاب عند فوكو من السمة الفردية إلى النمط الجماعي؛ ليمثّل خطاب مرحلة زمنية معينة، أو فرع علميّ محدّد، أو جماعة لها أطرها المعرفية الخاصّة، وبذلك ينتقل من كونه لغة ذاتٍ تتداولها إلى ممارسة جماعة لها خصوصيتها في الشكل والتتابع والترابط^(٦).

ومن هنا سندرس الخطاب القرآني على أنّه يتجاوز اللغة بوصفها التواصلية إلى منظومة معرفيّة لها أسسها وقواعد تحليلها، وسنعمد في ذلك على تحليل الإمام عليّ الهادي عليه السلام للقرآن الكريم، ونقارنه مع ما أفاده المفسّرون من الاتّجاهات الإسلاميّة

(٣) كذا والصحيح: بوصفه خطاباً.

(٤) الرويلي، ميجان، البازعي، سعد، دليل الناقد الأدبي، ص ٥٩.

(٥) آل مربع، أحمد بن علي، الخطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، ص ٢٧.

(٦) ميشال فوكو، جينالوجيا المعرفة، ص ١٨.



نحو دقيق، إلا بعد التعرف على من وجّه إليه الخطاب في داخل النص^(١)، وفي بعض الأحيان لا يمكن فصل مشاركات المتحاورين في الخطاب ما لم نستند إلى مقام التخاطب، ذلك بأن طبيعة المتكلمين ولا سيّما في الخطاب الشفاهي يطوون كثيراً من المقدمات اعتماداً على سياق الحال المبيّن لها، يقول امبرتو إيكو (Umberto Eco):

« وفي حال التلفظ الشفاهي يكون من الحتمي أن يحال اللفظ إلى مَنْ يلفظ به، وأنه قبل أن نلجأ إلى القواعد اللسانية بغية الإقرار بماهية ما يقوله المتكلم؛ نتلقّى من ظرف التلفظ معلوماتٍ لسانيّة خارجيّة حول طبيعة الفعل الذي يؤديه^(٢). وممّا تقدّم صار لزماً على المحلّل الاستعانة «بمؤثراتٍ خارج لغوية، فضلاً عن المؤثرات اللغوية للكشف عن المخاطب بشكلٍ محدد^(٣)، وإجراءات لغوية كهذه تعدّ من صميم البحث التداولي؛ لأنّه يسعى في تحليله إلى الإجابة عن الأسئلة

الأخرى؛ لنبيّن الفارق الشاسع في فهم القرآن الكريم وأدوات ذلك وآلياته بين الإمام الهادي عليه السلام والمفسّرين من الطوائف الإسلامية الأخرى، ونقارب ذلك مع مقولات تحليل الخطاب؛ بوصفه المنهج الأنضج في تحليل اللغة على مستوى الساحة البحثيّة المعاصرة، وذلك عبر دراسة مجموعة من النماذج بحسب ما يسمح به المقام.

المبحث الأوّل

أثر اختلاف جهة الخطاب في تفسير القرآن الكريم:

لا تكتمل صورة الخطاب ما لم تتوضّح فيه معالم الأطراف المشتركة في بنائه، إذ لا بدّ من تحديد المشاركات من لدن المستعملين وقياسها إلى أصحابها بما يحملون من مرجعيّات ثقافية، وإرجاع الأقوال المسندة كلّاً إلى الجهة التي ينتمي إليها، وإلاّ فلا يمكن الوصول إلى المقاصد من الخطاب؛ لأنّه في حال عدم الفصل بين المشاركات ستختلط الأقوال، ومن ثمّ تتداخل النصوص بين المشاركين في الخطاب فتُسند بعض المقاصد إلى مشارِك لم يتفوّه بها فتشوّه صورة الاتصال، وعليه «فلا يمكن تبين كُنّه الكلام على

(١) شريد، صائل رشدي، عناصر تحقيق الدلالة العربية دراسة لسانية، ص ١٧٤.

(٢) إمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية (التعاقد التأويلي في النصوص الحكائيّة)، ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) برينكر، كلاوس، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ص ١٢٩.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

التي تتمحور في: ماذا نصنع حين نتكلّم؟، فمن يتكلّم إذن؟ وإلى من يتكلّم؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعمالات اللغة؟^(١).

ولم يكن الخطاب القرآني بدعاً عن غيره من الخطابات، من ناحية وجود مشاركاتٍ خطابيّةٍ نقلها الباري (جلّ شأنه) عن شخوصٍ بتمثّلاتٍ متنوّعة، من قبيل المؤمنين والكافرين والمنافقين وحتى الحيوانات، ولم يكتفِ بنقلها وإنّما ردّها عليها بأشكالٍ متنوّعة بحسب المقام الذي تقتضيه، وكلّ ذلك مثل حواراً داخل الخطاب القرآني، وكان لازماً على من يتصدّى لتحليل هذا الخطاب أن يفرز بين جهاته التخاطبية؛ ليقف على أقلّ التقادير على مشاركات الله تعالى والمشاركات الأخرى، وكذلك ليفرز المشاركات بحسب موضوعاتها وأحكامها؛ لأنّ التداخل بين الموضوعات في بعض الأحيان يوهّم بتواصل الحوار في جهةٍ معينة، وهو في الحقيقة يتنقل بين جهتين أو أكثر.

وهذا الموضوع يأخذ أهميةً بالغة؛ لما له من علاقةٍ مباشرةٍ في تحديد الخطاب المنسوب إلى لفظ الجلالة والمتصل به في (١) ينظر: أرمينكو، فرنسوانز، المقاربة التداولية، ص ٧.

الآيات المجيدة، وعلى أساس ذلك التحديد ترشّح الأحكام الدينية، والخطورة في هذا الموضوع تكمن في أنّه لو أُسند إلى الله تعالى قولٌ هو في الأصل لغيره، ثمّ رُتب على ذلك أحكامٌ دينيّةٌ صيغت على أنّها أوامر إلهيّة، ثمّ يصبح الأمر أكثر خطورة فيما لو كان القول المسند إلى الله تعالى هو في الأصل للكفّار أو المنافقين، وقد حدث ذلك في مواطنٍ متعدّدةٍ من الخطاب القرآني، وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومنهم الإمام الهادي (عليه السلام) من أوّل المتصدّين والعاملين على بيان سبيل الرّشاد بالأدلة والبراهين، منوهين إلى خطورة مثل هذه الاشتباهات التي نتجت عن تصدّي من ليس أهلاً لتحليل الخطاب القرآني. وممّا ورد في هذا الصدد ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

أجمع المفسّرون - في حدود ما اطلعت عليه - على أنّ هذه الآية الكريمة تحمل مشاركةً مُسندةً إلى الله تعالى، فهي قول الله تعالى المباشر يصف فيه نفسه، وقد انتهى المفسّرون إلى جملةٍ من الأقوال في تحليل هذه الجنبه من الخطاب القرآني، منها: أنّ «الْأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ جَمِيعًا فِي



الْأُخْرَى خُلُو لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ»^(٤)، والأرض بيده «كَأَنَّهَا جَوْزَةٌ بِقَضِّهَا وَقَضِيضُهَا»^(٥)، وقيل: لو كانت الأرض في قبضته والسموات مطويات بيمينه فأين الخلق عند ذلك؟ فأجابوا بأنهم كُرِّمَ في الكتاب^(٦)، وظاهر هذه الأقوال التجسيم للذات الإلهية بإسناد اليد إليها والقبضة على وجه الحقيقة، ومن هنا رفض بعض المفسرين ذلك وحملوا المعنى على المجاز، وقالوا عن القبضة واليمين: «أي: في قدرته، وملكه، وسلطانه، لا سلطان لأحدٍ عليها»^(٧)، وقيل: في قبضته أي: «يملكها، لا مدَّعي لملكها ذلك اليوم غيره»^(٨)، وقيل: إنَّها في مقدوره

يَمِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)، ونُقلَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (ت: ٦٨ هـ) أَنَّهُ قَالَ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي يَدِ اللَّهِ إِلَّا كَخَرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ»^(٢)، وعنه أيضًا في معرض بيانه للآية محل البحث: «قَدْ قَبَضَ الْأَرْضَيْنِ وَالسَّمَوَاتِ جَمِيعًا بِيَمِينِهِ، أَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّهُ قَالَ: ﴿مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، يَعْنِي: الْأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ جَمِيعًا... وَإِنَّمَا يَسْتَعِينُ بِشِمَالِهِ الْمُشْغُولَةَ يَمِينُهُ»^(٣)، وقيل: إِنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ يَضَعُهَا فِي يَدِ «وَيْدُهُ

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٤٥.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٤٦، الثعلبي، أبو إسحاق، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٥٣. القرطبي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج ١٠، ص ٦٣٧٤، ص ٦٥. مأمون حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج ٧، ص ١١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٤٦.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٥٣. التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون، ج ٧، ص ١١. ينظر: الغرناطي، محمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٤٦.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠، ص ٢٤٦. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج ١٠، ص ٦٣٧٤.

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، ج ١٠، ص ٦٣٧٨.

(٧) ينظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، بحر العلوم، ج ٣، ص ١٩٣. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٨، ص ٢٥٢، التسهيل لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن



كالذي يقبض عليه القابض في قبضته^(١)، وقيل القبض هنا بمعنى الملك الخالص له سبحانه، «قد ارتفعت عنه أيدي المالكين من بريته، والمتصرفين فيه من خليقته، وقد ورث تعالى عباده ما كان ملكهم في دار الدنيا من ذلك، فلم يبق ملكٌ إلَّا انتقل، ولا مالكٌ إلَّا بطل»^(٢)، وإسناد القبضه لله تعالى، «وإن كان لا يقبض عليها تفهيمًا لنا على عادة التخاطب فيما بيننا؛ لأننا نقول: هو في يد فلان وفي قبضته للشيء الذي يهون عليه التصرف فيه، وإن لم يقبض عليه»^(٣)، وقيل: إنَّ هذا الكلام على التخیل والغرض منه «إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته، والتوقيف على كنهه جلاله لا غير،

وتفسيره، وأحكامه، ج ١٠، ٦٣٧٦.

(١) ينظر: ابن فورك، تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، ج ٢، ص ٣٣٤، الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٤٥ - ٤٦، القشيري، عبد الكريم، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٩١.

(٢) الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧.

(٣) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص ٥٩٣، الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٤١٥ - ٤١٦، الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ١٧، ص ٢٩٢.

من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين»^(٤)، وقيل أيضًا: «أي تحت قبضته وقهره، وسيطرته وسلطانه ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي بقدرته... وهو كناية عن قدرة الله تعالى، وإحاطته بجميع مخلوقاته»^(٥)، وما يتحصّل عن القبضه والطوي باليمين هو «تقطع الأسباب الأرضية والسمائية وسقوطها، وظهور أن لا مؤثّر في الوجود إلَّا الله سبحانه»^(٦)، ومن أقوى الردود على المجسّمة ما أورده القشيري (ت: ٤٦٥هـ) من الصوفيّة بقوله: «ما عرفوه حقّ معرفته، وما وصفوه حقّ وصفه، وما عظّموه حقّ تعظيمه؛ فمن اتّصف بتمثيل، أو جنح إلى تعطيلٍ حادٍ عن السّنة المثلّي، وانحرف عن الطريقة الحسنی، وصفوا الحقّ بالأعضاء، وتوهّموا في نعته الأجزاء، فما قدّروه حقّ قدره»^(٧).

(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٤، ص ١٤٢. ينظر: الطبرسي، تفسير جوامع الجوامع، ج ٣، ص ٢٢٨.

(٥) الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف، أوضح التفاسير، ص ٥٦٩.

(٦) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٧، ص ٢٩٢.

(٧) القشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٩١.



وجعلتهم يحومون حول تلك المفردات ولا يستطيعون ردّها؛ لأنّها وردت في الكتب الصحيحة بحسب زعمهم، ومن هنا تظهر حاكميّة الرواية وسلطانها على مداليل القرآن الكريم ومقاصده، على أنّنا لا ننفي أثر الرواية الصحيحة في بيان المقاصد الإلهيّة بشرط أن تكون متسقة ومنسجمة مع المفاهيم القرآنيّة، ولكن أن تأتي رواية مجرد أنّها واردة في ما يُسمّى بكتب صحاح الحديث؛ فتحكم دلالات الخطاب القرآني ومقاصده، وإن كان الخلل والبطلان يدبّ في مفاصلها فهذا أمر لا يمكن قبوله؛ بل يترقّى الأمر إلى أكثر من ذلك فيكون فهم الصحابي في بعض الأحيان مقيداً لفعل النبي ﷺ ولقصديّة الخطاب القرآني على نحوٍ دون غيره وإن كان واضح المجانبة للصواب، ويمكن أن نتلمّس ذلك بما ورد من روايات أوردها المفسّرون في معرض تفسيرهم للآية محلّ البحث، ومن تلك الروايات ما روي عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ؟»^(٦)، وهذه الرواية لا

(٦) أبو المظفر، تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٨٠، ينظر: الهرري، محمد الأمين، تفسير حقائق الروح

واليمين: القوة^(١)، أو الملك^(٢)، وقيل: ذكرها مبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك^(٣)، وقيل اليمين بمعنى القسم، على معنى أنّه حلف أن يطويها ويفنيها^(٤)، ومعنى القوة والملك أولى^(٥).

وهذا التمسك بالقبضة واليمين سواء أكان على نحو الحقيقة أم المجاز مرده إلى نصوصٍ روائيةٍ قيّدت أقلام المفسّرين، وحدّدت أفهامهم وتسلمت على تفكيرهم،

(١) ينظر: تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، ج ٢، ص ٣٣٤، التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٤٦، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٩١، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج ٢، ص ١٠٢٠، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٢٧٨.

(٢) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن، ج ٩، ص ٤٦، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٣، ص ٥٩٣، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٨، ص ٤١٦.

(٤) ينظر: تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، ج ٢، ص ٣٣٤، تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٧، القشيري، لطائف الإشارات، ج ٣، ص ٢٩١، الكرمان، محمود أبو القاسم برهان الدين، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج ٢، ص ١٠٢٠.

(٥) ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، ص ٢٨٨.



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

مناقشة في صحتها على زعمهم؛ لكونها
واردةً في صحيح البخاري^(١)، وصحيح
مسلم^(٢)، ويكمل ابن عمر سياق الرواية
السابقة فيقول: «وَجَعَلَ النَّبِيُّ يَتَحَرَّكَ عَلَى
مَنْبَرِهِ حَتَّى قُلْنَا: يَكَادُ يَسْقُطُ، وَفِي رِوَايَةٍ:
جَعَلَ الْمَنْبَرُ يَتَحَرَّكَ هَكَذَا وَهَكَذَا»^(٣)،
وفي رواية أخرى ينقلها ابن عمر أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم)
قَالَ: «يَطْوِي اللَّهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا
الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟،
ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ ثُمَّ يَأْخُذُهَا بِشِمَالِهِ،
ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ

الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(٤)، وَهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ^(٥)،
وقد ورد في صحيح مسلم^(٦)، ولذلك
لا مناقشة في صحته أيضًا، وروي أيضًا
عن عبد الله بن مسعود أَنَّ حَبْرًا مِنْ
أَخْبَارِ الْيَهُودِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،
فَجَلَسَ عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ:
«حَدِّثْنَا، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ
يَوْمُ الْقِيَامَةِ، جَعَلَ السَّمَوَاتِ عَلَى أُصْبُعٍ،
وَالْأَرْضِينَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى أُصْبُعٍ،
وَالْمَاءَ وَالشَّجَرَ عَلَى أُصْبُعٍ، وَجَمِيعَ الْخَلَائِقِ
عَلَى أُصْبُعٍ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ،
قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
[وآله] وَسَلَّم) حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا
لِمَا قَالَ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ
حَقَّ قَدْرِهِ﴾»^(٧)، وهذا الحديث مروي في

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤،
ص ١٠٠، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥،
ص ٢٧٨.
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٤،
ص ١٠٠.

(٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن
العدل إلى رسول الله، ج ٤، ٢١٤٨.

(٧) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ٢٠،
ص ٢٤٨، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني
القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون
علومه، ج ١٠، ٦٣٧٥، تفسير القرآن، ج ٤،
ص ٤٧٩ - ٤٨٠، معالم التنزيل في تفسير القرآن،

والريحان في روابي علوم القرآن، ج ٢٥، ص ٧٢.
(١) ينظر: البخاري، الجامع المسند الصحيح
المختصر من أمور رسول الله (صلى الله عليه
[وآله] وسلم) وسننه وأيامه - صحيح البخاري،
ج ٦، ص ١٢٦.

(٢) النيسابوري، مسلم، المسند الصحيح
المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله
(صلى الله عليه [وآله] وسلم)، صحيح مسلم،
ج ٤، ٢١٤٨.

(٣) أبو المظفر، تفسير القرآن، ج ٤، ص ٤٨٠،
ينظر: تفسير حقائق الروح والريحان في روابي
علوم القرآن، ج ٢٥، ص ٧٢.



والفهم أن يجروا هذه الأحاديث التي فيها ذكر اليد والإصبع ونحوه على ما أتت، وألاً يعتقد في ذلك جارحة ولا تشبيه، فليس كمثل ربنا شيء، ومن توهم في ذلك جارحة فقد شبه الله سبحانه وعدل عن الحق^(٣)، وقيل أيضاً: «وعلى كل وجه، فاليمين هنا والقبضة وكل ما ورد عبارة عن القدرة والقوة، وما اختلج في الصدور من غير ذلك باطل»^(٤).

وقد حاول الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ) أن يُفسّر إقرار الرسول ﷺ لوصف اليهودي بوجهة أخرى يُعدّل فيها الميلان الفاضح فقال: «وإنما ضحكك أفصح العرب؛ لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان من غير تصوّر إمساك ولا إصبع ولا هز ولا شيء من ذلك»^(٥)، ولو أن الزمخشري نفى مضمون فهم الراوي القاضي بإثبات الإصبع والهز، وفهم ضحك الرسول على أنه إنكار واستهجان لما جاء به اليهودي

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج ١٠، ٦٣٧٨.

(٤) الأندلسي، ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٤، ص ٥٤١.

(٥) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٤٧٣.

صحيح البخاري^(١)، وصحيح مسلم^(٢)، وباقي الصحاح الأخرى؛ ولذلك لا مناقشة في صحته أو في سنده، على أن جميع من نقل حديث الخبر اليهودي فسّر التصديق بأنه تصديق من الرسول ﷺ لما أورده الخبر من وصف الله تعالى.

وهذه الأحاديث لا يمكن ردّها مضمونها بحسب مباني الفئة العظمى من المسلمين؛ لكونها واردة في الكتب الصحيحة التي لا مناقشة فيها، وكذلك لا يمكن ردّها فهم الصحابي (عبد الله بن مسعود)؛ لكونه حجة، ولذلك لا مناص من قبول مضمون الروايات؛ بل التسليم بها، وغاية ما استطاع من لا يؤمن بالجسمية أن يقول: «ويجب على أهل الدين والفضل

ج ٤، ص ٩٩، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٤، ص ٥٤٠، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٤٧٣، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١١٣، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٦٣، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ج ٢٥، ص ٧٢.

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ «وسننه وأيامه - صحيح البخاري، ج ٦، ص ١٢٦.

(٢) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسلم - صحيح مسلم، ٢١٤٧.



مَجْلَدُ الرَّابِعَةِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

لأصاب كبد الحقيقة، ثم جاء ابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢ هـ) وحاول أن يُفسّر إقرار الرسول بوجهة أخرى فقال: «قوله في الحديث: تصديقاً له، أي في أنه لم يقل إلا ما رأى في كتب اليهود، ولكن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنكر المعنى؛ لأن التجسيم فيه ظاهر واليهود معروفون باعتقاده، ولا يحسنون حمله على تأويله من أن الأصبع عبارة عن القدرة، أو من أنها أصبع خلق يخلق لذلك، ويعضدها تنكير الأصبع»^(١)، وابن عطية لم يتعد عما قاله الزرخشري، إلا أنه تقدّم خطوة في تفسير ضحك النبي ﷺ بالإنكار لما أورده الخبر اليهودي؛ ولكنه عاد فأثبت الإصبع على نحو المجاز، ولو سائر معنى الإنكار لكل ما أورده اليهودي لكان على جادة الرّشاد، وبعدهما يأتي ابن عاشور (ت: ١٣٩٣ هـ) فيحوم حول موضع العقدة إلا أنه يتراجع في آخر الأمر، ونجد ذلك في قوله بعدما رجّح الظن والحسبان من لدن الراوي في فهمه لضحك النبي بأنه (تَصْدِيقٌ لِقَوْلِ الْحَبْرِ): «وَإِنَّمَا كَانَ ضَحْكُ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) اسْتَهْزَاءً بِالْحَبْرِ فِي ظَنِّهِ أَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَأَنَّ لَهُ يَدًا

وَأَصَابِعَ حَسَبَ اعْتِقَادِ الْيَهُودِ التَّجْسِيمِ، وَلِذَلِكَ أَعَقَبَهُ بِقِرَاءَةِ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾؛ لِأَنَّ افْتِتَاحَهَا يَشْتَمِلُ عَلَى إِبْطَالِ مَا تَوَهَّمَهُ الْحَبْرُ وَنُظْرَاؤُهُ مِنَ الْجِسْمِيَّةِ، وَذَلِكَ مَعْرُوفٌ مِنْ اعْتِقَادِهِمْ، وَقَدْ رَدَّهُ الْقُرْآنُ عَلَيْهِمْ غَيْرَ مَرَّةٍ مِمَّا هُوَ مَعْلُومٌ، فَلَمْ يَخْتَجِ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) إِلَى التَّصْرِيحِ بِإِبْطَالِهِ، وَاكْتَفَى بِالْإِشَارَةِ الَّتِي يَفْهَمُهَا الْمُؤْمِنُونَ، ثُمَّ أَشَارَ إِلَى أَنَّ مَا تَوَهَّمَهُ الْيَهُودِيُّ تَوَزِيعًا عَلَى الْأَصَابِعِ إِنَّمَا هُوَ مَجَازٌ عَنِ الْأَخْذِ وَالتَّصَرُّفِ»^(٢)، ولم نجد تلك الإشارة إلى المجاز التي أسندها ابن عاشور إلى النبي ﷺ في نصّ الحديث السابق، وإنما هو فهمه من الرواية وما عقله من فعل النبي ﷺ، إلا أنه قد وضع يده على الجرح بعد ما فهم حقيقة ضحك النبي ﷺ على قول اليهودي؛ ولكنه تراجع وأثبت ما قاله اليهودي على نحو المجاز.

أما أئمة أهل البيت عليهم السلام فقد بينوا من ذي قبل ما لم يستطع المفسّرون بيانه، فرفضوا القبضة واليمين واليد وغيرها، وأسندوا ذلك إلى قول المشبهة من اليهود وغيرهم، وقد أوضح ذلك الإمام علي بن محمد الهادي (ت: ٢٥٤ هـ) ﷺ في

(٢) الطاهر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٤، ص ٦٣.

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج ٤، ص ٥٤١.



العدد: الثامن

السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

معرض تحليله للآية محلّ النظر بقوله: «ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه، ألا ترى أنّه قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومعناه إذ قالوا: إنّ ﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، كما قال (عليه السلام): ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، ثمّ نزّه (عليه السلام) نفسه عن القبضة واليمين، فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١). فالإمام علي الهادي عليه السلام يفرز المشاركات الخطابية في داخل الآية الكريمة، فبيّن الخطاب المنسوب للفظ الجلالة فضلاً عن نقله لمشاركات الآخرين، ثمّ الرد عليها من لدنه سبحانه، وبذلك توضّحت القصديّة من الآية الكريمة، إذ تبين أنّ هناك حدثاً تخاطبياً فحواه يتضمّن قول المجسّمة الذي

نقله الله تعالى بقوله: ﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾، فردّ عليهم الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ أسندوا له القبضة واليمين، ثمّ نزّه الله تعالى نفسه عن ذلك فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ثمّ استدلّ الإمام علي الهادي عليه السلام على ما قدّم من قراءة بالاستعمال القرآني الشبيه بالحدث التخاطبي الذي نحن بصدده، فقال: إنّ لذلك نظيراً وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾، فيكون المعنى وما قدروا الله حقّ قدره إذ قالوا الأرض قبضته والسموات مطويات بيمينه، وبذلك ميّز الإمام عليه السلام بين المشاركات في الخطاب، وأسند كلّ مشاركة إلى أصحابها، ويمكن توضيح المشاركات التخاطبية في الآية محلّ النظر أكثر بما يأتي:

- الخطاب المنسوب للفظ الجلالة في اعتراضه على المجسّمة: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾.

- مشاركة المجسّمة في وصفهم لله تعالى: ﴿الْأَرْضَ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾.

- خطاب الله تعالى في

(١) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١٦٠ - ١٦١، الشيخ الصدوق، معاني الأخبار، ص ١٤، البحراني، السيد هاشم، البرهان في تفسير القرآن، ج ٢، ٤٥٠، ج ٤، ص ٧٢٧، المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١ - ٢، الشيخ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج ٤، ص ٤٩٩، المشهدي، الشيخ محمد بن محمد رضا، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، ج ١١، ص ٣٣٢، مؤسسة ولي العصر، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج ٢، ص ٢٢.



تنزيه نفسه من وصف المجسّمة: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

وبذلك اتّضحت جوانب الخطاب في الآية الكريمة، وأجاب الإمام عليه السلام في تحليله عن أهم أسئلة التداولية وهي: من القائل؟ وماذا يقصد بقوله؟

ولو رجعنا إلى رواية الخبر اليهودي لوجدناها تنطبق تماماً مع تحليل الإمام عليه السلام، ذلك أنّه لما تحدّث الخبر اليهودي فأُسند التجسيم لله تعالى عبر تشبيهه بخلقه ضحك النبي ﷺ من سداجة تفكيره وعقيدته، فكان فعله تهكماً واستهزاءً بما أورده الخبر من عقيدة فاسدة، ولذلك أجابه بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ومّا سبق تبينّت الخطورة التي ترشّحت من عدم الدقّة في فرز المشاركات التخاطبية داخل الخطاب القرآني، وتمييز المشاركات الخطابية المسندة لله تعالى من غيرها؛ لكي لا نقع فيما وقع به بعض المسلمين من اعتماد قول المجسّمة بوصفها مشاركةً لربّ العالمين، ومن ثمّ الاعتماد عليها في التقنين العقائدي. وقد أشار

العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ) إلى هذا التفرد التفسيري لأهل البيت عليه السلام في بيان هذه الآية^(١).

المبحث الثاني

الخطاب القرآني بين آنية السبب واستمرارية الحدث:

الخطاب القرآني حدثٌ بمجريات تواصلية مستمرة تُحاكي عالم الحياة بمفاهيمها المتعدّدة، على وفق رؤية الخالق في بناء الكون والإنسان؛ ولذلك فهو يعلو على حدّ الزمان ولا يحيط به المكان، لم يؤلّف ليكون معزولاً بنطاقٍ معيّن وعند فئةٍ محدّدة وبأحداثٍ مخصوصة؛ بل هو دستور ينتظم به الكون بأسره، تبلى الحياة ولا تبلى معالمه، يُدرّس الأجيال ولا تدّرس معارفه، هو رسالة السماء لكلّ بني البشر.

وهذه النظرة للخطاب القرآني تجعله خارج نطاق الأسباب الآنية الموجهة للإنتاج، وخارج إطار الحوادث المصاحبة لأوقات نزوله؛ لأنّه لم يأت ليعالج ظواهر آنية في مجتمع محدّد؛ ولكن هذا لا يمنع أن يكون ابن بيئته في بعض الحثيات، وأن يكون مقنناً لبعض حوادث عصر نزوله، ممّا يجعل تلك الحوادث ذات علاقة محورية

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١ - ٢.



وَيَبَيِّنُ نَزْوِهَا»^(٣)، ولسنا مع الاثنين؛ لأنَّ حصر فهم الآية بسبب النزول حصرٌ لبيان القرآن الصالح به قول الله تبارك وتعالى، وكذلك ترك هذه الأسباب بالجملة حرماناً من آثارٍ مهمّةٍ حاكتها بعض آيات الخطاب القرآني، والأسلم في رأينا هو اعتماد هذه الأسباب في الآيات التي لا تتّضح إلّا بالكشف عن الحادثة التي رافقت نزولها، وهي قليلة جداً إذا ما قورنت بالجانب الآخر، أمّا اتّخاذ هذه الأسباب بوصفها طريقاً رئيساً في فهم الخطاب القرآني بشكلٍ عام فلا نتوافق معه؛ لما يؤدّي إلى انحسار الخطاب القرآني بتلك الحوادث الضيقة وجعل الحاكميّة لتلك الحوادث على القصديّة العامّة للقرآن الكريم، فضلاً عن عدم الاتّفاق بين المسلمين على تلك الأسباب إلّا في القليل منها، وقد قال العلامة الطباطبائي: «إنَّ الأهداف القرآنية العالية التي هي المعارف العالمية الدائمة لا تحتاج كثيراً، أو لا تحتاج أبداً إلى أسباب النزول»^(٤)، والقرآن بمجمله أهداف

في الكشف عن بعض ملاسبات جوانبه، وهذا المفهوم أطلق عليه قديماً بـ (أسباب النزول)، التي وصفت بأنّها الدواعي التي نزلت الآيات القرآنية بسببها فصارت متضمّنة لها ومبيّنة لأحكامها، وقد قُسم الخطاب القرآني بالنظر إلى هذه الأسباب على قسمين: الأول، الآيات النازلة ابتداءً من دون علاقةٍ بالأسباب الخارجية كالسؤال، والآخر، الآيات النازلة عقب حادثةٍ أو سؤال، من قبيل: آيات الظهار في سورة المجادلة، وآية السؤال عن الخمر والميسر، إلى غير ذلك^(١). وقد تعامل الباحثون مع أسباب النزول بتباينٍ مفرط وتطرفٍ غير مسوّغ، فقال بعضهم: «إنّه لَا طَائِلَ تَحْتَ هَذَا الْفَنِّ؛ لِجَرَيَانِهِ مَجْرَى التَّارِيخِ»^(٢)، وقال آخرون عنها: «هِيَ أَوْفَى مَا يَجِبُ الْوُقُوفُ عَلَيْهَا، وَأَوَّلَى مَا تُصَرَفُ الْعِنَايَةُ إِلَيْهَا، لِامْتِنَاعِ مَعْرِفَةِ تَفْسِيرِ الْآيَةِ وَقَصْدِ سَبِيلِهَا، دُونَ الْوُقُوفِ عَلَى قِصَّتِهَا

(١) ينظر: السيوطي، جلال الدّين، الإتيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٧، البوطي، محمد سعيد رمضان، من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله (ﷻ)، ص ٣٧، معجم علوم القرآن، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) الإتيقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٠٧، ٧٢. كفاي، محمد عبد السلام الشريف عبد الله، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، ص ٦٣.

(٣) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، أسباب نزول القرآن، ص ٨، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، العجّاب في بيان الأسباب، ج ١، ص ٩٦.

(٤) السيد الطباطبائي، القرآن في الإسلام،



مَجْلَدُ الْقُرْآنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

بمعارف عالميّة دائمة، إِلَّا أَنَّا لَا نُنْكِرُ تَعَلُّقَ بعض الآيات بأسباب نزولها، ممّا يجعل من تلك الأسباب قرائن فاعلة في الوصول إلى قصدية الخطاب القرآني . ومن هنا تدخل التداولية بإجراءاتها التأويلية المتنوعة بهدف الوصول إلى قصديّة الخطاب، عبر الاستعانة بالظروف الخارجيّة المصاحبة لحدث الخطاب، بوصفها مؤثّراً في الانتاج التخاطبي عبر السياقات التاريخية والاجتماعية والثقافية^(١)، ممّا أظهر المقام جزءاً أساساً في مجمل إجراءات تحليل الخطاب على وفق الرؤية التداولية^(٢). وقد عمّد أهل البيت عليهم السلام إلى توظيف أسباب النزول بوصفها كاشفاً وموضّحاً لبعض مواضع الخطاب القرآني، ممّا يتوقف فهمه على استيضاح الأسباب التي رافقت حدث نزوله، ومن تلك المواضع قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ ص ١٢٦.

(١) ينظر: العياشي، أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، ص ١٠٨.

(٢) عكاشة، محمود أحمد، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة، ص ١٤.

[يونس: ٩٤].

حملت هذه الآية الكريمة حمولة دلاليّة فحواها نسبة الشكّ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، والشكّ: «هو توقف النفس فيما يخطر بالبال عن اعتقاده على ما هو به، وعلى ما ليس به»^(٣). وقد شكّل ذلك فصلاً من التجاذب بين المفسّرين أدّى إلى الخروج بجملة من التفسيرات، فحواها ما بين مثبت الشكّ على الرسول، ونافٍ له، ويمكن أن نصنّف آراءهم على الشكل الآتي:

أولاً: أصحاب الفريق الأول (مثبتو الشكّ) وهم أيضاً على صنفين:

١. مثبتو الشكّ على جهة الحقيقة، وهؤلاء قالوا بأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أصابه الشكّ على جهة الحقيقة، ومن جملة ما قالوا في ذلك: أمر الله تعالى نبيّه إذا حصل عنده شكّ فليسأل أهل الكتاب الصالحين كعبد الله بن سلام وأصحابه، وعندها قال النبي صلّى الله عليه وآله: «لا أشكّ ولا أسأل بعد، أشهد أنّه الحقّ من عند الله»^(٤)، وعن ابن عبّاس في

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٣٠.

(٤) ابن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٢٤٨.



البشر، وَكَانَ حُصُولُ الْخَوَاطِرِ الْمُشَوَّشَةِ
وَالْأَفْكَارِ الْمُضْطَرِبَةِ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْجَائِزَاتِ،
وَتِلْكَ الْخَوَاطِرُ لَا تَنْدَفِعُ إِلَّا بِإِيرَادِ الدَّلَائِلِ
وَتَقْرِيرِ الْبَيِّنَاتِ، فَهُوَ تَعَالَى أَنْزَلَ هَذَا النَّوعَ
مِنَ التَّقْرِيرَاتِ حَتَّى أَنْ يَسْبِيَهَا تَزُولَ عَنْ
خَاطِرِهِ تِلْكَ الْوَسَاوِسُ»^(٥).

٢. مَثَبُو الشَّكِّ عَلَى جِهَةِ الْمَجَازِ،
وهؤلاء رفضوا نسبة الشكِّ إلى الرسول
على جهة الحقيقة؛ لَأَنَّهُ «لَوْ كَانَ شَاكًّا فِي
نُبُوَّةِ نَفْسِهِ لَكَانَ شَكُّ غَيْرِهِ فِي نُبُوَّتِهِ أَوَّلَى،
وَهَذَا يُوجِبُ سُقُوطَ الشَّرِيعَةِ بِالْكُلِّيَّةِ»^(٦)،
ولذلك رفضوا ما انتهى إليه الفريق الأول
وأولوا الشكَّ على جملة أقوالٍ نصَّفتها على
شعبتين:

الأولى، قالوا بأنَّ المخاطب في الآية
رسول الله ﷺ والمقصود به غيره على عادة
العرب في كلامهم، وهذا المقصود فُسر
بجملة تفسيراتٍ نوردها على النحو الآتي:

١. ذهب فريق إلى أَنَّ الخطاب
موجَّه إلى الرسول ﷺ إِلَّا أَنَّ المقصود به
كلُّ الخلق، والغرض من ذلك أن يسأل

معنى ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ﴾ قَالَ: اسأَلْ أَهْلَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ
مَنْ عَاصِرُكَ «إِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ بِأَنَّكَ
مَكْتُوبٌ عَنْدهُمْ»^(١)، وعن ابن عباس في
رجل شكَّاه من الشكِّ فقال له: «مَا نَجَى
مِنْ هَذَا أَحَدٌ حَتَّى نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ (صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم): ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي
شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرءُونَ
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾»^(٢)، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:
إِنَّ شَكَّهُ كَانَ فِي «الابْتِدَاءِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ أَنَّهُ
يُوحَى إِلَيْهِ أَوْ لَا»^(٣)، وفي مسألة جَوَازِهِ عَلَى
الرسول قالوا: «كَانَ جَائِزًا عَلَى الرَّسُولِ
(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم) وَسُوسَةُ
الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الْمَجَاهِدَةَ فِي رَدِّهَا يَسْتَحِقُّ
عَلَيْهَا عَظِيمُ الثَّوَابِ... وَكَانَ يَضِيقُ
صَدْرُهُ مِنْ ذَلِكَ»^(٤)، وكذلك هو «مِنْ

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٢،
ص ٢٨٦، التفسير المأمون على منهج التنزيل
والصحيح المسنون، ج ٣، ص ٦٧٨.

(٢) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٦،
ص ١٩٨٥، ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية في علم
معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون
علومه، ج ٥، ص ٣٣٢٦.

(٣) الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٦،
ص ٨٣ - ٨٤.

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن،
ج ٥، ص ١٥٠، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨،

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠.

الجميع؛ لأن لا يشكُّوا أو يرتدُّوا^(١).

٢. إِنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ الْأَمَّةُ^(٢)، وَعَلَى
هَذَا تَكُونُ (فِي) الْوَاقِعَةِ فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى
الْظَّرْفِيَّةِ عَلَى تَقْدِيرِ: «فَإِنْ كُنْتَ فِي قَوْمِ أَهْلِ
شَكٍّ مِمَّا أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ، أَيْ يَشْكُونَ فِي وُقُوعِ
هَذِهِ الْقِصَصِ، كَمَا يُقَالُ: دَخَلَ فِي الْفِتْنَةِ،
أَيِّ فِي أَهْلِهَا، وَيَكُونُ مَعْنَى ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ
يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، فَاسْأَلِ أَهْلَ
الْكِتَابِ سُؤَالَ تَقْرِيرٍ وَإِشْهَادٍ عَنْ صِفَةِ
تِلْكَ الْأَخْبَارِ يُخْبِرُوا بِمِثْلِ مَا أَخْبَرْتَهُمْ بِهِ،
فَيَزُولُ الشَّكُّ مِنْ نَفُوسِ أَهْلِ الشَّكِّ، إِذْ لَا
يُحْتَمَلُ تَوَاطُؤُكَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى صِفَةِ
وَاحِدَةٍ لِتِلْكَ الْأَخْبَارِ»^(٣).

٣. المراد بغيره (الشاكين) من أُمَّتِهِ دون سواهم؛ «لأنَّ القرآنَ نزلَ عليه بمذاهبِ العرب، وهم يخاطبون الرجل بشيء، ويريدون به غيره، كما قالوا: إِيَّاكَ أعني، واسمعي يا جارية»^(٤)، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم^(٥)، ويكون تقدير (في) الظاهرة في سياق الآية على الظرفية المجازية، بقصد: «سَوِّى هَذِهِ الْمُحَاوَرَةَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عَلَى طَرِيقَةِ التَّعْرِِيضِ؛ لِقَصْدِ أَنْ يَسْمَعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ فَيَكُونُ اسْتِقْرَارُ حَاصِلِ الْمُحَاوَرَةِ فِي نُفُوسِهِمْ أَمَكَنَ مِمَّا لَوْ أُلْقِيَ إِلَيْهِمْ مُوَاجَهَةً»^(٦).

(٤) بحر العلوم، ج ٢، ص ١٣٢، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٩، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٣٠، البغوي، أبو محمد، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٣٤، الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، ص ١٥٧، زاد المسير في علم التفسير، ج ٢، ص ٣٥٠، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٣٨٢، الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، ج ١٠، ٦١٩٨.

(٥) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج ٢، ص ٥٥٩.

(٦) التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٨٥.

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ج٢، ص٥٥٩، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٥، ص٢٢٦.

(٢) ينظر: تأويلات أهل السنة، ج ٦، ص ٨٣، الشريف الرضي، حقائق التأويل، ص ١٠٤، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٩، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، ج ٥، ٣٣٢٦، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٤٣٤، الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، زاد المسير في علم التفسير، ج ٢، ص ٣٥٠، الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠.

(٣) التحرير والتنوير، ج ١١، ص ٢٨٤.



والتمثيل بما يقوله الرجل لابنه وعبد غير مستقيم؛ لأنَّ الرجل إنَّما يقول لابنه وعبد غير هذا، استزادة لهما، وعند ظهور أمر يكرهه منهما، ونحن لا نطلق على النبي ﷺ مقارنة فعل يكرهه الله سبحانه منه، فيقول تعالى له ما قال تثبتاً على أمره، ورداً له عن الواقعة فعل لا يليق بمثله»^(٢).

٢. أن هذا القول كان نتيجة لقول كفار قريش الذين قالوا «إنَّ هذا الوحي يلقيه إليه الشيطان، فأنزل الله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب فسيخبرونك أنَّه مكتوبٌ عندهم في التوراة، فقال (رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): لا أسأل أحداً، ولا أشك فيه، بل أشهد أنَّه الحق»^(٣).

٣. أن هذا النوع من الخطاب جاء على «جهة التهويل، والمقصود منه تنبيه

وأما الشعبة الثانية، فذهب أصحابها إلى أنَّ المخاطب رسول الله ﷺ والمقصود هو كذلك، وأصحاب هذا الرأي أولوا الشكَّ بجملة تأويلاتٍ منها:

١. أن ذلك جاء على سمت العرب في مخاطبة بعضهم بعضاً، ومن جملة ما عهد عنهم «قَوْلُ الْقَائِلِ مِنْهُمْ لِمَلُوكِهِ: إِنْ كُنْتَ مَمْلُوكِي فَاتَّبِعْهُ إِلَى أَمْرِي؛ وَالْعَبْدُ الْمَأْمُورُ بِذَلِكَ لَا يَشْكُ سَيِّدَهُ الْقَائِلُ لَهُ ذَلِكَ أَنَّهُ عَبْدُهُ، كَذَلِكَ قَوْلُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ لِابْنِهِ: إِنْ كُنْتَ ابْنِي فَبِرِّي؛ وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي ابْنِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِهِمْ صَحِيحٌ مُسْتَفِضٌ فِيهِمْ... هَذَا مِنْ ذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) شَاكًّا فِي حَقِيقَةِ خَبَرِ اللَّهِ وَصِحَّتِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى بِذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ كَانَ عَالِماً؛ وَلَكِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَاطَبُهُ خِطَابَ قَوْمِهِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، إِذْ كَانَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِمْ نَزَلَ»^(١)، وقد أُجيب على هذا الرأي بأنَّه «وهذا القول غير سديد،

(٢) حقائق التأويل، ص ١٠٦.

(٣) بحر العلوم، ج ٢، ص ١٣٢، ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٩، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٣٧٠، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٢، الأندلسي، أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، ج ٦، ص ١٠٦، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ج ٧، ص ١٣٢.

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج ١٢، ص ٢٨٨، ينظر: تأويلات أهل السنة، ج ٦، ص ٨٣، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٩، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمال من فنون علومه، ج ٥، ص ٣٣٢٦، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٣٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٢٢٦.



المعنى: «لسنا نريد أن نأمرك أن تسأل لأنك شكٌّ؛ ولكن لتزداد بصيرة»^(٤).

٢. وهؤلاء قالوا: إنَّ الأمر جاء على جهة الشرط، «وَالْقَضِيَّةُ الشَّرْطِيَّةُ لَا إِشْعَارَ فِيهَا الْبَتَّةَ بِأَنَّ الشَّرْطَ وَقَعَ أَوْ لَمْ يَقَعْ»^(٥).

هذا ما كان من حال المفسرين اتِّجاه النظر في الآية الكريمة محلَّ البحث، وقد توسَّعت آراؤهم حدَّ التناقض، ولا ننكر منطقية بعض ما سبق عرضه من أقوال المفسرين؛ إلَّا أنَّ جُلَّها قد حَمَلَ الخطاب القرآني بحمولاتٍ مبالغاً فيها من حيث المغادرة لروح تركيب الآية وسياقها، فضلاً عن الرفض التام لأيِّ رأيٍ يُسند الشكَّ للرسول ﷺ على جهة الحقيقة بأيِّ شكلٍ أو نسبةٍ مهما كانت؛ لأنَّ ذلك يؤدِّي إلى الخلل بالرسالة جمعاء، إذ لو جاز الشكُّ منه لكان من غيره أولى. أمَّا أهل البيت عليهم السلام فقد اختلفوا تماماً في النظر إلى الآية محلَّ البحث وكلَّ ما سبق عرضه؛ ذلك أنَّهم اعتمدوا على بيان سبب النزول في استكشاف المقام الذي صاحب مجريات

ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، ج ٢، ص ٣٥٠.

(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠.

القوم على ملازمة نهج السبيل، ويقال صفة أهل الخصوص ملاحظة أنفسهم وأحوالهم بعين الاستصغار»^(١).

٤. أنَّ نسبة الشكِّ إلى رسول الله ﷺ على «معنى الفرض والتمثيل، كأنه قيل: فإن وقع لك شكٌّ مثلاً وخُيِّلَ لك الشيطان خبلاً منه تقديراً ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾... فالغرض وصف الأخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله، لا وصف رسول الله بالشكِّ فيه»^(٢).

ثانياً: الفريق النافي لنسبة الشكِّ إلى رسول الله ﷺ، وهؤلاء أوَّلوا الآية الكريمة باحتمالين:

١. أوَّل فريق منهم (إن) بـ (ما) على تقدير: «فما كنت في شكٍّ ممَّا أنزلنا إليك، فاسألوا يا معاشر الناس أنتم دون النبي»^(٣)، وأمَّا من جهة النبي فيكون

(١) القشيري، لطائف الإشارات، ج ٢، ص ١١٥، ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٠٠.

(٢) ينظر: الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ج ٥، ص ١٤٩، التبيان في تفسير القرآن، ج ٥، ص ٤٣٠، مجمع البيان في تفسير القرآن، ج ٥،



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

فالإمام الهادي عليه السلام يستحضر تداولية الحدث بأركانه التخاطبية، فيجيب في تحليله عن أهم الأسئلة التي يسعى المنهج التداولي للإجابة عنها في تحليله، وذلك عبر كشفه عن المتكلم ثم المخاطب ومستواه الفكري الذي عبر عنه بـ (قالت الجهلة)، ثم السبب الذي أدى إلى أن يكون هذا الخطاب بهذا الشكل دون غيره، وهو الإنصاف في المناظرة للطرف الآخر، ثم المعرفة المشتركة والثقافة الحاكمة للطرفين، وهي أهل الكتاب بما يحملون من إرث معرفي عن الأنبياء، وهم في هذا الموطن محل اتفاق بين الرسول والكفرة؛ ذلك أن الكفار يسلّمون بأن أهل الكتاب لديهم ثقافة عن الأنبياء السابقين، وبعد ذلك بين القصد من الخطاب، وهو إلقاء الحجّة عليهم باعتراف أهل الكتاب أن الأنبياء كانوا كحالمهم من البشر من ناحية المأكّل والمشرب والمشّي في الأسواق. إذن فالله تعالى ساوى في الخطاب القاضي بنسبة الشك بين رسوله وبين الطرف الآخر

- ٩٤، البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٨٣٢ - ٨٣٣، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٢٣٣، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ١٢٩، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ص ٧٦ - ٧٧.

الحدث القرآني، ومنه انطلقوا في بيان سبب محاوره الله تعالى لرسوله بهذا النمط التركيبي دون سواه، وقد أفصح عن ذلك الإمام علي بن محمّد الهادي عليه السلام (ت: ٢٥٤ هـ) بقوله: «فإنّ المخاطب في ذلك رسول الله ﷺ، ولم يكن في شكٍّ ممّا أنزل إليه؛ ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من ملائكته، أم كيف لم يفرّق بينه وبين خلقه بالاستغناء عن المأكّل والمشرب والمشّي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ: ﴿فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْقَهُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ تفحص بمحضر كذا من الجهلة، هل بعث الله رسولا قبلك إلا وهو يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق؟، ولك بهم أسوة، وإنّا قال: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ﴾ ولم يكن، ولكن للنّصفه كما قال: ﷺ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]، ولو قال: نبتهل فنجعل لعنة الله عليكم لم يكونا يجوزان للمباهلة، وقد علم الله أن نبيه مؤدّ عنه رسالاته وما هو من الكاذبين، وكذلك عرف النبي أنّه صادق فيما يقول؛ ولكن أحب أن ينصفهم من نفسه»^(١).

(١) الشيخ المفيد، الاختصاص، ص ٩٣



تنزلاً وعلى فرض أن الطرفين متساوون في الشك طلباً للعدالة في الادعاء، وترغيباً لهم بالدعوة إلى حكم الصادقين من أهل الكتاب في حكمهم على قضية لا يمكن لهم نكرانها؛ لكونها من المسلّمات عندهم، وهي صفة الأنبياء وحالهم بوصفهم بشراً ليس غير، وقد قرّب الإمام عليه السلام هذا المفهوم باستعمال آخر للخطاب القرآني، وهو آية المباهلة التي أنصفهم الله تعالى فيها بقوله: ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ ولم يكن من الكاذبين سواهم، إلا أن الإنصاف العلمي في التسليم للمخرجات المتوافق عليه في الحكم يستدعي من الأطراف تقديم أنفسها بخطّ مستقيم، وكذلك لغرض التودد إلى المقابل طمعاً في إيمانه وابتغاء تسليمه بما سيؤول إليه الأمر.

ومما ذكر آنفاً فإن الإمام الهادي عليه السلام استعان بسبب النزول مع الاستحضار الكامل لمجريات الحدث التواصل في الكشف عن قصدية الخطاب القرآني، وهذا بعينه ما تبتغيه التداولية بدراساتها؛ بوصفها إجراءات نظرية وعملية في إعطاء وصف دقيق لمكونات الخطاب إنتاجاً وتأويلاً، سواء أكان من ناحية

دراسة اللغة أم من ناحية استعمالها^(١)، ومن هنا قيل فيها بأنّها: فرع من علم اللغة، يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم، أو هو دراسة معنى المتكلّم؛ لأنّ المتكلّم كثيراً ما يعني أكثر ممّا تقوله كلماته^(٢) كما مرّ بنا في تفسير نسبة الشك إلى الرسول صلّى الله عليه وآله. ومن أجل هذا بعض مسائل صناعة الكلام؛ أولت منهاج تحليل الخطاب اهتمامها البالغ في أثر المقام في انتقاء الملفوظات ووظائفها التداولية ودلالاتها المرجعية^(٣).

المبحث الثالث

أثر المصاحبة المعجمية في تفسير القرآن الكريم:

يُعَدُّ مفهوم المصاحبة «Collocation» من المجالات المهمة في البحث اللغوي، وهي مرتبطة بالعالم الإنكليزي فيرث (Firth)، فهو «أول من وجّه اللغويين المحدثين إلى الجوانب الشكلية المعجمية بعامة وجانب المصاحبة»^(١) ينظر: حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل الخطاب، ص ٦١ - ٦٢.

(٢) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص ١٢ - ١٣.

(٣) ينظر: الشهري، عبد الهادي، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص ١٨ - ٣٠.



شيئين^(٣)، وهذه المعاني لا تنفك حضوراً في التعريفات التي حُدَّت لهذا المصطلح، وسنقف على بعضها، ومنها: ما حدّه فيرث وهو «أن تجيء كلمةً في صحبة كلمةٍ أخرى، على نحوٍ يجعلنا بحكم العادة والألف أن نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين»^(٤)، وتابعه فرانك بالمر فقال عنها: «تعرف الكلمة من خلال قرينتها»^(٥)، في حين عرّفها كلٌّ من هاليداي ورقية حسن بأنّها: «توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة، نظراً لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك»^(٦)، وعُرفت بأنّها «ظاهرة لغوية لا تخفى على المتحدث باللغة المعينة، وهي بشكل عام مجيء كلمةٍ في صحبة كلمةٍ أخرى»^(٧)، أو

(٣) ينظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، ج ٣، ص ١٢٤، ١١. الأزهرى، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج ٤، ص ١٥٤، فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة، ج ٣، ص ٣٣٥، الزمخشري، أساس البلاغة، ج ١، ص ٥٣٧، ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٥٢٠.

(٤) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص ١٦.

(٥) فرانك، بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ص ١٦٩.

(٦) خطابي، محمد، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥.

(٧) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير

بخاصة^(١)، وقد قدّم (فيرث) مفهوم المصاحبة بوصفها جزءاً «من نظريته الشاملة في المعنى، وقد عدّ المستوى المصاحبي في التحليل اللغوي مرحلةً متوسطةً بين المرحلة المقامية (Situational) والمرحلة القواعدية (grammatical)، وقد اقترح أن يُعالج كلياً أو جزئياً مع المعنى المعجمي، أي مع ذلك الجزء من معنى المفردات الذي يعتمد لا على وظائفها في مقام خاص؛ بل على نزوعها إلى أن تترافق في السيّاقات»^(٢).

ولمّا وصل مصطلح (Collocation) إلى العرب تُرجم إلى مقابلاتٍ عربيّةٍ شتّى منها: (المصاحبة المعجمية، التلازم، الاقتران اللفظي، الرّصف والنظم، التضام، قيود التوارد)، إلّا أنّنا نختار مصطلح (المصاحبة المعجمية)؛ لما تحمل مادّته (ص ح ب) من معانٍ تكاد أن تكون المحور في التعريفات الاصطلاحية لهذا المصطلح الوافد، ومن معانيه: الرّفقة والملازمة والاقتران بين

(١) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص ١٣.

(٢) عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص ١٣.



هي الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلماتٍ أخرى معينة دون غيرها^(١)، وقيل: عنها بأنّها: «تجمعاتٌ معجميّةٌ لكلمتين أو أكثر، جرت العادةُ على تلازمها وتكرر حدوثها وترابطها دلاليًّا»^(٢). ولا تختص ظاهرة المصاحبة بلغةٍ دون أخرى؛ بل تشمل كلّ اللغات^(٣)، عموماً من دون استثناء.

أمّا مادّة هذه العلاقة التي تشكّل بين الكلمات داخل المتواليات فهي علاقةٌ معجميّةٌ تستمدُّ قوامها من المستوى المعجمي، وفحوى هذه العلاقة تعتمد على إحالة عنصرٍ لغويٍّ على عنصرٍ لغويٍّ آخر، فيحدث الربط بين أجزاء الخطاب اللغوي، ص ١١.

(١) ينظر: عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٧٤، يونس، محمد محمد، وصف اللغة العربية دلاليًّا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية (دراسة حول المعنى وظلال المعنى)، ص ١٠٣، زكي، حسام الدين كريم، التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه، ص ٣٥.

(٢) ٩٠. هليل، محمد محمد حلمي، في طور التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية إلى الإنجليزية، ص ٢٤٤.

(٣) ينظر: عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، ص ٦. عبد العزيز، محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، ص ١٤٣.

باستمرار المعنى السابق في اللاحق، ممّا يمنح الخطاب صفّة الاتّساق المعجمي بين أجزائه. وهذا الأمر يجعل الوحدات المعجمية تتحرك على نحوٍ منتظمٍ في اتجاه بناء الدلالة الكلية للخطاب^(٤). وقد نظر بعض اللغويين إلى هذه العلاقة فجعلها على أنماطٍ ثلاثيةٍ هي:

أنماطُ المصاحباتِ المعجميّة:

علاقة التضادّ أو التقابل، نحو: (ذكر، أنثى).

علاقة الجزء بالكلّ نحو: (جسم، يد، لسان، أجزاء لجسم الإنسان)^(٥).

الارتباط بموضوعٍ واحد^(٦).

وسنعوّل على النمط الثالث في قراءة التصاحب بين الألفاظ القرآنيّة بوساطة التفسير الموضوعي، أي عبر تفسير الخطاب

(٤) ينظر: فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النصّ النثري، ص ١١٣، عزة، شبل، علم لغة النصّ النظرية والتطبيق، ص ١١٥، ليندة، قياس، لسانيات النصّ النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجاً، ص ١٢٤.

(٥) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥.

(٦) ينظر: لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ٢٥، لسانيات النصّ النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجاً، ص ٣١.



ذلك أنَّ التداعي بين الألفاظ في الخطاب القرآني يختلف عن غيره من الاستعمالات الأخرى؛ لكون القرآن الكريم له نُظمه الخاصّة في الاستعمال واسناد الألفاظ إلى معانٍ خاصّةٍ على وفق سياقاتٍ معيّنة، ممّا قد لا يتوافق مع نظم المعجم في قراءاته لمعاني الألفاظ . وسنسوق مثالين من تفسير الإمام الهادي عليه السلام على نمطين من التصاحب على النحو الآتي:

١. المصاحبة القبلية: وهو التصاحب الذي يتقدّم فيه المفهوم المفسّر على ما يفسّره، وسمّيناها بالقبلية؛ لكون مركز المصاحبة (المفهوم) متقدّم على المادّة اللغويّة التي تُبيّن وتفسّره .

وممّا ينتمي إلى هذا الحقل التحليلي ما ورد عن الإمام الهادي عليه السلام في بيانه لقوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

القرآني بنفسه، وذلك عن طريق إرجاع الآيات التي هي محلّ النظر إلى الآيات التي ترتبط معها بموضوع واحد، ثمّ قراءتها على وفق المصاحبات التي تتشكّل من مجموع الآيتين على وفق السياق الذي يتشكّل من كليهما، وإجراء كهذا لو تمّ فإنّه يُثبت عملياً اتّساق الخطاب القرآني؛ لأنّه يجعل منه خطاباً مترابطاً ومتناسقاً ومتجانساً بعضه ببعض، وقد أشار بيار جيرو (P.Guirand) إلى سمة التصاحب التفسيري للخطاب، وجعلها جزءاً من سماته حينها وصفه «بأنّه يفرز أنماطه الذاتية وسننه العلامية والدلالية؛ فيكون سياقه الدّاخلي هو المرجع، ليقم دلالته حتّى لكأنّ الخطاب هو معجم ذاته»^(١)، وقد كان الخطاب القرآني في كثيرٍ من الأحوال معجماً للذاته ومرجعاً لمكوناته، ولكن اكتشاف هكذا تصاحبات في الخطاب القرآني فيه من الصعوبة ما يحتاج معه إلى حدس لغويّ دقيق، وفهم واعٍ للمفاهيم القرآنية وسياقاتها، ولذلك لا يتسنى للجميع . ومن هنا نصطلح على هكذا مفهوم قرآني بـ (المصاحبات القرآنية)، وهي تختلف عن المصاحبات المعجميّة،

(١) السد، نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج ٢، ص ١٦ .



وَأَخْفَنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿يوسف: ١٠٠ - ١٠١﴾.

هذه الجنبه من الخطاب القرآني توحى لأوّل وهلة بإجازة السجود لغير الله تعالى بدليل سجود النبي يعقوب عليه السلام وزوجته وأولاده لولده النبي يوسف عليه السلام، وقد أثّر هذا التساؤل عند الإمام علي بن محمد الهادي (ت: ٢٥٤ هـ) عليه السلام فأجاب عن ذلك بقوله: «وأما سجود يعقوب عليه السلام وولده فكان طاعة لله ومحبة ليوسف عليه السلام، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم عليه السلام لم يكن لآدم عليه السلام، وإنّما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم عليه السلام، فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَخْفِنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(١).

فالإمام عليه السلام فسّر السجود في الخطاب المذكور آنفاً على أنّه سجود شكر لله تعالى، وهذا المفهوم اقتبسه ممّا تلا الحديث عن السجود، وهو قوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾، وهذه الآية الكريمة تحمل مفهوم الشكر لله تعالى بما حوت من اعتراف يوسف عليه السلام وتعداده لأنعم الله تعالى عليه، وكلّ ذلك ظاهره الشكر لله تعالى، ومن هنا استقى الإمام علي الهادي عليه السلام مفهوم الشكر الذي جعله مصاحباً تفسيرياً للسجود، ولم يقتصر هذه المصاحبة على هذا الموضع فحسب؛ بل ضرب لها مثلاً آخر من الخطاب القرآني، وهو سجود الملائكة لآدم عليه السلام.

على أنّ الإمام الهادي عليه السلام أشار إلى أنّ الإحالة في ﴿لَهُ﴾ التي وردت في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوْا لَهُ سُجْدًا﴾ مرجعها إلى الله تعالى وليس ليوسف عليه السلام بدليل قوله عليه السلام: (فسجود يعقوب عليه السلام وولده ويوسف عليه السلام معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم)، فكيف يكون السجود ليوسف عليه السلام وهو معهم ساجد لله تعالى يناجيه ويشكره بتعداد نعمائه عليه، أمّا الدليل على أنّ الإحالة مرجعها إلى الله تعالى فبقريئة عدم إباحة السجود إلّا له سبحانه، وهذا النوع

(١) المفيد، الاختصاص، ص ٩٣، الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول عليه السلام، ص ٤٧٨، البرهان في تفسير القرآن، ج ٤، ص ٨٣٢، المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٨٧ - ٣٨٨، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، ج ٢، ص ٥١ - ٥٢.



الذُكُورَ * أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ
مَنْ يَشَاءُ عَاقِبًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ [الشورى: ٤٩ - ٥٠].

سأل يحيى بن أكثم الإمام علي بن
محمد الهادي عن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ
ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠] بقوله:
«أيزوج الله عباده الذكران، وقد عاقب
قوماً فعلوا ذلك؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «أي
يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال: لكل
اثنين مقترنين زوجان كل واحد منهما زوج،
ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبست
به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب
المأثم، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا *
يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا» [الفرقان: ٦٨ - ٦٩] (١).

فالإمام الهادي عليه السلام أرجع مفهوم
﴿يُزَوِّجُهُمْ﴾ إلى ما قبله واستنتج له تفسيراً
وتوضيحاً لدلالته، وقد اعتمد في ذلك على
(يخلق ويهب)، فالله تعالى يخلق في الأرحام
ما يشاء ثم يهب لمن يشاء الإناث ولمن يشاء
الذكور، ثم هناك مسار آخر وهو التزويج،
أي يقرن بهبته الإناث والذكور فتتشكل

(١) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل
الرسول ﷺ، ص ٤٧٩، الحر العاملي، وسائل
الشيعة، ج ٢٠، ص ٣٣٣، المجلسي، بحار
الأنوار، ج ٧٦، ص ٦٩.

من الإحالة يُسَمَّى إحالةً بعديّة؛ ذلك أنّ
الإحالة ذكرت قبل مرجعها، والدليل على
ذلك بحسب معطيات السياق أنّ الإحالة
وردت في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّدًا﴾،
ثم بيّن الذكر الذي تلاه يوسف عليه السلام
في قوله تعالى: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي﴾ فتكون
لفظة ﴿رَبِّ﴾ هي مرجع الإحالة وإن
كانت بصورة غير مباشرة.

ومما تقدّم يظهر من تحليل الإمام عليه السلام
أنّ الخطاب القرآني وحدةٌ متّسقةٌ ببنيتها
الشكلية ومنسجمةٌ بدوالها المعنوية، وأنّه
لا يكاد يترك فجوةً معرفيّةً إلّا فسّرها وبيّن
مغزاها عن طريق تكوين علاقةٍ تصاحبيةٍ
بين طرفي العمليّة التفسيرية، وهذا
الأسلوب منح الخطاب القرآني اتّساقاً
راسخاً بين جزئياته، وانسجاماً عالياً في
مضامينه اللغويّة.

٢. الْمُصَاحَبَةُ الْبَعْدِيَّةُ:

ونقصد بها تقدّم مادّة لغوية تكون
بيّناً وتفسيراً لمفهوم تالٍ لها، بحيث يكون
المفسّر سابقاً للمفسّر، ومما ورد بهذا الشأن
ما جاء عن الإمام علي بن محمد الهادي
(ت: ٢٥٤ هـ) عليه السلام في معرض بيانه لقوله
تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ
مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ



مَجْلَدُ الْقُرْآنِ

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الأزواج بما تحمل من اقتران بين اثنين: الأنثى والذكر، وبعبارة أخرى يكون مفهوم الأزواج هو خلاف الفرد، أي بهيئة التوائم .

فتشكلت المصاحبة بين مفهوم «يُزَوِّجُهُمْ» وبين المادة اللغوية التي قبله بوصفها تفسيراً له، وهذا الاقتران بين جهتي عملية التفسير منح الخطاب اتساقاً على مستوى تعالق الألفاظ بعضها ببعض، وانسجاماً على أساس علاقة المفسر بالمفسر، وهذا الأسلوب بالتأليف يجعل من الخطاب كتلة متماسكة الاطراف ومتسقة الأجزاء .

ومما سبق تتبين رؤية ولو على نحو الإيجاز بالأسس التي اعتمدها الإمام الهادي عليه السلام في تفسير القرآن الكريم وتحليل خطابه، وقد كانت تلك الأسس في كثير منها غائبة عن كثير من المفسرين مما جعلهم يقعون في اشتباهات كثيرة.

الخاتمة:

للخطاب القرآني أسس وقواعد لابد من الإحاطة بها قبل أن إصدار الأحكام، وتلك الأسس مكمّنها الأول عند أهل البيت عليه السلام؛ بوصفهم عدل القرآن والقفل الموازي له.

ظهر جلياً أهمية معرفة مرجعيّات المشاركات الخطابيّة في القرآن الكريم، وتميز مشاركات الله تعالى عن غيره ممّا نقلها تعالى عن غيره في كتابه، وقد كان للإمام الهادي عليه السلام جهدٌ في بيان نماذج منها.

لا يمكن في كثير من الأحيان فصل أسباب النزول عن الآيات المرتبطة بها، وقد تبين أهميّتها التفسيرية عند الإمام الهادي عليه السلام، على أنّنا لا نجعلها حداً للدلالة القرآنية بقدر ما نجعلها قرينة على بيان تلك الدلالة.

تُشكّل المصاحبات بين الألفاظ القرآنية مادّة خصبة في تحليل الخطاب القرآني وتفسيره، وقد بينت الدراسة منها نمطين: مصاحبة قبلية وأخرى بعدية.

أظهرت الدراسة بشيء موجز أهمية تفسير الإمام الهادي عليه السلام وخصوبته المعرفية بما قرّره من نماذج وما بيّنته بالمقارنة مع التفاسير المعتمدة عند المسلمين.

المصادر والمراجع:

طوق النجاة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١ هـ، ٢٠٠١ م.

٥. الأزهرى، أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: ٣٧٠ هـ)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.

٦. آل مريع، أحمد بن علي، الخطاب الجنون الحضور الفيزيائي والغياب الثقافي، شركة العبيكان للتعليم، الرياض، ط ١، ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م.

٧. إمبرتو، إيكو، القارئ في الحكاية - التعاضد التأويل في النصوص الحكائية، ترجمة، انطوان أبو زيد، ط ١، ١٩٩٦ م.

٨. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين (ت: ٧٤٥ هـ)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د ط)، ١٤٢٠ هـ.

٩. الباردي، محمد، إنشائية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٤ م.

١٠. البازعي، سعد، الرويلي، ميجان، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، بيروت، لبنان،

١. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت: ٣٢٧ هـ)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط ٣، ١٤١٩ هـ.

٢. ابن فورك، الإمام العلامة أبو بكر محمد بن الحسن (ت: ٤٠٦ هـ)، تفسير ابن فورك - من أول سورة نوح - إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق سهيمة بنت محمد سعيد محمد أحمد بخاري، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ط ١: ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١ هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤ هـ.

٤. الأرمي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله العلوي الهري الشافعي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار



ط ٤، ٢٠٠٥ م.

١١. البحراني، السيد هاشم (ت):
١١٠٧هـ)، البرهان في تفسير القرآن،
تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة
البعثة، قم، (د ط)، (د ت).

١٢. البخاري، الجامع المسند الصحيح
المختصر من أمور رسول الله (صلى الله
عليه وسلم) وسننه وأيامه - صحيح
البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله
الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر
الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن
السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد
عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

١٣. البغوي، أبو محمد الحسين بن
مسعود محيي السنة (ت: ٥١٠هـ)، معالم
التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي،
حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر
- عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم
الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤،
١٤١٧هـ، ١٩٩٧ م.

١٤. البوطي، محمد سعيد رمضان، من
روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في
كتاب الله (عز وجل)، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.

١٥. التهانوي، محمد بن علي بن القاضي

محمد حامد بن محمد صابر(ت): بعد
١١٥٨هـ)، موسوعة كشاف اصطلاحات
الفنون والعلوم، تقديم وإشراف ومراجعة
رفيق العجم، تحقيق علي دحروج،
نقل النص الفارسي إلى العربية عبد الله
الخالدي، الترجمة الأجنبية جورج زيناني،
مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت، ط ١،
١٩٩٦ م.

١٦. الثعلبي، أبو الحسن سيد الدين
علي بن أبي علي بن محمد بن سالم (ت):
٦٣١هـ)، الإحكام في أصول الأحكام،
تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب
الإسلامي، بيروت، دمشق، لبنان (د ط)،
(د ت).

١٧. الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن
إبراهيم (ت: ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان
عن تفسير القرآن، تحقيق مجموعة من
الباحثين، أشرف على إخراجهِ صلاح
باعثمان، حسن الغزالي، زيد مهارش،
أمين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية
السعودية، ط ١، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥ م.

١٨. الجرمي، إبراهيم محمد، معجم
علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط ١،
١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ م.

١٩. الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد



الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ)،
تذكرة الأريب في تفسير الغريب - غريب
القرآن الكريم، تحقيق طارق فتحي السيد،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١،
١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٢٦. دومنيك، مانغونو، المصطلحات
المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد
يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون،
بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف،
الجزائر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م.

٢٠. الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ)،
وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت
٢١. لإحياء التراث، ط٢، مهر، قم،
١٤١٤هـ.

٢٢. الحراني، ابن شعبة (ت: ق ٤)،
تحف العقول عن آل الرسول، تصحيح
وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٣٦٣ ش.

٢٣. حمداوي، جميل، التداوليات وتحليل
الخطاب، ط١، ٢٠١٥م.

٢٤. خطابي، محمد، لسانيات النص
مدخل إلى انسجام الخطاب، دار توبقال،
الدار البيضاء، ط٣، ١٤١٩هـ، ٢٠٠٧م.

٢٥. الدمشقي، أبو الفداء إسماعيل بن
عمر بن كثير القرشي البصري ثم (ت:
٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق
سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر
والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٢٩. الزحيلي، محمد مصطفى، الوجيز في
أصول الفقه الإسلامي، دار الخير للطباعة
والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط٢،
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠. زكي، حسام الدين كريم، التحليل
الدلالي لإجراءاته ومناهجه، دار غريب،
القاهرة، ٢٠٠٠م.

٣١. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن
عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)،



الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار

الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٢. الزخشي، أبو القاسم محمود بن

عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨ هـ)،

أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون

السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م.

٣٣. السد، نور الدين، الأسلوبية

وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر

والتوزيع، (د ط)، الجزائر، ١٩٩٧ م.

٣٤. السمرقندي، أبو الليث نصر بن

محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: ٣٧٣ هـ)،

بحر العلوم، (د ط)، (د ت).

٣٥. السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)،

القرآن في الإسلام، تعريب السيد

أحمد الحسيني، (د ط)، (د ت).

٣٦. السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)،

الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة

النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين

بقم المشرفة، (د ط)، (د ت).

٣٧. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر،

جلال الدين (ت: ٩١١ هـ)، الإتيقان في

علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل

إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،

(د ط)، ١٣٩٤ هـ، ١٩٧٤ م.

٣٨. الشاوش، محمد، أصول تحليل

الخطاب في النظرية النحوية العربية،

جامعة منوبة، كلية الآداب، تونس،

المؤسسة العربية للتوزيع، بيروت - لبنان،

ط ١، ٢٠٠١ م.

٣٩. شبل، عزة، علم لغة النص

النظرية والتطبيق، تقييم سليمان العطار،

مكتبة الآداب، القاهرة، ط ٢، ١٤٣٠ هـ،

٢٠٠٩ م.

٤٠. شرشار، عبد القادر، تحليل

الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات

اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،

٢٠٠٦ م.

٤١. شريد، صائل رشدي، عناصر

تحقيق الدلالة العربية "دراسة لسانية"

الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١،

٢٠٠٤ م.

٤٢. الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ)،

حقائق التأويل، شرح محمد رضا آل

كاشف الغطاء، دار المهاجر للطباعة

والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٣. الشريف الرضي، تلخيص البيان

في مجازات القرآن، حققه وقدم له وصنع



٤٩. الشيخ الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ)،
مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق
وتعليق لجنة من العلماء والمحققين
الأخصائيين، تقديم السيد محسن الأمين
العالمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،
بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م.
٥٠. الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)،
التيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح،
أحمد حبيب قصير العالمي، مطبعة مكتب
الإعلام الإسلامي، ط١، رمضان المبارك
١٤٠٩ هـ.

٥١. صحراوي، إبراهيم، تحليل
الخطاب الأدبي - دراسة تطبيقية، دار
الآفاق، ط١، ١٩٨٨ م.

٥٢. الطاهر، ابن عاشور محمد بن محمد
بن محمد الطاهر (ت: ١٣٩٣ هـ)، التحرير
والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير
العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد،
الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

٥٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير
بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، (ت:
٣١٠ هـ)، تفسير الطبري - جامع البيان
عن تأويل آي القرآن، تحقيق عبد الله بن
عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز
البحوث والدراسات الإسلامية بدار

فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار
إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي
وشركاه، القاهرة، ط١، ١٣٧٤ هـ،
١٩٥٥ م.

٤٤. الشعراوي، محمد متولي (ت:
١٤١٨ هـ)، تفسير الشعراوي، الخواطر،
مطابع أخبار اليوم، (د ط)، (د ت).

٤٥. الشهري، عبد الهادي بن ظافر،
استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية
تداولية، ط١، ٢٠٠٤ م.

٤٦. الشيخ الحويزي (ت: ١١١٢ هـ)،
تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق
السيد هاشم الرسولي المحلاتي، مؤسسة
إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم،
ط٤، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش.

٤٧. الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)،
التوحيد، تصحيح وتعليق: السيد
هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر
الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
المشرفة، (د ط)، (د ت).

٤٨. الشيخ الصدوق (ت: ٣٨١ هـ)،
معاني الأخبار، تصحيح وتعليق علي أكبر
الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة
لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د ط)،
١٣٧٩، ١٣٣٨ ش.



هجر عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٦٠. العربي، ربيعة، الحد بين النص والخطاب، مجلة علامات، العدد ٣، ٢٠١٠م.

٥٤. الطنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١، (د ت).

٦١. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، العجائب في بيان الأسباب، تحقيق عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، (د ط)، (د ت).

٥٥. ظاظا، حسن، كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

٦٢. عكاشة، محمود أحمد، تحليل الخطاب في ضوء نظرية أحداث اللغة - دراسة تطبيقية لأساليب التأثير والإقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القرآن الكريم، ط١، ٢٠١٤م.

٥٦. عبد العزيز، محمد حسن، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، ١٩٩٠م، ١٤١٠هـ.

٦٣. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ١٩٩٨م.

٥٧. عبد العزيز، محمد حسن، مدخل إلى علم اللغة، القاهرة، ط: ٢، ١٩٨٨م، ١٤٠٩هـ.

٦٤. العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م.

٥٨. عبد زيد، هيام، الخطاب النقدي العربي المعاصر وعلاقته بمناهج النقد الغربي، دار تموز للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، (د ط)، ٢٠١٢م.

٦٥. الغرناطي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ٥٩. العتوم، مهى محمود إبراهيم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث دراسة مقارنة في النظرية والمنهج، أطروحة دكتوراه، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٤م.

١٤١٦ هـ.

٦٦. فرانك، بالمر، مدخل إلى علم الدلالة، ترجمة خالد جمعة، مكتبة دار العروبة، الكويت، ط١، ١٩٩٧ م.

٦٧. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠ هـ)، العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت).

٦٨. فرج، حسام أحمد، نظرية علم النص، رؤية منهجية في بناء النص الثري، تقديم سليمان العطار، محمود فهمي حجازي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧ م.

٦٩. فرنسوانز، أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الاتحاد القومي، الرباط، المغرب، (د ط)، ١٩٨٦ م.

٧٠. القرطبي المالكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي (ت: ٤٣٧ هـ)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث

العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف الشاهد البوشيخي، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ، ٢٠٠٨ م.

٧١. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (ت: ٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٤ م.

٧٢. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: ٤٦٥ هـ)، لطائف الإشارات - تفسير القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، (د ت).

٧٣. كفا في محمد عبد السلام، الشريف، عبد الله، في علوم القرآن دراسات ومحاضرات، دار النهضة العربية، بيروت، (د ط)، (د ت).

٧٤. كلاوس، برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج، ترجمه وعلق عليه ومهد له سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار، القاهرة،



ط١، ١٣٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٧٥. ليندة، قياس، لسانيات النص النظرية والتطبيق - مقامات الهمذاني أنموذجا، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.

٧٦. الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (ت: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي - تأويلات أهل السنة، تحقيق مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٧٧. مأمون، حموش، التفسير المأمون على منهج التنزيل والصحيح المسنون تفسير القرآن الكريم على منهاج الأصول العظمين - الوحيين: القرآن والسنة الصحيحة - على فهم الصحابة والتابعين، تفسير منهجي فقهي شامل معاصر، المدقق اللغوي أحمد راتب حموش، ط١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.

٧٨. المجلسي، العلامة محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار تحقيق يحيى العابدي الزنجاني، عبد الرحيم الرباني الشيرازي، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ط٢ المصححة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٧٩. المروزي، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد السمعاني التميمي

الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تفسير القرآن، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٨٠. المشهدي، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي (ت: ١١٢٥هـ)، تفسير كنز الدقائق و بحر الغرائب، تحقيق حسين درگاهي، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٨١. مشيل فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يفوت، مركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٧م.

٨٢. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان الحارثي (ت: ٤١٣هـ)، الاختصاص، تحقيق علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤، ١٩٩٣م.

٨٣. مؤسسة ولي العصر عليه السلام للدراسات الإسلامية، موسوعة الإمام الهادي عليه السلام، إشراف: سماحة السيّد محمد الحسيني القزويني، السيّد أبو الفضل الطباطبائي، الشيخ مهدي الإسماعيلي، السيّد محمد الموسوي، الشيخ عبد الله الصالح،

مطبوعة: شريعت، مؤسّسة وليّ العصر عليه السلام
للدراستات الإسلامية، قم المشرفة، ط ١،
محرم الحرام ١٤٢٤ هـ.

٨٤. ميشال فوكو، جينالوجيا المعرفة،
ترجمة أحمد السلطاني وعبد السلام بنعبد
العالی، دار توبقال للنشر، المغرب، الدار
البيضاء، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٨٥. نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة
في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة
الجامعية، (د ط)، ٢٠٠٢ م.

٨٦. النيسابوري، أبو الحسن علي بن
أحمد الواحدي، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ)،
الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق
وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود،
الشيخ علي محمد معوض، أحمد محمد
صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن
عويس، قدمه وقرظه عبد الحي الفرماوي،
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١،
١٤١٥ هـ، ١٩٩٤ م.

٨٧. هليل، محمد محمد حلمي، في طور
التنفيذ معجم جديد للترجمة من العربية
إلى الإنجليزية، مجلة عالم الفكر، مجلد ٢٨،
عدد ٣، مارس ٢٠٠٠ م.

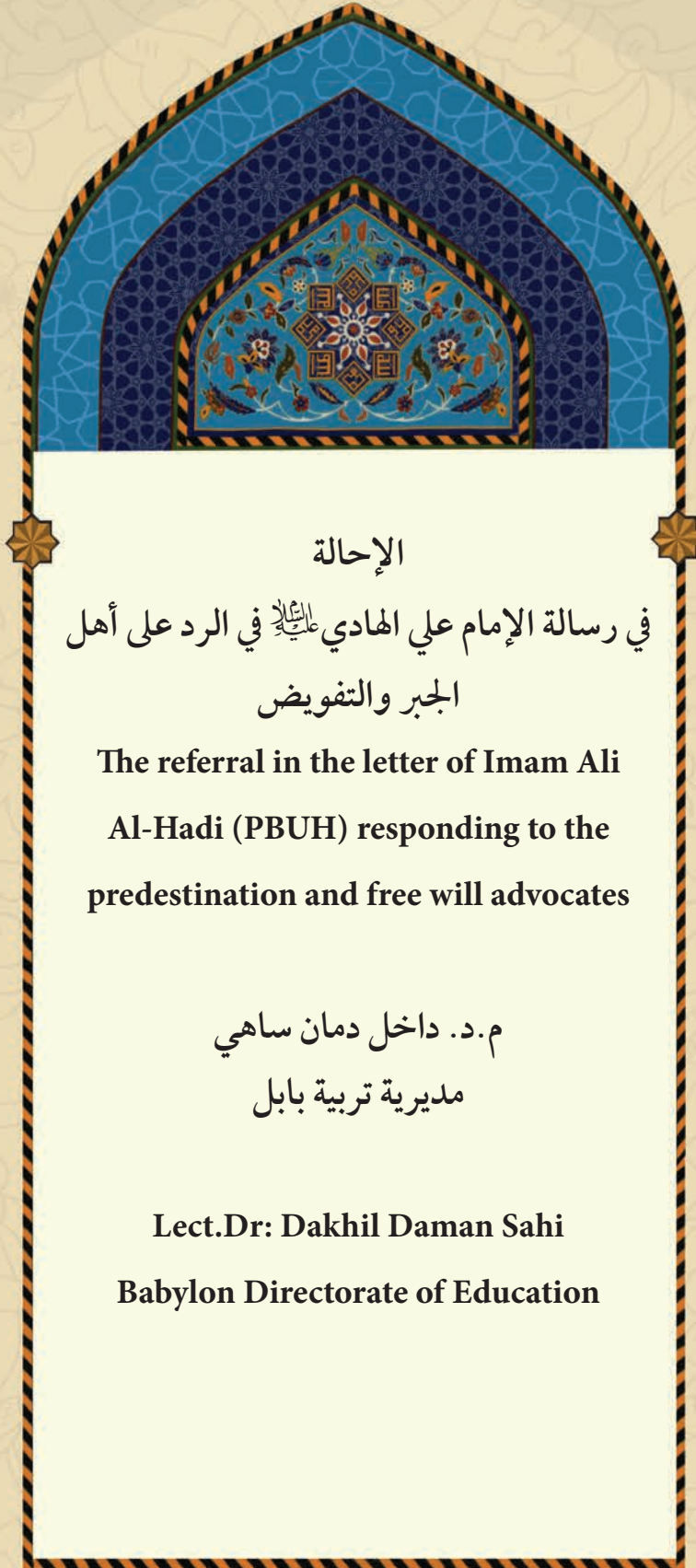
٨٨. الهندي، صفی الدين محمد بن عبد

الرحيم (ت: ٧١٥ هـ)، نهاية الوصول في
دراية الأصول، تحقيق صالح بن سليمان
اليوسف، سعد بن سالم السويح، المكتبة
التجارية، مكة المكرمة، ط ١، ١٤١٦ هـ،
١٩٩٦ م.

٨٩. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد
بن محمد بن علي، النيسابوري، الشافعي
(ت: ٤٦٨ هـ)، أسباب نزول القرآن،
تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان،
دار الإصلاح، الدمام، ط ٢، ١٤١٢ هـ،
١٩٩٢ م.

٩٠. يقطين، سعيد، تحليل الخطاب
الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز
الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط
١، ٢٠٠٥ م.

٩١. يونس، محمد محمد، وصف اللغة
العربية دلاليًا في ضوء مفهوم الدلالة
المركزية - دراسة حول المعنى وظلال
المعنى، منشورات جامعة الفاتح، (د ط)،
١٩٩٣ م.



الإحالة

في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل
الجبر والتفويض

The referral in the letter of Imam Ali
Al-Hadi (PBUH) responding to the
predestination and free will advocates

م.د. داخل دمان ساهي
مديرية تربية بابل

Lect.Dr: Dakhil Daman Sahi
Babylon Directorate of Education



الإحالة

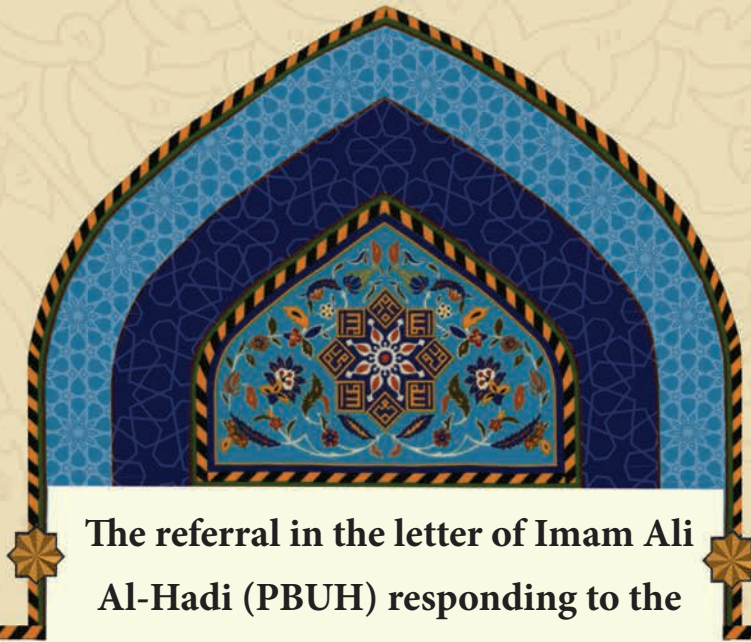
في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض

الملخص:

يقوم البحث على دراسة المفهوم، والأقسام، والوسائل في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض، وبيان كيفية إسهام الإحالة في اتساق النص وترابط أجزائه، وأثرها في تكثيف النص وإيجاز جملة، وتحليل أثرها على المعنى المراد إيصاله إلى ذهن المتلقي. وقد جاء البحث بتمهيد ومحورين، وتطرق في التمهيد إلى مفهوم الإحالة وأقسامها ووسائلها، وفي المحور الأول تكلمنا عن الإحالة المقامية، وقد خصص المحور الثاني لدراسة الإحالة النصية.

الكلمات المفتاحية:

الإحالة، الإمام الهادي عليه السلام، التفويض، الجبر.



The referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the predestination and free will advocates

Abstract:

The study depends on studying the concept, types, and means of referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the advocates of predestination and determinism. The aim is to show how referral contributes to the text coherence and the cohesion of its parts, its impact on intensifying the text and summarizing its sentences. Moreover, it analyzes its effect on the intended meaning to be received by the recipient's mind. The study includes an introduction and two sections; the introduction addresses the concept of referral, its types and means. In the first section, situational referral is discussed, while the second section is devoted to study textual referral.

key words:

Referral, Imam Ali Al-Hadi (PBUH), predestination, and determinism.

مقدمة:

رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض درس حجاجي بليغ، أورد فيه وسائل وآليات حجاجية كثيرة، مستعيناً بالقرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله، وأقوال آل البيت عليهم السلام، وجاء عليه السلام فيها بأمثلة وشواهد لإثبات حجته وإقامة الدليل عليها. وبعد أن أثبت أن القرآن الكريم وآل البيت عليهم السلام هم الحجة عند اختلاف المسلمين، وأقام الدليل على ذلك بآيات القرآن الكريم وأقوال الرسول صلى الله عليه وآله؛ شرع في الغرض الأساس للرسالة مبتدئاً بما ورد عن جده الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ثم أكد (سلام الله عليه) أن أقوال الرسول صلى الله عليه وآله، وسائر أئمة آل البيت موافقة لما جاء به القرآن الكريم. ومن أجل إثبات حجته عليه السلام بأن أقوال الرسول وآل بيته عليهم السلام لا تخرج في مضمونها عما جاء به القرآن الكريم، استشهد بآيات الذكر المبين أكثر من خمسين مرة.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام في الرد على القائلين بالجبر والتفويض، مذكورة في مصادر ومراجع عدة ليس آخرها كتاب (مكاتب

الأئمة) للميانجي، وقد اعتمد البحث على الرسالة المذكورة في كتاب (تحف العقول عن آل الرسول) لأبي محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الخرائي، وهو من منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات في بيروت، الطبعة السابعة، عام ٢٠٠٢م.

تمهيد: الإحالة: المفهوم والأقسام والوسائل

تجاوز الدرس اللساني الحديث مستوى الجملة التي توقّف عندها التحليل اللساني زمناً طويلاً، ليتقل ذلك التحليل إلى فضاء أرحب، هو فضاء النص؛ إذ صارت الدراسات الحديثة تبحث في اتساق النص وانسجامه عن طريق علم (لسانيات النص) الذي ظهر في أواخر ستينيات القرن العشرين، فصار النص يُدرس على أنه وحدة واحدة، ويُحلل على هذا الأساس، «فالنص الواحد تحكمه علاقات لغوية ودلالية تعمل على تماسكه وتربط أجزائه»^(١).

وتعد الإحالة (reference) - ويترجمها بعضهم إلى العربية بـ(الإشارة) - من أهم الوسائل التي يتحقق بها الاتساق

(١) حماسة، محمد، الابداع الموازي التحليل النصي للشعر، ص ٣٦.



النصي في الدرس اللساني الحديث «وتتوفر كل لغة على عناصر تمتلك خاصية الإحالة بالمعنى الذي نخصصه لهذا المصطلح، أي إنها لا تكتفي بذاتها في تأويلها دلاليًا، بل تحيل على شيء آخر من أجل تأويلها»^(١) وتتمثل هذه العناصر، أو الوسائل بحسب رقية حسن، وهاليداي بكتابهما (Cohesion in English) بالضمائر وأسمااء الإشارة وأدوات المقارنة.

والإحالة من الموضوعات التي تتكرر دراستها في اللسانيات النصية، ويعد كتاب (Cohesion in English) من أهم مصادر دراستها، إذ تكثر الإشارة إليه في تلك الدراسات ولاسيما العربية منها، أي أنه ينال اهتمام أغلب الباحثين في هذا المجال، ولكنه لم يحظ بالترجمة إلى العربية -على حد علمي- على الرغم من أنه الأشمل في هذا المجال منذ صدوره الأول عام ١٩٧٦م.

أولاً: مفهوم الإحالة

الإحالة: علاقة بين النص والمتلقي، أو هي «علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إن في الواقع، أو في المتخيل، أو في خطاب سابق / لاحق»^(٢)، ويقول جون لاينز: «إن العلاقة التي تربط بين الكلمات، والأشياء هي علاقة إشارة [إحالة]: الكلمات تشير إلى الأشياء - بدلاً من القول إنها ترمز إلى الأشياء، أو تسميها-»^(٣)، فالكلمة مكتوبة كانت أم منطوقة لا ترمز، بل تحيل على مفهوم من خلال سياق وترتبط بما قبلها، أو بما بعدها، يحيل إليها، أو تحيل إليه فكلمة (يمين)، على سبيل المثال، قد تعني القَسَم أو تعني الاتجاه، ويُحدد ذلك من خلال المفهوم الذي يتكون في ذهن الناطقين بالعربية، ومن خلال سياق النص واتساقه، ومن خلال الترابط بين قصد (المتكلم / الناص) وفهم (المتلقي)، فقصد المتكلم هو المعيار الرئيس للإحالة، وهو وظيفة على (المتلقي) الوصول إليها من خلال تأويله لقول (المتكلم / الناص)، أي إنَّ المتكلم «هو الذي يحيل باستعماله لتعبير

(٢) المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص ٧٣.

(٣) لاينز، جون، علم الدلالة، ص ١٥.

(1) Cohesion in English: p31.



مناسب؛ أي إنه يحمل التعبير وظيفة إحالية عند قيامه بعملية الإحالة^(١).

والإحالة علاقة بين ألفاظ لغوية

تحتاج إلى ما يفسرها وبين ما تحيل، أو تشير إليه من أشياء، أو معان قد تكون داخل النص، أو خارجه، إذ «تطلق تسمية العناصر الإحالية على قسم من الألفاظ لا

تمتلك دلالة مستقلة، بل تعود على عنصر، أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب، فشرط وجودها هو النص.

وهي تقوم على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر^(٥). وهذه العناصر تعطي معناها في ذهن المتلقي وما فهمه من قصد المتكلم أو الكاتب، فهي منقوصة الدلالة، تعتمد في دلالتها على ما تحيل عليه، وهذه العناصر تتكون من (الضمائر، وأسماء الإشارة، والموصولات، وأدوات المقارنة).

ومما تقدم نجد أن الإحالة تستند إلى أربعة أركان هي :

١ - المحال: وهو ما يحتاج إلى تأويل،

(٤) ابن قري، جمالية الاحالة وآلياتها في تحقيق تماسك النص واتساقه- مقارنة تطبيقية لنماذج مختارة، ص ١٦٧.

(٥) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص ١١٨.

الإحالة تكون بين عبارات في النص، وهذه العبارات بينها نوع من المشتركات يحيط بها عالم النص سواء كانت مترابطة في داخل النص أم مع ما هو خارجه.

ويجب في الاحالة التزام قيد دلالي بما يضمن تطابق الخصائص الدلالية ويوازن بين عنصري الاحالة وهي: العنصر المحيل، والعنصر المحال إليه^(٢).

ويرى "الازهر الزناد" في الإحالة أنها «ظاهرة تقع في أساس كل منظومة فكرية، فاللغة نفسها نظام إحالي، إذ يحيل على ما هو غير اللغة^(٣). وبصورة عامة، فمفهوم الإحالة «لا يخرج عن تلك العلاقة التي تربط أجزاء النص سابقها ولحقها، بعيدها وقريبها مع الالتزام بالقييد الدلالي أي المطابقة بين السابق واللاحق بحيث

(١) براون، ج.ب، بول، تحليل الخطاب، ص ٣٦.

(٢) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ١٧.

(٣) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص ١١٥.



وهو ما يشير إليه المحال إليه، وهو «كل مكون يحتاج في فهمه إلى مكون آخر يفسره وهو يمثل أبسط عنصر في البنية الاحالية»^(١) ويكون المحال دائماً داخل النص سواء أكانت الإحالة داخلية أم خارجية.

٢- المحال عليه: وهو ما يؤول إليه الكلام أو النص، ويشير إليه المحال، وقد يكون سابقاً للمُحال أو لاحقاً به، وقد يكون كذلك داخل النص أو خارجه.

٣- الناص أو المتكلم (مبدع النص): وهو من يقوم ببث النص وتشكيل الإحالات.

٤- المتلقي: هو المستقبل للنص وهو من يقوم بتأويل الإحالات، وتحديد قيمة النص ومعناه.

ثانياً: عناصر الإحالة:

١- الضمائر والأسماء الموصولة: هي ألفاظ تحتاج دائماً إلى مفسّر «فالإبهام والانتقال والتعريف أهم خصائص الضمير، ويرتبط بالإبهام عدم الوضوح ونقصان الدلالة، والافتقار إلى موضح أو

مفسر»^(٢) وتنقسم الضمائر على وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هي، هم، وإلى ضمائر ملكية مثل: قلمي، قلمك، قلمه، قلمنا، ومن جهة الإحالة فجميع الضمائر الدالة على متكلم أو مخاطب تُحيل المتلقي على ما يكون خارج النص في حين تحيل ضمائر الغيبة على داخل النص^(٣)، ويُعد ما يسميه النحاة "اسماً موصولاً" ضميراً كباقي الضمائر سواء أكانت من زمرة "الذي" أم من زمرة "من، وما" ويشكل الموصول مع جملة الصلة مكوناً واحداً، والدليل هو عدم وروده من دون جملة الصلة، لأنه يفترق افتقاراً لازماً لتلك الجملة ولا يبين معناه إلا معها.^(٤)

٢- أسماء الإشارة: لأسماء الإشارة أثر بالغ في عملية الإحالة والربط القبلي والبعدي، ويتميز اسم الإشارة المفرد بما يسمى (الإحالة الموسّعة) أي إمكانية الإحالة على جملة بأكملها، أو متتالية من الجمل^(٥).

(٢) بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، ص ١١٢.
(٣) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى لغة الخطاب، ص ١٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه، ص ١١٦.

(٥) ينظر: خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل

(١) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص ١٣١-١٣٢.



كأن يحيل ضمير المتكلم المفرد على ذات صاحبه المتكلم، حيث يربط عنصر لغوي إحالي بعنصر إشاري غير لغوي هو ذات المتكلم»^(٣)، ويعرفها الدكتور أحمد عفيفي بأنها «الإتيان بالضمير للدلالة على أمر ما غير مذكور في النص مطلقاً، غير أنه يمكن التعرف عليه من سياق الموقف»^(٤)، في حين يعرفها محمد الشاوش بقوله: «هي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج»^(٥). وخير مثال للإحالة المقامية (الإحالة على خارج النص) هو قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ. الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾^(٦) فالمقصود في قوله سبحانه ليس مذكوراً في النص إطلاقاً، وعلى المتلقي أن يبحث عنه خارج النص في كتب المفسرين وفي أسباب النزول، أي إن المحال إليه يستنبط من الموقف لا من عبارات تشترك معه في النص نفسه، أو الخطاب.

(٣) ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص ١١٩.
(٤) ينظر: عفيفي، محمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢١.

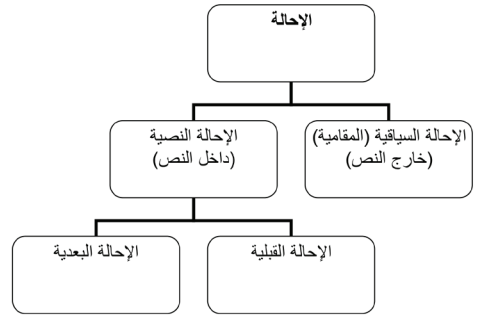
(٥) الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ص ١٢٥.

(٦) سورة الهمزة، الآية ١-٣.

٣- المقارنة: وهي إحدى وسائل الإحالة وتسهم في اتساق النص، وتشمل الألفاظ التي تحيل على التطابق نحو (الشيء نفسه، أو بعينه، أو يطابقه)، أو التي تحيل على التشابه نحو (يشبه، أو يماثل، أو يقارب)، أو التي تحيل على الكمية نحو (أكثر، أو أكبر، أو أقل، أو أصغر)، أو تحيل على الكيفية نحو (أجمل من، أو أسوأ من)^(١)

ثالثاً: أقسام الإحالة:

تنقسم الإحالة - بحسب رقية حسن وهاليداي - على قسمين كما في الخطاطة أدناه:^(٢)



١- الإحالة المقامية: وهي إحالة على ما هو خارج النص «وهي إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي،

إلى لغة الخطاب، ص ١٩

(١) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٩.



٢- الإحالة النصية (داخل النص): هي عملية إحالة الضمير، أو الموصول، أو اسم الإشارة على عناصر لغوية واردة في النص الملفوظ، أو المكتوب سابقة كانت أم لاحقة، وتنقسم الإحالة النصية على قسمين^(١) هما:

أ - أحالة على سابق (إحالة قبلية): وهي تعود على مفسر سبق التلفظ به، وهي أكثر الأنواع دورانا في الكلام ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) فالضمائر التي وردت بعد لفظ الجلالة تعود عليه سبحانه سواء كانت ظاهرة أم مستترة، وتحيل عليه جلّ وعلا إحالة نصية قبلية.

ب . إحالة على لاحق (إحالة بعدية): وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها، من ذلك ضمير الشأن في اللغة العربية، أو الإحالة على نص قرآني، أو قول مشهور،

أو حكمة، ومثالها في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) فالضمير في الآية يعود على لفظ الجلالة المذكور بعده ويحيل عليه إحالة بعدية.

ويقسم الدكتور أحمد عفيفي الإحالة من ناحية المدى الإحالي، ومسافة الفصل بين العنصر المحيل، والعنصر المحال عليه على قسمين^(٤):

١. إحالة ذات المدى القريب: وتكون على مستوى الجملة الواحدة إذ تجمع بين العنصر الإحالي ومفسره مثل قوله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾^(٥).

٢. إحالة ذات المدى البعيد: وتكون بين الجمل المتصلة، أو الجمل المتباعدة في فضاء النص، والإحالة في هذا النوع لا تتم في الجملة الأولى الأصلية مثل قوله تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

(٣) سورة الإخلاص، الآية ١ .

(٤) عفيفي، محمد، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص ١٢٠-١٢١.

(٥) سورة طه، الآية ١٢٢.

(١) ينظر: ينظر، الزناد، الازهر، نسيج النص، ص ١١٨-١١٩.

(٢) سورة يونس، الآية ٣.

وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ فالضمير في (نُجِينَاهُ) يحيل إحالة بعبده على نبي الله ذي النون عليه السلام.

المحور الأول: الإحالة المقامية في

رسالة الإمام الهادي عليه السلام

تحيل ضمائر الغيبة (هو، هي، هما، وغيرها) على شيء داخل النص في حين تحيل ضمائر المتكلم والمخاطب على خارج النص، ونجد أنه عليه السلام وفي مقدمة الرسالة قد وضع اسمه الصريح في صدارة الرسالة، كي يرفع اللبس، أو الغموض الذي قد يحيطان بالموضوع، واستعمل ضمائر المتكلم والمخاطب؛ لأنه لم يشرع بعد في موضوع الرسالة وإنما أراد شرح فحوى الرسالة وأسباب إرسالها، فلجأ إلى ضمير المخاطبين مرات عدة (كتابكم، وذكرتم، واختلافكم، ودينكم، وخوضكم، وتفرقكم، وتقاطعكم، وبينكم، ولكم، ورحمكم، وغيرها) وهي كلها تحيل إحالة على خارج النص، وتشير إلى الذين وجه عليهم الرسالة إليهم، فضلاً عن أنه عليه السلام استعمل ضمير المتكلم في هذا الموضع (عليّ، فهمتُ، سألتُموني، نظرنا، وجدناها، ... الخ) وهي تحيل لشخص

المرسل عليه السلام.

وهناك إحالات مقامية بالاسم الموصول، منها على سبيل المثال لا الحصر قوله عليه السلام: «فمن زعم أن الله تعالى فوض أمره، ونهيه إلى عباده، فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه ووعدته ووعيدته»^(٢) والاسم الموصول هنا يحيل المتلقي على خارج النص سواء أكان المقصود به شخص المخاطب أم الإنسان بصورة عامة، وكل الضمائر المستترة في (أثبت، أوجب، أبطل)، أو واو الجماعة في (عملوا) فإنها تعود على الموصول (من)، وبالنتيجة فإنها تحيل على خارج النص. وكذلك الأمر في قوله عليه السلام: «فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرنا من وعده ووعيدته وأمره ونهيه»^(٣).

فالإحالة هنا تربط اللغة بسياق المقام وتجعل المتلقي يشارك في ابداع النص من خلال ربط داخل النص بسياقه الخارجي.

ونجد في قوله عليه السلام: «فمن أطاعه أثابه، ومن عصاه عاقبه، ولو فوض اختيار (٢) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الأهواز (الحلقة الثالثة: في التفويض)، مجلة تراث سامراء، العدد الخامس، ص ٤٥.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤٣.

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧-٨٨.





أمره إلى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد ﷺ^(١)، إحالة على خارج النص بالاسم الموصول (مَنْ)، وهناك إحالات كثيرة بهذا الاسم الموصول تضمنتها فقرات الرسالة.

وعلى الرغم من هيمنة استعمال الاسم الموصول (مَنْ) في الرسالة كونه ذا دلالة شاملة ويستعمل للمفرد والمثنى والجمع مذكراً كان المخاطب أم مؤنثاً؛ فهناك إحالات بالموصولات الأخرى استعملها ﷺ في رسالته، كقوله: «إن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق»^(٢)، فالاسم (ما) اسم موصول بمعنى الذي، وهو هنا يحيل المتلقي على غير العاقل^(٣) خارج النص؛ فما اجتمعت عليه الأمة وهو (القرآن الكريم) يقع خارج النص. كذلك قوله ﷺ: «فمن دان بالجبر أو بما يدعو إلى الجبر فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان»^(٤) فالاسم الموصول (ما) يحيل

المتلقي على السياق الخارجي ويساهم في اتساع المعنى إلى ما هو خارج النص.

وقد تأتي الإحالة المقامية بالاسم الموصول (ما) أكثر سعة في التأويل عند المتلقي فهي تأتي موعلة في الإبهام^(٥) وهو الأمر الذي يحدو بالمتلقي إلى أن يضع أكثر من تأويل للنص كقوله ﷺ مستشهداً بقول أمير المؤمنين ﷺ: «فعلمت أن الله قائم باقٍ، وما دونه حدث حائل زائل، وليس القديم الباقي كالحديث الزائل»^(٦)، فالاسم الموصول (ما) جاء ليختصر القول وليعطي سعة كبيرة للمعنى؛ فهو يشير إلى كل الموجودات، إذ كلها دون الله سبحانه وهي زائلة لا محال. وينساق الأمر عينه في قوله ﷺ: «قد علم ما يكون منهم قبل كونه»^(٧)، فالاسم الموصول (ما) يعطي دلالة شاملة وإحالة للمتلقي على كل علم الله سبحانه بعمل عباده وهو، بلا شك، مما لا يمكن حصره.

(١) السيوطي، الدر المنثور، ج ٦، ص ١٥-١٦.

(٢) الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٧.

(٣) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج ١، ص ١٣٠.

(٤) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي ﷺ

إلى أهل الاهواز (الحلقة الثانية: في الجبر) مجلة

تراث سامراء، العدد الرابع، ص ٣٤.

(٥) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، ج ١، ص ١٣١.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤٤.

(٧) الحراني، تحف العقول، ص ٣٥٠.



المحور الثاني: الإحالة النصية في

رسالة الهادي عليه السلام

تنوعت الإحالة النصية في رسالته عليه السلام لتبدع نصاً متماسكاً وتحقق الوحدة الإحالية عن طريق المحيل، والمحال عليه، وامتدادهما الإحالي، وربطت ما يسبق من أجزاء النص بلاحقها على وفق عمل الضمائر الفاعلة في النص؛ وهي من الكثرة بمكان بحيث يصعب إحصاؤها جميعاً في هذا البحث، لذا فسيكتفي البحث ببعض الأمثلة على كل نوع.

أ. الإحالة النصية القبلية (الإحالة

على سابق):

وهي الإحالة الأكثر شيوعاً وأثراً في تماسك النص الأدبي، وقد تنوعت في رسالته عليه السلام بين إحالة بالضمير، أو الموصول، أو اسم الإشارة، فنجد في الرسالة قوله عليه السلام: «إن القرآن حق لا ريب فيه عند جميع أهل الفرق، وفي حال اجتماعهم مقرون بتصديق الكتاب وتحقيقه مصيبيون مهتدون، وذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

لا تجمع أمتي على ضلالة^(١) فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلها حق، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً. القرآن حق لا

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٢١.

اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه^(٢)، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه وأنكر الخبر طائفة من الأمة، لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت في الأصل على تصديق الكتاب، فإن هي جحدت، وأنكرت لزمها الخروج من الملة^(٣). نلاحظ أن هذا النص يتضمن إحالات قبلية قريبة كما في أدناه:

الضمير	المحال عليه
الهاء في (فيه)	القرآن
هم في (اجتماعهم)	أهل الفرق
الهاء في (تحقيقه)	الكتاب
ها في (كلها) و(بعضها)	الأمة
الهاء في (تنزيله) و(تصديقه)	القرآن
الهاء في (تحقيقه)	خبر

ونجد في النص السابق نفسه إحالات قبلية بعيدة حين يقع ضمير الإحالة في جملة غير جملة المحال عليه، ومثال ذلك:

(٢) الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على المجبرة دراسة وتحليل (الحلقة الأولى) مجلة تراث سامراء، العدد الثالث، ص ٣٤-٣٥.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٧.



الضمير	المحال عليه
واو الجماعة في (مصيبون) و(مهتدون)	أهل الفرق
الضمير المستتر في (أخبر)	رسول الله
الهاء في (به)	خبر
الضمائر في (اجتمعت) (جحدت) (أنكرت)	طائفة
الضمير (ها) في (لزمها)	طائفة

الموصول (الذي) يعود على (التفويض)، وهو إحالة قبلية قريبة، ونجد تلك الإحالة في النص في اسم الإشارة (هذا) الذي تكرر مرتين، ونجده يحيل قبلًا إلى تفويض الله سبحانه لعباده في اختيار أمره، ونبيه. ومثل ذلك نجد قوله ﷺ: «ولما التمسنا تحقيق ما قاله الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض وجدنا الكتاب قد شهد له وصدق مقالته في هذا وخبر عنه أيضاً موافق لهذا»^(٣) إذ أحال اسم الإشارة (هذا) مرتين على موقف الإمام الصادق عليه السلام من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر، والتفويض، وهي إحالة قبلية بعيدة.

ومن الملاحظ أن الرسالة تطغى عليها صفة أسلوبية مائزة في استعمال اسم الإشارة (ذلك)، إذ إنه عليه السلام كلما أراد أن يُسند حجته بالقرآن الكريم أو قول الرسول ﷺ، أو أحد آل البيت فإنه يستعمل اسم الإشارة (ذلك)، فيحيل المتلقي إحالة نصية قبلية، ومثال ذلك قوله عليه السلام: «فأخبر الصادق عليه السلام بأصل ما يجب على الناس من طلب معرفته، ونطق الكتاب بتصديقه، فشهد بذلك محكمات

أما الإحالة قبلية بأسماء الإشارة والموصولات فقد جاءت بنحو أقل مما ورد في الضمائر، ففي النص: «فأمرهم ونهاهم وبذلك نطق كتابه»^(١)، نجد اسم الإشارة (ذلك) يعود قبلًا على الأمر والنهي، ونجد كذلك «أما التفويض الذي أبطله الصادق عليه السلام وخطأ من دان به، وتقلده فهو قول القائل: إن الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره، ونبيه، وأهمّهم. وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهب الأئمة المهتدية من عترة الرسول ﷺ»^(٢)، فالاسم

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤١.

(٢) للمزيد ينظر: جلاب، قاسم كاظم، دور الإمام علي الهادي عليه السلام في صيانة العقيدة رسالة في الجبر والتفويض مثلاً، المؤتمر العلمي الرابع

للعتبة الكاظمية المقدسة، ج ٣، ص ٥٩.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٩.



مرتين، وهو بذلك يحيل على سابق له؛ ففي الأولى أحال على جملة (هل أجبر الله العباد على المعاصي) ^(٥)، وفي الثانية أحال على جملة (فهل فوّض إليهم؟) كي يتجنب تكرار الجملة الذي سيكون مُحللاً باتساق النص وتماسكه.

ب. الإحالة النصية البعدية (الإحالة على لاحق).

جاءت الإحالة البعدية على نحو أقل من سابقتها فهي دائماً تحيل على ما لم يذكر بعد في داخل النص؛ لذا فهي تثير التشويق، وتسهم في إثارة انتباه المتلقي وشده لمعرفة الآتي.

وفي رسالته عليه السلام نستطيع تلمس فقرات عدة تظهر فيها الإحالة البعدية؛ ففي صدر الرسالة نجد جملة: «فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم» ^(٦)، في هذا النص إحالة بعدية بضمير الشأن المتصل (فإنه)، فالمحال عليه هو ورود الكتاب إلى الإمام، وفهمه لما ذكروا له، ومثل ذلك نجد إحالات بعدية بالضمائر كقوله عليه السلام: «وأما المولى فهو الله جلّ وعزّ، وأما العبد فهو

آيات رسوله» ^(١)، فاسم الإشارة (ذلك) قد أحال المتلقي على ما أخبر به الصادق عليه السلام. ويتكرر أسلوب الإحالة نفسة في الرسالة مرات عدة، إذ نجد في موضع آخر: «إنّ الله جلّ وعزّ جازى العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إيّاها، فأمرهم ونهاهم، وبذلك نطق كتابه» ^(٢)، وكذلك قوله عليه السلام: «وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض، وبذلك أخبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه عباية بن ربعي الأسدي» ^(٣)، إذ يحيل اسم الإشارة (ذلك) إحالة قبلية على جملة أو أكثر، وهو الأمر الذي نجده يتكرر في النص الآتي: «إنّ الصادق عليه السلام سئل هل أجبر الله العباد على المعاصي؟ فقال الصادق عليه السلام: هو أعدل من ذلك، ف قيل له: فهل فوّض إليهم؟ فقال عليه السلام هو أعز وأقهر لهم من ذلك» ^(٤)، والملاحظ أن اسم الإشارة (ذلك) قد جاء في نهاية الجملة

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤١.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤٤.

(٤) للمزيد ينظر: الغرابي، حميد جاسم عبود، المضامين المعرفية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض وأثبت العدل والمنزلة بين المنزلتين، ج ٣، ص ٣٩٣.

(٥) الصدوق، التوحيد، ج ٨، ص ١٥٩.

(٦) الحراني، تحف العقول، ص ٣٣٧.



ابن آدم المخلوق»^(١)، إذ أحال الضمير في

النص السابق إحالة بعدية قريبة، مرةً على لفظ الجلالة وأخرى على ابن آدم.

وفي قوله: «وأما وعده، فالنعيم الدائم وهي الجنة، وأما الدار الفاتنة فهي الدنيا، وأما الدار الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة»^(٢) تتكرر الإحالة البعدية، فقد أحال عليه السلام الضمير (هي) على (الجنة، الدنيا، الدار الباقية، الآخرة) على التوالي، وفي كل ما تقدم من إحالات بعدية بالضمائر نجد أن عنصر التشويق حاضر لشد المتلقي وجلب انتباهه.

وتكررت الإحالات النصية البعدية بـ(تاء التأنيث) على نحو قليل في رسالته عليه السلام في بعض المواضع، مثل: «وكثرة ما جاءت به الأخبار»^(٣)، أو «وقد اجتمعت الأمة قاطبة»^(٤)، أو «وروت العامة في ذلك»^(٥)، إذ أحالت تاء التأنيث إحالة بعدية قريبة على (الأخبار، والأمة، والعامة) على

التوالي.

وفي مواضع أخرى جاءت الإحالة النصية البعدية باسم الإشارة مثل: «صدق الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد... فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً... ووجدنا نظير هذه الآية»^(٦)، أو «مع أي كثيرة في هذا الفن»^(٧)، أو «وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض»^(٨) فأحال اسم الإشارة في الجمل السابقة إحالة قريبة لما بعده (الشواهد، الأخبار، الآية، الفن، القول) على التوالي.

أما الإحالة بالمقارنة فقد كان ورودها قليلاً بألفاظ التشابه حين كان عليه السلام يضرب مثلاً للمقارنة والمقاربة فكان يقول: (مثل قوله تعالى)، أو (مثل قول الرسول ﷺ)، أو (مثل ذلك) أو (مثل رجل ملك عبداً)، وهي كلها ألفاظ تحيل على القول الذي بعدها.

(١) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٧.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٧، ص ٢٢١-٢٢٣.

(٥) ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ص ٦٧.

(٦) ينظر: سنن ابن ماجه، ج ٢، ص ١٣٠٣.

(٧) الحراني، تحف العقول، ص ٣٤١.

(٨) ينظر: الكليني، الكافي، ج ١، ص ١٦٣.

(٩) ينظر: الغرابي، حميد جاسم، المصدر السابق، ص ٣٩٦.

الخاتمة

٥- أسهمت الإحالة بالمقارنة في

إظهار المعنى، وإزاحة الغموض عن طريق التشبيه والتمثيل.

كانت رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام، في الرد على القائلين بالجبر والتفويض نصاً حجاجياً بليغاً، استعمل فيه عليه السلام العديد من الوسائل التي تسهم في اتساق النص، وترسخ المفاهيم والمعاني التي أراد عليه السلام إيصالها عن طريق الرسالة، وتوصل البحث إلى بعض النتائج وهي:

١- الإحالة في رسالة الإمام علي الهادي عليه السلام، كانت عنصراً فاعلاً في اتساق النص وتماسكه، وفي اتساع المعنى ورسوخه.

٢- استعان عليه السلام بالقرآن الكريم، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وآل البيت عليهم السلام، في إثبات حججه الواردة في الرسالة بعد أن أثبت أنهم ينهلون من معين واحد.

٣- كانت الإحالة بالاسم الموصول (ما) الدال على غير العاقل أكثر استعمالاً من الإحالة بالاسم الموصول (مَنْ) الدال على العاقل.

٤- اعتمدت الرسالة بكثرة على الإحالة بالضمير، وكان لذلك الأثر الأهم في ربط النص واتساقه عن طريق الإحالات المتنوعة سواء أكانت مقامية أم نصية، قبلية أم بعدية.



المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر العربية :

١. بحيري، سعيد حسن، دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة الآداب، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٢. براون، ج. ب. بول، ج، تحليل الخطاب، ترجمة محمد الزليطني، منير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

٣. بن قري، أسماء جمالية الإحالة وآلياتها في تحقيق تماسك النص واتساقه- مقارنة تطبيقية لنماذج مختارة، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، مجلد ٢، العدد ٤، الجزائر، جوان ٢٠١٩م.

٤. الحرائي، ابن شعبة، تحف العقول، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٧، بيروت، ٢٠٠٢م.

٥. حماسة، محمد، الإبداع الموازي، التحليل النصي للشعر، دار غريب للطباعة والنشر، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م.

٦. خطابي، محمد، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي

العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩١م.

٧. دي بوجراند، روبرت، النص والخطاب والاعراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.

٨. الزناد، الأزهر، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٣م.

٩. السامرائي، فاضل صالح، معاني النحو، دار الفكر، ط ١، عمان، ٢٠٠٠م.

١٠. الشاوش، محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، ج ١، ط ١، تونس، ٢٠٠١م.

١١. عفيفي، محمد، نحو النص - اتجاه جديد في الدرس النحوي-، مكتبة زهراء الشرق، ط ١، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢. لاينز، جون، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة جامعة البصرة، ط ١، البصرة، ١٩٨٠م.

١٣. المتوكل، أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، بيروت، ٢٠١٠م.

١٤. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، مطبعة حيدري، طهران، ١٣٦٣ هـ ش.



١٥. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد وعبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٢.

٢١. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الأهواز (الحلقة الثالثة: في التفويض) مجلة تراث سامراء، العدد الخامس.

١٦. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق السيد محمد باقر الخراسان، منشورات الشريف الرضي، بغداد، ١٩٦٦.

٢٢. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام إلى أهل الأهواز (الحلقة الثانية: في الجبر) مجلة تراث سامراء، العدد الرابع.

١٧. الصدوق، محمد بن علي، التوحيد، تحقيق السيد هاشم الحسني، نشر جماعة المدرسين، إيران، قم، ١٣٨٧هـ.

٢٤. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، حققه حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، بيروت.

المصادر الأجنبية

25. Cohesion in English، Ruqaiya hasan، M.A.K. Halliday، Routledge، New York، 2013.

١٨. الغرابي، حميد جاسم عبود، المضامين المعرفية في رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على أهل الجبر والتفويض وأثبت العدل والمنزلة بين المنزلتين، ج ٣، ص ٣٩٣.

١٩. جلاب، قاسم كاظم، دور الإمام علي الهادي عليه السلام في صيانة العقيدة رسالة في الجبر والتفويض مثلاً، المؤتمر العلمي الرابع للعتبة الكاظمية المقدسة، ج ٣، ص ٥٩.

٢٠. الحجاج، ماهر سامي، رسالة الإمام الهادي عليه السلام في الرد على المجبرة دراسة وتحليل (الحلقة الأولى) مجلة تراث سامراء، العدد الثالث.

رسائل علي بن مهزيار الـاهوازي
إلى الإمام الهادي عليه السلام
- قراءة في خصائص البناء النصي -

**The Letters of Ali bin Mahziyar Al-Ahwazi
to Imam Al-Hadi (PBUH)
A Study of the Characteristics of Textual
Structure**

أ.د. مزاحم مطر حسين
جامعة القادسية
كلية التربية

**Prof.Dr. Muzahim Mutar Hussein
University of Al-Qadisiyah, College of
Education**



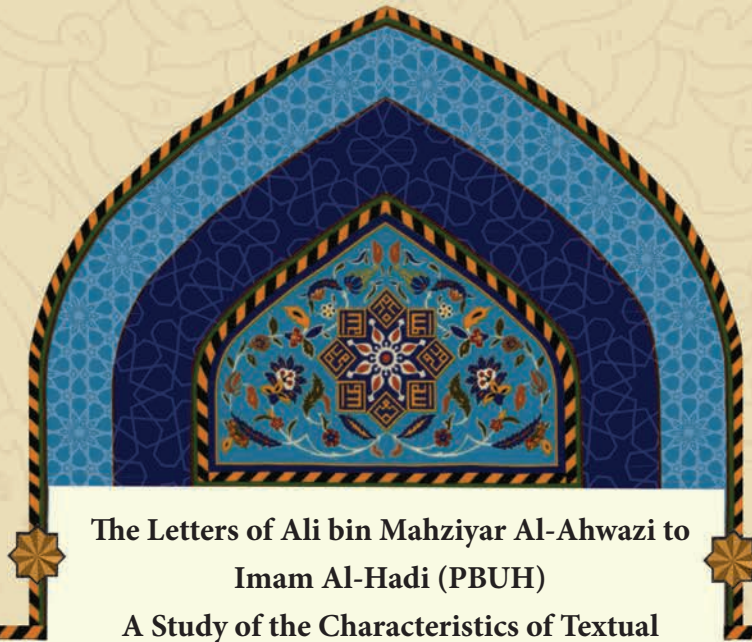
رسائل علي بن مهزيار الالهوازي
إلى الإمام الهادي عليه السلام
- قراءة في خصائص البناء النصي -

الملخص:

علي بن مهزيار الالهوازي شخصية مثيرة للاهتمام حقاً، بدأ حياته نصرانياً، وانتهى به المطاف وكيلاً مقرباً للإمام الهادي عليه السلام، وكان من لوازم تلك الوكالة أن ترد عليه الكثير من الأسئلة التي لا سبيل إلى الجواب عنها إلا بمراسلة الإمام، وكان من نتاج تلك المراسلات مجموعة من الرسائل تميزت بخصائص في بنائها النصي، وهذه الدراسة تحاول تقديم قراءة نقدية في خصائص تلك الرسائل، وهو أمر لم أجد من الباحثين من أفرد دراسة خاصة لتقصي جوانبه، أو محاولة الاقتراب منه، فكان ذلك سبباً وجيهاً في تقديم هذه الدراسة.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الهادي عليه السلام، البناء النصي، رسالة، علي بن مهزيار الالهوازي.



The Letters of Ali bin Mahziyar Al-Ahwazi to Imam Al-Hadi (PBUH)

A Study of the Characteristics of Textual Structure

Abstract:

Ali bin Mahziyar Al-Ahwazi is truly an interesting personality to study. He started his life as a Christian and ended up as Imam Al-Hadi's (PBUH) close deputy. With this deputation, he received many questions that could only be answered by corresponding with the Imam. The product of this correspondence was a collection of letters characterized by unique structural features. This study attempts to provide a critical reading of the characteristics of these letters, which I did not find among researchers who dedicated special study to examine its aspects or attempted to approach it. This was the reason for choosing this topic.

key words:

Imam Al-Hadi (PBUH), Textual Structure, and Letter ,Ali bin Mahziyar Al-Ahwazi.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، حبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

يُعَدّ علي بن مهزيار من الشخصيات التي كان لها دور واضح في التواصل بين أئمة أهل البيت وشيعتهم؛ لذا ارتأت هذه الدراسة تسليط الضوء على الجوانب المهمة في حياته، وتقديم قراءة نقدية في رسائله التي أرسلها إلى الإمام الهادي عليه السلام، وجاءت هذه الدراسة في ثلاثة مباحث، كان عنوان المبحث الأول: علي بن مهزيار - السيرة والمنزلة - بحث فيه أهم جوانب سيرته، فتوقفت عند بداياته وتحوله من النصرانية إلى الإسلام المحمدي الأصيل، وقيامه بمهام الوكالة للأئمة عليهم السلام، وبعض جوانب عبادته، ومنافحته عن مذهب أهل البيت عليهم السلام وعناية أهل البيت به، وثنائهم عليه، ووقفت على أهم مؤلفاته وطبيعتها.

أما المبحث الثاني فكان بعنوان: علي بن مهزيار في كنف الإمام الهادي عليه السلام، درست فيه رحلته إلى سامراء، واللقاء

الأول مع الإمام الهادي عليه السلام، وتحوله من الشك إلى اليقين في أمر الإمامة، وأهم الأحداث التي عاصرها في زمن الإمام الهادي عليه السلام، وظهور بعض كراماته، وتكليف الإمام الهادي عليه السلام له ببعض الأمور الخاصة.

في حين كان عنوان المبحث الثالث: رسائل علي بن مهزيار إلى الإمام الهادي عليه السلام، تناولت فيه موضوع تلك الرسائل أهم خصائص البناء النصي المميزة لها، وبعد هذه جاءت خاتمة البحث ونتائجه، وبعدها جاءت قائمة مراجع البحث ومصادره.

المبحث الأول

علي بن مهزيار - السيرة والمنزلة -

علي بن مهزيار الأهوازي (ت قبل ٢٥٤هـ)^(١) فقيه ومحدث ومفسر ومؤلف، أصله من الدورق^(٢) بخورستان، سكن في إحدى قرى فارس، ثم استقر به المقام في الأهواز فأقام فيها^(٣) وهو من أسرة نصرانية أبصرت نور الهداية، فأسلم وهو صغير السن ومن الله عليه بمعرفة أمر أهل

(١) ينظر، السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ٣، ص ٤٠٩.

(٢) ينظر، ابن داود الحلي، الرجال، ص ٢٥١.

(٣) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٤٥٣.



البيت عليه السلام^(١) فسارع للاقتداء بهم، والتزود من علومهم، والمواظبة على خدمتهم، والسير طبقاً لمنهجهم .

وقد تشرف بمعاصرة عدد من الأئمة، وهم: الإمام الرضا، والإمام الجواد، والإمام الهادي، عليهم السلام^(٢)، وكان وكيلاً لهم في بعض النواحي التي يقطن فيها شيعة أهل البيت عليهم السلام^(٣) ومنها الأهواز التي كانت حينها تشهد كثرة الزلازل التي أزعجت أهلها، وأفقدتهم الراحة فلجأوا إلى علي بن مهزيار بوصفه وكيلاً للأئمة عليهم السلام، فكتب علي بن مهزيار إلى الإمام الجواد عليه السلام يسأله عن التحول عن هذه المنطقة أو البقاء فيها، فكتب له الإمام ينهاهم عن ذلك ويأمرهم بالصوم أيام الأربعاء والخميس والجمعة وأن ينشغلوا بالدعاء أيام الجمع، ولما فعلوا ذلك تحقق لهم ما أرادوا فقد سكنت الزلازل واستقر بهم المقام^(٤).

ولم يكن آنذاك من هو أجدر منه لتسنى مقام الوكالة للأئمة بعد أن توفي عبد

الله بن جندب البجلي (نحو ٢٠٠ هـ)^(٥) وهو من الشخصيات التي كانت تتمتع بجلالة القدر، وعلو المنزلة بوصفه من وكلاء الأئمة المعروفين^(٦) (فلما مات عبد الله بن جندب قام علي بن مهزيار مقامه)^(٧)، وعلى هذا يمكن القول بأنه قد تسلم وكالة الأئمة من هذا التاريخ حتى وفاته، فتكون مدة وكالته للأئمة تبلغ أكثر من خمسين عاماً، وهي مدة زمنية مكنت علي بن مهزيار من الإفادة من علوم أهل البيت عليهم السلام وخدمة شيعتهم.

وعرف علي بن مهزيار بالمواظبة على العبادة وطول السجود والدعاء لإخوانه المؤمنين و(كان إذا طلعت الشمس سجد، وكان لا يرفع رأسه حتى يدعو لألف من إخوانه بمثل ما دعا لنفسه، وكان على جبهته سجادة مثل ركة البعير)^(٨).

ويظهر من بعض مؤلفاته أنه كان من أشد المنافحين عن مذهب الإمامية الاثني

(٥) ينظر، السبحاني، موسوعة طبقات الفقهاء، ج ٢، ص ٣٣١.

(٦) ينظر، البصري، أحمد بن عبد الرضا، فائق المقال في الحديث والرجال، ص ١٢٤.

(٧) الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ص ٤٥٣.

(٨) الطوسي، المصدر السابق، ص ٤٥٣.

(١) ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٢.

(٢) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٢٥١.

(٣) ينظر: النجاشي، المصدر السابق، ص ٢٤٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠١.



انه لم تر عين الإمام شخصا مثله، فقد كتب الإمام الجواد عليه السلام بخطه: (بسم الله الرحمن الرحيم، يا علي أحسن الله جزاك، وأسكنك جنته، ومنعك من الخزي في الدنيا والآخرة، وحشرك الله معنا، يا علي قد بلوتك وخبرتكم في النصيحة والطاعة والخدمة والتوقير والقيام بما يجب عليكم، فلو قلت: إني لم أر مثلك، لرجوت أن أكون صادقا، فجزاك الله جنات الفردوس نزلا، فما خفي علي مقامك، ولا خدمتك، في الحر والبرد، في الليل والنهار، فأسأل الله إذا جمع الخلائق للقيامة أن يحبوك برحمته تغتبط بها إنه سميع الدعاء)^(٣).

وقد عُرِفَت هذه الشخصية بغزارة التأليف، فقد خَلَفَ ما يزيد على الثلاثين كتابا في مجالات مختلفة من العلوم شملت الفقه والتفسير والفضائل والمثالب والدعاء والزيارة والزهد، وقد كان للفقه الحظ الأوفى في تلك المؤلفات ومنها: كتاب (الوضوء)، وكتاب (الصلاة)، وكتاب (الزكاة)، وكتاب (الصوم)، وكتاب (الحج)، وكتاب (الطلاق)، وكتاب (الحدود)، وكتاب (الديات)، وكتاب (التفسير)، وكتاب (الفضائل)، وكتاب (العتق والتدبير)، وكتاب (التجارات

عشري، وهذا ما يبدو من رسائله المتبادلة مع أحد الأشخاص الذين كانوا يتبنون مذهب الفطحية^(١)، وهو علي بن أسباط، وقد جمع تلك المراسلات في كتابه (رسائل علي بن أسباط) الذي يظهر أنه ألفه في الردّ عليه، ويظهر أن تلك المراسلات قد آتت ثمارها، فقد رجع ذلك الرجل عن مقالته، وترك مذهب الفطحية، وقد كان ذلك كله بمراجعة الإمام الجواد عليه السلام وتوجيهاته^(٢).

وقد حظيت هذه الشخصية بعناية الأئمة عليهم السلام وخصّ منهم ببعض الأوسمة التي أشادت بشخصه وبسلوكه، فقد وردت أحاديث في فضله ومدحه والثناء عليه بما جعله موضع ثقة شيعة أهل البيت وعلماء الرجال والحديث.

ولعل أبرزت تلك الاشارات بشخصية علي بن مهزيار ما ورد مكتوبا بخط الإمام الجواد عليه السلام في رسالة موجهة له، تضمنت ثناء الإمام عليه بما لا مزيد فوقه، فبعد الدعاء له، ووصف إخلاصه ونصيحته للإمام، ذكر الإمام

(١) الفطحية: فرقة تذهب إلى إن الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق عليه السلام في ابنه عبد الله بن جعفر الأطفح. ينظر، النجاشي، فرق الشيعة، ص ١٢٦.

(٢) ينظر، النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٢.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٠٥.



والإجازات)، وكتاب (المكاسب)، وكتاب (المثالب)، وكتاب (الدعاء)، وكتاب (التجمل والمروة)، وكتاب (المزار)، وكتاب (الرد على الغلاة)، وكتاب (الوصايا)، وكتاب (المواريث)، وكتاب (الخمس)، وكتاب (الشهادات)، وكتاب (فضائل المؤمنين وبرهم)، وكتاب (الملاحم)، وكتاب (التقية)، وكتاب (الصيد والذبائح)، وكتاب (الزهد)، وكتاب (الأشربة)، وكتاب (الندور والأيمان والكفارات)، وكتاب (الحروف)، وكتاب (القائم)، وكتاب (البشارات)، وكتاب (الأنبياء)، وكتاب (النوادر)، و(رسائل علي بن أسباط) وغيرها^(١).

وانه كان من الحريصين على الاستمرار في خط الولاية لأهل البيت المعصومين عليهم السلام، وهو ما جعله يُقدم على سؤال الإمام الجواد عليه السلام عن الخلف من بعده، وقد أجابه الإمام الجواد عليه السلام بالنص على إمامة الإمام الهادي عليه السلام وقد ذكر علي بن مهزيار هذا الأمر للإمام الهادي عليه السلام فيما بعد ليسأله عن الخلف من بعده إذ يقول: (قلت لابي الحسن عليه السلام اني كنت سألت أباك عن الإمام بعده فنص عليك ففي من الإمامة بعدك فقال عليه السلام: في أكبر ولدي. ونص على أبي محمد عليه السلام فقال عليه السلام ان الإمامة لا تكون في اخوين بعد الحسن والحسين عليه السلام)^(٣).

المبحث الثاني

علي بن مهزيار في كنف الإمام الهادي عليه السلام

على الرغم من حصول علي بن مهزيار على النص على إمامة الإمام الهادي عليه السلام بالاسم، إلا أنه لم يكن يعرف الشخص (شخص الإمام)، فلا يوجد نص تاريخي يُشير إلى أنه قد التقى بالإمام الهادي عليه السلام قبل لقاء سامراء الأول، ولذا كان علي بن مهزيار على حذر عند دخوله إلى سامراء باحثاً عن الإمام الذي يخلف

ويتضح من خلال كتبه مدى استفادته من علوم الأئمة عليهم السلام فقد كان هذا الرجل على درجة عالية من النباهة والعقل والعلم الورع والتقوى والعبادة والوثاقة بحيث استحق ثناء الأئمة عليه ومدحهم له.

ويظهر من النصوص والقرائن التاريخية أن علي بن مهزيار كان من خواص الإمام الجواد عليه السلام ومن وكلائه المقربين^(٢)

(٣) حسين، عبد الوهاب، عيون المعجزات، ص ٣٣٥.

(١) ينظر: النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٤٣.
(٢) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٢٥١.



الإنجب إذا عرق في الثوب: فقلت في نفسي! إن كشف وجهه فهو الإمام. فلما قرب منّي كشف وجهه ثم قال: إن كان عرق الإنجب في الثوب وجنابته من حرام لا يجوز الصلاة فيه، وإن كان جنابته من حلال فلا بأس. فلم يبق في نفسي بعد ذلك شبهة^(١).

والنص المتقدم يظهر مدى حرص علي بن مهزيار في تحري أمر الإمامة، وعدم تسرعه في اتخاذ قرار انطباق الاسم المنصوص عليه على الشخص الذي رآه، بوصفه ممثلاً للشيعة الإمامية في إحدى النواحي التي يقطنها الشيعة، فلا بدّ والحال هذه من توخي الحذر؛ لأن قراره يترتب عليه أمر الشيعة في الأهواز وما حولها، فهم تبع له لأنه كان وكيلاً للإمام الجواد عليه السلام قبل ذلك.

ويظهر أن هذا اللقاء قد تبعه لقاءات أخرى أوجبت الثقة والاطمئنان في نفس علي بن مهزيار، بانطباق النص - الذي سمعه من الإمام الجواد - على الشخص - الإمام الهادي عليه السلام؛ ومنها ذلك اللقاء الذي ابتدأه الإمام عليه السلام فيه بالخطاب أولاً، وكلمه بلغته الأصلية الفارسية ثانياً، وهو يذكر ذلك بقوله (دخلت عليه فابتدأني

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ١٧٣ - ١٧٤.

الإمام الجواد عليه السلام، متردداً في أمر الجزم بانطباق الاسم على الشخص، ولعل هذا الأمر هو ما حدا به للقدوم إلى سامراء للاطلاع عن قرب على حقيقة الأمر، غير أن رأفة الإمام عليه السلام وعنايته الخاصة به أزالته عن تلك الحيرة والشك، ثم أصبح على يقين تام من إمامة الإمام علي الهادي عليه السلام، بعد ما رأى من البراهين والأدلة التي أزالته الشبهة عن عينيه، وأجابت عن ما اضمره في نفسه، فأصبح على يقين راسخ بالإمام الهادي عليه السلام، يقول علي بن مهزيار واصفاً حالة الفحص عن الإمامة في لقاء سامراء الأول: (وردت العسكر وأنا شاك في الإمامة؛ فرأيت السلطان قد خرج إلى الصيد في يوم من الربيع إلا أنه صائف، والناس عليهم ثياب الصيف، وعلى أبي الحسن عليه السلام لبادة وعلى فرسه تحفاف لبود، وقد عقد ذنب الفرس والناس يتعجبون ويقولون: ألا ترون إلى هذا المدني وما قد فعل بنفسه؟! فقلت في نفسي: لو كان هذا إماماً ما فعل هذا. فلما خرج الناس إلى الصحراء، لم يلبثوا إلا أن ارتفعت سحابة عظيمة هطلت فلم يبق أحد حتى غرق بالمطر، وعاد عليه السلام وهو سالم من جميعه! فقلت في نفسي: يوشك أن يكون هو الإمام.. ثم قلت: أريد أن أسأله عن



فكلمني بالفارسية^(١).

حضر، وهذا بدوره قد يكشف عن بعض حساسية الأمور المتداولة بين الإمام وعلي بن مهزيار.

وتتوثق العلاقة أكثر فأكثر بين الإمام عليه السلام وعلي بن مهزيار، ويصير وكيل الإمام أبي الحسن عليه السلام^(٢) حتى ان الإمام كان يُرجع شيعته في بعض المسائل إلى ما كتبه إلى علي بن مهزيار، كما حصل عندما اختلف بعض الشيعة في مقدار زكاة الفطرة وجنسها، فقرروا أن يكتبوا للإمام الهادي عليه السلام بذلك، فكان ردّ الإمام أن جواب السؤال قد خرج منه لعلي بن مهزيار، ولا جواب عند الإمام غيره، فكتب لهم (إن ذلك قد خرج لعلي بن مهزيار أنه يخرج من كل شيء التمر والبر وغيره صاع)^(٣)، وهذه الإحالة من الإمام على جوابه السابق لعلي بن مهزيار تشير بوضوح إلى إشادته بشخصية وكيله علي بن مهزيار، وإرجاع الشيعة إليه عند اختلافهم إلى هو ما موجود عنده من أحكام الأئمة عليهم السلام.

ولهذا الوكيل الموثوق سؤال هو الأهم عنده، وهو ما يخص أمر استمرار

وهو ما عزز القول عنده بصدق الإمامة المتمثلة بشخص الإمام الهادي عليه السلام؛ لأن من بين أهم المفاهيم العقدية عند الشيعة - منذ وقت مبكر ما يتعلق ببعض خصائص الإمام عليه السلام - معرفة الإمام بكل اللغات على اختلافها^(٤) وهو ما يكشف عنه خبر آخر يذكره علي بن مهزيار نفسه، إذ يقوم بإرسال أحد غلمانه الصقلية ببعض الأمور إلى الإمام الهادي عليه السلام فرجع ذلك الغلام متعجبا من إجادة الإمام لتلك اللغة كأنه كان واحدا منهم، يقول علي بن مهزيار في توصيف تلك الحادثة (أرسلت إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام غلامي وكان صقلابيا فرجع الغلام إلي متعجبا، فقلت له: ما لك يا بني؟ قال: وكيف لا أتعجب ما زال يكلمني بالصقلابية كأنه واحد منا، فظننت أنه إنما أراد بهذا اللسان كيلا يسمع بعض الغلمان ما دار بينهم)^(٥).

وهذا الخبر يُظهر ان الإمام أراد باستعماله هذه اللغة التعمية على من

(١) المجلسي، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١٣٠.

(٢) ينظر: الصفار، بصائر الدرجات، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٤٤ باب في الأئمة عليهم السلام أنهم يتكلمون بالألسن كلها.

(٣) المجلسي، المصدر السابق، ج ٢٦، ص ١٩١.

(٤) ابن داود الحلي، الرجال، ص ٢٥١.

(٥) الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٤، ص ٨١، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١١١.



والخلاص من تلك الآلام والأوجاع التي حلت بهم من السلطات الظالمة.

وفي زيارته إلى سامراء كان علي بن مهزيار يشهد بعض الوقائع المهمة، فيقوم بتوثيقها، بوصفه شاهد عيان عليها، ومن تلك الأحداث التي زامت دخوله إلى

سامراء، ورواها بنفسه، ما عرف بقصة (زينب الكذّابة)، فقد أظهرت إحدى المدعيات الانتساب إلى رسول الله ﷺ ظلماً وزوراً، فهي تدعي أنها زينب بنت علي، واختلط أمرها على الناس، بل وصل الأمر إلى المتوكل العباسي نفسه، وطلب المتوكل حلّ هذا الادعاء، فأشار عليه بعض جلسائه أن يُحضر الإمام الهادي عليه السلام حتى يخبره بحقيقة أمرها، وكان حلّ هذه المعضلة عند الإمام يسيراً، لأن الله تعالى حرم لحم من ولدته فاطمة على السباع، وطلب منهم أن يلقوها للسباع، فإن كانت صادقة لم تتعرض لها، وإن كانت كاذبة أكلتها، فلما عُرض عليها الأمر كذّبت نفسها، وأصبحت تنادي على نفسها في الطريق بأنها (زينب الكذّابة)، وبعد أيام بدا للمتوكل أن يجرب هذا الأمر مع الإمام الهادي عليه السلام بأن يلقيه وسط السباع الجائعة حتى يتخلص من الإمام ويكشف عدم صدقه بالانتساب إلى رسول الله ﷺ، غير

الإمامة، والذي يؤكد عزم علي بن مهزيار على المضي قدماً في تتبع السير على خطى المعصومين؛ فيقوم بالسؤال عن خلف الإمام الهادي عليه السلام فيسأل الإمام الهادي عليه السلام (إن كان كون - وأعوذ بالله - فإلى من؟ قال: عهدي إلى الأكبر من ولدي)^(١).

وواضح أن هذا السؤال يسبب حرجاً كبيراً لعلي بن مهزيار، بوصفه يتحدث عن موت الإمام عليه السلام، ولذا فقد أحترز منه بالقول (وأعوذ بالله)، غير أن هذا السؤال من الأهمية بمكان عند علي بن مهزيار، نظراً للظروف العصيبة التي تحيط بالإمام وشيعته، وهو الأمر الذي دعاه إلى سؤال الإمام الهادي عليه السلام فيما بعد عن الوقت الذي يفرّج الله به عن الشيعة ما هم فيه من الضيق والظلم والجور، في رسالة خطية يصفها علي بن مهزيار بقوله: (كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام أسأله عن الفرج، فكتب إلي: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج)^(٢) وهذا النص وحده كاف، في إظهار من حجم الأخطار التي كانت تحيط بالشيعة في ذلك الزمان، فتتطلع أنفسهم للنظر إلى الفرج

(١) الكليني، أصول الكافي، ج ١، ص ١٩١.

(٢) الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٢٨٧.



أن القوم هالهم ماراً ومن كرامة الإمام عليه السلام؛ لأن السباع مشت إليه وقد سكنت أصواتها حتى تمسحت به، ودارت حوله، وهو يمسح رؤوسها بكُمِّه، ثم ضربت بصدورها الأرض، فما مشت ولا زارت حتى أنصرف عنها الإمام^(١).

وتحصل لعلي بن مهزيار بعض الحوادث الشخصية الغريبة، فيقوم بالمسارعة في عرضها على الإمام الهادي عليه السلام حتى يفسرها له، وقد دلت بعض تلك الحوادث على كرامة خاصة لعلي بن مهزيار، نتيجة طاعته لأهل البيت عليهم السلام ومن تلك الحوادث ما عُرف بقصة (نور المسواك) التي حصلت له على ما يبدو في طريق الحج، وقد روى لنا هذه القصة بنفسه قائلاً: (بينما أنا بالقرعاء^(٢) في سنة ست وعشرين ومئتين منصرفي عن الكوفة، وقد خرجت في آخر الليل أتوضأ وأنا أستاك، وقد انفردت من رحلي ومن الناس، فإذا أنا بنار في أسفل مسواكي، يلتهب لها

(١) الطوسي، ابن حمزة، الثاقب في المناقب، ص ٥٤٥ - ٥٤٦.

(٢) القرعاء: تأنيث الأقرع كأنها سميت بذلك لقلة نباتها وهو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقصة إذا كنت متوجهاً إلى مكة. ينظر: الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٢٥.

شعاع مثل شعاع الشمس أو غير ذلك، فلم أفرغ منها وبقيت أتعجب، ومسستها فلم أجد لها حرارة، فقلت: (الذي جعل لك من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون)^(٣). فبقيت أتفكر في مثل هذا، وأطالت النار المكث طويلاً، حتى رجعت إلى أهلي، وقد كانت السماء رشت وكان غلماني يطلبون ناراً، ومعني رجل بصري في الرحل. فلما أقبلت قال الغلمان قد جاء أبو الحسن ومعه نار، وقال البصري مثل ذلك، حتى دنوت، فلمس البصري النار فلم يجد لها حرارة ولا غلماني، ثم طفيت بعد طول، ثم التهبت فلبثت قليلاً ثم طفيت، ثم التهبت ثم طفيت الثالثة فلم تعد، فنظرنا إلى السواك: فإذا ليس فيه أثر نار ولا حر ولا شعث ولا سواد ولا شيء يدل على أنه حرق، فأخذت السواك فخبأته. وعدت به إلى الهادي عليه السلام... وكشفت له أسفله وباقيه مغطى وحدثته بالحديث، فأخذ السواك من يدي وكشفه كله وتأمله ونظر إليه، ثم قال: هذا نور، فقلت له نور جعلت فداك؟ فقال: بميلك إلى أهل هذا البيت وبطاعتك لي ولأبي ولأبائي، أو بطاعتك لي ولأبائي أراكه الله^(٤).

(٣) سورة يس، الآية ٨٠.

(٤) المجلسي، المصدر السابق، ج ٦٦، ص ٢٨٣.



الإمام عليه وثقته به، كما يظهر مهارة علي بن مهزيار كان يتمتع بنفس مطمئنة هادئة، إذ إنه على الرغم من تعجبه من هذه الحادثة الغريبة إلا أن لم يكن فزعاً منها، وقد تذكّر الآية القرآنية لما حسبها ناراً وقام بمسها من غير وجل، كما تُظهر هذه الحادثة أن بعض كرامات علي بن مهزيار قد كانت ظاهرة للعيان بحيث شاهدها من كان معه.

ونرى علي بن مهزيار بعد ذلك موضع ثقة الإمام الهادي عليه السلام؛ فيطلب منه بعض الطلبات الخاصة، فلا يتأخر علي بن مهزيار في تنفيذها، ومن تلك الطلبات أن الإمام أراد منه أن يعمل له (مقدار الساعات) وهي آلة يعين بها ساعات الليل والنهار، ويتم الانتهاء من صناعة تلك الآلة، ويقوم علي بن مهزيار بإيصالها إلى الإمام بنفسه مع بعض خاصته، ثم إن الإمام انفرد بالجلوس مع علي بن مهزيار وقتاً امتد إلى ما بعد العصر من ذلك اليوم، قبل أن يدعو الآخرين ويأذن لهم بالدخول عليه^(١).

المبحث الثالث

رسائل علي بن مهزيار إلى الإمام الهادي عليه السلام

ولما كان هذا الرجل وكيلاً للأئمة عليهم السلام كان من الطبيعي أن ترد عليه بعض المسائل التي لا يملك الجواب عليها، فكان يكتب بتلك المسائل إلى الأئمة حتى يتعرف على إجاباتها، فعلي بن مهزيار لم يكن يكتب في تلك الرسائل عن حالة خاصة به شخصياً؛ وإنما كان يسأل في تلك الرسائل عن حالات تخص الآخرين، فمجموعة الرسائل تلك أشبه ما يكون بالاستفتاءات الخطيّة المكتوبة، التي يُسأل فيها الإمام عن أحكام شرعية مختلفة، ولما كان علي بن مهزيار عن مسائل وقعت لآخرين؛ كان من الطبيعي أن تكون ضمائر

ويظهر من هذه الحادثة مدى اعتماد

ويظهر من هذه الحادثة مدى اعتماد



الغائب حاضرة بوضوح في تلك الرسائل، لأن الكاتب - علي بن مهزيار - كان يصف حالات وقعت للآخر الغائب، وقد قام الإمام بدوره بالردّ عليها برسائل خطيّة مكتوبة أيضاً، وكانت تلك الرسائل تملك خصوصيات في موضوعها وصياغتها وبنائها.

موضوع الرسائل وبنائها النصي:

وقد اتسمت هذه الرسائل ببناء نصي يقوم على إحضار وصف مضمون الرسائل بديلاً دائماً عن إيراد نص الرسالة، فعلي بن مهزيار لا يورد نص رسالته؛ وإنما يلجأ إلى التوصيف التام الذي يلخص فيه مضمون رسالته، وما يريد السؤال عنه، بلغة سهلة واضحة، بعيدة عن الغموض تنجح إلى الاستعمالات المرسلّة التي تنأى عن قيود الصنعة البديعية، وأسلوبها متحرر من التكلف، فالمقام مقام سؤال واستعلام واستفهام عن قضايا شرعية، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٢٠.

(٣) ينظر، الكليني، المصدر السابق، ج ٣ ص ٥٢١، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٠٦-١٠٧.

(٤) ينظر، الكليني، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٧، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١١٥-١١٦.

(٥) ينظر، الكليني، المصدر السابق، ج ٧، ص ٤٥٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٦٧.

(٦) ينظر، الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٦٢، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٥٢.

لما كان علي بن مهزيار وكيلاً للإمام؛ كان من الطبيعي أن تصطبغ رسائله بالطابع الفقهي، فهو حلقة الوصل بين الشيعة وإمامهم، هم يسألون عن أحكام دينهم وعلى علي بن مهزيار أن يكتب بتلك الأسئلة إلى الإمام، وغلبة الجانب الفقهي أمر قد ألفتناه عند هذه الشخصية، فقد مرّ علينا أن الطابع الفقهي قد غلب على تصانيفه ومؤلفاته، وقد كانت الأسئلة الموجهة للإمام تحمل في مضامينها طابع الاستفهام عن الأحكام الشرعية المتعددة، وقد شملت تلك الرسائل أبواب الفروع العبادية من أحكام خاصة بالصلاة^(١)، وبعض الأحكام الخاصة بالصوم^(٢)،

(١) ينظر، الطوسي، تهذيب الأحكام، ج ٣، ص ١٧٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٠٣-١٠٤.

(٢) ينظر، الكليني، الكافي، ج ٤، ص ١١٠،



باسم الإمام وكنيته، كما في كتابه الذي يسأل فيه عن جواز الصلاة خلف القائلين بالتجسيم (كتبت إلى أبي جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أصلي خلف من يقول بالجسم)^(٣) وقد يكتفي بذكر كنية الإمام الجواد عليه السلام، كما في رسالته التي يسأل فيها عن إتمام الصلاة في الحرمين (كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام: أن الرواية قد اختلفت عن آبائك عليه السلام في الإتمام والتقصير في الحرمين، فمنها بأن يتم الصلاة ولو صلاة واحدة ومنها أن يقصر ما لم ينو مقام عشرة أيام ولم أزل على الإتمام فيها إلى أن صدرنا في حجنا في عامنا هذا فإن فقهاء أصحابنا أشاروا علي بالتقصير إذ كنت لا أنوي مقام عشرة أيام فصرت إلى التقصير وقد ضقت بذلك حتى أعرف رأيك؟)^(٤).

ولعلنا نستطيع تفسير هذا الإضمار عن اسم المرسل إليه في زمن الإمام الهادي عليه السلام بأحد أمرين: أولهما: أن المرسل إليه معلوم معروف معين، فلا حاجة لذكره تصريحاً لكون الذهن لا ينصرف إلى

وأحكام عبادية؛ ولذا فقد ابتعدت عن التلاعب اللغوي والتزويق البديعي، ومالت صياغتها إلى الاستعمالات المحددة التي تبتعد عن جنوح اللغة إلى الاحتمالات المتعددة، والتأويلات المحتملة.

وهو غالباً ما يصدر وصفه لرسالته باستعمال الإضمار عن المرسل إليه - الإمام الهادي عليه السلام - بدلاً من التصريح باسمه، إذ يستعمل عبارة (كتبت إليه)، وهو يعني بذلك أنه كتب إلى الإمام الهادي عليه السلام، كما في رسالته التي يسأل فيها عن زكاة المهر (كتبت إليه أسأله عن رجل عليه مهر امرأته لا تطلبه منه إما لرفق بزوجه وإما حياء فمكث بذلك على الرجل عمره وعمرها، يجب عليه زكاة ذلك المهر أم لا؟)^(١).

وهو نادراً ما يصرح باسم المرسل إليه - الإمام الهادي عليه السلام، فقليلاً ما ترد عبارة (كتبتُ إلي أبي الحسن عليه السلام)^(٢) وهو أمر يُغايّر ما كان عليه الحال في زمن الإمام الجواد عليه السلام، فنلاحظ في رسائله التصريح

(١) الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٥٢١، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) ينظر، الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، ج ٢، ص ٢٨٧.

(٣) الصدوق، الأمالي، ص ٣٥٢. وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٥، ص ٣١١.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٤، ص ٥٢٥، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٥، ص ٣٥٦.



وتفطر وتقضى صيامها إذا امكنها، أو تدع الرضاع وتصوم؟^(٣).

وهو في كل ذلك يعتمد إلى وضع الاحتمالات الممكنة التي يظن الترجيح بينها، وهو ما يكشف عن طبيعة الحوار والنقاش الذي يدور حول السؤال الموجه للإمام، كما نرى ذلك في رسالته التي يسأل فيها عن المفاضلة في الإقامة بين مكة وغيرها من البلدان، إذ يقول: (سألت أبا الحسن عليه السلام: المقام بمكة أفضل أو الخروج إلى بعض الأمصار؟)^(٤)، فالسؤال يكشف عن حوار قد دار بين الناس عن أفضلية الإقامة وقد استعان بالأداة (أو) في تفصيل السؤال وإظهار التردد في المقام بين مكة وغيرها من الأمصار الأخرى.

ورسائل علي بن مهزيار في عمومها لا تسأل عن حاله خاصة به، وإنما يكتب عن حالات وقعت للآخرين، وهو لا يذكر اسم الشخص الذي يدور السؤال حوله، لان المرسل - علي بن مهزيار - لا يرغب

(٣) الحلي، ابن إدريس، مستطرفات السرائر، ص ٦٧، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٢١.

(٤) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٣٢، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٢٢.

ومن أهم الوسائل اللغوية التي يستعين بها على التفصيل في السؤال حرف العطف (أو)، كما نلاحظ ذلك في النص المتقدم إذ أورد الأداة (أو) أكثر من مرة بقصد التفصيل في الحالات التي قد يتعرض لها من نذر أن يصوم يوم الجمعة دائماً، إذ يقول: (فوافق ذلك اليوم يوم عيد فطر أو أضحى أو أيام التشريق أو السفر أو مرض...) ^(١).

وكما نجد في رسالته التي يسأل فيها عن صوم المستحاضة، إذ يقول في سؤاله (كتبت إليه عليه السلام امرأة طهرت من حيضها أو من دم نفاسها في أول يوم من شهر رمضان ثم استحاضت فصلت وصامت شهر رمضان كله من غير أن تعمل ما تعمل المستحاضة من الغسل لكل صلاتين فهل يجوز صومها وصلاتها أم لا؟) ^(٢).

وقد يستعمل علي بن مهزيار حرف العطف (أو) للتفصيل وإظهار حالة الشك أو التردد في الحكم بين أمرين أو أكثر، كما مرّ علينا في رسالته التي يسأل فيها عن حكم المرضعة، إذ يقول: (أترضع

(١) الكليني، الكافي، ج ٧، ص ٤٥٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٦٧.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٤، ص ١٣٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٢٠.



تلك الرسالة (كتبت إليه: يا سيدي رجل دفع إليه مال يحج به، هل عليه في ذلك المال حين يصير إليه الخمس أو على ما فضل في يده بعد الحج؟)^(١).

وقد يستعين على الوصول إلى فكرة التعميم باستعمال المفرد المحلى بالألف واللام، كما في رسالته التي يسأل فيها عن حصول الأجرة للمولى الذي أعتق مملوكه عندما يحضره الموت في ساعاته الأخيرة، إذ يقول: (كتبت إليه أسأله عن المملوك يحضره الموت فيعتقه المولى في تلك الساعة فيخرج من الدنيا حراً فهل لمولاه في ذلك أجر؟ أو يتركه فيكون له أجره إذا مات وهو مملوك؟)^(٢) فقد عمد إلى لفظتي (المملوك) و(المولى) فجعلهما لفظين عامين بوساطة تحليتهما بالألف واللام.

ومن شأن استعمال التعميم بهاتين الطريقتين أن يجعل الحكم الصادر من الإمام عاماً يشمل كل شخص حصلت له الظروف المذكورة في السؤال، وهذا بدوره يؤسس لأحكام فقهية تنطبق على الحالات المتشابهة.

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٤٧، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١١٦.

(٢) الكليني، المصدر السابق، ج ٦، ص ١٩٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٦٦.

في كشف اسم المتحدث عنه، وربما يكون ذلك للحفاظ على خصوصية الشخص السائل وعدم الكشف عنها، أو لضمان سلامة الشخص من أذى السلطات الظالمة وملاحقتها له، ومهما يكن السبب الذي يكمن خلف عدم ذكر اسم الشخص؛ لا يمكن إغفال أن علي بن مهزيار كان يعتمد في رسائله إلى جعل السؤال عاماً غير مختص بشخص بعينه، فهو لا يذكر اسم الشخص، وإنما يتحدث عن حالته التي يُريد السؤال عنها، وهذا من شأنه أن يجعل السؤال عاماً مادام السائل لم يحدد السؤال بشخص بعينه.

كما أن علي بن مهزيار قد يستعين على تحقيق العموم في رسائله بوسائل لغوية أخرى منها: استعمال التنكير الذي يفيد (الجنس) كما في لفظتي (رجل) أو (امرأة) اللتين تشيران إلى جنس كل منهما، فقد يعمد إلى ذكر لفظ (رجل) أو (امرأة) ثم يقوم بوصف ما وقع لهذا الرجل أو لتلك المرأة، فيكون التنكير وسيلة مناسبة لجعل السؤال عاماً يشمل جنس الرجال أو جنس النساء، الذي يكون غير مختص بأحد، ويعطيه طابع العموم، كما في رسالته التي يسأل فيها عن وجوب الخمس فيما يأخذه الأجير من أجرة الحج، إذ ورد في



الخالية من المؤكدات، ذلك أنها موجهة لجمهور يعتقد بعصمة الإمام الهادي عليه السلام، ولا يتردد في قبول الأحكام الصادرة منه.

وقد كان حضور المؤكدات نادرا جدا في بعض الجمل التي استدعت حضورها، كما نرى ذلك في جواب الإمام عن سؤال علي بن مهزيار عن حكم المستحاضة في الصوم والصلاة، إذ كتب الإمام: (تقضي صومها ولا تقضي صلاتها، إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر فاطمة صلوات الله عليها والمؤمنات من نسائه بذلك)^(١) فبعد أن أعطى الإمام الحكم؛ أيده بجملة خبرية مؤكدة ب(إن) تذكر صنيع رسول الله صلى الله عليه وآله، وما كان يأمر به في زمانه، وقد كان حضور المؤكد من باب تدعيم الحكم الصادر بذكر الشاهد عليه من السنة النبوية المطهرة.

وبما ان السؤال المقدم للإمام يتحدث عن شخص غائب؛ فقد كانت أجوبة الإمام تستعمل ضمير الغائب أيضا في الحديث عنه، كما نرى ذلك في جوابه عن زكاة المهر الذي يبقى عند الرجل من غير أن تطالبه الزوجة به، إذ كتب الإمام:

بعد أن يلخص علي بن مهزيار مضمون رسالته؛ يبدأ بإيراد أجوبة الإمام الهادي عليه السلام عن تلك الأسئلة، بعد عبارة (فكتب عليه السلام) باستعمال الإضمار أيضا بدلا من التصريح باسم المرسل - الإمام الهادي عليه السلام - ثم يورد نص جواب الإمام عن السؤال المتقدم.

وقد أتسمت أجوبة الإمام الهادي عليه السلام على هذه الأسئلة بالإيجاز والاختصار، واللغة الواضحة المرسلة، البعيدة عن التكلف والغموض، وهو المطلوب تماما في اللغة الكتابية، وذلك لغياب المنشئ عن تفسير النص، فالكاتب يضع النص ويترك للمتلقي تفسيره، وحتى لا يضيع المعنى المقصود لا بد للكاتب من اتباع الطريقة الواضحة، واللغة المحددة، حتى لا يتيه المتلقي في غياهب التأويلات التي قد تسمح بها بعض الاستعمالات اللغوية التي تبتعد عن الوضوح.

وقد غلب على أجوبة الإمام طابع الأسلوب الخبري، الذي تعلوه نبرة العارف بما يقول، وتزينه ثقة أكيدة بما يكتب، فالحكم يُؤخذ من أهل البيت، وهم أدري بما فيه، وقد غلب على هذه الجمل الخبرية سمة الأخبار الابتدائية

(١) الكليني، المصدر السابق ص ١٣٦، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٢٠.



(لا يجب عليه الزكاة إلا في ماله.)^(١) فقد استعمل الإمام ضمائر الغائب في (عليه) وفي (ماله)؛ لان السؤال أصلاً يتحدث عن غائب.

وكانت الأحكام الصادرة في أجوبة الإمام على درجة عالية من التخصيص والحصص، بحيث تشمل الحالة موضع السؤال والحالات المشابهة لها؛ وتمنع من حصول اللبس أو الاختلاط أو التوهم أو التداخل مع المسائل الأخرى في الوقت نفسه، وكانت وسيلة هذه الأجوبة في تحقيق العبارة الجامعة المانعة تعتمد على أحد طريقتين: أولهما: أسلوب التقديم الذي يُقصد منه تخصيص الحكم بالمسند المتقدم دون أن يتعداه إلى غيره، كما في جواب الإمام على رسالة علي بن مهزيار التي يسأل فيها وجوب الخمس في ما يأخذه الأجير من أجره الحج، إذ أجاب الإمام بعبارة موجزة كتابة: (ليس عليه الخمس)^(٢) فالخمس منفي عن الأجير على وجه التخصيص والقطع.

أما الطريق الآخر فهو استعمال

(١) الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٥٢١، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٠٧.

(٢) الكليني، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٧، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١١٦.

الحصص عن طريق النفي والاستثناء، الذي يحصر الحكم في المقصور عليه، ويخرج كل ما سواه، كما نرى ذلك في جوابه عن زكاة المهر الذي يبقى عند الرجل من غير أن تطالبه الزوجة به، إذ كتب الإمام: (لا يجب عليه الزكاة إلا في ماله.)^(٣) فقد حصر الإمام حكم الزكاة الواجبة على مال هذا الرجل دون سواه.

(٣) الكليني، المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٢١، وينظر، الميانجي، مكاتيب الأئمة، ج ٦، ص ١٠٧.

خاتمة البحث ونتائجه:

في ختام البحث لابدّ من إجمال أهم النتائج التي توصل إليها والتي يمكن تلخيصها بالآتي:

- رحلة علي بن مهزيار من النصرانية إلى الإسلام والتحاقه بركب أهل البيت عليه السلام؛ دلت على عقلية نقدية لا تتقبل الأشياء ببساطة، ولقاؤه الأول بالإمام الهادي عليه السلام يؤكد ذلك بوضوح، فهو لم يسلم بأمر الإمام إلا بعد الفحص والتدقيق حتى انتهى إلى اليقين التام بعد مشاهدة الأدلة المقنعة.

- ثناء الأئمة على هذه الشخصية، واعتمادهم عليه في بعض الأمور الخاصة، وتكليفهم له ببعض المهام؛ يدلنا على المكانة المكيّنة التي احتلتها هذه الشخصية في نفوس أهل البيت عليهم السلام.

- تمتعت هذه الشخصية بثقافة عالية أهلته لوضع المؤلفات الغزيرة في حقول معرفية متعددة.

- بالنظر إلى أن هذه الشخصية كانت تتبوأ مقام الوكالة للإمام الهادي عليه السلام؛ كان من الطبيعي أن يغلب الجانب الفقهي على مؤلفاته ورسائله التي بعث بها للإمام عليه السلام.

- قامت الرسائل على بناء نصي

متناسق، عماده استعمال المفردات الواضحة، واللغة المرسلة البعيدة عن قيود الصنعة البديعية.

- عمدت الرسائل إلى انتهاج منهج الإضمار بدل التصريح باسم المرسل إليه؛ لاعتبارات خاصة تدعو إليها ظروف ذلك الزمان.

- قامت الرسائل على مبدأ التفصيل في السؤال، واعتمدت في ذلك على بعض الوسائل اللغوية التي تمكن من ذلك التفصيل.

- مالت الرسائل إلى قصد العموم في طرح الأسئلة، من غير تقييد بشخص بعينه، واستعانت على ذلك بوسائل لغوية مختلفة، منها عدم التصريح باسم الشخص (موضع السؤال)، فضلاً عن استعمال التنكير الذي يفيد الجنس، والتعريف الذي يفيد العموم.

- اتسمت رسائل الإمام الهادي عليه السلام الجوابية على تلك الرسائل بالإيجاز والاختصار، واللغة الواضحة المرسلة، البعيدة عن التكلف والغموض، وغلبة الأسلوب الخبري، واستعمال ضمائر الغائب، كما تميزت بالتخصيص والحصص، فهي عبارات جامعة مانعة.



المصادر والمراجع:

المعجزات، تحقيق: السيد فلاح الشريفي، مؤسسة بنت المصطفى عليه السلام لإحياء تراث أهل البيت، ١٤٢٢ هـ ق - ٢٠٠١ م.

٧- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن (ت ١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٩ هـ.

٨- الحموي، ياقوت بن عبد الله (٥٦٢٦ هـ) معجم البلدان، دار صادر، بيروت - لبنان، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

٩- السبحاني، جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء، دار الأضواء، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٠- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، كمال الدين وتمام النعمة، دار المتقين للثقافة والعلوم والطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ١٤٣٥ هـ.

١١- الصفار، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠ هـ)، بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد عليهم السلام، تحقيق: السيد محمد السيد حسين المعلم، المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦ هـ، ط ١.

١- القرآن الكريم.
٢- الحلي، ابن إدريس محمد بن أحمد (٥٩٨ هـ)، النوادر أو مستطرفات السرائر، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام برعاية محمد باقر بن المرتضى الموحد الأبطحين الأصفهاني، مطبعة أمير، قم المقدسة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ط ١.

٣- الطوسي، ابن حمزة، أبو جعفر محمد بن علي (من علام القرن السادس الهجري)، الثاقب في المناقب، تحقيق: نبيل رضا علوان، مؤسسة أنصاريان، إيران - قم، ١٣٧٧ هـ ش - ١٤١٩ هـ ق، ط ٣.

٤- ابن داود، تقي الدين الحسن بن علي الحلي (ت ٧٣٧ هـ)، رجال ابن داود تحقيق: محمد صادق آل بحر العلوم، مطبعة الشريف الرضي، قم، ١٣٩٢ هـ.

٥- البصري، أحمد بن عبد الرضا (١٠٢٠ - ١٠٨٥ هـ ق)، فائق المقال في الحديث والرجال، تحقيق: غلامحسين قيصريّه ها، دار الحديث، قم، ١٤٢٢ ق / ١٣٨٠ ش، ط ١.

٦- حسين، الشيخ عبد الوهاب (من أعلام القرن الخامس الهجري)، عيون



- ١٢- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ) اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٧هـ.
- ١٣- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٠١هـ.
- ١٤- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)، كتاب الأمالي، تحقيق: بهراد الجعفري، وعلي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨١هـ.
- ١٥- الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي ثقة الإسلام (٣٢٩هـ)، الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ.
- ١٦- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي الدين (ت ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق ونشر: دار إحياء التراث، بيروت، ١٤١٢هـ، ط ٢.
- ١٧- الميانجي، علي الأحمدي، مكاتيب الأئمة، تحقيق مجتبى الفرجي، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط ٢، ١٤٣٠هـ.
- ١٨- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي (ت ٤٥٠هـ)، رجال النجاشي، مطبعة الأعلمي، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.
- ١٩- النوبختي، الحسن بن موسى (من أعلام القرن الثالث الهجري)، فرق الشيعة، منشورات الرضا، بيروت، لبنان، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، ط ١.

مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام
في ضوء السياق التعبيري

The Narrations of Imam Ali al-Hadi
(PBUH) in Light of Expressive Context

أ.م. أحمد جاسم ثاني
جامعة البصرة
كلية التربية للعلوم الإنسانية

Assist. Prof. Ahmed Jasim Thani
University of Basrah
College of Education for Human Sciences



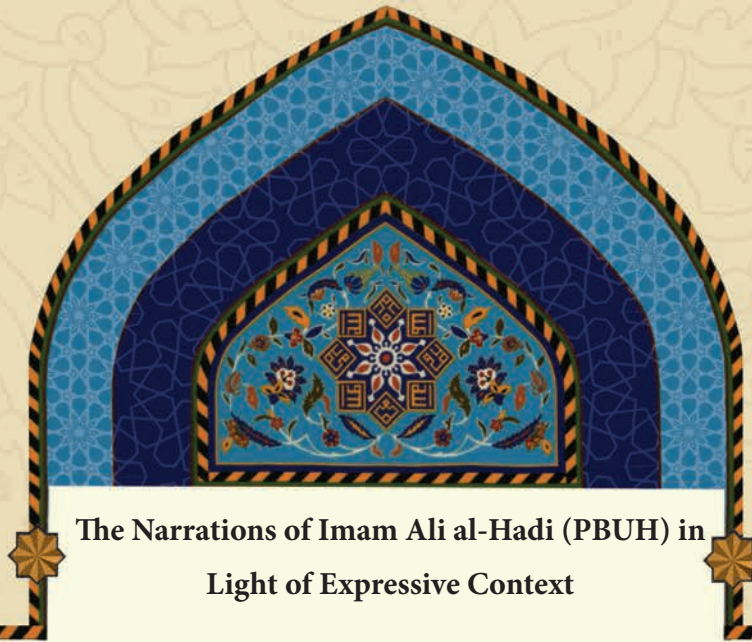
مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام في ضوء السياق التعبيري

الملخص:

هذا البحث محاولة للتأمل في تراث الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي اشتمل على بعض الأجناس الأدبية كالرسائل والمواعظ وقصار الحكم وغيرها من أنماط التعبير العربي، كالحوارات والاحتجاجات وأجوبة المسائل، وقراءة هذا التراث في ضوء ما يُعرف بـ(السياق التعبيري)، وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تضمن التمهيد التعريف بالمصطلحات المهمة التي تشكّل منها العنوان، ولمحة موجزة من تاريخ الأدب العربي في عصر الإمام الهادي عليه السلام وشيء من مكانته العلمية والأدبية، وفي المباحث الثلاثة خُصّص الحديث عن أدبه وتعبيره في مروياته التي جاءت على ثلاثة أنواع بحسب سياقها، فتناول المبحث الأول (سياق التعبير العلمي)، والمبحث الثاني (سياق التعبير الأدبي أو الفني)، أما المبحث الثالث فضم (السياق المتنوع) الذي يجمع بين ما هو علمي وما هو أدبي، وفي ضوء هذا التقسيم عُني البحث باختيار بعض النصوص المروية عنه عليه السلام وتحليلها تحليلًا أدبيًا بلاغيًا، والوقوف على دلالات السياق، وبيان القيم المعنوية والجمالية لتلك النصوص، وهي - بلا شك - نصوص هداية وصلاح للناس أجمعين، تدعو إلى طاعة الله الواحد الأحد ونبذ معصيته، ليضمنوا بذلك سعادة الدارين.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الهادي عليه السلام، السياق الادبي، السياق التعبيري، السياق العلمي.



The Narrations of Imam Ali al-Hadi (PBUH) in Light of Expressive Context

Abstract:

This study is an attempt to examine the heritage of Imam Abu Al-Hasan Ali Ibn Muhammad Al-Hadi (PBUT), which included some literary genres such as letters, sermons, wise sayings, and other forms of Arabic expression like dialogues, arguments, and answers to issues. This heritage is read in light of what is known as the "expressive context", which includes an introduction and three sections. The introduction defines the important terms that make up the title, and a brief overview of Arabic literature during Imam Ali Al-Hadi's era (PBUH), as well as his scientific and literary status. The three sections discuss his heritage and the expression in his narrations, which are of three types based on the context. The first section discusses the "context of scientific expression", the second tackles the "context of literary or artistic expression", and the third one includes the "diverse context" that combines the scientific and the literary context. Based on this classification, the study chose some of Imam's (PBUH) narrations for literary rhetorical analysis. The aim is to examine the implications of the context, and highlight the texts' moral and aesthetic values, which undoubtedly contain guidance and righteousness for all people, calling for the worship of the One and Only God and avoiding disobedience to Him, to ensure happiness in this life and the next one.

key words:

Imam Al-Hadi (PBUH), literary context, expressive context, and scientific context .

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين...

وبعد، فقد حفلت كتب الحديث والروايات بثروة عظيمة من تراث أئمة أهل البيت عليهم السلام الذي اتسم بجمال اللفظ والمعنى وتناسق العبارات ودقة التعبير... فهو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، إذ إنه لا يشوبه أدنى شائبة فهو مثال يُحتذى، وأنموذج أصيل للعربية الفصحى.

وهذا البحث محاولة للتأمل في تراث الإمام أبي الحسن علي بن محمد الهادي عليه السلام الذي اشتمل على بعض الأجناس الأدبية كالرسائل والمواعظ وقصار الحكم وغيرها من أنماط التعبير العربي كالحوارات والاحتجاجات وأجوبة المسائل، وقراءة هذا التراث في ضوء ما يُعرف بـ(السياق التعبيري)، وقد اشتمل البحث على تمهيد وثلاثة مباحث، تضمن التمهيد التعريف بالمصطلحات المهمة التي تشكّل منها العنوان، ولمحة موجزة من تاريخ الأدب العربي في عصر الإمام الهادي عليه السلام وشيئاً من مكانته العلمية والأدبية، وفي المباحث

الثلاثة خُصّص الحديث عن أدبه وتعبيره في مروياته التي جاءت على ثلاثة أنواع بحسب سياقها، فتناول المبحث الأول (سياق التعبير العلمي)، والمبحث الثاني (سياق التعبير الأدبي أو الفني)، أما المبحث الثالث فضم (السياق المتنوع) الذي يجمع بين ما هو علمي وما هو أدبي، وفي ضوء هذا التقسيم عُني البحث باختيار بعض النصوص المروية عنه عليه السلام وتحليلها تحليلاً أدبياً بلاغياً، والوقوف على دلالات السياق، وبيان القيم المعنوية والجمالية لتلك النصوص، وهي - بلا شك - نصوص هداية وصلاح للناس أجمعين، تدعو إلى طاعة الله الواحد الأحد ونبذ معصيته، ليضمنوا بذلك سعادة الدارين.

وقد أفاد البحث من مصادر الحديث التي ضمت تراث أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام ولا سيما مرويات الإمام علي الهادي عليه السلام، ومصادر الأدب والبلاغة والنقد ومن أهمها كتابات الدكتور محمود البستاني -رحمه الله- الذي كان له قصبُ السبق في دراسة تراث أهل البيت عليهم السلام عبر منهجية أدبية نقدية ورؤية تجديدية في قراءة النص الديني. فضلاً عن معاجم اللغة القديمة والحديثة، والدراسات اللغوية المعاصرة. والحمد لله رب العالمين.

تمهيد:

أولاً: السياق في اللغة والاصطلاح

السياق لغةً: من السَّوق، و«السَّوق: معروف. ساق الإبل وغيرها يَسُوقها سَوْقاً وَسِيقاً، وهو سائقٌ وَسَوَّاقٌ، شَدَّ للمبالغة»^(١)، «وسياق الكلام تتابعُهُ وأسلوبُهُ الذي يجري عليه»^(٢).

والسياق في الاصطلاح: ويُسمى بالقرينة الحالية^(٣)، هو «تلك الأجزاء التي تسبق النص أو تليه مباشرةً، ويتحدد من خلالها المعنى المقصود»^(٤)، أو هو «ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال؛ وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام...»^(٥). وما يصاحب اللفظ من

(١) ابن منظور، لسان العرب، (سوق)، ج ١٠، ص ١٦٦.

(٢) إبراهيم مصطفى ومجموعة من الباحثين، المعجم الوسيط، (ساق)، ج ١، ص ٤٦٥.

(٣) ينظر: وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٢٨٨.

(٤) عزت، عليّة، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، ص ٨٣، نقلاً عن: المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص ٥٢.

(٥) أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في

غير الكلام هي الظروف الخارجية للنص، فهناك سياق لغوي لفظي ويمثّل (الإطار الداخلي للغة)، وهناك سياق غير لغوي ويمثّل (الإطار الخارجي للغة)، ويشمل السياق اللغوي: السياق الصوتي، والسياق الصرفي، والسياق النحوي، والسياق المعجمي والدلالي، والسياق التعبيري^(٦).

ثانياً: السياق التعبيري

ويختص هذا السياق بالنصوص الأدبية: شعرية ونثرية، وينطلق من وظيفة اللغة الأساسية^(٧)، وتقتصر هذه الوظيفة عند بعض اللغويين على «التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم»^(٨). ومنهم من يولي السياق أهمية كبرى، فيرى أن النظرية

ضوء دراسات علم اللغة الحديث، ص ١١٦.

(٦) ينظر: المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص ٥٢-٥٣.

(٧) ينظر: عبد العبود، جاسم محمد، مصطلحات الدلالة العربية، ص ١٤٤.

(٨) المسدي، عبد السلام، اللسانيات من خلال النصوص، ص ٣١، نقلاً عن وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ١٤٤.



منشئ للنص أسلوباً خاصاً في الحديث أو الكتابة يعبر عن ثقافته وأغراضه التعبيرية.

ويبدو أن التقسيم الذي يجعل "السياق التعبيري" نوعاً من أنواع السياق اللغوي يحتاج إلى إعادة نظر؛ وذلك لأن السياق التعبيري لا يقتصر على السياق اللغوي فحسب، بل يتحدد مساره تبعاً لما ينتجه السياق غير اللغوي أيضاً أو

(سياق الموقف)، فهو يتأثر بالقرائن الحالية والوقائع المحيطة بالنص، والأبعاد الثقافية والاجتماعية والدينية والسياسية، ونوع الخطاب الذي يحمله النص، كأن يكون خطاباً دينياً أو فنياً أو سياسياً، وغاية النص كأن يكون للتأثير في المتلقي اقناعاً أو إغراءً أو تحذيراً أو إنذاراً، ومكان النص وزمانه وغيرها، وهي بمجملها فروع من السياق غير اللغوي^(٣)؛ لذا يمكننا القول إن السياق التعبيري هو سياق عام يشترك في إنتاجه السياقات اللغوية وغير اللغوية.

ويمكن أن نقسم السياق التعبيري إلى سياق علمي (واقعي) وسياق أدبي (فني)، وسياق متنوع يجمع بين النوعين.

(٣) ينظر: نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، ص ٢١٦.

السياقية تفيد من النظرية الأخلاقية، انطلاقاً من أن لكل نص تأثيراً أخلاقياً معيناً، سواء أكان مقصوداً من المنشئ أم غير مقصود، فمن الممكن استعمال الفن لأغراض الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي؛ لأنه يمتلك وسائل وأساليب قادرة على تغيير تفكير الجمهور وتطوير اتجاهاته نحو آفاق جديدة^(١).

ويشتمل السياق التعبيري على نوعين هما^(٢):

١- السياق المبتكر: وهو من الأنواع الحديثة النشأة، ويبرز في الشعر أكثر من الشر، حيث يعنى بالتجديد اللغوي والإتيان بالكلمات المستعملة حديثاً.

٢- السياق الأسلوبي: وهو اختصاص الأسلوب بمجموعة من الميزات والخصائص التي يتمتع بها المتكلم أو صاحب الأسلوب، وهذا النوع يرتبط بالأدب ولا سيما الشعر والنثر، ويختلف من شخص لآخر، إذ إن لكل متكلم أو

(١) ينظر: راغب، نبيل، موسوعة النظريات الأدبية، ص ٣٣٨.

(٢) ينظر: مصطلحات الدلالة العربية، ص ١٤٤-١٤٥، وينظر: المصطفى، عوطف، كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، ص ٦٩-٧٦.



الأدب في عصر الإمام علي الهادي عليه السلام

عاصر الإمام الهادي عليه السلام أحداثاً سياسية واجتماعية نتجت عنها عوامل وظروف موضوعية أثّرت بشكل أو بآخر على أدب تلك المرحلة، إذ سيطر الأتراك على العباسيين، وحدثت اضطرابات ومؤامرات بينهما فوصلت إلى حد الخلع والقتل، مما أدى إلى تعرّضه للاضطهاد تارةً والتكريم تارةً أخرى، ويتعرض أتباعه إلى التآرجح ذاته، فحدثت ثورات في ذلك العصر، وقد رافق ذلك انحراف اجتماعي، مما أدى إلى ظهور نوع من الأدب يحمل طابعاً اجتماعياً ويمثله فنّ الرسائل، إذ بقي هذا النوع من الفن محتفظاً بطابعه وغزارته، وبشكل عام فإن أدب هذه المرحلة قد شهد نشاطاً ملحوظاً في حقل التأليف، فبرزت دراسات في ميدان النقد والبلاغة وتاريخ الأدب^(١).

مكانته العلمية

كان الإمام الهادي عليه السلام من أعلام أئمة الهدى الاثني عشر، فهو الإمام العاشر في سلسلة أهل البيت عليه السلام، وقد ذكره (١) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص ٢٣٨. وينظر: الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام، ج ١٤، ص ٣٠٥-٣٠٧.

المؤرخون وأصحاب السير بوصفه علماً بارزاً من أعلام عصره في العلم والمعرفة، وفي التقوى والعبادة، وفي الواجهة والقيادة والريادة^(٢).

وقد أثّرت بعض الظروف السياسية والاجتماعية فأدّت إلى قلة النصوص الروائية الواردة عنه إذا ما قُورن بحجم النصوص الواردة عن آبائه عليه السلام، ولما كان أسلوب الدعوة إلى الدين وتطبيق مبادئ الله تعالى لا ينحصر في نوع محدّد من الأشكال التعبيرية بقدر ما تفرضه مناسبات متنوعة عبر رسالة أو خاطرة أو مقابلة، حيث إنّ النص الفني يظل مرتبطاً بسياقه ومناسباته^(٣).

ومن الملاحظ أن كلام أهل البيت عليه السلام قد اعتنى بالعنصر الصوري، وهذا العنصر تميّز في أدب المعصومين عن غيره من الآداب، وذلك في كونه لا يرد إلا في سياق خاص، ويستقي ما هو مألوف من الخبرات اليومية، ومكتفياً عميقاً ومركّزاً، فضلاً عن كونه متناسباً مع الدلالات التي

(٢) ينظر: مؤسسة البلاغ، سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليه السلام، ص ٦٠٣، وص ٦١٩.

(٣) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٣٥١، البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص ٢٣٩.

يستهدف توصيلها للمتلقي، وهذه جميعاً تمثل مهمة الفن في أنجح مستوياته^(١).

إن مهمة الإمام الهادي في التواصل مع الأمة عبادياً اتسمت بالسرية؛ لذلك فإن النتاج العلمي اقتصر على المناسبات الخاصة التي يُتاح له فيها صياغة النصوص الفنية عبر مقابلة أو رسالة أو كلمة مرتجلة^(٢).

لقد انبرى الإمام الهادي كأبائه الهداة الميامين لخدمة مبادئ الإسلام الحقّة والدفاع عن أصوله ونشر فروعه انطلاقاً من مسؤوليته الشرعية في دفع شبهات المخالفين وأهل البدع والأهواء في مجال العقائد والكلام كالتوحيد والنبوة والإمامة وغيرها من البحوث العقائدية، دفاعاً عن العقيدة الإسلامية المقدسة ومبادئها السامية ومكافحة الكفر والإلحاد...^(٣)، وكتب الحديث حافلة بالروايات الماثورة عنه، وقد تنوعت في أساليبها على ثلاثة أنواع، يمكن أن نبينها في المباحث الآتية:

(١) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٣٧٠-٣٧١.

(٢) ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٣٥٢.

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام، ج ١٤، ص ٣٠٧.

المبحث الأول

سياق التعبير العلمي

يتكون التعبير العلمي من عنصرين أساسيين هما: الأفكار والعبارات، فاختيار الأفكار وتنسيقها، وإيثار الكلمات الدقيقة والجمل الواضحة هو عمل أسلوبى؛ لأنه لولم يتبعه الكاتب متأثراً بموضوعه من جهة وبشخصيته من جهة أخرى^(٤).

وتتنسب بعض نصوص الإمام الهادي عليه السلام إلى التعبير العلمي؛ وذلك لكون المرحلة التي عاش فيها قد شهدت بدايات التأليف المنهجي، ولما كان المعصومون يتحدثون بلغة عصرهم، فقد جاءت بعض نصوصه على هذه الصيغة وهذا النمط من الكتابة، كالرسائل والإملاءات ذات الطابع التحليلي أو التفسيري لنصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة أو مداخلات ومناقشات لنظرات الآخرين^(٥).

والرسالة هي «شكل أدبي يحفل بأدوات الفن من صورة وإيقاع وقيم لفظية

(٤) ينظر: الشايب، أحمد، الأسلوب، ص ٥١-٥٢.

(٥) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص ٢٣٩.



متنوعة»^(١). وهي إما أن تُوجه إلى شخصية مسؤولة فتُسمى بالرسالة الإدارية، أو تُوجه إلى شخصية أخوية فتُسمى بالرسالة الإخوانية^(٢).

ومن ذلك رسالته الطويلة التي وجهها إلى بعض البلدان الإسلامية للإجابة عن الجدل والخلاف الفكري الذي نشأ بين المسلمين حول مسألة الجبر والاختيار والتفويض في السلوك الإنساني^(٣)، وقد جاء في مستهلها: «من علي بن محمد، سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته، فإنه ورد عليّ كتابكم وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم وخوضكم في القدر ومقالة من يقول منكم بالجبر ومن يقول بالتفويض وتفرّقكم في ذلك وتقاطعكم وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم وفهمت ذلك كله...»^(٤).

ومنه أيضاً وعظه لأتباعه: «أوصيكم

بتقوى الله والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة إلى من اتّمنكم من بر أو فاجر وطول السجود وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد ﷺ صلوا في عشائهم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق في حديثه وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا شيعي فيسري ذلك. اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جروا إلينا كل مودة وادفعوا عنا كل قبيح، فإنه ما قيل فينا من حسن فنحن أهله، وما قيل فينا من سوء فما نحن كذلك. لنا حق في كتاب الله وقربة من رسول الله وتطهير من الله لا يدعيه أحد غيرنا إلا كذاب. أكثروا ذكر الله وذكر الموت وتلاوة القرآن والصلاة على النبي ﷺ، فإن الصلاة على رسول الله عشر حسنات. احفظوا ما وصيتكم به واستودعكم الله وأقرأ عليكم السلام»^(٥).

وواضح من النصين السابقين أن أسلوب الرسالة الأولى اتسم باللغة التقريرية المباشرة، وابتعد عن التعبير الفني والمجازي التخيلي، «الملتأمل في نصوص هذه المقدمة من الرسالة يدرك بوضوح حدة الخلاف العقائدي، وانعكاسه على

(١) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص ٣٠٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٨.

(٣) ينظر: سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ص ٦٠٦.

(٤) الحراني، ابن شعبة، تحف العقول، ص ٤٥٨.

(٥) الحراني، تحف العقول، ص ٤٨٨.

العلاقات الاجتماعية، وبلبله الفكر والرأي في تلك المسائل الخطيرة، كما تكشف أيضاً مرجعية الإمام العلمية، ولجوء الأمة إليه لفهم الإسلام، وتوضيح العقيدة، وبيان معضلات الفكر والمعتقد^(١)، فالغاية منها علاج مشكلة عقائدية ابتليت بها الأمة ومن واجب الإمام أن يدلي بالقول الفصل لحل تلك الإشكالات، وقد اقتضى السياق التعبيري أن يكون الأسلوب علمياً مباشراً مصاغاً بلغة العقل والعلم.

والحال نفسه نجده في النص الثاني، إذ إنه احتوى على الموعظة والتوجيهات والأوامر الدينية والأخلاقية المباشرة، وابتعد عن الصور الفنية، بل إن صياغته جاءت على وفق أسلوب علمي لتكون وثيقة وبرنامج عمل لكل من يريد اتباع النهج الرسالي والاهتداء بنور الإسلام وتطبيق مبادئ السماء.

ومن ذلك أيضاً جوابه عن سؤال ابن السكيت له الذي جاء فيه: «لماذا بعث الله موسى بن عمران عليهما السلام بالعصا وبه البضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطب؟ وبعث محمداً - ﷺ - وعلى

(١) ينظر: سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، ص ٦٠٦.

جميع الأنبياء - بالكلام والخطب؟»^(٢) فأجاب عليه:

«إِنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ السَّحَرُ، فَأَتَاهُمُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي وَسْعِهِمْ مِثْلَهُ، وَمَا أَبْطَلَ بِهِ سِحْرَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتٍ قَدْ ظَهَرَتْ فِيهِ الزَّمَانَاتُ^(٣) وَاحْتِاجُ النَّاسِ إِلَى الطَّبِّ، فَأَتَاهُمُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ عَنْدهُمْ مِثْلَهُ، وَبِهَا أَحْيَى لَهُمُ الْمَوْتَى، وَأَبْرَأَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ. وَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فِي وَقْتٍ كَانَ الْغَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبُ وَالْكَلَامُ... فَأَتَاهُمُ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ مِنْ مَوَاعِظِهِ وَحُكْمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ، وَأَثْبَتَ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ»^(٤).

(٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج ١، ص ٨١.

(٣) جمع زمانة، وهو المرض الذي يدوم، «وَزَمَنَ الشَّخْصُ زَمَنًا وَزَمَانَةً فَهُوَ زَمِنٌ مِنْ بَابِ تَعَبَ وَهُوَ مَرَضٌ يَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا وَالْقَوْمُ زَمْنَى مِثْلُ: مَرَضَى وَأَزَمَنَهُ اللَّهُ فَهُوَ مُزَمَّنٌ» الفيومي، أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (زم ن)، ج ١، ص ٢٥٦.

(٤) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج ١، ص ٨١.



فالسّياق لا يتطلّب سوى التعبير العلمي المباشر لتقرير الحقيقة والبيان والتوضيح حول السؤال المطروح، وقد فرّق الإمام بين معجزات الأنبياء ﷺ بحسب العصر الذي بُعثوا فيه وبحسب ما كان رائجاً في زمان كلٍّ منهم، فالنص يخلو لغة الفن والصور والخيال والمحسنات اللفظية وغيرها، إلا أنه يستوحي دليله العلمي من القرآن الكريم ولا سيما قصص الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن.

وفي قوله ﷺ: «مَنْ اتَّقَى اللَّهَ يَتَّقَى. وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ يُطَاع. وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ يُبَالِ سَخَطَ الْمَخْلُوقِينَ. وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَلْيَقْنِ أَنْ يَحِلَّ بِهِ سَخَطُ الْمَخْلُوقِينَ»^(١).

نلاحظ أن النص بُني على الجملة الشرطية في سياق الدعوة إلى تقوى الله تعالى وطاقته، والتحذير من معصيته، فلم يستلزم ذلك شيئاً من التصوير الفني، بل جاء التعبير واضحاً في لفظه ومعناه، مناسباً لسياقه ومقامه.

المبحث الثاني

سياق التعبير الأدبي

حين يلجأ الكاتب إلى الخيال ليصوّر

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد ﷺ، ج ١، ص ٣٠٠.

به انفعاله تضيق دائرة الأفكار ويبرز عنصر الجمال وهو ما يسمّ التعبير الأدبي (الفني) الذي تبدو فيه شخصية الكاتب أشدّ وضوحاً وأبعد تأثيراً، فالتعبير الأدبي يتشكّل من ثلاثة عناصر هي: الأفكار، والصور، والعبارات، ويكون اختيار هذه العناصر عملاً أسلوبياً أيضاً؛ لأنه يمثل طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه أليق بموضوع الكلام^(٢).

ويُعد عنصر "الصورة" من أبرز عناصر الجمال في التعبير الأدبي؛ نظراً لكونه يسهم في تعميق الدلالة في ضوء تقديمه نماذج حسية أو معنوية يخبرها الإنسان في تجاربه اليومية^(٣)، والصورة الأدبية هي «تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضاً أدبياً مؤثراً، فيه طرافة ومتعة وإثارة»^(٤).

ومن النصوص التي وردت في تراث الإمام الهادي ﷺ ما ينتسب إلى (٢) ينظر: الأسلوب، ص ٥١-٥٢.

(٣) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٧٥.

(٤) عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص ٩-١٠.



شرّه»^(٤).

ففي هاتين العبارتين توازن بين جملة الشرط وجوابه، وتناسب في الضمير المتصل (الكاف) في (لك/ وطاعتك)، وأيضاً (الهاء) في (نفسه/ وشره).

«الدنيا سوق، ربح فيها قوم وخسر آخرون»^(٥).

«إن الله جعل الدنيا دار بلوى والآخرة دار عقبي وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً»^(٦).

وفي هذين النصين ذم للدنيا عبر أسلوب أدبي تصويري قائم على "الصورة التمثيلية" في الحديث الأول، وعلى العبارات الموزونة المقفاة، والتقديم والتأخير في الحديث الثاني.

ومن صور "التورية" قوله: «السهر ألدّ للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام»^(٧)، إذ اشتمل هذا الحديث على الصورة الفنية العميقة الدلالة، نظراً

(٤) الحراني، تحف العقول، ص ٤٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

(٧) موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج ١٤،

ص ٣٧٥.

التعبير الأدبي الفني، كالمواعظ والحكم أو ما يُسمى بـ(الحديث الفني) الذي يُعرّف بأنه «شكل أدبي يتسم - من حيث المظهر الخارجي - بالقصر بحيث لا يتجاوز الكلمات المحدودة ... ومن حيث الموضوع هو: توصية أو تقرير لحقيقة من حقائق الحياة المختلفة، تُكتب بلغة فنية تعتمد عنصري (الإيقاع والصورة) بصفتهما أبرز العناصر التي تفرز التعبير العادي والعلمي عن التعبير الفني»^(١). فهو كلام يتصف بالإيجاز، والإيجاز كما يعرفه البلاغيون بالكلام الذي يعتمد على المعنى الكثير بلفظ قليل لتأدية غرض بلاغي، ويعد هذا الأسلوب من أهم خصائص اللغة العربية قديماً^(٢). ومن أمثلة ما روي عنه عليه السلام في قصار الحكم والمواعظ قوله:

«مَنْ جَمَعَ لَكَ وَدَّهَ وَرَأْيَهُ فَاجْمَعْ لَهُ طَاعَتَكَ»^(٣).

«مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فَلَا تَأْمَنَ

(١) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص ٢٩٠.

(٢) ينظر: الحسيني، جعفر، أساليب المعاني في القرآن، ص ٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٤٨٣.



لاحتوائه على عنصر التورية، فالمراد من "السهر" قيام الليل بممارسة العبادة بالصلاة والدعاء والذكر ... والمراد من "الجوع" الصيام، فجاءت العبارة بالدلالة القريبة (السهر/ والجوع)، ويُراد بها الدلالة البعيدة (قيام الليل/ والصوم)^(١)، وهو ما يصطلح عليه بالرمز في البلاغة الحديثة، والرمز: «هو إحداث علاقة بين طرفين، من خلال حذف أحدهما (وهو الطرف الأول) وجعل الطرف الآخر (إشارة) لذلك الطرف المحذوف ...»^(٢)، مثل قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة/ ٢٥٧)، فالظلمات إشارة أو رمز للكفر، والنور رمز للإيمان، والفرق بين الرمز وغيره من الصور الفنية، أنّ الرمز يتضمّن طرفاً واحداً يرمز إلى طرف محذوف، بينما نجد في الصور الأخرى طرفين مثبتين يقومان على علاقات التشابه أو الإعارة أو التمثيل ... وغيرها^(٣).

وقد تتآزر عدة عناصر فنية في بناء النص فيبلغ ذروته في الجمال الفني، كما في

(١) ينظر: البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي، ص ٣٥٧.

(٢) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص ٢٠٥.

(٣) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٠٥.

قوله عليه السلام: «إن الظالم الحالم يكاد أن يعفى على ظلمه بحلمه، وإن المحق السفهه يكاد أن يطفئ نور حقه بسفهه»^(٤)، ففي هذا النص تتنوع الصورة، عبر (التقريب) في عبارة (يكاد أن يعفى... يكاد أن يطفئ...)، و(الاستعارة) في عبارة (يطفئ نور حقه بسفهه)، ثم يتآزر العنصر الصوري مع العنصر الإيقاعي عبر السجع في مثل (الظالم/ والحالم) و(ظلمه/ وحلمه)، كما يتآزر ذلك مع العنصر اللفظي، كالتقابل الحاصل بين (الظالم/ والحالم) و(المحق/ والسفيه) و(بحلمه/ وبسفّهه)، مما يضفي على النص المزيد من الجمال التعبيري^(٥).

ومن الملاحظ أنّ هذه النصوص تحفل بعناصر فنية ذات قيمة تعبيرية وجمالية، مستعينة بالأدوات الصورية والإيقاعية واللفظية^(٦).

ومن جميل أسلوبه الأدبي قوله عليه السلام وقد دخل على مريض من أصحابه وهو يبكي ويجزع من الموت:

«يا عبد الله تخاف من الموت لأنك

(٤) الحراني، تحف العقول، ص ٤٨٣.

(٥) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٣٥٥-٣٥٦.

(٦) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٥٤.



لينتقل بعدها إلى دار الآخرة وهو طاهر مغفور له.

ومن صور "الاقتباس" القرآني قوله في جواب مَنْ سألَه عن الاختلاف في التوحيد: «سبحان مَنْ لا يُجَدُّ ولا يُوصَف، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير»^(٢). فهو اقتباس من قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى/ ١١). فالسياق يتطلب حجةً ودليلاً قاطعاً على وحدانية الله تعالى، وأنه ليس له جسم أو صورة أو مثل؛ لذا استعان بالشاهد المناسب عبر صورة الاقتباس القرآني.

ومن النصوص الأدبية التي صيغت بلغة فنية هو أدب "الدعاء"، وهو: «شكل أدبي يقوم من حيث المظهر الخارجي على (المحاورة الانفرادية) وهي التوجه بكلام مسموع إلى الله تعالى (وأحياناً بكلام صامت). ومن حيث المظهر الداخلي يقوم على عنصر (وجداني) يتصاعد به الداعي إلى أوج الانفعالات الصادرة عنه»^(٣).

(٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج ١، ص ٨٤.

(٣) البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص ٢٨٨.

لا تعرفه، أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّهُ أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟ قال: بلى يا بن رسول الله. قال: فذاك الموت هو ذلك الحمّام، وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك وتنقيتك من سيئاتك...»^(١).

فالنص قائم على صورة "فرضية" تمثلها عبارة: "أرأيتك إذا اتسخت وتقذرت وتأذيت من كثرة القذر والوسخ عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أنّ الغسل في حمّام يزيل ذلك كلّهُ أما تريد أن تدخله فتغسل ذلك عنك؟ أو ما تكره أن لا تدخله فيبقى ذلك عليك؟" فهو يصوّر الموت بالنسبة إلى الإنسان المؤمن أشبه بالحمّام الذي يطهر الإنسان مما علق به من القذارة، وهنا صورة رمزية تداخلت مع الصورة الفرضية؛ حيث رمز إلى (الذنوب) بالقذارة والوسخ والقروح والجرب؛ مبالغة في وصف السيئات وما يرتكبه الإنسان من ذنوب في هذه الدنيا، فيأتي الموت لينقي المؤمن من تلك الأقدار

(١) الشيرازي، السيد حسن، موسوعة الكلمة، ج ١٩، ص ١٥٤.



ومن نصوص الإمام الهادي عليه السلام في الدعاء قوله:

«يا عدّتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا كهفي والسند، ويا واحدا يا أحد، ويا قل هو الله أحد، أسألك اللهم بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم...»^(١).

فالنص يحفل بعناصر الفن اللفظي كالتركيب الموزونة والعبارات ذات السجع، فضلاً عن الروحانية الناتجة عن دقة اختيار الألفاظ اللغوية التي تخلق مناخاً عبادياً ووجدانياً، فأدعيته عليه السلام «تضارع أدعية جده الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في سمو فصاحتها، وعظيم بلاغتها كما تحكي بصورة واضحة معالي أخلاقه، ومكارم آدابه، ومدى تمسكه بالله تعالى خالق الكون وواهب الحياة»^(٢).

وقد يتطلب السياق التعبيري أن يخضع مجمل النص لصورة تشبيهية وفرضية لتقريب المعنى لدى المتلقي،

(١) الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، ص ٢٨٦.

(٢) القرشي، الشيخ باقر شريف، أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، ص ٢٩١.

ومن أمثلة ذلك ما جاء في كلامه حول نفي "الجبر والتفويض"، وإثبات المنزلة بين منزلتين، إذ يقول عليه السلام: «ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكننا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختيار بالاستطاعة التي ملكنا الله وتعبّدنا بها، على ما شهد به الكتاب، ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول صلوات الله عليهم»^(٣)، ثم يأتي بمثال تشبيهي يحتوي على صورة "فرضية" تمثّل هذا الرأي وما يتبعه من أحكام ونتائج:

«ومثل الاختيار بالاستطاعة مثل رجل ملك عبداً، وملك مالا كثيراً، أحب أن يختبر عبده على علم منه بما يؤول إليه، فملكه من ماله بعض ما أحب، ووقفه على أمور عرفها العبد، فأمره أن يصرف ذلك المال فيها، ونهاه عن أسباب لم يحبها، وتقدم إليه أن يجتنبها ولا ينفق من ماله فيها، والمال يتصرف في أي الوجهين، فصرف المال أحدهما في اتباع أمر المولى ورضاه، والآخر صرفه في اتباع نهيه وسخطه. وأسكنه دار اختبار، أعلمه أنه غير دائم له السكنى في الدار، وأن له داراً غيرها، وهو مخرجه إليها، فيها ثواب وعقاب دائمان،

(٣) ينظر: موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج ١٤، ص ٢٢٢.



فالنص - كما هو واضح - زاحراً
"بالصور الفنية" كالتشبيه، والتمثيل،
والفرضية، والمقابلة، وقد أراد بها منشئه
صَرْبَ مِثَالٍ واقعيٍّ عمليٍّ مُسْتَمَدٍّ من
الحياة؛ ليقرب فكرة النص (نفي الجبر
والتفويض) لدى السائل، وهذا ما أكدّه
النص الثاني الذي جاء توضيحاً وشرحاً
لرموز النص الأول ليأخذ بيد المتلقي إلى
ساحة الفهم والمعرفة. فالسياق التعبيري
فرض على النص أن يستعين بأدوات التعبير
الفني، وغزارة هذه الصور وترادفها فرض
على المنشئ الإيضاح والتفسير.

ومن النصوص ذات السياق التعبير
الأدبي قوله عليه السلام: «مَنْ أَمِنَ مَكْرَ اللَّهِ وَأَلِيمَ
أَخْذَهُ تَكَبَّرَ حَتَّى يَحِلَّ بِهِ قَضَاؤُهُ وَنَافِذُ أَمْرِهِ.
وَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ هَانَتْ عَلَيْهِ
مَصَائِبُ الدُّنْيَا وَلَوْ قُرْضَ وَنُشِرَ»^(٣).

تضمّن النص - على قصره - معنى
كبيراً يلخص فلسفة الإنسان في الحياة،
ففكرته نبذ صفة التكبر لدى الإنسان،
والدعوة إلى طاعة الله تعالى، فجاء بأربع
صور "رمزية" وهي: (مكر الله) / وأليم

فإن أنفذ العبد المال الذي ملكه مولاه في
الوجه الذي أمره به، جعل له ذلك الثواب
الدائم في تلك الدار التي أعلمه أنه مخرجه
إليها، وإن أنفق المال في الوجه الذي نهاه
عن إنفاقه فيه، جعل له ذلك العقاب
الدائم في دار الخلود...»^(١).

ثم يفصل معاني هذه الصور
والتشبيهات بقوله: «وأما المولى فهو
الله جل وعز، وأما العبد فهو ابن آدم
المخلوق، والمال قدرة الله الواسعة، ومحنته
إظهار الحكمة والقدرة، والدار الفانية
هي الدنيا، وبعض المال الذي ملكه
مولاه هو الاستطاعة التي ملك ابن آدم،
والأمور التي أمر الله بصرف المال إليها
هو الاستطاعة لاتباع الأنبياء، والإقرار
بما أوردوه عن الله جل وعز، واجتناب
الأسباب التي نهى عنها هي طرق إبليس.
وأما وعده فالنعيم الدائم وهي الجنة،
وأما الدار الفانية فهي الدنيا، وأما الدار
الأخرى فهي الدار الباقية وهي الآخرة.
والقول بين الجبر والتفويض هو الاختبار
والامتحان والبلوى بالاستطاعة التي
ملك العبد»^(٢).

(١) ينظر: المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

٢٢٣.

(٣) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام
الهادي علي بن محمد عليه السلام، ج ١، ص ٣٠١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ج ١٤، ص ٢٢٣ -



أخذه/ يحل به قضاؤه/ ونافذ أمره) وكلها تدلّ على عذاب الله تعالى للمتكبّر، ثم قابل صورة المتكبّر بصورة أخرى للمؤمن الذي رمز له بعبارة: (كان على بيّنة من ربّه)، فالمؤمن لا يعبأ في هذه الدنيا ما دام متوكلاً على الله تعالى، وهذا ما تمثله عبارة: (هانت عليه مصائب الدنيا)، ثم ختم النص بصورة "فرضية": (ولو قُرّض ونُشر).

المبحث الثالث

سياق التعبير المتنوّع

ومن النصوص الماثورة عن الإمام الهادي عليه السلام ما جاءت في سياق التعبير المتنوّع، الذي يجمع بين التعبير العلمي والتعبير الأدبي الفني، كحديثه مع الفتح بن يزيد الجرجاني عن صفات الله تعالى، الذي يقول فيه: «إنّ الخالق لا يُوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنّي يُوصف الخالق الذي تعجز الحواسّ أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جلّ عمّا يصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعتّه الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف كيف فلا يقال كيف، وأين أين فلا يقال أين، إذ هو منقطع الكيفيّة والأينيّة، هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد

ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، فجّلّ جلاله...»^(١).

فقد وفق في هذا النص بين التعبيرين: العلمي والأدبي، إذ ضمّ معارف علمية عن صفات الله تعالى وتوحيده، وفي الوقت نفسه احتوى على عناصر فنية مثل: التوازن في العبارات، والتقابل، والتقسيم، والتجانس، فضلاً عن انسيابية اللغة وليونتها^(٢)، فوردت بعض العبارات موزونة ومتساوية من حيث عدد كلماتها مثل: (الحواسّ أن تدركه/ الأوهام أن تناله/ الخطرات أن تحدّه)، (جلّ عمّا يصفه الواصفون/ تعالى عمّا ينعتّه الناعتون). فضلاً عن تناسب الفواصل، كفاصلة الضمير المتصل بالفعل وهو (الهاء) العائد على الخالق عز وجل، وفاصلة (الواو والنون) في الفاعل المجموع جمع مذكر سالماً (الواصفون/ والناعتون). كما وردت بعض العبارات متقابلة^(٣) في قوله: (نأى في

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام، ج ١٤، ص ٢٣٤.

(٢) ينظر: ينظر: البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، ص ٣٥٣.

(٣) والمقابلة من الأساليب البلاغية، وهي «أن يُؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يُؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب». كما في قوله تعالى:



خلال وصفه بالبدعة، والملاحظ أن سياق النص يتطلب أسلوباً علمياً تبعاً لموضوعه الحساس في الدفاع عن القرآن، وردّ الشبهات التي تثيرها حوله الدولة العباسية، فطبيعي أن يأتي التعبير مباشراً من أمثال قوله: (نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة)، (وليس الخالق إلا الله عز وجل، وما سواه مخلوق)، (لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين)، ولكن لا يخلو من بعض المظاهر الفنية التي تجعل من النص أكثر حيويةً وأبلغ فاعليةً في إقناع الآخر، فنجد الصورة "الرمزية" حاضرة في مستهل الرسالة متمثلة بدعائه: (عصمنا الله وإياك من الفتنة)، فهو يرمز إلى أمر معيّن لا يخفى على ذي لبّ، وهو أن إثارة أمثال هذه الشبهات قد يوقع صاحبها بالفتنة وسوء المنقلب، فجاء الاستهلال بلغة أدبية تحمل هذا المعنى.

كما نلاحظ وجود للصورة التمثيلية في عبارة: (والقرآن: كلام الله)، ولهذا التمثيل أو التعريف بالغ الأهمية، إذ «وضع عليه النقاط على الحروف في هذه المسألة الحساسة، فالخوض في هذه المسألة بدعة وضلال، والسائل والمجيب يشتركان معاً في الإثم، وعلينا أن نقصر في القول على

قربه / قرب في نأيه)، و(في نأيه قريب / في قربه بعيد). وكذلك بقية العناصر الأدبية الأخرى كالاقتباس القرآني في قوله عليه السلام: «هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد» المقتبس من سورة التوحيد بأكملها.

وفي ردّه فكرة خلق القرآن كتب عليه السلام إلى بعض شيعته في بغداد:

«بسم الله الرحمن الرحيم عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإن لا يفعل فهي الهلكة، نحن نرى أن الجدل في القرآن بدعة، اشترك فيها السائل والمجيب، فيتعاطى السائل ما ليس له، ويتكلف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلا الله عز وجل، وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله، لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين، جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»^(١).

فهو وضع حداً للجدل حول قضية (خلق القرآن) وجعله منبؤاً من ﴿وَجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (الأعراف/١٥٧). الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة، ص ٢٢٣.

(١) موسوعة المصطفى والعترة عليه السلام، ج ١٤، ص ٢٤٤.



أن القرآن كلام الله تعالى»^(١).

فضلاً عن جمالية الاقتباس القرآني الذي خُتم به النص على شكل دعاء منه ﷺ إلى المخاطَب: (جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون)، فهو اقتباس لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء/ ٤٩).

ومن جانب آخر يمكن ملاحظة ظاهرة التقابل الدلالي التي أسهمت في ترابط النص وبلاغة تعبيره، كالتقابل بين: (النعمة / والهلكة)، و(السائل / والمجيب)، و(له / وعليه)، و(الخالق / والمخلوق).

الخاتمة:

مما تقدم يتضح أن مصطلح (السياق التعييري) مصطلح حديث لم يرد ذكره عند القدماء، وإنما ورد عند الباحثين المحدثين، وقد حاول الباحث إعادة النظر في مرجعية هذا المصطلح، وجعله مصطلحاً ينتسب إلى السياقين اللغوي والمقامي، بعدما عدّه الدارسون فرعاً من السياق اللغوي، ثم حاول توظيفه لدراسة شيء من تراث

الإمام علي الهادي ﷺ الذي يمثل نصوصاً مقاصدية تهدف إلى الدعوة إلى الله تعالى وبيان تعاليم الدين الإسلامي وأحكامه لعامة الناس وخاصتهم، والدفاع عن الدين ومحاجة المشككين والمنحرفين.. وقد اتسمت تلك النصوص بتنوع أساليبها في التعبير تبعاً لتنوع سياقها، فتارة نجدتها تعبر عن الأفكار بتعبير علمي يتسم بالواقعية والوضوح والمعاني المباشرة، وتارة أخرى تعبر بأسلوب أدبي فني، وتستعين بالخيال والصور الفنية كالتشبيه والتمثيل والتقريب والفرضية والرمز والتورية والاقتباس، وفي بعضها الآخر يرد السياق التعبيري متنوعاً يجمع بين الكلام العلمي والكلام الفني، أما حجم النصوص فهو يتفاوت طولاً وقصراً بحسب المقام، فنجد الحديث يطول في فن الرسائل، ويقصر في بعض العبارات والنصوص المكثفة التي تؤدي المعاني بأقل عدد من الألفاظ. وكان أغلب تراثه ﷺ الروائي مكوناً من الرسائل والمواعظ والحكم والأحاديث الفنية والدعاء، وفي كل نوع من هذه النصوص تتجلى الدلالات والمعاني التي تستقي من أصول الدين الحنيف وينابيعه الصافية. والحمد لله رب العالمين.

(١) موسوعة المصطفى والعترة ﷺ، ج ١٤، ص ٢٤٤.

المصادر والمراجع

اعتنت به: نجوى أنيس ضو، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ١٩٩٨م.

٩. المصطفى، عواطف كنوش، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ٢٠٠٧م.
١٠. سيرة رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ، مؤسسة البلاغ، دار التوحيد، ١٤٢٤هـ.

١١. عبد التواب، صلاح الدين، الصورة الأدبية في القرآن الكريم، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ١٩٩٥م.
١٢. نهر، هادي، علم الدلالة التطبيقي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ٢٠١١م.

١٣. البستاني، محمود، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ١٤١٤هـ.

١٤. ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٥. البستاني، محمود، مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، الاستانة الرضوية، ١٣٨١ ش.

١. القرآن الكريم.

٢. القرشي، الشيخ باقر شريف، أخلاق النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، دار جواد الأئمة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٣. البستاني، محمود، أدب الشريعة الإسلامية، مؤسسة السبطين العالمية، مطبعة محمد، قم، ١٤٢٤هـ.

٤. الحسيني، السيد جعفر السيد باقر، أساليب المعاني في القرآن، مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، مطبعة مؤسسة بوستان كتاب، قم، ١٤٢٨هـ.

٥. الشايب، أحمد، الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩١م.

٦. الطوسي، الشيخ محمد بن الحسن، الأمالي، قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، ١٤١٤هـ.

٧. الحرائي، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، تحقيق علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين، ١٤٠٤هـ.

٨. الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة،



١٦. العطاردي، الشيخ عزيز الله، موسوعة الكلمة، كلمة الإمام الهادي عليه السلام، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، مكتبة مدرسة الفقاهة، (د.ت). والتوزيع، لبنان، ٢٠٠٦م.

١٧. الفيومي، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، (د.ت).

٢٣. الشاكري، حسين، موسوعة الأدبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، القاهرة، الهادي، قم، إيران، ١٤١٧هـ.

٢٤. نبيل، راغب، موسوعة النظريات

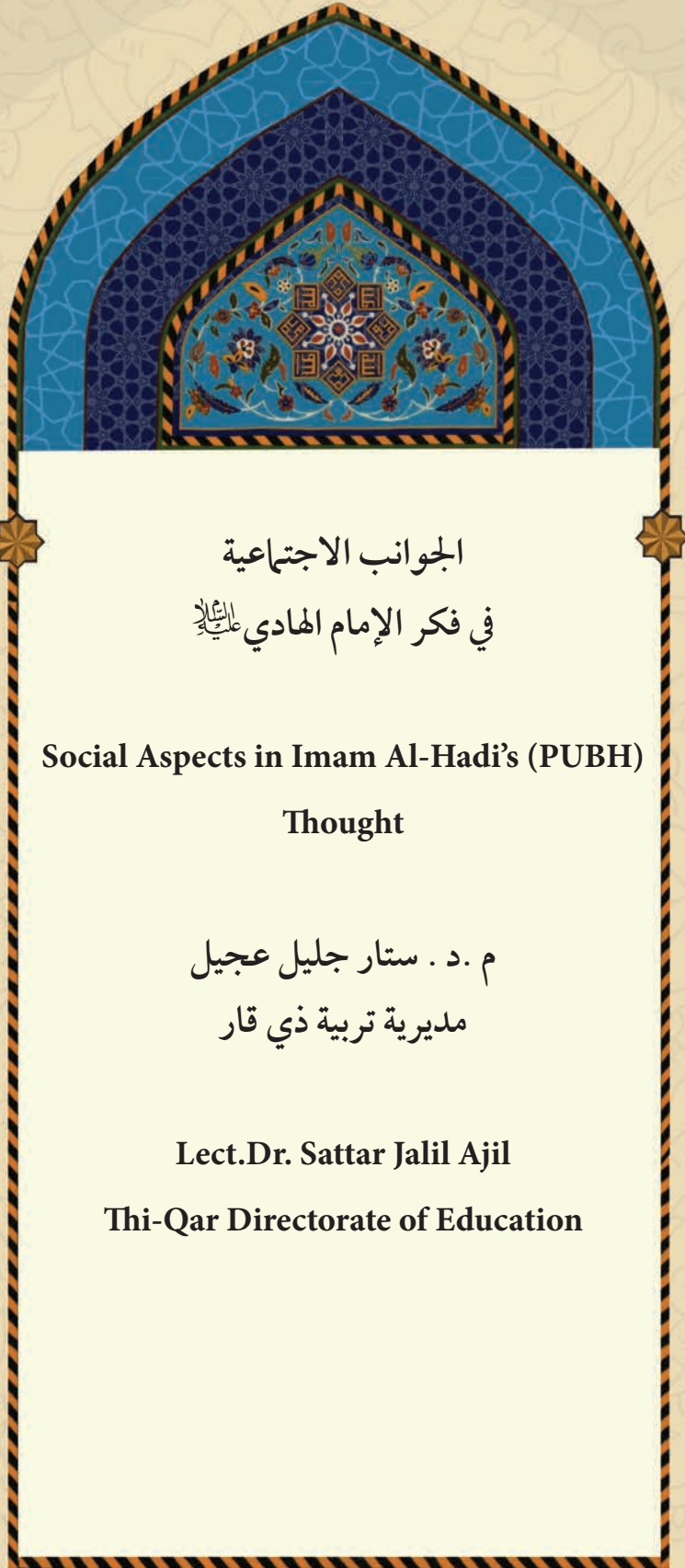
١٨. العبود، جاسم محمد، مصطلحات الدلالة العربية دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م.

١٩. أبو الفرج، محمد أحمد، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، (د. ط)، ١٩٦٦م.

٢٠. المهندس، كامل، وهبة، مجدي، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

٢١. إبراهيم مصطفى، وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، دار الدعوة، ١٤١٨هـ.

٢٢. الشيرازي، السيد حسن،



الجوانب الاجتماعية
في فكر الإمام الهادي عليه السلام

**Social Aspects in Imam Al-Hadi's (PUBH)
Thought**

م. د. ستار جليل عجیل
مديرية تربية ذي قار

**Lect.Dr. Sattar Jalil Ajil
Thi-Qar Directorate of Education**



الجوانب الاجتماعية في فكر الإمام الهادي عليه السلام

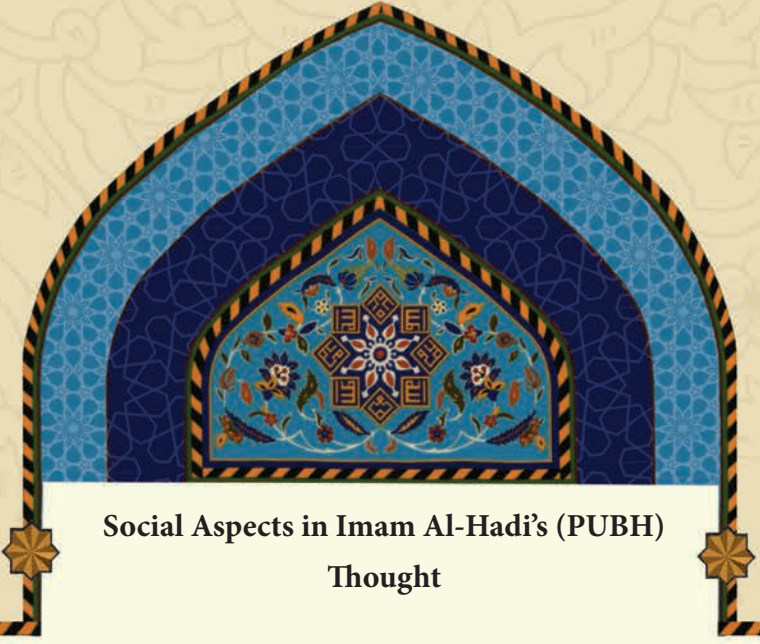
الملخص:

تعد الحياة الاجتماعية جانباً مهماً من جوانب الحياة الإنسانية والتي لا يمكن تجاهلها أو تجاوزها، وكلما بنيت على أسس قوية كلما كانت أكثر تماسكاً، مما سينعكس ذلك إيجاباً على المجتمع الذي سيصبح مجتمعاً آمناً تسود فيه القيم التي تنشدها الشرائع السماوية، وذلك لن يتم الا عند الاتصاف بمحاسن الأخلاق والتعامل بـ الصدق والأمانة والإخلاص وتقديم يد المساعدة والابتعاد عن الغيبة والنميمة وأذى الآخرين ؛ فالحياة الاجتماعية السليمة يجب أن تسودها الأخلاق الفاضلة، ومعرفة كل شخص حدوده فيها لا يمكنه تجاوزها لان في ذلك تجاوز على حرمان الآخرين، ولهذا قد اشتمل القرآن على إشارات كثيرة تعالج مختلف جوانب الحياة الاجتماعية بدءاً بالأسرة بجميع مكوناتها ومروراً بالمجتمع بجميع فئاته. وسنحاول في هذا البحث الموسوم بـ (الجوانب الاجتماعية في فكر الإمام الهادي عليه السلام). تتبع النشاط الاجتماعي للإمام عليه السلام ضمن هذا الجانب الانساني القائم على التعاليم القرآنية والسنة النبوية .

وبلا شك فهي من المواضيع المهمة التي تمثل الجانب الآخر من نشاط الإمام الهادي عليه السلام الذي لم يسلط عليه الضوء بشكل واضح، ولم نجد من الدراسات التاريخية التي تتبعت النشاط الاجتماعي للإمام عليه السلام، فقد جرى تركيز معظم الدراسات على الجانب السياسي والديني في حياة الإمام عليه السلام دون التركيز على الجوانب الأخرى ذات الأهمية والتي تعكس دور الأئمة ونشاطهم في المجتمع .

الكلمات المفتاحية:

الإمام علي الهادي عليه السلام، حقوق الجار، سامراء، الصداقة.



Social Aspects in Imam Al-Hadi's (PUBH) Thought

Abstract:

Social aspects represent an important side of human life, which cannot be ignored. Whenever this life is built on strong foundations, it becomes more cohesive. This is reflected positively on the society that becomes a safe society where virtues sought by divine laws prevail. This can only happen when people are characterized by good morals, honesty, faithfulness, sincerity, offering help, and avoiding backbiting, gossip and harming others. A sound social life should be governed by sublime morals, and everyone should know their limits and not transgress them, as that would be violating the rights of others. For this reason, the Holy Quran includes many references that deal with various aspects of social life, starting with the family in all its components, and including society in all its categories. In this study entitled "The Social Aspects in Imam Al-Hadi's (PBUH) Thought", we will attempt to trace the social activity of Imam Al-Hadi within this humanitarian aspect based on Quranic teachings and the Prophetic Sunnah. Undoubtedly, this is one of the important topics that represent the other side of Imam Al-Hadi's activities that has not received proper attention or focus. We could not find historical studies that examined Imam Al-Hadi's (PBUH) social activity, as most studies focused on the political and religious aspects of the Imam's life without focusing on other equally important aspects that reflect the role and activities of the Imams in society.

key words:

Imam Ali Al-Hadi (PBUH), neighbors' rights, Samarra, friendship.

وَإِيَّاءَ الزَّكَاةِ وَكَأَنُونا لَنَا عَابِدِينَ^(١)، وقال

عنهم النبي ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)^(٢)، إذ لا ينفكون عن القرآن ولا ينفك عنهم، فالطرفان في علاقة تلازمية كل منهما له حق على الآخر. حمل فكر آل البيت عليهم السلام إصلاحات

جمّة تصب كلها في صالح المجتمع سواء أكان ذلك بالأحاديث أو بالحوادث التاريخية المباشرة رغم مراقبة السلطات الحاكمة لتحركات الأئمة عليهم السلام بصورة مشددة.

وقد كان الإمام الهادي عليه السلام كأجداده وأبيه، وهو متمم لخلقتهم الرسالية والقُدوة التي يقتدى بها والمثال الذي تحذو حذوه الإنسانية جمعاء، إذ أخذ على عاتقه مسؤولية بناء المجتمع للوصول به إلى الكمال رغم الظروف الصعبة المحيطة به والإقامة القسرية التي فرضها عليه المتوكل، أضف إلى مراقبة شيعته إلا أن الإمام لم يتوقف عن تأديته لوظيفته المكلف بها من الله تعالى، فقد حمل فكره كما كبيراً من الوصايا والمواعظ وحل المشكلات

(١) سورة الأنبياء، الآية ٧٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٠٠.

إن الفكر الإسلامي قائم على ركائز عدة أهمها القرآن الكريم وأقوال الرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، إذ لولا هم لضاع الإسلام بأكمله، بسبب تعدد الاتجاهات الفكرية والمعتقدات والمذاهب مع وجود المنحرفين الذين لا يمتون إلى الدين الإسلامي بصلة.

فقد كان لأهل البيت عليهم السلام الدور الفاعل والمؤثر في الفكر الإسلامي لتحقيق النتائج الإيجابية في كافة الميادين وعلى جميع الأصعدة، لكونهم خلفاء الله على أرضه، وال خليفة الشرعي المفعول من الله هو الذي يؤدي وظيفته من جميع الجوانب لتحقيق التكامل حتى وإن لم تستقبل هذه الوظيفة من قبل أعداد كبيرة من السكان إلا أنه من الواجب على الأئمة تأديتها، وقد استخدم الأئمة عليهم السلام المنهج القرآني لاحتواء جميع عناصر المجتمع بكافة أفكارهم واتجاهاتهم، لأن القرآن لا ريب فيه، ومن أجل تحقيق الأهداف التي تصب كلها في صالح المجتمع، فهم الهداة الذين قال عنهم الله عز وجل في محكم كتابه الكريم: "وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ



الانساني، ويشرع على ضوء ذلك احكاماً دينية لاستئصال منشأ الانحراف من جذوره الغائرة في عمق النفس البشرية. وهو بذلك يتميز عن كل الانظمة الموجودة على الساحة الاجتماعية بشموليته ودقته وعدالته وتكامله في معالجة الانحرافات الاجتماعية معالجة حقيقية .

وكان النهج القرآني في معالجة الانحرافات الاجتماعية نهجا واضحا لا لبس فيه ولا غموض، فقد ذكر القرآن الكريم الانحرافات بمسمياتها كالزنا وشرب الخمر والربا والنفاق والكذب والرياء والظلم وغيرها من المفردات الصريحة. واكد القرآن الكريم في منهجه على مواجهة الانحرافات الاجتماعية بمنهج وقائي قائم على اساس التقوى التي تمنع الانسان من الانحراف، كما في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ " (١).

وقال تعالى: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

البيت صلح المجتمع، وبعدها انطلقنا إلى علاقة الابناء بالاباء وعلاقتها بصلة الارحام.

والمبحث الثاني تكلمنا فيه عن فكر الإمام الهادي عليه السلام في بناء المجتمع ابتداء من اختيار الصديق، وقد بين الإمام عليه السلام اسس اختيار الصديق، كذلك علاقة الاسرة مع الجار على اعتبار انه وصيه الرسول الكريم ولبنة من لبنات المجتمع، وختمناه في الحديث عن الفقر ورعاية الايتام .

اما المبحث الثالث فقد أفردته للحديث عن المعلم في فكر الإمام الهادي عليه السلام على اعتبار انه باني أساسات المجتمع، وكيف العلاقة معه، وبعدها جاءت الخاتمة وقائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

يرتبط منهج أهل البيت عليهم السلام في مواجهة الانحرافات الاجتماعية بالمنهج القرآني، لان القرآن الكريم يمثل حلقة الوصل بين جميع فئات المجتمع ؛ لذا كان أهل البيت عليهم السلام يبحثون عن اقصر الطرق للوصول إلى المجتمع ولا شك ان ديناً متكاملاً كالإسلام لا بد وان يطرح للإنسانية نظاماً يعالج فيه مختلف زوايا الانحراف ويحلل بكل دقة دوافع الانحراف الاجتماعي في المجتمع



كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا^(١).

وفي سنة النبي محمد ﷺ الكثير من الموارد التي تدعو إلى التقوى وتجنب الانحراف بشتى أشكاله عنه ﷺ: " امركم بالورع والاجتهاد واداء الامانة وصدق الحديث وطول السجود والركوع والتهجد بالليل وإطعام الطعام وإفشاء السلام^(٢).

وقال صلى الله عليه وآله "عليك بتقوى الله ما استطعت، واذكر الله عند كل حجر وشجر، وما عملت من سوء فأحدث الله فيه توبة السر بالسر والعلانية" بالعلانية^(٣).

وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام جزءاً من هذه المنظومة الاجتماعية التي حاربت الانحراف الاجتماعي ودعت للرجوع إلى الفطرة النقية التي فطر الله الناس عليها، وغالباً ما يبدأ القرآن الكريم بالجزئيات البسيطة في المجتمع وينتهي عنها ثم ينطلق إلى الحشيات الأكبر فالأكبر، وهكذا هم الرسول وأهل بيته عليهم السلام فقد

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) المفيد، الاختصاص، ص ٢٥؛ النووي،
مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ج ٢٠، ص ١٥٩؛
 الهيثمي، مجمع الزوائد، ج ٤، ص ٢١٨؛ المتقي
 الهندي، كنز العمال، ج ١٥، ص ٨٢٦.

ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات في ذلك الصدد، منها في قوله تعالى: «وَمَنْ شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ»^(٤) هنا القرآن وصف أعمال الحاسد بانها شر اذا ما علمنا ان تلك الافعال هي مجرد نظرات ولكن أثرها يكون واضحاً على المجتمع لما فيه من الاعتراض على تقدير الله وقضائه، وعطائه ومنعه، وفيه الأنانية، وسوء الطوية والنية؛ لأن معناه: أن الحاسد لا يريد الخير إلا لنفسه، أو إزالته عن أخيه ولو لم يصبه منه شيء.

وهذا الرسول ﷺ نهى عن الحسد بقوله: (لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباعضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً)^(٥).

لكن لماذا هذا التأكيد من قبل الله تعالى والرسول وأهل بيته على تلك الآفة وعدّها من الآفات التي تفتك بالشخص نفسه والمجتمع، إذ أكدت التحليلات النفسية والاجتماعية لمعظم جرائم القتل التي تحدث في مجتمعاتنا العربية والإسلامية أن الحسد والحقد على الآخرين هو الباعث الأول على هذه

(٤) سورة الفلق، الآية ٥.

(٥) ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج ٧، ص ٤٤٣.



وذلك لان النفاق له اثار مجتمعية منها انه مسبب غير مباشر للعنصرية، فادعاء مجموعة من الأفراد أشياء ليست حقيقية فيهم، ينتج اختلافاً طبقياً ونظرة دونية لمن ليسوا مثلهم، فضلاً عن هذا انتشار الحقد والكراهية بين الأفراد نتيجة المقارنات المستمرة، فتوعددهم الله تعالى بالعذاب كما في قوله تعالى: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) لكنه لم يوصد الباب في وجوههم وهذه هي سمة الله تعالى في التعامل مع الانسان المنحرف دائماً ما يبقى الباب مفتوحاً أمامه لكي لا يجرمه من ما أعده له من ثواب في الآخرة وهذا الباب هو باب التوبة حيث قال الله تعالى في تنمة الآية في أعلاه: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا»^(٥).

لم يقف الإمام الهادي عليه السلام عند تلك المنحرفات المنهى عنها لما فيها من اثار خطيرة على المجتمع، وانما نهى أيضاً عن الغيبة، حيث قال: (يطري اخاه شاهداً ويأكله غائباً)^(٦)، وكذلك شبه الله تعالى

الجرائم التي نشرت الرعب والخوف في أوطاننا، وقد بين الإمام الهادي عليه السلام ان الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها هي شجرة الحسد إذ عهد اليهما ان لا ينظرا إلى من فضل الله عليهما وعلى الخلائق بعين الحسد ولم يجد الله له عزماً^(١)، وقد نهى الله عن ذلك في قوله: «وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى»^(٢) فضلاً عن هذا فان الحسد يضر صاحبه أكثر مما يضر الآخرين وفي ذلك يقول الإمام الهادي عليه السلام (إياك والحسد فإنه يبين فيك ولا يعمل في عدوك)^(٣).

ومن الآفات الأخرى التي يحذرنا منها الإمام الهادي عليه السلام هي آفة النفاق والتي تعني ان يظهر الانسان خلاف ما يبطن، فيقول الإمام في ذلك: (بسّ العبد ان يكون ذا وجهين ولسانين)^(٤)؛

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٣٨٩.

(٢) سورة طه، الآية ١٣١.

(٣) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ٢٦٩.

(٤) الريشهري، محمدي، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٣٤.

(٥) سورة النساء، الآية ١٤٥.

(٦) الشاكري، حسين، موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام، ج ١٤، ص ٣٧٤.



الغيبة بأكل لحم الانسان وهو حرام شرعاً لابل ليس الانسان الحي بل بالإنسان الميت حيث قال: «وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ» انظر كيف شَبَّه الله تعالى الغيبة بأكل لحم الانسان الميت يريد ان يصور لنا بشاعة هذا العمل القبيح بأمرين: الأمر الأول ان الغيبة تأكل حسانات الشخص نفسه فيصبح عمله هباءً منثوراً حتى قال احدهم لو كنت اغتبت احدهم لكنت قد اغتبت امي وابي. اما الأمر الاخر انها تعد امتداداً للحسد والحقدهاتان الصفتان ماحقتان للخير في المجتمع فكيف بهما اذا اختلطا في الغيبة، فان من المؤكد سيكون مردودهم سلبياً على المجتمع، وذلك لأن لها آثاراً فردية ومجتمعية منها انها تحبط الأعمال، وتأكل الحسنات، وتهوى بصاحبها إلى النار، فضلاً عن هذا فإن رذيلة الغيبة لا تقل عن النميمة خطراً، بل أشد منها ضرراً.

كما نهى الإمام الهادي عليه السلام عن سوء الظن بالآخرين، لأنه يعد من الطباع السيئة، لا بل يعد من الصفات الذميمة التي لا تليق بالإنسان المسلم حيث قال (لا تطلب النصيح ممن صرفت سوء ظنك

إليه)^(١). وهذا هو دأب الإمام عليه السلام تأتي نواحيه متناغمة دائماً مع روح القرآن الكريم حيث قال تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»^(٢) فالإمام يعلم ان القرآن الكريم أكثر من ثلثه يختص في امور مجتمعية تكاملية من اجل الوصول بيه إلى جادة الصواب وبر الامان لذلك نجد ائمة أهل البيت عليهم السلام يركزون على مثل تلك الامور في اقوالهم فقال الإمام الهادي عليه السلام (إذا كان زمان العُدْلُ فيه أغْلَبُ مِنَ الجَوْرِ فَحَرَامٌ أَنْ يُظَنَّ بِأَحَدٍ سُوءاً حَتَّى يُعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ)^(٣)، من هنا نستنتج ان سوء الظن من الآفات الخطرة التي تفتك بالأفراد والمجتمعات، وذلك لأنها ان تمكن قضت على روح الألفة وقطعت أواصر المودة وولدت الشحناء والبغضاء.

ومن الابتلاءات التي تبلى بها المجتمعات وتحديدًا المجتمعات الإسلامية، ولاسيما في وقتنا الحاضر هو الاستهزاء؛ إذ استشرى في مجتمعنا في الوقت

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ١، ص ٣٧.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٢.

(٣) المدرسي، محمد تقي، الإمام الهادي قدوة وأسوة، ص ٩٥.



الانحرافات الاخلاقية والاجتماعية لم يترك الناس خياراً إلى اين يذهبون بل دعاهم إلى الفعل الحسن وذلك وفقاً لما جاء في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ، وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٣).

وقد سجلت الكثير من الكتب الإسلامية آثاراً جمّة عن الإمام الهادي عليه السلام في دعوته إلى الإصلاح والإرشاد في أوساط الأمة المختلفة، سواء من خلال التأثير بسيرته العملية المتمثلة بمكارم أخلاقه وتواضعه وإحسانه وهديه وزهده وعبادته وصلاحه، أو من خلال وعظه وإرشاده وبركة تفوقه العلمي وكراماته التي حباها الله بها، وكان من أبرز آثار ذلك أنه استطاع أن ينقذ جماعة ممن أغرهم الدنيا فأنحرفوا عن جادة الطريق، فجعلهم يتركون ما هم فيه ويهتدون إلى ساحل الأمان ويخرجون من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم وصرات الهداية.

ويقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الحاضر والعياذ بالله هو الهزء بالآخرين فنجد بعضهم لا بل أكثرهم لا يكون راضياً الا عن نفسه مغترّاً بأفعاله معجباً بأقواله، وكأنّ الدنيا بأسرها تقف عنده، هذا الأمر يكون مشيناً على المجتمعات لان يصادر حقوق الآخرين ويحجمها، من هذا المنطلقات نجد ان القرآن الكريم يحذر من مغبة تلك التصرفات الخاطئة في المجتمع اذ يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْإِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (١)، لذا فإنّ السخرية والاستهزاء إن وقعت في المجتمع دون قصد فإن خطرهما عظيم وان حصلت بقصد، فإن جرمها أكبر، وفي كلا الحالتين لن يعذر هذا الهازل والمستهزئ وهو ما حذر منه الإمام الهادي عليه السلام بقوله: (الهزء فكاهة السفهاء وصناعة الجهال) كذلك يصف الإمام السفهية الذي يستهزئ بالآخرين بقوله: (من رضى عن نفسه كثر الساخطون عليه) (٢).

بعد أن واجه الإمام الهادي عليه السلام

(١) سورة الحجرات، الآية ١١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٦٩، ص ٣١٦.

(٣) سورة النحل، الآية ١٢٥-١٢٦.



القول أو الفعل وقد وصف القرآن الكريم ابراهيم بأوصاف كان منها الحلم بقوله «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ حَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ»^(٢) تلك المفردتان (اواه حلیم) تعنيان الكثير اي انه لم يكن سريع الغضب كثير الحلم لا يجب المعاجلة بالعقاب، وذا خلق حسن وسعة صدر تلك الصفات يحرص أهل البيت ان تستشري في المجتمعات الإسلامية من اجل اصلاحه لا ان تستشري فيه عدم كظم الغيظ ومبادلة الاساءة بالإساءة لذلك يقول الإمام عليه السلام (الحلم ان تملك نفسك وتكظم غيظك مع القدرة عليه)^(٣).

وهناك دعوات صريحة إلى فعل الخير في القرآن الكريم والحث عليه اذ يقول تعالى في كتابه الكريم «وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٤) وهذه دعوة صريحة لفعل الخير من قبل الله تعالى إلى الفرد لان الامة قد تاتي على اعتبار انها شخص واحد كما جاء في القرآن الكريم بحق ابراهيم الخليل عليه السلام بقوله «إِنَّ إِبْرَاهِيمَ

والصفح عن المسيء، ومقابلة الاساءة بالإحسان، والصبر على كيد الأعداء والمنائين، ويكفي مثلاً على سعة حلمه موقفه من بريجة عامل المتوكل على المدينة الذي كان يقصد الإمام عليه السلام بالإساءة والوشاية والتهديد، ومع ذلك فإنه عليه السلام قابل ذلك بالعفو وكظم الغيظ.

ذكر العلامة المجلسي نقلاً عن المسعودي أن أبا الحسن عليه السلام حين توجه إلى العراق، وصار في بعض الطريق، قال له بريجة: قد علمت وقوفك على أني كنت السبب في حملك، وعليّ حلف بأيمان مغلظة لئن شكوتني إلى أمير المؤمنين أو إلى أحد من خاصته وأبنائه، لأجمرن عيون ضيعتك، ولأفعلن وأصنعن.

فالتفت إليه أبو الحسن عليه السلام فقال له: (إن أقرب عرّضي إياك على الله البارحة، وما كنت لأعرضنك عليه ثم لأشكونك إلى غيره من خلقه. فانكبّ عليه بريجة وضرع إليه واستعفاه. فقال له: قد عفوت عنك)^(١) وهذا هو خلق أهل البيت عليهم السلام وسماحتهم لمن ساء إليهم ومن هنا ندرك ان الحلم يعني الترفع عن مبادلة الناس الإساءة بالإساءة، والتحلي بالصبر على ما يجده الانسان من سوء في

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠٩.

(٢) سورة هود، الآية ٧٥.

(٣) الكعبي، علي موسى، الإمام الهادي السيرة والتاريخ، ص ٢٣٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية ٤.



الزوجة في القرآن الكريم وكانت الاسبقية في اختيارها في الشق الديني بالدرجة الأساس، فقد ركز عليه القرآن الكريم كثيراً عليه لما له من اهمية بمكان من ان تكون المرأة ذات دين يعصمها عن الخطأ والخطيئة وان تكون عقيدتها صحيحة وآدابها سامية لأنها ستنقلها بدورها إلى أبنائها، ولأجل ذلك حرم الإسلام الزواج من المشركات، قال تعالى: (وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ) (٢)؛ ولأجل أن الدين له مدخلة كبرى في استقامة الزوجة، أوصى الرسول ﷺ الشباب بأن لا ينظروا بعين الشهوة والطمع لمن يرغبون الاقتران بها كأن يركزوا على جمالها ومالها، بل عليهم في المقام الأول أن ينظروا إلى دينها وتدينها، قال رسول الله ﷺ: (تنكح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها فعليك بذات الدين) (٣).

كذلك سعى الإمام الهادي عليه السلام في تزويج أحد وقد اشار في خطبته إلى بعض الامور التي تخص اختيار الزوجة اذ دعي

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٢١ .

(٣) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٢،

رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» (١) والإمام الهادي عليه السلام يبين حقيقة الشكر في النعم وان انفاقها يعد شكراً بل يعد الإمام ان المحافظة عليها وحسن مجاورتها هو ذلك الانفاق حيث يقول: (أبقوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها) وان الشكر الذي هو رأس الإيثار مبني على ثلاثة أركان: اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره، والتحدث والثناء على الله بها، والاستعانة بها على الطاعة .

المبحث الأول

فكر الإمام الهادي عليه السلام في بناء الأسرة أولاً: اختيار الزوجة:

ان الإسلام يرى أن الوقاية خير من العلاج، لذلك يسدي نصائحه بسخاء ويحثه فيها على الثبوت والتأني عند الاختيار حتى لا يكون كحاطب ليل لا يدري ما يجمع في حزمته، وقد كشف له عن خطأ النظرة الأحادية الجانب التي تركز على الجمال أو المال فحسب، مؤكداً على النظرة الشمولية التي تتجاوز الظواهر المادية، بل تغوص نحو العمق لتبحث عن الحقائق الكامنة في أهل الزوجة وضرورة التفحص بها .

وقد ظهر مواصفات اختيار

(١) سورة ابراهيم، الآية ٧ .

نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ^(١).

وللعفة جانب آخر هو حسن المظهر من قبل الزوج فيقول احدهم رأيت ابا الحسن الهادي عليه السلام قد اختضب فقلت جعلت فداك اختضبت؟ وكأنه مستنكر ذلك على الإمام عليه السلام - فقال عليه السلام: «نعم، ان التهيئة ما يزيد في عفة النساء ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة ثم قال: أيسرك أن تراها على ما تراك عليه اذا كنت على غير تهيئة؟ قال: لا»^(٢).

اما عن موضوعات ليلة الزفاف ومقاربة الرجل والمرأة فقد كانت هناك وقفات للإمام الهادي عليه السلام عندها تلك الوقفات جاءت من اجل تنظيم العلاقات الزوجية لما تنطوي عليها من اثار مجتمعية في الحاضر والمستقبل وانه اراد ان يبعث برسالة إلى الشباب في زمنه وفي زمننا ايضاً ان الغاية من الزواج ليس غاية آنية هو مجرد اشباع الرغبات الجنسية وإنما ننظر ما بعد اشباع تلك الرغبات فقد روي بالإسناد عن سهل بن زياد عن الإمام الهادي عليه السلام قوله: (من تزوج والقمر في العقر لم ير الحسنى)^(٣)، وقال عليه السلام: (من تزوج في

(١) سورة النساء، الآية ٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٩، ص ١٢٣.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧٤.

محاق الشهر فليسلم لسقط الولد)^(٤).

ومن كراهات الجماع التي ذكرها الإمام الهادي عليه السلام فقد روي عنه عليه السلام انه يكره للرجل ان يجامع اهله في اول ليلة من الشهر وفي وسطه وفي اخره^(٥) وكما هو القران يعطي اسباب ودواعي ذلك النهي ويبينها فان الإمام الهادي عليه السلام (يكون حريصاً على تبيان اسباب ذلك النهي فيوضح ان اثارها ستكون على الاسرة والمولود فذكر ان ذلك الفعل اذا خرج منه مولود سيكون ذلك مجنوناً الا ترون ان المجنون أكثر ما يصرع في اول الشهر وفي اوسطه وفي اخره^(٦)).

ثانياً: واجبات الآباء تجاه الأبناء:-

الأبناء هم ذخر لآبائهم وسند لهم في كبرهم وهم سبب دخول الفرحه والبهجة للآباء، وكلما كان الأبوان حريصين على تربية أبنائهم تربية حسنة كلما زاد ذلك من جعل الأبناء أكثر نجاحاً في حياتهم ومستقبلهم. لذلك فان وظيفة الآباء تجاه الأبناء هي مظهر من مظاهر الحياة

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠٠، ص ٢٧٤.

(٥) العاملي، الحر، وسائل الشيعة، ج ٢٠، ص ١٢٩.

(٦) الخوانساري، السيد، جامع المدارك، ج ٧، ص ١٥٢.



مجله تراش سناجره

العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥هـ / ٢٠٢٣م

م.د. ستار جلیل عجیل

الاجتماعية، والأساس الأول والذي يتمثل
 باختيار الزواج الصالح يعتبر أول حق
 من حقوق الأبناء على الآباء، لأن اختيار
 الزوجين بصورة صحيحة يضمن للأبناء
 حقوقهم من آبائهم وتنشئتهم بشكل
 صحيح، وقد وضع الإسلام مجموعة من
 الخطوات أو الوظائف التي يجب على الآباء
 تأديتها لأبنائهم سواء أكان ذلك على الأم
 أو الأب، فكلاهما يؤدي وظائفه الخاصة
 به تجاه أبنائه أو يتشاركان معاً وقد حرص
 أهل البيت على ان يكون طفلهم سليماً
 ومعافى ومنذ اليوم الأول فقد تناول الإمام
 الجواد ولده الإمام الهادي عليه السلام وأقام عليه
 مراسم الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسنته فأذن في
 أذنه اليمنى وأقام باليسرى، وختنه في اليوم
 السابع من ولادته وحلق رأسه وتصدق
 بزيته على المساكين وعق عنه بكبش^(١).

ومن حق الولد على والده أن يسميه
بالأسماء المستحسنة وأفضل الأسماء
أسماء الأنبياء وأسماء الأئمة صلوات الله
عليهم، لذلك يجب على الأب ان يختار
لابنه الاسم الذي يليق به وان لا يسبب
له حرجاً عندما يكبر وان لا يكون من
الاسماء التي اشتهرت بالعداء للإسلام

وأهل البيت عليه السلام. بل ويستحب ان تكون
بالأسماء المتضمنة للعبودية لله عز وجل،
كما تستحب التسمية باسم النبي محمد صلوات الله
وعليهم وآله، وتستحب
وباقى الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، وتستحب
التسمية باسم علي، والحسن، والحسين،
وجعفر، وطالب، وحزرة، وفاطمة. وقد
تكون الأسماء للأولاد من اختصاص
الآباء فقد روي عن الإمام الهادي عليه السلام ان
الرسول صلوات الله
وعليهم وآله انه هو الذي سمى فاطمة
بهذا الاسم فقال انها سميتها فاطمة لان الله
عز وجل قد فطمها وشيعتها من النار^(٢).

وقد سمي الإمام الهادي بعلي تيمناً
بجده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
والإمام زين العابدين وجده الإمام علي بن
موسى الرضا عليه السلام.

أما الكنى فقد كانت دارجة عند العرب حيث قال العلماء: كانوا يكنون الصبي تفاعلاً بأنه سيعيش حتى يولد له ؛ وللاّمن من التلقيب، والإمام الجواد كنى الإمام الهادي عليه السلام بأبي الحسن وفي ذلك يقول الإمام علي عليه السلام:

نحن الكرام بنو الكرام
 وطفلنا في المهد يُكنى

(٢) الشيخ الصدوق، عيون اخبار الرضا، ج ٢، ص ٣٢٤.

(١) الكعبي، الإمام الهادي السيرة والتاريخ، ص ١٥٣.

إنا إذا قعد اللثام

على بساط العزِّ قمنا^(١)

وواجبات الآباء نحو الأبناء كثيرة

ومتعددة، فالأبناء أمانة في عنق الآباء يجب

المحافظة عليها، كي لا يحاسب الله الآباء

على تقصيرهم في تربية أولادهم ويقدم لنا

القرآن الكريم صورة لطيفة جداً يمكن

من خلالها ان نربي ابنائنا على اسس التربية

الصالحة فعلى لسان لقمان عليه السلام لابنه وهو

يعظه في قوله تعالى «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ

وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ

لَظُلْمٌ عَظِيمٌ»^(٢) اذ بدأ ذلك النصيح من

قبل الوالد لولده بجانب العقائدي فقال

له هو يعظه لا تشرك بالله وبين له سبب

ذلك النهي ولم يتركه مبهما كما نرى الان

في وقتنا الحاضر ان اغلب الاباء يغفلون

عن تلك الثقافة فانه ينهاه عن فعل معين

دون ان يبين له اسباب ذلك المنع والنهي

لكن لقمان عندما نهى ولده عن الشرك بين

له السبب اذ قال له ان الشرك لظلم عظيم

ثم انتقل بعد ذلك ليعين لنا أهم

واجبات الآباء تجاه ابنائهم وهي الحث على

بعض الاعمال العبادية منها الصلاة والامر

بالمعروف والصبر وفي ذلك يقول الله

(١) ديوان الإمام علي، ص ١٢١ .

(٢) سورة لقمان، الآية ١٣ .

تعالى «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ

وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^(٣) وبعدها يأتي

الحث وكيفية التعامل مع المجتمع حيث

قال تعالى «وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا

تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ

مُخْتَالٍ فَخُورٍ وَأَقِصْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ

مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ»^(٤) كل تلك الصور الاجتماعية

الجميلة التي وردت في هذه الآيات المباركة

يجب ان تكون منهاج عمل يتخذه الاباء في

تربية ابنائهم .

فكما من حق الأب على الابن ان

يدعو لوالديه كذلك من حق الابن على

والده ان يدعو له فقد روي عن الإمام

الهادي عن آبائه قال: ثلاث دعوات لا

يحجبهن الله تعالى: دعاء الوالد لولده اذا

بره...^(٥) .

وكذلك من واجب الاباء هو

الانفاق على العيال لانهم في عنقه وقد

ظهرت صورة ذلك والحث عليه عن

الإمام الهادي عليه السلام اذ جاءه شخص طلب

(٣) سورة لقمان، الآية ١٧ .

(٤) سورة لقمان، الآية ١٨-١٩ .

(٥) الطوسي، الأمالي، ص ٥٤١؛ الحر العاملي،

وسائل الشيعة، ج ٤، ص ١٦٣ .



منه مالاً لانه مديون فاراد ان يوفي دينه
فدفع له الإمام مبلغاً أكثر من دينه فقال
له الرجل ان هذا المال أكثر من ديني فقال
له الإمام خذ المال فأوف به دينك وأنفق
الباقى على عيالك^(١).

كذلك على الآباء السعي في قضاء حوائج الابناء ما استطاعوا وبها وفقهم الله في ذلك فعن محمد بن يحيى، عن علي بن إبراهيم الجعفري، عن حمدان بن إسحاق قال: (كان لي ابن، وكان تصيبه الحصة. ف قيل لي: ليس له علاج أن تبطه، فبططته، فمات. فقالت الشيعة: شركت في دم ابنك. قال: فكتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر، فوقع صلوات الله عليه - يا أحمد، ليس عليك في ما فعلت شيء، إنما التمسست الدواء، وكان أجله في ما فعلت^(٢)).

كذلك إذا انفصل الرجل عن زوجته، ولها منه ولد يرضع، كان عليه أن يعطيها أجر رضاعه فإن بذل لها شيئاً في ذلك فلم تقنع به وجد من يرضعه بذلك القدر من الأجر كان له انتزاعه منها ودفعه إلى مرضعة غيرها بالأجر فإن اختارت أمه رضاعه بذلك الأجر كانت أحق به. وليس على الأب بعد بلوغ الصبي ستين أجر

(١) الطوسي، الأمالي، ص ٣٥٧.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٩، ص ٦٨.

رضاع فإن اختارت أمه رضاعه تبرعا بعد ذلك لم يكن له منعها منه ما لم يضر ذلك به. والحد الذي يجوز فصل الصبي من الرضاع فيه من الزمان بلوغه أحدا وعشرين شهرا فإن فصل منه دون ذلك كان ظلما له وأقصى الرضاع حولان كاملان كما قال الله عز وجل لمن أراد إتمامه.

ثالثاً: واجبات الابناء تجاه الاءاء:

اعتنى الإسلام بالوالدين عناية خاصة، وجعل حقهما بعد الإيمان بالله سبحانه تعالى؛ فالوالدان هما أساس نشأة الأبناء وسبب وجودهم، فهما اللذان يقدمان الغالي والنفيس في سبيل رؤية أبنائهم يكبرون ويبلغون أعلى الدرجات، وقد قرن الله تعالى طاعته بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، حيث قال في كتابه العزيز: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» ^(٣) يُعتبر ذكر الله سبحانه وتعالى لطاعة الوالدين في القرآن الكريم بعد ذكر طاعته عز وجل دلالةً واضحةً على أهمية برّهما واحترامهما، ولما كان الوالدان هما حجرَي الأساس في بناء الأسرة وتنشئة الجيل، نجد القرآن

(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٣.



أهل البيت عليه السلام تنظر للحق نظرة أرحب وأشمل، هي نظرة الإسلام العميقة التي تقدم الجانب المعنوي على الهادي فيقول الإمام علي عليه السلام: (إِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقَّ أَنْ يَطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ) (٣) وحفيده الإمام الهادي عليه السلام يبين في ذات المضمار تلك الأمور المعنوية بقوله (ان للوالد على الولد حق ان لا يسميه باسمه ولا يمشي بين يديه ولا يجلس قبله ولا يتسبب له) (٤).

وقد اعطى الله تعالى الفضل المقدم في الطاعة للام وذلك لما شاقته من الم وهي تحمل الطفل في بطنها ومن الم وهي تضعه حين الولادة ومن الم وهي ترضعه وفي ذلك يقول الله تعالى (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) (٥) فرجحت الأم على الأب بالحمل والولادة والرضاع والحضانة، ولها من الحقوق على أولادها ما يعجزون عن أدائه مهما فعلوا، ولكن على الأولاد أن يسددوا ويقاربوا، ويجتهدوا في بر أمهاتهم ما استطاعوا؛ ففي

(٣) المعتزلي، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ص ١٣٤.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ١٠٩.

(٥) سورة لقمان، الآية ١٤.

الكريم يصرح بعظم مكانتهما فمرة نجد أن الله تعالى يعتبر الإحسان إلى الوالدين قضية جوهرية، فهي من الأهمية بمكان، بحيث يبرزها في عالم الاعتبار بصيغة القضاء: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) ويجسدها مرة أخرى في عالم الامتثال بصيغة الميثاق: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (١).

لذلك حث الإمام الهادي عليه السلام على وجوب طاعتهم كما ورد في قوله (من جمع لك وده فاجمع له طاعتك) (٢). يمكن ان يستفيد الانسان من هذا القول في مجال الاسرة فالآباء من المؤكد انهم يجمعون كل ودهم لأبنائهم لذلك وجب على الابناء ان يجمعوا كل طاعتهم إلى ابائهم ويكونوا عند حسن ظنهم.

تتسع عدسة الرؤية للحقوق في مدرسة أهل البيت عليه السلام عن غيرها من المدارس والمذاهب القانونية والاجتماعية، فهي تركز في توجهاتها على الحقوق المعنوية، وتضعها في سلم أولوياتها، ولا يعني ذلك إهمال الحقوق المادية.

فإذا كانت النظرة المتعارفة للحق أنه حق مادي بالدرجة الأساس، فإن مدرسة

(١) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧، ص ١١٣.



المسلمين على صلة أرحامهم والتكافل معهم، ومن أبرز هذه المعطيات طول العمر، فيقول الإمام الهادي عليه السلام (ان الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثين سنة فيصيرها الله ثلاث سنين)^(٤).

لم يقف الإمام الهادي عند الحث بالأقوال بل تعداه إلى الفعل فقد كان عليه السلام كريماً سخياً وصولاً إلى أقاربه وأرحامه، ومن مظاهر كرمه وبذله وصلته ذوي القربى ما رواه إسحاق الجلاب، قال: اشتريت لأبي الحسن الهادي عليه السلام غنماً كثيرة يوم التروية، فقسمها في أقاربه^(٥).

وصلة الرحم لها آثارها الدنيوية الحسنة حتى على الفجرة فضلاً عن الصالحين، فتحصل تنمية الأموال؛ لأن الله تعالى يجعل فيها البركة، فضلاً عن أن روح التعاون والتكاتف التي تنمو في نفوسهم تدفعهم للقيام بمشاريع ونشاطات اقتصادية نافعة تدرّ عليهم بالخير الوفير. أما طول الأعمار فلا أن الله تعالى ينسأ في أجل الذين يصلون أرحامهم ويمددهم

حزنا قال: يا أسفى على يوسف فإنه قد جيبه فشقه^(١). وان يصله إلى قبره ولكن يكره ان يحثو التراب عليه قد روي عن الإمام الهادي قوله (يكره للابن أن يحثو على أبيه لأن ذلك يقسي القلب من ذوي الأرحام)^(٢) ومن المؤكدات عن الإمام الهادي عند موت الام فان من ينزلها في قبرها زوجها فان لم يكن موجوداً فابنها أو من ذوي ارحامها.

رابعاً: صلة الأرحام:

من الأمور العبادية والعملية التي أوجبها الله سبحانه وتعالى هي صلة الرحم، وتربية الانسان يجب ان تبدأ مع طاعة الباري عز وجل أولاً، وهذا الطاعة تجعل من الانسان انساناً يسعى للتكامل، ومن تطبيقات هذا التكامل هو صلة الرحم اذ يقول الباري عز وجل «وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ»^(٣).

كان للمعطيات الإيجابية المتعلقة بصلة الرّحم أثر هام في تشويق وتشجيع

(١) الخصيي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى، ص ٢٥٠.

(٢) المجلسي، ملاذ الأخيار في فهم تهذيب الأخبار، ج ٢، ص ٣٤٥.

(٣) سورة البقرة، الآية ٨٣.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ١٦٣.

(٥) الشاكري، موسوعة المصطفى والعيرة عليه السلام، ج ١٤، ص ٧٤.



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

السَّنَةُ الرَّابِعَةُ

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

بعمرمديد، فجاء في الحديث الشريف (ان صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان اهلها غير أخيار)^(١) كذلك جاء عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال: (فيما كلم الله تعالى به موسى عليه السلام، قال موسى: إلهي، فما جزاء من وصل رحمه؟ قال: يا موسى أنساً له أجله، وأهوّن عليه سكرات الموت)^(٢).

وكذلك كان الإمام الهادي عليه السلام عالماً بحال ارحامه، فقد روي عن محمد بن علي قال: أخبرني زيد بن علي بن الحسين بن زيد قال: مرضت فدخل الطبيب علي ليلا فوصف لي دواء بليل آخذه كذا وكذا يوماً فلم يمكني، فلم يخرج الطبيب من الباب حتى ورد علي نصر بقرورة فيها ذلك الدواء بعينه فقال لي: أبو الحسن يقرئك السلام ويقول لك خذ هذا الدواء كذا وكذا يوماً فأخذته فشربته فبرئت^(٣).

اما اخته حكيمة فقد كان الإمام وصولاً بها من جانين الجانب الأول لانها كانت رحمه فحري به ان يصلها اما الجانب الآخر فانه يعلم انها سيلقى على عاتقها مسؤولية مهمة جداً لذلك اراد ان يعدها لتلك المسؤولية مسبقاً وقد كانت جليّة

القدر، عالية الشأن، فأوكل إليها جاريته نرجس كي تعلمها معالم الدين وأحكام الشريعة وتؤدّبها بالآداب الإلهية. ثم ان الإمام الهادي عليه السلام زوج نرجس من ولده الإمام العسكري عليه السلام فكانت أم الإمام المهدي المنتظر (عج) لاقامة دولة الحق، وقامت حكيمة بمهمّة القابلة لأُمّه ليلة ولادته، واضطلعت بدور مهم بعد شهادة أخيها الحسن العسكري عليه السلام حيث كانت تستلم الكتب والرسائل وتوصلها إلى الإمام، ثم تستلم منه الأجوبة والتوقيعات وتوصلها إلى شيعته^(٤).

اما أبناءؤه فقد رباهم على حسن الخلق وصلة الرحم فاذا استثنينا منهم جعفر الكذاب فان ولديه الإمام الحسن العسكري عليه السلام واخاه الحسين -الذي كان زاهداً عابداً معترفاً بإمامة أخيه العسكري عليه السلام وكان صوت الإمام المهدي عليه السلام يشبه صوت عمه الحسين-. فقد كان الناس يقولون عنهما بالبسطين تشبيهاً لهما بالإمامين الحسن والحسين عليه السلام^(٥).

اما من يقطعون رحمهم فهم غالباً

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، ص ١٣٢.

(٢) العاملي، الحر، الجواهر السنية، ص ٥٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٧، ص ١٣٦.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٥) الكعبي، الإمام الهادي السيرة والتاريخ، ص ٤٥٤.

بسبب هذه العوامل :

الجهل بالثواب في الدنيا والآخرة: فعدم المعرفة بما في صلة الرحم من أجر عظيم يناله الواصل في الدنيا والآخرة يدفعه إلى عدم المبالاة في زيارة اقاربه والتواصل معهم ومعرفة أخبارهم مهما قربت صلتهم به، وهذا من اكبر الاخطاء التي يقع فيها الكثير من الناس .

الجهل بالعقاب في الدنيا والآخرة: بقدر ما في صلة الرحم من فضل يقابلها في قطع الرحم آثار من أبرزها تقصير العمر ففي الحديث: (ان الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم)^(١) وغيرها من الآثار التي لا ندرکها تترتب على مثل هذا العمل الخلاف بين الأقارب: من الامور العويصة جداً هو ضبط العلاقة بين الأقارب وحفظها من الخلل والفرقة، مع ما في هذه الحياة من مشاكل ومثيرات للخلاف والتي من أجلها وضوحاً الطلاق بين الأقارب ومشاكل الإرث فيكون من أبرز مظاهرها هو قطع الرحم وانعدام التزاور ونشوب التشاحن والبغضاء إلا ان الشرع لا يرى في ذلك عذراً كي يقطع المرء رحمه.

بعد المسافة: من الامور التي يبرر

بها البعض قطعه لزيارة رحمه واقاربه هي مسألة بعد المسافة وعدم مقدرته على الذهاب لزيارتهم لما في السفر من مشقة وكلفة عليه لذا يعتقد انه غير مكلف بهم وهذا من المفاهيم الخاطئة ففي الحديث عن رسول الله ﷺ يقول: (سر سنة صل رحمك)^(٢) ومن الحديث يتجلى ما لصلة الرحم من اهمية مما يجعلها تستحق مسيرة سنة .

نجد التأكيد على التكافل مع الأرحام بشقيه المادي والأدبي الاخلاقي، وهو ما جسده الإمام الهادي فقد رأيناه يصل ارحامه بالشيء المادي وهنا وجدناه يصل ارحامه بالشيء الادبي فقد كان من واجبه ان يحذر أخاه عندما وجد انه في مرمى الاعداء ويقن ان ذلك سوف يفقده الدنيا والآخرة فقد حذر الإمام الهادي عليه السلام أخاه موسى من الوقوع في فخ المتوكل الذي حاول هتكه والخط من منزلته، فروي بالإسناد عن أبي الطيب يعقوب بن ياسر قال: (كان المتوكل يقول: ويحكم قد أعيانني أمر ابن الرضا، وجهدت أن يشرب معي وأن ينادمني فامتنع، وجهدت أن أجد منه

(٢) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٣، ص ١٥٦ .

(١) الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٢، ص ١٥٧ .

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٣٤.



الأصدقاء، فيعاتبه عن بعض هفواته وفي ذلك يقول الإمام الهادي عليه السلام (إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا إِذَا عُوْتُبَ قَبْلَ) (٣) اذ تمتد العلاقة بين الأصدقاء أزماناً قد تطول شهوراً أو سنيناً، أو ربّما مدى الحياة وفي هذه المعاشية الزمنية الطويلة أو القصيرة تظهر طبائع الأصدقاء، ويتجسد سلوكهم النافع أو الضار والخطأ مسألة طبيعية في حياة الانسان، فليس فينا مَنْ لا يخطئ، والإنسان يخطئ مع ربّه، ويخطئ مع نفسه، ويخطئ مع الناس الذين يعيش معهم، وَمَنْ يقع الخطأ عليه، لا بدّ أن يكون له رد فعل على ذلك الخطأ ويختلف رد الفعل على الخطأ حسب حجم الخطأ ونوعه، وحسب شخصيّة الانسان الذي وقع عليه الخطأ، وقدرته العقلية والنفسية في التعامل مع أخطاء الآخرين .

فالبعض يغضب ويقاطع، وتصدر منه كلمات مؤذية، أو نقد جارح، والبعض قد يسكت على الخطأ، ويغض الطرف عنه، وكأنه لم يسمع، ولم يرَ تلك الأخطاء، ويتعامل بهدوء، ويتسامح في كل الأحوال، ومهما يكن الخطأ صغيراً أو كبيراً للتعامل مع خطأ الأصدقاء أصوله الأخلاقية فالصديق عندما يخطئ تجاه صديقه، كأن

وتدوم إلى الأبد، فمن صفات الصديق الصادق هو الذي يحفظ صديقه إذا غاب عنه وإذا سمع عنه أنه يُذكر بسوء فيدافع عنه، وينصحه، ويرشده للصواب إذا وقع في الخطأ، ويقبل النصيحة من الآخرين، ويزور صديقه إذا مرض، ويقف معه ويشاركه في فرحه وحزنه، ويبقى وفيّاً له حتى بعد وفاته، وأن يكون لصديقه كالظل يتبعه في كل مكان، وينشر محاسنه ويستر عيوبه ولا يكشفها للآخرين، ويقبل اعتذاره ويسامحه، ويصدق ويثق به. تلك الصداقة ظهرت في القرآن الكريم ولها الكثير من الشواهد لعل من ابرزها في قصة اصحاب الكهف فقد تحابوا في الله وآمنوا به فزادهم هدى حيث يقول تعالى: «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» (١).

ويجب على الصديق أن لا يُكثر من اللوم بينه وبين صديقه؛ ويحسنا الإمام الهادي عليه السلام إلى جانب آخر من اجل ديمومة الصداقة فيقول: (العتاب مفتاح الثقال، والعتاب خير من الحقد) (٢)، وذلك من أجل الحفاظ على ديمومة الصداقة، واستمرارية العلاقة الاجتماعية بين

(١) سورة الكهف، الآية ١٣ .

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٣٦٩ .

(٣) الحراني، تحف العقول، ص ٤٨١ .



تصدر منه كلمة مؤذية، أو يتصرف تصرفاً مالياً أو اجتماعياً، ويسبب إلى صديقه. فمن حق الصديق أن يعاتب صديقه على خطئه، وطريقة تصرفه، ولكن يجب أن يكون العتاب بالحسنى، وإلفات نظره إلى خطئه، وتحمل خطأ الأصدقاء الذي يصدر من الناس الطبيعيين مسألة أساسية في حياة الأصدقاء، فمن لا يتحمل خطأ الآخرين، لا يستطيع أن يتعايش معهم، أمّا من يتجاوز حدود الآداب، ويحمل صديقه الضرر والإساءة بسبب تصرفاته، فليس من الصحيح أن نتخذ هذا الانسان صديقاً له.

صغيرة وكبيرة. لا جلب مصلحة، ولا لدرء مفسدة، ولا لهدف الوصول إلى الحق والأخذ به، وإنما رغبة في الخصومة، وحباً في التّشفي من الطرف الآخر. ولهذا تجد الواحد من هؤلاء يُسفه صاحبه، ويرذل رأيه، ويرد قوله. فلا يمكن - والحالة هذه- أن يصل المتجادلون إلى نتيجة طالما أن الحق ليس رائدهم ومقصودهم. فالجدال والمراء على هذا النحو مجلبة للعداوة، ومدعاة للتعصب، ومطية لاتباع الهوى. بل هو ذريعة للكذب، والقول على الله بغير علم خصوصاً إذا كان ذلك في مسائل الدين.

وإذا كنّا نطلب من الصديق أن يتقبل منّا العتاب والنقد البناء، فعلينا أن نتقبل منه العتاب والنقد البناء. وأن تتسع قلوبنا وعقولنا لقبول ذلك، فإنّ الانسان يُخطئ، والنقد البناء يسهم في حذف الأخطاء، وتقويم الانسان. وقال الإمام الهادي عليه السلام: المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة الوثيقة، وأقل ما فيه أن تكون فيه المغالبة والمغالبة أحد أسباب القطيعة^(١).

ويبين لنا الإمام الهادي عليه السلام ما يفسد الصداقة وينهانا عن الوقوع به فكثيراً ما يتجادلون الاصدقاء ويتمارون عند كل

وكما اهتمّ الأئمة عليهم السلام بتربية أصحابهم على الإيثار والتقوى والعمل الصالح وعلى إصلاح العلاقة بينهم وبين ربهم كذلك اهتموا عليهم السلام بتربية أصحابهم على الأخلاق الحسنة في التعامل مع محيطهم ومع الناس من حولهم، أي على إصلاح العلاقة بينهم وبين سائر الناس. ومن هذه المواعظ ما يتضمن الحكمة مع بيان القاعدة، فالإمام يعطي الموعدة، ويضمنها الدليل والحكمة، بما يوجب إقناع الآخرين وتسليمهم لكلام الإمام، لأن القلب يلين للحكمة.

وكانت سيرة الأئمة عليهم السلام توجيه

(١) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٢٣٥.



النصح والحكمة والموعظة للناس جميعاً، من مواليهم أو من أعدائهم، صغاراً وكباراً، سواء أكانوا من أصحاب السلطة والمال والجاه والنفوذ، أم من سائر الناس المعاملة بالمثل.

فمما جاء من مواعظهم ما جاء عن الإمام الهادي عليه السلام الأساس هو في مبدأ المعاملة بالمثل، فيجب أن تعامل الآخرين كما تحب أن يعاملوك، ولا تطلب من شخص أن يعاملك بالحسنى وأنت تُسيء إليه، أو أن يعتني بك وأن لا توليه أي اهتمام. فقال عليه السلام (لا تطلب الصفاء ممن كدّرت عليه)^(١) طبع هذا الإنسان أن يبادل الإساءة بالإساءة، نعم يجب على الإنسان أن يتغلب على هذا الطبع بأن يسعى للتخلّق بخلق العفو عمن ظلمه والتجاوز عن الإساءة، ولكن هذا لا يرفع عنه الظلم الذي يتعرّض له، والأذى الذي يلحق به. ليس من حقك أن تطلب ممن أسأت له مادياً أو معنوياً أن يبادل إساءتك بالإحسان، وأن تلومه إن لم يحسن إليك، أو إن أعرض عنك، فأنت لم تكن معه كما تريده أن يكون معك.

إذاً لك الحق في أن تطلب من

الآخرين ما تعطيهم، لا أن تمنعهم الشيء ثم تطالبهم بمثله (ولا الوفاء ممن غدرت به)^(٢): الغدر صفة الخائن العاجز، الذي لا يجد وسيلة للوصول إلى مآربه إلا من خلال الخيانة، ولذا كان الغدر صفة اللئام بل وأقبح الخيانة، كما ورد وصف الأئمة له بذلك. وهنا يشير الإمام عليه السلام إلى أن الشخص الذي يلجأ إلى الغدر ليس له أن يتوقع من الآخرين الوفاء له، وهذا لا يعني إطلاقاً أن الإمام عليه السلام يحث الآخرين على الغدر، أو يشجعهم عليه، أو يبرّر لهم ذلك، لأن الغدر قبيح سواء صدر ابتداء أو كردّة فعل، ولكن عادة الناس أن تبادل من يغدر بعدم الوفاء. إن الذي يقع في الغدر هو الذي يفتح الباب أمام مبادلة الآخرين له بذلك، فعليه أن يلوم نفسه، وأن يعلم عاقبة فعله، فإنّه إن صدر الغدر منه اليوم قد يقع الغدر عليه في الغد.

(ولا النصح في من صرفت سوء ظنك إليه)^(٣): مهما بلغ الإنسان من الكمال العلمي ومن التجربة الحياتية فإنّه لا يستغني عن نصيحة من حوله ولا سيما

(٢) النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام، ج ١٢، ص ٢٠٧.

(٣) النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام، ج ١٢، ص ٢٠٧.

(١) النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليه السلام، ج ١٢، ص ٢٠٧.



كذلك ما يدل على حسن جواره وحسن معاملته مع الناس عندما اشخص إلى سامراء تذكر الروايات قال يحيى: فذهبت إلى المدينة، فلما دخلتها ضج أهلها ضجيجاً عظيماً ماسمع الناس بمثله خوفاً على علي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا^(٣).

الثالث: الفقر:

قد يأتي الفقر نوعاً من الابتلاء ليمحص الله الصابرين من غيرهم فقد روي عن الإمام أبي الحسن عليه السلام «ان الله عز وجل يقول اني لم أغن الغني لكرامة به علي ولم أفقر الفقير لهوان به علي، وهو ما ابتليت به الفقراء على الأغنياء ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة»^(٤) من هذا القول ندرك ان الإمام عليه السلام نوه إلى جانب مهم وهو ان الله عادل في ان يجعل فلاناً فقيراً وفلاناً غنياً وذلك الاختبار في كليهما هل ان الفقير يصبر على فقره في الدنيا ويعوضه الله في الآخرة، وهل ان ذلك الغني وقد اغناه الله من ماله هل يخرج ما للفقراء من حق في أمواله. وهذا مصداق لقوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ)

يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالاً فَخُوراً^(١) لم تظهر لدى الإمام الهادي عليه السلام بعض الوصايا التي تخص الجار ولكن كانت افعاله تدل على انه كان وصولاً بالجيران وهم كانوا يقصدونه في بعض حوائجه، فقد روى الحسين وأبو عتاب ابنا بسطام بالإسناد عن أحمد بن العباس بن المفضل، عن أخيه عبد الله، قال: (لدغنتي العقرب فكادت شوكته حين ضربتني تبلغ بطني من شدة ما ضربتني، وكان أبو الحسن العسكري عليه السلام جارنا فصرت إليه، فقلت: إن ابني عبد الله لدغته العقرب، وهو ذا يتخوف عليه فقال: اسقوه من دواء الجامع، فإنه دواء الرضا عليه السلام. فقلت: وما هو؟ قال: دواء معروف. قلت: مولاي فإني لا أعرفه. قال: خذ سنبل وزعفران وقاقلة وعافر قرحا وخربق أبيض وبنج وفلفل أبيض - أجزاء سواء بالسوية - وأبرفيون جزئين، يدق دقاً ناعماً، وينخل بحريرة، ويعجن بعسل منزوع الرغوة، ويسقى منه للسعة الحية والعقرب حبة بهاء الحلتيت، فإنه يبرأ من ساعته. قال: فعالجناه به وسقيناها فبرأ من ساعته^(٢).

(١) سورة النساء، الآية ٣٦.

(٢) السيد البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج ٢٣، ص ٤٩٩.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٠١.

(٤) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٢٥٦.

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^(١).

وكان أهل البيت عليهم السلام يعرفون ان
من يتبعهم أو حتى من يواليهم سوف
يكون مصيره الفقر ولا سيما في ذلك الزمان
إذا تكثر الشواهد في قطع ارزاق اتباعهم
من قبل السلطات، فكان هذا في حسابان
الإمام الهادي عليه السلام وبينه لأصحابه من
اجل ان يوطنهم نفسياً فيتبعون الحق من
اجل الآخرة وان قلت مؤنتهم ولا يتبعون
الغنى في دنيا على حساب الآخرة في الميل
للسلطان وقد كتب احدهم يشكو الفقر
إلى الإمام الهادي عليه السلام، ثم قال في نفسه:
اتذكر قوله حيث قال: أليس الفقر معنا
خير من الغنى مع غيرنا، والقتل معنا خير
من الحياة مع غيرنا^(٢) وكأن الإمام كان
عالمًا بحاله فرجع إليه الجواب:

إِنَّ اللَّهَ مُحْصٍ أَوْلِيَاءَهُ إِذَا تَكَاثَفَتْ
ذُنُوبُهُمْ بِالْفَقْرِ، وَقَدْ يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، وَهُوَ
كَمَا حَدَّثَ نَفْسَكَ: الْفَقْرُ مَعْنَى خَيْرٍ مِنَ
الْغِنَى مَعَ غَيْرِنَا، وَنَحْنُ كَهْفٍ لِمَنِ التَّجَى،
وَنُورٌ لِمَنِ اسْتِضَاءُ بِنَا، وَعَصْمَةٌ لِمَنِ اعْتَصَمَ،
مَنْ أَحْبَبْنَا كَانَ مَعْنَى فِي السَّنَامِ الْأَعْلَى، وَمَنْ
انْحَرَفَ عَنَّا فِإِلَى النَّارِ»^(٣)، وَلَمْ تَذَكِّرِ الرَّوَايَةَ

(١) سورة البقرة، الآية ٣.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٩٩.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٥٠، ص ٢٩٩.

ان الإمام قد ارسل إليه مالاً .

ومادمنّا في الجانب المعنوي للفقر فقد بين ذلك الإمام الهادي عليه السلام في قوله «الفقر شره النفس وشدة القنوط»^(٤) أما الغنى المعنوي فقد ظهر كثيراً في القرآن الكريم وكذلك تمثل في أقول الإمام الهادي عليه السلام حيث نجد في كتاب الله عز وجل بعض الآيات القرآنية تشير إلى الغنى المعنوي كما في قوله تعالى «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ»^(٥).

وهو ما اشار إليه الإمام الهادي عليه السلام بقوله (الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك) (٦). وبعضهم من يكون لديه المال ولكنه يعيش في فقر وفاقة، وهو ما بينه الإمام الهادي عليه السلام وقعد إليه إسماعيل بن محمد بن علي بن إسماعيل بن علي بن عبد الله بن العباس قال: فلما مر بي شكوت إليه الحاجة وحلفت له ليس عندي درهم واحد فما فوقه، ولا غذاء ولا عشاء. قال: فقال عليه السلام: أتخلف بالله كاذبا وقد دفت

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٢٩.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٧٣ .

(٦) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ٥٢٩



بن اسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الحمداني، فشكا إليه أحمد بن اسحاق ديناً عليه، فالتفت عليه إلى وكيله عمرو، وقال له: ادفع له ثلاثين ألف دينار، والى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، كما أعطى وكيله مثل هذا المبلغ، وعلّق ابن شهر آشوب على هذه المكرمة العلوية بقوله: (فهذه معجزة لا يقدر عليها إلا الملوك، وما سمعنا بمثل هذا العطاء)^(٢).

كذلك جاء في الروايات ان رجلاً من الأعراب، قصد الإمام عليه السلام فلم يجده في منزله فأخبره أهله بأنه ذهب إلى ضيعة له، فقصدته، ولما مثل عنده سأله الإمام عن حاجته، فقال بنبرات خافتة: يا ابن رسول الله، أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك علي بن أبي طالب، وقد ركبني فادح - أي دين - أثقلني حملة، ولم أر من أقصده سواك. فرق الإمام لحاله، وأكبر ما توسل به، وكان عليه السلام في ضائقة لا يجد ما يسعفه به، فكتب عليه السلام ورقة بخطه جاء فيها: أن للأعرابي ديناً عليّ، وعيّن مقداره، وقال له: خذ هذه الورقة، فإذا وصلت إلى سر من رأى، وحضر عندي جماعة فطالبنني بالدين الذي في الورقة، وأغلظ عليّ في ترك

(٢) ابن شهر آشوب، مناقب ال أبي طالب، ج ٣،

مئتي دينار، وليس قولي هذا دفعا لك عن العطية، أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مئة دينار، ثم قال لي: إنك تحرم الدنانير التي دفتتها، وإنك أحوج ما يكون إليها، وصدق عليه السلام فيما قال، وذلك أني أنفقت ما وصلني واضطرت اضطرارا شديدا إلى شيء أنفقته، فأتيت إلى الدنانير التي دفتتها فلم أجدها، فإذا ابن لي قد عرف موضعها فأخذها وهرب، فما قدرت منها على شيء^(١).

هذا على الجانب المعنوي اما على الجانب المادي فقد كان الإمام الهادي عليه السلام كثيراً ما يبادر في مساعدة الفقراء ولم يكن يميز في المعونة بين شخص وآخر وكان عليه السلام ينفق في السراء والضراء اذ كان عليه السلام من أبسط الناس كفاً، وأنداهم يداً، وكان على غرار آبائه الذين أطعموا الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وكانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام، ويكسونهم حتى لا يبقى لهم كسوة، وقد روى المؤرخون بوادر كثيرة من برّ الإمام الهادي عليه السلام واحسانه إلى الفقراء وإكرامه البائسين، وفي يوم من الايام، وفد جماعة من أعلام الشيعة على الإمام الهادي عليه السلام وهم أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد

(١) الطبرسي، اعلام الوري، ج ١، ص ٤٠٨ .



نجد الكثير من الآيات القرآنية تهتم بالأيتام اذ يقول الله تعالى (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ)^(٢) دلت الآية على اللطف باليتيم، وبره والإحسان إليه كذلك كان الرسول ﷺ يبحث على ضرورة كفالة الأيتام حيث قال (انا وكافل اليتيم في الجنة وقال بأصبعيه السبابة والوسطى)^(٣).

وقد ظهر بعض المعلومات القليلة تؤكد على حرص الإمام الهادي على ضرورة كفالة الأيتام ولكن ليس كفالة عامة الناس وانما ركز الإمام على كفالة ايتام ال محمد فقد روي عنه قوله: (ثم ينادي منادي ربنا عز وجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم)^(٤).

من الملاحظ على هذا هو لماذا خص الإمام عليه السلام ايتام ال محمد دون غيرهم من سائر الناس ربما ان ايتام ال محمد كانوا كثيراً لان اغلب الثورات كانت في تلك الفترة علوية وقد ذهب ضحيتها الكثير من الرجال وخلفوا الكثير من الأيتام اخذاً

(٢) سورة الضحى، الآية ٩.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ج ٧، ص ٧٦.

(٤) الريشهري، ميزان الحكمة، ج ٤، ص ٣٧١٠.

قال اصابني ضيقة شديدة، فصرت إلى أبي الحسن بن علي بن محمد عليه السلام فاذا لي، فلما جلست قال: يا أبا هاشم أي نعم الله عز وجل عليك تريد ان تؤدي شكرها؟ قال أبو هاشم فوجمت فلم أدر ما اقول له، فابتدأ عليه السلام فقال: رزقك الايمان فحرم به بدنك على النار، ورزقك العافية فاعانتك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل، يا ابا هاشم انما ابتدأتك بهذا لأنني ظننت انك تريد ان تشكولي من فعل بك هذا، وقد امرت لك بمئة دينار فخذها^(١).

رابعاً: رعاية الأيتام:

من مظاهر التكافل الاجتماعي كفالة الأيتام لما تعكس تلك الكفالة من اثار ايجابية على المجتمعات الإسلامية فانها تكون سبباً في بناء مجتمع سليم من الحقد والبغض والكرهية، كما أنّها تعمل على نشر الحب والود والألفة بين أفراد المجتمع فضلاً عن هذا فان الإحسان إلى الأيتام وتربيتهم التربية السليمة وتأديبهم؛ من الأسباب التي تعمل على بناء مجتمع قوي متين، وبالتالي العمل على رفعة الأمة وعلو مكانتها، وفي المقابل فإن عدم الاهتمام بتربية الأيتام وإهمالهم من الأسباب التي تؤدي إلى اختلال الأمة وضعفها، لذلك

(١) عباس القمي، الأنوار البهية، ج ٢، ص ٦٥.



الله، إن كسر هذا لفلان الناصب بحجج الله التي علمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب، وسكت الحاضرون، فقد ردّ عليهم الإمام ببالغ حجّته^(٣).

هذا في الدنيا اما في الآخرة فان لهم منزلة يغبطهم عليها الأولون والآخرين تلك المنزلة بينها الإمام الهادي عليه السلام بقوله (تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبين وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثت تلك الأنوار في عرصات القيامة، ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة^(٤)).

وكان الإمام الهادي عليه السلام ياتونه اصحابه يسالونه عن من ياخذون علمهم فقد روى عن أبي محمد جبرئيل بن أحمد الفاريابي قال: حدثني موسى بن جعفر بن وهب قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن حاتم بن ماهويه قال: كتبت إليه - يعني ابا الحسن الثالث، أسأله عن من آخذ معالم ديني؟ وكتب أخوه أيضا بذلك فكتب إليهما: فهتم ما ذكرتما فاعتمدا في دينكما على كبير في حبنا وكل كثير التقدم في أمرنا

على حضار مجلسه من الهاشميين فالتفتوا إلى الإمام، وقالوا له: كيف تقدّمه على سادات بني هاشم؟

فقال لهم الإمام: إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم: «ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولّى فريق منهم وهم معرضون»^(١) أترضون بكتاب الله عزّ وجلّ حكماً؟ فقالوا جميعاً: بلى يا ابن رسول الله^(٢).

وأخذ الإمام يقيم الدليل على ما ذهب إليه قائلاً: أليس الله قال: يا أيّها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسّحوا في المجالس فافسّحوا يفسّح الله لكم - إلى قوله -: والذين أوتوا العلم درجات فلم يرض للعالم المؤمن إلاّ أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلاّ أن يرفع على من ليس بمؤمن، أخبروني عنه قال تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أو قال: يرفع الله الذين أوتوا شرف النسب درجات؟! أو ليس قال الله: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه

(١) سورة آل عمران، الآية ٢٣.

(٣) مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية، ص ٢٠.

(٢) مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية، ص ٢٥.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٦-٧.



فانهم كافوكما ان شاء الله تعالى^(١).

وروى عن أبي بصير حماد بن عبدالله بن أسيد الهروي، عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري، قال: أدخلت كتاب يوم وليلة الذي ألفه يونس بن عبد الرحمن، على أبي الحسن العسكري عليه السلام، فنظر فيه وتصفحه كله، ثم قال: هذا ديني ودين آبائي وهو الحق كله.

وفي موضع آخر يقول الإمام عليه السلام: **الْعِلْمُ وَدِيعةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالْعُلَمَاءُ أُمَنَؤُهُ عَلَيْهِ، فَمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ أَذَى أَمَانَتَهُ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ كُتِبَ فِي دِيوانِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ مِنَ الْخَائِنِينَ**^(٢).

كذلك هناك حقوق للمعلم على المتعلم يورد الإمام الهادي عليه السلام منها أن لا يكثر السؤال عليه، ولا يسبقه في الجواب، ولا يلح عليه إذا أعرض، ولا يأخذ بثوبه إذا كسل، ولا يشير إليه بيده، ولا يغمزه بعينه^(٣).

نتيجة جهل حكام بني العباس بمنزلة الإمام عليه السلام الربانية فقد قرر الحاكم المعتصم أن يبعث معلماً خاصاً للإمام

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٢٠.

(٢) الريشهري، العلم والحكمة في الكتاب والسنة، ص ٣٤٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢، ص ٢٣٩.

الهادي عليه السلام واختار معلماً ناصبياً ييغض أهل البيت عليهم السلام من أجل تنشأت الإمام الهادي عليه السلام تنشئ بعيدة عن الولاية وطريق الهدى وكانوا يعتقدون بهذه الطريقة سوف يغسلون عقل الإمام عليه السلام ويسيطرون عليه ولكنهم قد جهلوا بأن روح القدس لا ينفك عن قلب الإمام الطاهر وأن العصمة والعلم من خصوصياته الدائمة،

وكان المعلم الناصبي (الجنيدي) ينفرد مع الإمام الهادي عليه السلام وهو ما زال صيباً ومرت فترة من الزمن على هذا الوضع، فجاء أحد أتباع المعتصم إلى الجنيدي وسأله ما حال هذا الصبي، فقال الجنيدي لا تقل صبي بل هو شيخ، سأله لماذا؟ فقال الجنيدي: إني والله لأذكر الحرف في الأدب وأظن إني قد بالغت فيه ثم إنه يملئ أبواباً أستفيد منها فيظن الناس إني أعلمه وأنا والله أعلم منه، وبعد فترة جاء نفس الشخص وسأل الجنيدي حل الصبي، فقال الجنيدي: دع عنك هذا القول والله تعالى هو خير أهل الأرض وأفضل من برأه الله تعالى وانه حافظ القرآن من أوله إلى آخره ويعلم تأويله وتنزيله، فمن أين علم هذا العلم الكبير يا سبحان الله، فقد أعلن المعلم الناصبي الجنندي إيمانه

بالإمام ودخل التشيع^(١).

(العلم وراثته كريمة)^(٣) لذلك فان تحصيل العلم مكسب كريم، ليس لانه يدرُّ مالا أو عقارا كما يظن البعض، بل لأنه يطلع صاحبه على الحقائق، يطلع صاحبه على المخبوء والمخفي، يكشف الاسرار، يميّط اللثام عن المجهول، كرامة تأتي من هذه المقتربات الحية النشطة الجميلة، وهي في المحصلة علم أيضاً، فهو كريم لانه معطاء، سخي يعطي من جنسه، وسخي بجنسه، العلم يثري العلم، والعلم ينسل العلم. وكذلك يقول الإمام الهادي عليه السلام في ذات المضمار (إن العالم والمتعلم شريكان في الرشد، مأموران بالنصيحة، منهيان عن الغش)^(٤).

الخاتمة

الخاتمة والاستنتاجات:

١ - كان للجانب الاجتماعي اثراً كبيراً في الإسلام، لذا فقد أولى القرآن الكريم هذا الجانب اهتماماً كبيراً أخذ مساحة واسعة من آيات القرآن الكريم فلم يترك القرآن جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية الا طرقها واضعاً الحلول الناجعة لمعالجة جميع اشكال الانحرافات

الرغم من المراقبة الشديدة والمضايقات، فقد كان للإمام تلامذة ومريدون، يتحمّلون الصعاب من أجل لقائه وكانوا يسألونه عن العلم التي بين ايديهم يميزوا بين الخبيث منه والطيب فعن محمد بن عيسى قال أقرأني داود بن فرقد الفارسي كتابة إلى أبي الحسن الثالث عليه السلام وجوابه بخطه فقال: نسألك عن العلم المنقول إلينا عن آبائك وأجدادك قد اختلفوا علينا فيه كيف العمل على اختلافه إذا نرد إليك فقد اختلف فيه؟ فكتب وقرأته: ما علمتم أنه قولنا فالزموه وما لم تعلموا فردّوه إلينا^(٢).

وكذلك للمعلم حق على المتعلم كما هناك حق للاب على الابن فالخير يورث ابنه مالا أما الأول فانه يورث الطالب أو التلميذ علماً ذلك الارث الجميل يستحق ان يرد عليه الجميل اذا كان المعلم حياً أو ميتاً وهو ما بينه الإمام الهادي عليه السلام بقوله:

(١) مجموعة مؤلفين، اعلام الهداية، ج ٢، ص ٢٣٥.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار ج ١٢، ص ٢٣١؛ الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات، ص ٥٤٤.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١٨، ص ٩٣.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٣٤١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

الرسول، تح علي اكبر غفاري، ط ٢، قم، ١٤٠٤ هـ.

٩. ابن شهر اشوب، شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي نصر بن أبي (ت ٥٨٨ هـ)، مناقب آل أبي طالب، ط ٢، المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٥ هـ.

١٠. الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١ هـ)، عيون أخبار الرضا، مؤسسة الوصي، قم ١٣٤٢ هـ.

١١. الطبرسي، علي أبو الفضل، مشكاة الأنوار في غرر الاخبار، ط ١، دار الحديث، ١٤١٨ هـ.

١٢. الطبرسي، علي أبو الفضل، إعلام الوري بأعلام الهدى، دار صادر، بيروت، ١٤٣٥ هـ.

١٣. الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ)، الأمالي، ط ١، بيروت، لبنان، ١٤٤٤ هـ.

١٤. أبو العباس القرطبي ضياء الدين أحمد بن عمر القرطبي (ت ٥٧٨ هـ)، اختصار صحيح البخاري وبيان غريبه، تحقيق رفعت فوزي عبد المطلب ط ١، دار النوادر، دمشق، سوريا، ١٤٣٥ هـ.

١٥. الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تح، علي اكبر الغفاري، ط ٣، طهران، ١٣٧٤ هـ.

١. الأردبيلي، مرتضى الموسوي، المتعة النكاح المنقطع، ط ٢، الرسالة، بيروت، ١٣٢٣ هـ.

٢. البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، ط ٢، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.

٣. ابن أبي الحديد، عز الدين هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط ٢، قم، ١٤٠٤ هـ.

٤. الحر العاملي، محمد بن الحسين ت ١١٠٤ هـ، الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، بيروت، لبنان، ١٤٣٤ هـ.

٥. الحر العاملي، محمد بن الحسين ت ١١٠٤ هـ، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار الاصلاح، دمشق، د ت.

٦. الخصبي، الحسين بن حمدان (ت ٣٣٤ هـ)، الهداية الكبرى، ط ٤، بيروت، ١٤١١ هـ.

٧. الراوندي، قطب الدين محمد بن حسين (ت ٥٧٣ هـ)، الخرائج والجرائح، ط ١، دار الحديث، ١٤٠٩ هـ.

٨. الحرائي، ابن شعبة الحسن بن علي بن الحسين، تحف العقول عن ال

التركيبُ النحوي وأثره
في توجيه المعنى بأحاديث الإمام الهادي عليه السلام

**The Grammatical structure and its impact
on directing the meaning in Imam Al-
Hadi's (PBUH) narrations**

م. م. عبد الهادي فليح الكعبي
مديرية الوقف الشيعي في النجف الأشرف

**Assist. Lect. Abdulhadi Faleh Al-Kaaby
Directorate of Shiite Endowments in Najaf**



التركيب النحوي وأثره في توجيه المعنى بأحاديث الإمام الهادي عليه السلام

الملخص:

اللغة نظام تركيبى يُؤدّي بوساطته المعنى وتحصل به الدلالة، وللتركيب النحوي وظيفة سُميت بالوظيفة النحوية، التي أعطت لكل كلمة في جملة ما دلالة خاصة تتغيّر تبعاً لتغيّر مكانها داخل الجملة، والتركيب ملازم للدلالة فمن المفترض مجيء الخبر بعد المبتدأ ومجيء الفاعل ومفعوله بعد فعلهما، فإن حصل تغيير في المقام أو حذف لأحد المركبين فسيرافق ذلك التغيير اختلاف في الدلالة، ولكل تركيب في العربية معنى ودلالة، وقد اخترنا في هذا البحث حديثين من أحاديث الإمام الهادي عليه السلام لنبين أثر التركيب النحوي في تغيير دلالة النصّ.

الكلمات المفتاحية:

الإمام الهادي عليه السلام، التركيب النحوي، سامراء، المعنى.

**The Grammatical structure and its impact
on directing the meaning in Imam Al-Hadi's
(PBUH) narrations**

Abstract:

The language is structural system that conveys meaning and significance. The grammatical structure has a function called the grammatical function. Each word in a sentence denotes a specific function that changes according to its position within the sentence. The structure is intrinsic to meaning, so the predicate is expected to come after the subject, and the subject and object after the verb. If there is any change in the context or omission of one of the components, that would entail a difference in meaning. Every grammatical structure in Arabic has a meaning and significance. In this study, we have chosen two hadiths from Imam Al-Hadi (PBUH) to demonstrate the effect of grammatical structure on changing the meaning of the text.

key words:

Imam Al-Hadi (PBUH), grammatical Structure, Samarra, Meaning.

وقد درسنا في هذا البحث التركيب النحوي وما له من أثر في توجيه المعنى وقد قسمناه على مطلبين؛ إذ ذكرنا في أولهما التركيب الجملي وفي ثانيهما التركيب الأسلوبي لحديثين مختارين من أحاديث الإمام الهادي عليه السلام فيما ورد في بحار الأنوار، فرام الباحث إلى بيان مكنونات متن الحديثين الرصين، فأجبر على طرق بابهما وتحزئة تركيبهما؛ لإظهار مكنونهما وبيان مستورهما وكشف حقائقهما، وقد اشتمل البحث على مقدمة وخاتمة وبينهما تراكيب قد جُزأت لبيان دلائلها الخفية وإدراك معالمها المنيع.

التركيب النحوي

رَكِبَ الشيءَ تركيباً إذا وضع شيئاً فوق شيء^(١)، فإن رُكِبَ الألفاظ وسُيقتِ العبارات وأُردفتِ الجملُ فصار الكلامُ مُركباً والأسلوبُ دالاً، واللغةُ تركيبٌ مُتعارفٌ عليه لفظياً كان أو نُطقياً له دلالتهُ، فلكلِّ تركيبٍ دلالةٌ تعارفٌ عليها أهلُ تلك اللغة فدلالةُ تركيبٍ (لله درك) عند العرب

الحمدُ لله ربَّ العالمين وصلَّى الله على محمدٍ وآله الطيبين الطاهرين وصحابته الميامين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعدُ:

إنَّ اللغةَ كائنٌ نصِّيٌّ نطقيٌّ أو إشاريٌّ دلتْ عَلَيْهَا العلاماتُ الدالةُ والرموزُ الموحيةُ والحروفُ المعنويةُ التي تحملُ في طياتها دلالاتٍ خفيةٍ تكشفها دلالةُ النصِّ، فأبْدِلْ حرفٍ زيدَ أو حذِفْ من لفظٍ أو قلبَ أو أبْدِلْ بحرفٍ انزوى النصُّ ودَلَّاهُ لانزياحِ دلالةِ اللفظِ الَّذي أصابَهُ التغيُّرُ في بنيتهِ، وإنَّ أبْدِلْ فعلٌ باسمٍ أو قَدِّمَتْ مُتأخراً أو حَذَفَتْ عمدةً تغيَّرَ الأسلوبُ وانزوتِ الدلالةُ، فاللغةُ نظامٌ اجتماعيٌّ غايتها الإيضاحُ والتواصلُ ولم يلدْ أيُّ نظامٌ منْ دُونِ أدواتٍ بنائيةٍ وتختلفُ الأدواتُ بحجمِها وعملِها وأثرِها في ذلكِ النظامِ، فأصغرُ تلكِ الأدواتِ البنائيةِ للغةِ هو الصوتُ الَّذي يتركُ أثراً في المعنى وأكبرها النصُّ وبينهما الكلمةُ والعبارةُ والجملةُ والتركيبُ، وإنَّ التركيبَ قد يكونُ بنائياً كبناءِ الجملةِ وقد يكونُ أسلوبياً كتركيبِ الجملةِ من بعضِ الأساليبِ كامتزاجِ أسلوبي الشرطِ والقسمِ أو الاستفهامِ

(١) ينظر: الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس من جواهر القاموس، ج ٢، ص ٥٢٦.



لَيْسَتْ كَدَلَالَةً تَرْكِيْب (الدَّرُّ لَهِ) فَلَدَلِكْ
التركيب أسلوبٌ ودَلَالَةٌ يَخْتَلِفُ بِهَا عَنْ
أَسْلُوبٍ وَدَلَالَةٍ ذَاكَ التَّرْكِيبُ؛ لِذَا صَارَ
لِلتَّرْكِيبِ النَحْوِيِّ وَظِيْفَةُ سُمِّيَتْ بِالْوِظِيْفَةِ
النَحْوِيَّةِ، الَّتِي أَعْطَتْ لِكُلِّ كَلِمَةٍ فِي جُمْلَةٍ مَا
دَلَالَةٌ خَاصَّةٌ تَتَغَيَّرُ تَبَعًا لِتَغْيِيرِ مَكَانِهَا دَاخِلِ
الْجُمْلَةِ، فَقَوْلُكَ: (ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى)
اِخْتَلَفَتْ فِيهِ دَلَالَةٌ (مُوسَى وَعِيسَى) فِي
قَوْلِكَ: (ضَرَبَ عِيسَى مُوسَى)، فَقَدْ جَاءَ
(مُوسَى) فِي الْأَوَّلَى فَاعِلًا وَفِي الثَّانِيَةِ وَقَعَ
عَلَيْهِ فَعْلُ الْفَاعِلِ؛ إِذْ تَغَيَّرَتْ وَظِيْفَتُهُ تَبَعًا
لِتَغْيِيرِ مَكَانِهِ دَاخِلِ التَّرْكِيبِ^(١) أَمَّا تَرْكِيبُ
الْجُمْلَةِ الْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ عَلَى نَوْعَيْنِ إِمَّا مَرْكَبٌ
اِسْمِيٌّ أَوْ فِعْلِيٌّ، فَالْاِسْمِيٌّ مَرْكَبٌ مِنْ
مَبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَالْفِعْلِيٌّ مِنْ فَعْلٍ وَفَاعِلٍ،
وَالتَّرْكِيبُ مَلَازِمٌ لِلدَّلَالَةِ فَمَنْ الْمَفْتَرَضُ
مَجِيءُ الْخَبَرِ بَعْدَ الْمَبْتَدَأِ وَمَجِيءُ الْفَاعِلِ
وَمَفْعُولِهِ بَعْدَ فَعْلِهِمَا، فَإِنْ حَصَلَ تَغْيِيرٌ فِي
الْمَقَامِ أَوْ حَذْفٌ لِأَحَدِ الْمَرْكَبَيْنِ فَسَيَرَفَقُ
ذَلِكَ التَّغْيِيرُ اخْتِلَافًا فِي الدَّلَالَةِ، وَلِكُلِّ
تَرْكِيبٍ فِي الْعَرَبِيَّةِ مَعْنَى وَدَلَالَةٌ، فَمَعْنَى
تَرْكِيبِ الْجُمْلَةِ الْاِسْمِيَّةِ هِيَ دَلَالَةُ الدَّوَامِ
وَالِاسْتِقْرَارِ، فَقَوْلُكَ: (زَيْدٌ عَلِمَ) دَلَّتْ
عَلَى دَوَامٍ وَاسْتِقْرَارٍ مَا عِلْمُهُ زَيْدٌ، وَلَكِنْ

(١) يَنْظُرُ: عَمْرٌ، أَحْمَدُ مُحْتَارٌ، عِلْمُ الدَّلَالَةِ،
ص ١٣.

لَيْسَتْ كَدَلَالَةٌ قَوْلُكَ: (زَيْدٌ عَلِمَ)، وَدَلَالَةٌ
ذَلِكَ الْقَوْلِ لَيْسَ أَقْوَى وَأَبْلَغُ مِنْ دَلَالَةِ
قَوْلِكَ: (زَيْدٌ عَلِمَ أَوْ عَلِمَ أَوْ عَلِمَ)،
أَمَّا إِنْ اسْتَبَدَلْتَ الْجُمْلَةَ الْاِسْمِيَّةَ بِالْفِعْلِيَّةِ
فَيَتَغَيَّرُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ الْجُمْلَةَ الْفِعْلِيَّةَ
جُمْلٌ دَلَّتْ عَلَى الدَّوَامِ وَالِاسْتِمْرَارِ فَقَوْلُكَ:
(عِلْمَ زَيْدٌ) لَيْسَتْ كَدَلَالَةٌ قَوْلُكَ: (قَدْ
عِلِمَ) وَالتَّرْكِيبُ هَذَا لَيْسَ كَدَلَالَةٍ تَرْكِيبِ
قَوْلِكَ: (قَدْ يَعْلَمُ)، وَتِلْكَ لَيْسَتْ كَدَلَالَةٌ
(سَوْفَ أَوْ سَيَعْلَمُ زَيْدٌ) وَلَيْسَتْ كَدَلَالَةٌ
(لَا يَعْلَمُ) أَوْ (لَمْ يَعْلَمُ) أَوْ (لَنْ يَعْلَمَ) مِنْ
حَيْثُ قُوَّةُ النِّفْيِ وَزَمَنُ الْجُمْلَةِ.

وَإِنْ مِنْ أَرَادَ هِدَايَةَ قَوْمٍ وَتَقْوِيمَ
طَرِيقٍ جَاءَهُمْ بَلْغَةٌ يَفْهَمُونَهَا، فَهِيَ أَدَاةُ
التَّوَاصُلِ الْمَعْرِفِيِّ بَيْنَ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ،
حَامِلَةٌ دَلَالَاتٍ وَظِيْفِيَّةٍ، تُولَدُ بِوِلَادَةِ
الْإِنْسَانِ وَتَمُوتُ بِمَوْتِهِ فَهِيَ كَائِنٌ مَوْلُودٌ
مُتَحَرِّكٌ يَرْتَقِي بِرُقْيَى مُتَكَلِّمَهَا، وَيُصِيبُهَا
السَّقَمُ إِنْ سَقَمَ مُسْتَعْمَلُهَا، فَلِكُلِّ لُغَةٍ
خَصَائِصٌ وَمِيزَاتٌ لَا تَتَشَابَهُ مَعَ خَصَائِصِ
لُغَةٍ أُخْرَى وَلَا يَعْرِفُ الْخَصَائِصِ تِلْكَ
إِلَّا ابْنُ اللُّغَةِ الَّذِي عَاشَ بِكَنْفِهَا وَشَمَّ
عَطْرَهَا بِعَرْنَيْنِ أَنْفِهِ، وَبِهَذِهِ التَّرَاكِيِبِ
وَبِتِلْكَ الْأَدَوَاتِ زَخَرَفَ الْإِمَامُ الْهَادِي عَلَيْهِ السَّلَامُ
أَحَادِيثَهُ، وَقَدْ قُسِّمَ هَذَا الْبَحْثُ عَلَى
مُطْلَبَيْنِ:

المطلب الأول: التركيب الجملي:

والجملة هي كلام مفيد المعنى مركبة من اسمين لتسمى بالجملة الاسمية أو من فعل واسم ليطلق عليها جملة فعلية^(١)، وقد ورد هذا التركيب في حديث الإمام عليه السلام؛ إذ يقول: «إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك، فأنت الذي لا تتناهى، ولم يقع^(٢) عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر»^(٣).

ف عند تجزئة تركيب حديث الإمام عليه السلام

(١) ينظر: ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ١، ص ١٤.

(٢) (تقع) في: الطبرسي، الشيخ حسين النوري، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٢٣٧.

(٣) المجلسي، العلامة محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ج ٣، ص ٢٩٨. وينظر: العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، ص ٨٨، الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ١٥١.

إلى تراكيب أقل لتحصل على دلالات صغرى كدوام الفعل وانقطاع الزمن ونفي الحدث واستحالة الحصول فتجتمع لتعطي دلالة كلية عامة قد قصد بها الإمام عليه السلام كأن تكون دلالة توحيد الله - عز شأنه -.

إنَّ حديث الإمام حديثٌ بليغٌ قد قُصِدَ به ما كُتِبَ ودلَّ على ما أُريدَ؛ لذا صار لزماً علينا أن نفكَّ تركيب الحديث إلى جمل وعبارات حتى نفكَّ على ضفاف تلك الدلالات، ومن تراكيب الحديث هي:

أبتدأ الحديث ببناء خفي حرفه بـ(إلهي)، ورُبَّ سائل يسأل لم بدأ الحديث بـ(إلهي) ولم يبدأ بـ(اللهم) أو (يا الله)؟ أو ما الفرق بين تركيب (إلهي) وتركيب (اللهم، يا الله)؟ وقبل الإجابة نلاحظ في الحديث دلالة تعظيم، فضلاً عن حاجة الداعي وضعف قواه وتكبل يده وقصر نظره وتقييد بصيرته؛ لذا طلب العون من حبيب قريب بعده وبعيد قربه لم تره الأبصار ولم تلحظه البصائر، فقولك: (أمي) أحنُّ وأعطفُ من تركيب (يا أمي)؛ لأنَّكَ صرْتَ قريباً من نفسها وجزءاً منها، وقد دلَّ ذلك التركيب على ضعف المنادي وحاجته للمُنَادَى، فالحال نفسها تحققت





بتركيب: (إلهي) فقد صار المنادي جزءاً من منظومة نُعتت بمنظومة الرحمة الإلهية التي طلبها عبدٌ قد كبَلَتْهُ الحُجُبُ عن البصر لمحَبوبِهِ.

وقد تلت تركيب النداء جملاً فعلية مُتوشحة بأفعالٍ دلَّت على الزمن الماضي وهي:

- (تاهت أوهام المتوهمين)

- (وقصر طرف الطارفين)

- (وتلاشت أوصاف الواصفين)

- (واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك، أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك)

والجمل التي ابتدأها الإمام عليه السلام جاءت معطوفة بـ(الواو) لإفادة معنى يشترك به المتعاطفان في الدلالة والإعراب لتفيد مُطلق الجمع بين المتعاطفين^(١)؛ لذا نلاحظ أن أكثر حروف العطف تقتض منها دلاليّاً؛ لذا تاه المتوهمون وقصر نظُّ الناظرين وتلاش وصف الواصفين وتفتت جمع المبطلين وضمحلت أقاويلهم عن درك كنه الله -عزَّ شأنه- أو بلوغ علوه.

(١) ينظر: المرادي المصري، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله، الجنى الداني في حروف المعاني، ص ١٥٨، ص ٢٢٧.

ورُبَّ سائلٍ يسألُ لم كَثُرَ مجيء الفعل الماضي في تلك الجمل الفعلية؟ أو هل ما ذكره الإمام عليه السلام قد حصل في الماضي؟ إذ إن أوهام المتوهمين قد تاهت وأطراف الطارفين قد قصرت وتلاشت أوصاف الواصفين في زمن قد سبق زمن الحديث؟ فقبل الإجابة على تلك التساؤلات علينا أن نذكر أن الإمام عليه السلام قد تربى على القرآن وثقافته وشرب من معينه؛ لذا صار القرآن جزءاً منه ولم يفارق القرآن أساليب كلامه، فهو من أهل بيت (عليهم صلوات الله) صاروا مع القرآن صنوين كما وصفهم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ إذ يقول: «وإني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٢).

وقد جاء القرآن الكريم بأفعال ماضية أراد بها المستقبل كفعلي المضي (فرع، وأخذ) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾^(٣) الدالان على الاستقبال بمساعدة بعض القرائن الدالة على الاستقبال؛ حيث إن الفرع هو وقت الساعة وقيامها، والغاية في دلالة الاستقبال في الأفعال الماضية هي

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٢١، ص ٣٨٧.

(٣) سورة سبأ، الآية ٥١.



بجملة اسمية؟ والإجابة عليه في أن صفات المتوهمين والطارفين والواصفين والمبطلين مُنقطعة غير دائمة لها زمنٌ محدد ووقت زائل ومكان معين ليعطي ذلك مُسوِّغاً مفاده أن الله -عزَّ شأنه- ثابت الدوام ومُستقر لا تتناهى مراميه؛ لذا خُرقت قاعدة تراتبية التركيب، فجيء بجملة اسمية.

(ولم يقع عليك عيون بإشارة ولا عبارة): ليعود الحديث بطرق باب الجملة الفعلية ولكن فعلها مضارع منفي بأداة نفي قطعي لا يتحقق، وتلك عبارة مُركزة وجب أن نقف عندها ونُبَيِّن مُركباتها ويمكن توضيحها على النحو الآتي:

إِنَّ الْعَيْنَ اسْمٌ تَعَدَّتْ دَلَالَتُهُ وَاخْتَلَفَتْ مَعَانِيُهُ بِاخْتِلَافِ اسْتِعْمَالِهِ وَيُجْمَعُ عَلَى عَيُونٍ وَأَعْيُنٍ وَأَعْيَانٍ بِحَسَبِ دَلَالَتِهَا وَاسْتِعْمَالِهَا، وَقَدْ كَثُرَ مَجِيئُهُ فِي اللُّغَةِ؛ لِقَابِلِيَّتِهِ عَلَى الْإِتْسَاعِ الْمَعْنَوِيِّ فَمَرَّةٌ يَأْتِي بِمَعْنَى الْبَاصِرَةِ مِنَ الْعَيُونِ وَمَرَّةٌ يَدُلُّ عَلَى عَيْنِ الْمَاءِ وَمَرَّةٌ تَسْمَى الشَّمْسُ بِالْعَيْنِ،

وَتُدْعَى أحياناً بِالْجَاسُوسِ^(٢)، وَقَدْ

(٢) ينظر: الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، ص ٢٦٢، وينظر: الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أسرار العربية، ص ٤٩.

دلالة التحقق؛ لأنَّ ما سيحدث مُستقبلاً هو مُتحقق لا محالة، فلو كان قول الله -عزَّ شأنه- (وَلَوْ تَرَى إِذْ سِيفَزَعُونَ وَيُؤْخَذُونَ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) لتساوى تحقق الفعل من عدمه، ففي قولك: (شَرَبْتُ الْمَاءَ) مثلاً فقد تحقق شَرِبَ الْمَاءَ واختلف التحقق ذلك عما في قولك: (سَأَشْرَبُ الْمَاءَ)^(١)، فلعلَّ من جميل ما يُذكرُ أَنَّ الْفِعْلَ الْمَاضِيَ قَدْ وَقَعَ وَاسْتَقَرَّ فِي زَمَنِ مَضَى لِيَدُلَّ عَلَى ثُبُوتِ وَقُوعِ الْحَدَثِ الْمُتِمَثِّلِ بِ(تَاهَ، قَصَرَ، تَلَاشَ، تَفَتَّتَ) فَأَرَادَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقُولَ بِحُدُوثِ الْأَفْعَالِ وَثُبُوتِهَا مِنْ زَمَنِ بَعِيدٍ؛ إِذْ جَاءَتْ بِالْمَاضِي لَتَدُلَّ عَلَى التَّحَقُّقِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَسُوفَ تَبَيَّنَ أَوْهَامُ الْمُتَوَهِّمِينَ وَيَقْصُرُ طَرَفُ الطَّارِفِينَ وَتَتَلَاشَى أَوْصَافُ الْوَاصِفِينَ وَتُضْمَحَلُّ أَقَاوِيلُ الْمُبْطِلِينَ عَنِ الدَّرَكِ لِعَجِيبِ شَأْنِكَ، لَا مُحَالَةَ.

(فَأَنْتَ الَّذِي لَا تَتَنَاهَى): جَاءَتْ

جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ بَعْدَ الْجُمْلِ الْفَعْلِيَّةِ لَتَدُلَّ عَلَى الْإِسْتِقْرَارِ وَالثَّبَاتِ، وَرُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ لِمَ جَاءَ هَذَا الْوَصْفُ بِقَالَِبِ الْجُمْلَةِ الْاسْمِيَّةِ مَسْبُوقاً بِتَرَكَيبِ الْجُمْلِ الْفَعْلِيَّةِ؟ أَوْ لِمَ خُرِقَ قَانُونُ تَرَكَيبِ حَدِيثِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ٥٩٢.



العدد: الثامن

السنّة: الرابعة

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

جُمِعَتْ تلك الدلالات بواسطة دلالة خفية محفوظة في ذهن العاقلين تُعرفُ بالمشابهة، والذي حرّك تلك المشابهة علاقة الحقيقة بالمجاز، فالمجاز يجعل دلالات الألفاظ قابلة للزيادة والاتساع؛ لذا كَثُرَ الاحتمال بقول الإمام الهادي عليه السلام: «ولم يقع^(١) عليك عيون بإشارة ولا عبارة، هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني، شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر»^(٢)، حيث جاز عند العلامة المجلسي أن تكون بمعنى الجاسوس كما يجوز بمعنى حدة البصرة؛ إذ يقول: «والمراد بالعيون الجواسيس، أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال، وإذا حمل على العيون -جمع العين بمعنى الباصرة -فإسناد العبارة إليها مجازي، ويحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله. لا تتناهي على اللف والنشر غير المرتب»^(٣).

لقد بدأ الإمام الهادي عليه السلام كلامه

(١) (تقع) في: الطبرسي، خاتمة مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ١٥١.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩٨. وينظر: الحر العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ١٥١.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٣، ص ٢٩٩.

بتيهان وهم الواهمين وضعف نظر الناظرين وتلاشي وصف الواصفين، وهي بداية تُنبئ بمجيء النفي مُرادفًا له؛ لذا جاءت العبارات التالية للبداية موشحة بالنفي الحالي بـ(لا تتناهي) ليلها القطعي بـ(لم يقع)، فلا نهاية تحدُّه ولا عين تُبصره تعالى عن وصف الواصفين، وجاز مجيء العين عند العلامة المجلسي في قول الإمام عليه السلام أن تكون بمعنى التجسس، كقولك: (زرعتُ في صفوف العدو عينًا) أي (جاسوسًا)، كما يجوز أن تأتي عنده بمعنى قوة البصر وحدته، ويجوز أن تكون بمعنى العين الباصرة ولكنها تحمل عنده دلالة المجاز.

وقد قُسمَت الألفاظ في العربية على المشتقة التي يكون لها أصل لغوي تنبع منه دلالاته المحورية، وألفاظ جامدة فأطلقت تلك الأسماء على مُسمياتٍ وحُيِّست بعضها على مُسميات مُعينة؛ حيث لا دلالة محورية لأكثر تلك الألفاظ الجامدة والموجه الحقيقي لها هو السياق ودلالة النصّ فضلًا عن المعنى المجازي المقابل للحقيقي؛ لذا كَثُرَتْ دلالات لفظ العين بتعدد معاني النصوصّ وأساليب العربية، فجاءت العين عند العلامة المجلسي بنصّ الإمام عليه السلام بمعنى الجاسوس وتقدير كلام



ليتسنى للعلامة المجلسي أن يزوي دلالة العين من الحقيقة إلى المجاز، بل نفى ذلك الحدث بقوله: (لم يقع) والنفي بـ(لم) قطعي غير قابلٍ للتحقق.

(هيهات ثم هيهات يا أولي يا وحداني يا فرداني): وهيهات في اللغة هو اسم فعل بمعنى (بُعد^(١))، فقد جاء هذا التركيب ليؤكد أن الله واحدٌ بوحدانيته فردٌ بتفردِهِ صمدٌ ببعثائه لا تراه عيون الباصرين ولم تحسّ به إشارة المستشعرين بُعدًا ثُمَّ بُعدًا، ولم تأتِ لفظة (هيهات) الثانية مؤكدة للأولى بل جاءت معطوفة بحرف عطف بترaxي وبمدة زمنية ليبرر أن الله -عزّ شأنه- لم تره الأبصار ولم تشعر به الحواس ولم تحسّ به المستشعرات في أيّ وقتٍ.

(شمخت في العلو بعز الكبر، وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر): لا يقال (شمخَ شموخًا) إلا إذا علا وارتفع عزًا أو تكبرَ «وَشَمَخَ فلانُ بأنفه». وشمخَ أنفه، إذا رفعه عزًا^(٢) وهناك سؤال مفاده ما علاقة التكبر

(١) ينظر: ابن مالك الطائي الجياني، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ج ١، ص ٢١٩.
(٢) ابن مالك الطائي الجياني، محمد بن عبد الله، شرح الكافية الشافية، ج ٤، ص ١٧٤.

الإمام عليه السلام: (ولم يقع عليك جاسوس بإشارة)، وهي دلالة جائزة لوجود لفظ الإشارة وهو من علامات التجسس التي نفاها الإمام عليه السلام من استطاعة المتجسسين على رصد كُنْهه -عزّ شأنه- فضلًا عن ذلك أن الفعل المضارع (يقع) إن صحَّ نقله قد أبتدأ بياء المضارعة التي يأتي فاعلها مذكرًا لا مؤنثًا، فلو كانت العين هي المراد لأبتدأ الفعل بتاء التأنيث على هيئة (تقع) وليس (يقع).

وجاز عنده أن تكون بمعنى حدة البصرة التي نفاها الإمام عليه السلام من أن تطال مراميه -عزّ شأنه- والبصر في دلالة العين في نص الإمام عليه السلام هو النظر لا البصيرة؛ لأننا نرى الله ببصيرتنا لا ببصرنا؛ لذا دلالة العين في قول الإمام عليه السلام على حدة البصرة بعيدة؛ لأن البصير يرى الله بحدة بصيرة لا بحدة بصرٍ.

والفرق بين المثبت أنه جائز التوقع والمنفي هو المضاد له وغير وارد، ونص الإمام عليه السلام نص نفى لا نص إثبات ليعلق العلامة المجلسي بحمل عبارة الإمام عليه السلام على المجاز إن كان المراد بالعيون هو جمع العين الباصرة؛ حيث إن الإمام عليه السلام لم يقل: (وقعت عليك عيون الباصرين)



بالأنف؟ أيجوز اشتق أحدهما من الآخر؟ والإجابة تكمن في قول الحوراء زينب عليها السلام: «وَأَنَّ ذَلِكَ لِعَظَمِ خَطَرِكَ عِنْدَهُ؟ فَشَمَخْتَ بِأَنْفِكَ، وَنَظَرْتَ فِي عَظْفِكَ»^(١)، فشموخ يزيد وتكبره تمثل بأنفه، فلعل عضو الشم المتمثل بالأنف قد اشتق من التكبر والعلو والشموخ، فإن شمخت بما لم تملكه صرت متكبراً كالبلوق الذي يُصدر الأصوات وهو فارغ، أمّا علو الله -عزّ شأنه- وشموخه فهي صفة العز والرفعة، وهناك تساؤل مفاده مِمَّ اشْتُقَّ مصدر (العلو) أَمِنَ الْفِعْلِ (عَلَا) أَمْ مِنْ (عَلِيَ)؟ إِنْ كَانَ الْفِعْلُ الثَّلَاثِيَّ لَازِمًا عَلَى زِنَةِ (فَعَلَ) فَيَكُونُ الْمَصْدَرُ (عُلُوًّا) عَلَى زِنَةِ (فُعُول)، أَصَحِّحًا كَانَ فَعْلُهُ أَمْ مُعْتَلًّا غَيْرَ أَجُوفٍ، نَحْوُ: (طَلَعَ طُلُوعًا) وَ(سَجَدَ سُجُودًا) وَ(نَهَضَ نُهُوضًا) وَ(سَكَتَ سُكُوتًا)^(٢)، أَمَّا الْفِعْلُ (عَلَا) فَهُوَ لَازِمٌ وَزَنْتُهُ (فَعَلَ)؛ لِذَا جَاءَ مَصْدَرُهُ عَلَى زِنَةِ (فُعُول) (عُلُوًّا) عِنْدَ الْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِيِّ فِي قَوْلِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ

عليه السلام نَقْلًا عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام عَنْ جَدِّهِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «السميع البصير، القدير، القاهر، العلي، الأعلى، الباقي، البديع، البارئ»^(٣)، فقد استعان الْعَلَامَةُ الْمَجْلِسِيُّ بِكَلَامِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَصْدَرُ الْفِعْلِ (عَلَا) (عُلُوًّا)، أَمَّا مَصْدَرُ الْفِعْلِ (عَلِيَ) فَهُوَ (عَلَاءٌ)؛ إِذْ يَقُولُ: «العلي معناه القاهر، فالله العلي ذو العلا والتعالى أي ذو القدرة والقهر والاقْتِدَارُ، يقال: علا الملكُ علوًّا، ويقال^(٤) لكل شيء علا: قد علا علواً، وعلا يعلي علَاءً»^(٥).

لقد جعل اللغويون لِكَلَا الْمَصْدَرَيْنِ (عُلُوًّا) وَ(عَلَاءً) أَصْلًا مُشْتَقًّا مِنْهُ؛ إِذْ إِنَّ الْمَصْدَرَ (عُلُوًّا) مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ (عَلَا يَعْلُو) وَالْمَصْدَرَ (عَلَاءً) مُشْتَقٌّ مِنَ الْفِعْلِ (عَلِيَ يَعْلَى) وَلِكُلِّ مَبْنَى دَلَالَةٌ وَمَعْنَى، فَالْمَصْدَرُ (عُلُوًّا) دَالٌّ عَلَى الْعُلُوِّ فِي الْأَمْكَنَةِ، وَيَأْتِي مَعَ الْمَذْمُومِ وَالْمَحْمُودِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) وَإِنَّ

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٨٦.
وينظر: العروسي الحويزي، العلامة الشيخ عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، ج ٩، ص ٣١٩.
(٤) الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٢٤٥.
(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٩٠.
(٦) سورة القصص، الآية ٤.

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤٥، ص ١٣٢.

(٢) ينظر: ابن القطّاع الصقلي، علي بن جعفر بن علي السعدي، كتاب الأفعال، ج ٢، ص ٢٩٠، وينظر: الفرطوسي، صلاح مهدي، شلاش، هاشم طه، المذهب في علم التصريف، ص ٢١٣، ٢١٤.



لفظة (وراء) في نصٍ أُريد منه بيان توحيد الله -عزَّ شأنه- وطغى فيه ذلُّ المتوهمين ونبذ طرف الطارفين وتلاشي أوصاف الواصفين إلى عظيم كُنْهه وإسقاط قول المبطلين عن الوصول إلى عجيب أمره أو البلوغ لعلوه؛ فالإمام عليه السلام وازن بين انحطاط مقام هؤلاء المكاني بعلو رفعة الله -عزَّ شأنه- فلم يقل الإمام عليه السلام: (شمخت في العلا) لدلالته على الرفعة والشرف بل قال: (شمخت في العلو) لدلالة العلو على الارتفاع المكاني لتناسب مقام النصِّ مع مقام الذين وصفهم الإمام عليه السلام، فهؤلاء اعتقدوا أنَّهم قادرون أن يصفوا كُنْه الله -عزَّ شأنه- فضلاً عن دلالة لفظة (وراء) المكانية فناسبت دلالة العلو مع دلالة لفظة (وراء).

المطلب الثاني: التركيب الأسلوبي

والأسلوب هو طريقٌ امتدَّت أطرافه وهو السطرُ من النخل مأخوذ من (أسلب أسلوباً)، وأسلوبٌ بضمَّ همزتها هو فنٌّ أو طريقٌ اعتاد عليه الناس، فقولك: هذا أسلوبُ أمير المؤمنين عليه السلام فهو فنُّه وطريقته في الكلام والخطاب اختصَّ به ولم يُشاركه فيه أحدٌ؛ لذا يُدعى عَنق

فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ^(١)، وقوله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا^(٢)﴾، أمَّا (علاء) فهي دَلَالَةُ الشرف والرفعة^(٣)، والعَلِيُّ الموصوف بالشرف أو الشريف، أَمِنَ الْفِعْلُ (علا) أم من (عَلِي) اشتق؟ حيث يذهب الأزهري إلى أنَّ العلي اسمٌ مُشتَقٌّ من الْفِعْلِ (علا يَعْلُو)؛ إذ يقول: «فالعَلِيُّ الشريف فاعيل من علا يَعْلُو، وَهُوَ بِمَعْنَى العلي، وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ. وَيُقَالُ: هُوَ الَّذِي علا^(٤)» وَرُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ إِنْ كَانَ مُصْدَر (العلي) أَشْرَفَ وَأَرْفَعَ مِنْ مُصْدَر (العلو)، لَمْ جَاءَ الْإِمَامُ عليه السلام بِمُصْدَر (العلو) وَلَمْ يَأْتِ بِمُصْدَر (العلي)؟ وَالْإِجَابَةُ عَلَيْهِ تَكْمُنُ فِي الْعِبَارَةِ التَّالِيَةِ لَهُ وَهِيَ: (وَارْتَفَعَتْ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غُورَةٍ وَنَهَائَةٍ بِجَبْرُوتِ الْفَخْرِ) لدلالة الارتفاع المكاني بوجود قرينة المكان (وراء)؛ إذ إِنَّ الْأَلْفَاظَ تَتَلَوْنَ وَتَصْطَبِغُ بِلَوْنِ النَّصِّ وَدَلَالَةِ السِّيَاقِ فَقَدْ غَاصَتْ

(١) سورة يونس، الآية ٨٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٤٣.

(٣) ينظر: الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٢٤٥، والفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج ٦، ص ٢٤٣٤.

(٤) الأزهري الهروي، محمد بن أحمد، أبو منصور، تهذيب اللغة، ج ٣، ص ١١٨.



الأسد أسلوبًا لصعوبة أن تثنيه^(١)، فلكل إنسان أسلوبٌ يملكه ولا يملكه غيره فقد سلبه وخُصَّ به، وسُميت أساليب اللغة بالأساليب؛ لأنها سلبت كل أسلوب وجعلته خاصًا بها، فأسلوب الاستفهام له أسلوبٌ سلبه وخصه لم يشاركه في ذلك الأسلوب أسلوب آخر، والنفي أسلوب خاص به والاستثناء أسلوب، فكل أسلوب طريقةٌ وفنٌ يختلف عن غيره من الفنون والأساليب الأخرى، وقد وجدنا في حديث الإمام عليّ^{عليه السلام} أساليبًا عربية تعج بلحن القول؛ لأنك في مقام متن تردف الأساليب فيه ردفًا وتراقص فيه الفنون طربًا؛ إذ يقول عليّ^{عليه السلام}: «من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع، من أرضى الخالق لم يُبال بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فليقن أن يسلط عليه سخط المخلوق، وإن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأناى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتة

(١) ينظر: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ج ١، ص ٢٨٤. وينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مجمل اللغة، ص ٤٧٠.

الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد، كيف كيف فلا يقال له: كيف؟ وأين أين فلا يقال له: أين؟ إذ هو مبدع الكيفوفية والايونوية^(٢).
فقد بانت الأساليب للقارئ وظهرت للمُتتبع فعند تجزئة نص الإمام عليّ^{عليه السلام} إلى تراكيب أصغر لنحصل على معانٍ ذات بُعد دلالي ونحاول أن نركب تلك الدلالات لنحصل على صورة مكبرة موشحة بمعانٍ ملونة بلون السياق ومُرصعة برصع الإعجاز الذي يجبر القارئ ومن قبله المبدع بأن لا يأتي ذلك التركيب وتلك اللفظة وذلك الصوت إلا في ذلك المكان؛ لذا ابتداء الإمام عليّ^{عليه السلام} حديثه بجملٍ رُكبتا في أولهما باسم شرط (من).

(من اتقى الله يتقى، ومن أطاع الله يطاع) قد بدأ الإمام عليّ^{عليه السلام} حديثه بـ: من: وهو اسم شرط له أثران إعرابي فهو أداة جازمة تجزم فعل وجواب الشرط، وأثر دلالي معنوي فهو اسم دال على الذات العاقلة، فتلك الأدوات تدخل على جمل فعلية لتجعل ما يتصل بها يُدعى بفعل

(٢) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ١٥٥. وينظر: المجلسي، بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٩٠. العطاردي، مسند الإمام الهادي^{عليه السلام}، ص ٨٧.



الشرط ليأتي بعد فعل الشرط جملة إما فعلية وهو الغالب أو اسمية، فإن كان فعل وجواب الشرط فعلين فيكونان ماضيين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾^(١) أو مضارعين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُ﴾^(٢)، أو ماضيا فمضارعاً^(٣) كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ﴾^(٤)، أمّا من حيث الجزم فإن جاء فعل الشرط ماضياً وجواب الشرط مضارعاً ليجزم الأول ويعرب الثاني، كقولك: إن ذهبَ أذهب، ولا يُحسن العكس فلا يكون الأول مضارعاً والثاني ماضياً كقولك: أن تذهب ذهبْتُ^(٥).

فقد جاءت جملة الشرط بفعل ماضٍ أمّا جوابه فهو مضارع مبني للمجهول، والمبني للمجهول هو فعلٌ حُذِفَ فاعله ونابَ منابه نائبٌ، ولم يُحذفِ الفاعلُ اعتباراً بل اقتصر على دلالة من دلالات قد يكون في حذفه خوفٌ عليه من إظهاره فقولك: (ضربَ عيسى) قد حُذِفَ الفاعلُ خوفاً عليه، وقد يُحذفُ الفاعلُ ترفعاً عن ذكره لدناءته، وقد يُحذفُ إيجازاً؛ لأنَّ

غرضُ المخاطبِ هو الإخبارُ عن المفعول لا الفاعل^(٦)، فما الغرضُ من مجيء الفعل (يَتَّقِي وَيُطَاع) في (من اتَّقَى الله يَتَّقِي، ومن أطاعَ الله يُطَاع) عوضاً عن (يَتَّقِي وَيُطَاع) في قول الإمام عليه السلام؟ والجواب يكمن في أنَّ الإمام الهادي عليه السلام قد سقى معينه من القرآن وتربى على ثقافته، والقرآن الكريم قد أكثر من طرق باب المجهول لأغراض قد ذكرناها وأغراض اختصَّ بها كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ

الشرط ليأتي بعد فعل الشرط جملة إما فعلية وهو الغالب أو اسمية، فإن كان فعل وجواب الشرط فعلين فيكونان ماضيين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا﴾^(١) أو مضارعين كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُ﴾^(٢)، أو ماضيا فمضارعاً^(٣) كقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ﴾^(٤)، أمّا من حيث الجزم فإن جاء فعل الشرط ماضياً وجواب الشرط مضارعاً ليجزم الأول ويعرب الثاني، كقولك: إن ذهبَ أذهب، ولا يُحسن العكس فلا يكون الأول مضارعاً والثاني ماضياً كقولك: أن تذهب ذهبْتُ^(٥).

وفعل وجواب الشرط يكونان متفقين دلاليًا فحصول أحدهما متعلق بالآخر فهما عند من ذهب لهذا البيان متصلان نحو: (لو قام زيدٌ قمْتُ)، فالجواب يتحقق في المستقبل وقيامُ زيدٍ يختلفُ عن قيامي فهذا يثبتُ بعدم اتصال

(١) سورة الإسراء، الآية ٨.

(٢) سورة الأنفال، الآية ١٩.

(٣) النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، ج ٤، ص ٤٢.

(٤) سورة الشورى، الآية ٢٠.

(٥) ينظر: ابن يعيش، يعيش بن علي بن يعيش، شرح المفصل، ج ٥، ص ١٠٨.

(٦) ينظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج ٤، ص ٣٠٦، ٣٠٧.



العدد: الثامن

السنة: الرابعة

١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

الْحَنْزِيرِ^(١) فقد يرى الباحث أَنَّ الْفِعْلَ (حُرِّمَ) بُنِيَ لِلْمَجْهُولِ تحذيرًا من خطر تلك المحرمات ولم تأتِ الآيةُ بذكرِ الله كفاعلٍ، لم؟ لو كَانَتِ الآيةُ (حَرَّمَ اللهُ عليكم الميتة) لَكَانَ الْأَمْرُ والتحذيرُ غرضه أَنَّهُ -عَزَّ شَأْنُهُ- قوياً ويلزُمُ الانصياعُ لِأَمْرِهِ، ولكنَّ بناءَ المجهولِ أعطى إلينا مُسوِّغاً أَنَّ التحريمَ لم تكنْ غايتهُ حكمُ القوي على الضعيف وإنَّما حكمٌ غايته أَن في المحرمات التي جَاءَتْ نَائِبَةً عَنِ الْفَاعِلِ ضرراً؛ لِذَا حُرِّمَتْ خَوْفاً عليكم من الفتكِ بأنفسِكُم.

أما بناء الفعلين (يَتَّقَى وَيُطَاعَ) فيرى الباحثُ علةَ بنائهما أَنَّ التَّركيبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تركيباً ذا دَلَالَةٍ حَامِلَةٍ لِمَعْنَاهَا؛ إِذْ إِنَّ (مَنْ اتَّقَى اللهُ يَتَّقَى مِنْ أَيْ مَكْرُوهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللهُ يُطَاعُ مِنْ أَيْ قَوِي)؛ لِذَا حَذَفَ الْفَاعِلَ وجعله مجهولاً مجازياً ليبدأ الفكرُ بالبحثِ عَنِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ الْمُتَّقِينَ ويطيعون بأَسْ المطيعين، فقد قصدَهم الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وخصَّهم بالحفظ والطاعة لِيَبَيِّنَ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ ضمن دائرة ذَلِكَ المقصِدِ؛ لِأَنَّ بِنَاءَ الْمَجْهُولِ يرادُّ بِهِ الْعُمُومُ.

(مَنْ أَرْضَى الْخَالِقَ لَمْ يَبَالِ بِسَخَطِ الْمَخْلُوقِ).

وَرُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ مَا زَمَنَ جُمْلَةَ الشَّرْطِ وجوابه الَّذِي استأنَفَ بها الْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حديثه؟ والقارئُ الْمُبتدئُ يذهب إلى أَنَّ فِعْلَ الشَّرْطِ ماضٍ وجوابه مضارعٌ، والكلامُ صحيحٌ إِنَّ لَمْ يُسَبِّقِ الْمُضَارِعَ (يَبَالِي) بِأَدَاةِ الْجَزْمِ (لَمْ) التي تقلبُ زَمَنَ الْمُضَارِعِ مِنَ الْحَاضِرِ إِلَى الْمَاضِي المنقطع والبعيد، ليكونَ زَمَنَ الشَّرْطِ فِي الْمَاضِي الْحَقِيقِي وجوابه فِي الْمَاضِي الْمَكْتَسَبِ بواسطة (لَمْ).

وَرُبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ مَا عِلَّةُ مَجِيءِ الْجَوَابِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ الْمَنفِي بـ(لَمْ)؟ أَوْ مَا عِلَّةُ مَجِيءِ الْجَوَابِ بِفِعْلِ مُضَارِعٍ قَلِبَتْ دَلَالَتُهُ إِلَى الزَّمَنِ الْمَاضِي الْبَعِيدِ؟ أَوْ لَمْ تُفَيَّ الْمُضَارِعَ بـ(لَمْ)؟ أَوْ لَمْ جِيءَ بِفِعْلِ مُضَارِعٍ مَنفِي بـ(لَمْ) فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي وَلَمْ يَأْتِ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي جُمْلَةِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْطُوفَةِ فِي (وَمَنْ أَسْخَطَ الْخَالِقَ فَلْيَقْنِ أَنَّ يَسْلُطَ عَلَيْهِ سَخَطُ الْمَخْلُوقِ)؟ بَلْ جَاءَ الْفِعْلُ (فَلْيَقْنِ) مُؤَكِّداً بِنُونِ التَّوَكُّيدِ الثَّقِيلَةِ، وَالْإِجَابَةُ عَلَى تِلْكَ التَّسَاوُلَاتِ تَكْمُنُ فِي دَلَالَةِ الْجُمْلَةِ وَمَنْحَاهَا الْمَعْنَوِي فَالْإِمَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ الْإِخْبَارَ أَنَّ رِضَا اللهِ فَوْقَ كُلِّ رِضَا وَسَخَطُهُ -عَزَّ شَأْنُهُ- أَبْشَعُ مِنْ كُلِّ سَخَطٍ؛ لِذَا بَدَأَ حَدِيثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِاسْمِ شَرْطٍ دَالٍّ عَلَى الْعَاقِلِ؛ لِيُخَصَّ بِذَلِكَ التَّحْذِيرَ كُلَّ عَاقِلٍ فَلَيْسَ لغير العقلاء من المجانين والأطفال



بأداتي نفي وهما (لام التوكيد) و(نون التوكيد) اللتان يؤكد بهما الفعل، أمّا علّة وجود مؤكدين اتصالاً بالفعل (أيقن) فهو أنّ الله - عزّ شأنه - قد وصف نفسه بالرحمة وأوكل السخط للمخلوق، لتكون معادلة رياضية تتوسطها علامة يساوي وهي (مَنْ أسخطَ الخالق = ليقن أن يسلبَ عليه سخطَ المخلوق) فمن حاول (إرضاء المخلوق على حساب الخالق = ليقن أن يسلبَ عليه سخطَ المخلوق) فالذي تحاول أن ترضيه سوف يُسلب عليك سخطه، ليأتي الفعل (أيقن) مؤكّد بأداتي نفي ليدلّ على الحصول لا محالة ولتساوى دلالة الحصول في الفعل (أيقن) مع دلالة النفي في الفعل (يبالي).

(وإنَّ الخالق لا يوصفُ إلّا بما وصفَ به نفسه):

لقد جاء الحديث بجملةٍ ثالثةٍ معطوفةٍ مؤكدة بتوكيدين هما: (أنَّ) الحرف الذي يؤتى به لغرض التوكيد الذي ابتدأ بها الإمام عليه السلام جملة، والتوكيد بالقصر أو بالحصّر بواسطة النفي والاستثناء، ولا يتكرر التوكيد بأيّ كلامٍ إلّا إذا كثر الشكُّ في حصوله، فالكلام ودلالته والسياق وقرائنه تنبئ بأنَّ عصر الإمام عليه السلام قد كثر

حرجٌ ليأتي فعلٌ ماضٍ (أرضى) بعد اسم شرط ليدلّ على الحصول وأردفها عليه بفعل مضارع منفي بأداة نفي فيها قطعي لا يتحقق قط، وقد انزاحت دلالة زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي ليدلّ على الحصول، فمن أرضى مخلوقاً دنى برتبته فألزم أن ينتظر سخط الخالق لا محالة.

ورُبَّ سائلٍ يسألُ أيجوز أن نستبدل (لم) بـ(لا) أو (ما) النافيتين؟ والإجابة تكمن في دلالة أدوات النفي معنى وزمناً، فالنفي بـ(لا) و(ما) نفي قد يتحقق أمّا النفي بـ(لم) فهو نفي قطعي؛ لذا تكرر هذا الحرف في سورة الإخلاص: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)﴾ لتنفى تلك الأداة هذه الأفعال نفياً قطعياً، أمّا الزمن الذي تزججه تلك الأدوات ففي (لم) تقلب زمن المضارع من الحاضر إلى الماضي البعيد ليدلّ ذلك على حصوله، أمّا (لا) فأنّها تنفي الحاضر والمستقبل بلا قرينة، و(ما) تنفي الزمن الحاضر.

لتأتي جملة (ومَنْ أسخطَ الخالق فليقن أن يسلبَ عليه سخطَ المخلوق) معطوفة بواسطة الواو ومُتصدرة باسم الشرط (مَنْ) أيضاً ليليها فعلٌ ماضٍ وجوابه مضارعٌ لكنّه غير منفي بل مؤكّد



به الإلحاد والشرك المُبطّن والوصف للذات الإلهية بغير محله؛ لذا جاء الإمام عليه السلام بذلك الحديث وتلك الجملة ثائراً على هؤلاء الوصافين الذين يصفون الله - عزّ شأنه - بما يُريدون وكيف يحبون أن يصفوه بها؛ لذا أردف تلك الجملة بجمليّ قد ابتدأها باسم استفهام والاستفهام فيه استفهامٌ إنكاري (وأني يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه)، لتكون تلك الجملة كالضربة القاضية في ظهر من يدعي أو يطلب وصف الله بما تُثليه عليه ذاته وتقدير كلام الإمام عليه السلام: وكيف يوصفُ الذي تعجزُ الحواسُ إدراكه) وقد أردفتُ تلك الجملة بجمليّ تابعة لها وهي

(والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به، جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتّه الناعتون، نأى في قربهِ، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربهِ بعيد، كيف كيف فلا يقال له: كيف؟ وأين الأين فلا يقال له: أين؟ إذ هو مبدع الكيفوية والايونية، وفيها تراكيبٌ مُنسجمةٌ وقرائنٌ مُتسقةٌ ومعانٍ دالة بدلالة السياق وظروف المقام؛ إذ بدأ عليه السلام باستحالة إدراك الحواس له فقد وصف النظر والسمع واللمس والشمّ والتذوق بالمُدركات التي تُدرك الأشياء

المادية بها، فالله - عزّ شأنه - ذات غير مادية حتى تُدرك، وقد أتبعها عليه السلام بجمليّ قد زاد فيها من الاستحالة؛ إذ جعل عليه السلام الأوهام التي تقرب البعيد وتوجد الغائب لم تنله ولن يكون مُتيسراً في منال الواهمين، وأردفت بجملة قد نبت فيها اليأس (والخطرات أن تحدّه) لِيُبينَ لنا مدى استحالة وصف الله وبعد حدّه حتى في الخاطرة العابرة لم يجز لهم، وقد دبّ الضعف وترهلت القوة عن الإبصار إليه (والأبصار عن الإحاطة به) ف(جل عما وصفه الواصفون، وتعالى عما ينعتّه الناعتون) فقد قَرَّبَ بعده وبعد بقربه فهو في بعده قريب وفي قربهِ بعيد أوجد الكيفيات من لا كيف وأيّن الموجودات من لا شيء فهو المبدع الذي كَيْفَ الكيفيات وأيّنَ الموجودات وأوجد المخلوقات سُبْحانَهُ عَمَّا يَنْعَتُهُ الناعتون.

فبعد جمع شتات الحديث من معاني الجمل لنحصل على دلالة مركزية عامة مفادها إنّ الله - عزّ شأنه - غني عن العالمين ورحمن رحيم لا يعذب إذا سخط بل يوكل ذلك السخط للمخلوقين الذين ينوبون منابه، وإنّه - عزّ شأنه - لا يوصف بمدركات حواس مخلوقاته ولن يناله وهم الواهمين ولن يحده خطر المحددين ولن يحيطه بصر الباصرين.

الخاتمة:

الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله،
والخطرات أن تحده» وتحتاج الأوصافُ
تلك إلى تراكيبٍ محبوكةٍ وأدواتٍ رابطةٍ؛
ليجيء التركيبُ النحوي ووظيفتهُ لبيانِ
دلالة تلك التراكيبِ ومقصد المبدع فيها.

إنَّ البحثَ عن الأحاديثِ المُعتبرةِ
لهو شغلُ الباحثينَ فأنَّتْ تبحثُ في نصٍّ
أقلُّ ما نسميه نصًّا مُتماسكًا رصينًا، فلو
قُدِّمَ ما حقُّهُ التأخيرُ تغيَّرتْ دلالتُهُ وإنَّ
حذفتْ عمدةً جيءَ بمعنى آخر، ولو
رفعتْ منصوبًا وظيفته النحوية تغيَّرتْ،
ولو تغيَّرَ بناءُ الكلمةِ وصيغتها أنزوتْ
دلالتهُ، ولو تركتْ صوتًا مهموسًا وجئتْ
بمجهورٍ لظهر معنى آخر.

فقد بيَّنَ الباحثُ أثرَ التركيبِ
النحوي في حديثين مُختارين من أحاديثِ
الإمام الهادي عليه السلام؛ إذ ابتدأ بحديثٍ قد
ناجى الإمامُ عليه السلامُ ربَّهُ بـ«إلهي تاهت أوهام
المتوهمين وقصر طرف الطارفين...» وفي
المناجاةِ تطغى التراكيبُ وتمتزجُ الأساليبُ
ويختلطُ البناءُ وتخرقُ القوانين ويظهرُ
المجازُ وتختفي الحقيقةُ، ليأتي التركيبُ
النحوي ويُفسرَ ما اختلطَ ويظهرَ ما غابَ،
فيردُّ الأمورَ إلى نصابها ويجعلُ التراكيبَ في
مكائنها.

أمَّا حديثُ الإمام عليه السلامُ الثاني فكانَ
وصفًا لله -عزَّ شأنه- وللمُتقي والمُطيع وما
سيجنيانه: «من اتَّقَى الله يُتَّقَى، ومن أطاعَ
الله يُطاعُ...» وأنى يوصف الذي تعجز



المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

العلمية، بيروت - لبنان، ط: الأولى،
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦. الأزهري الهروي، محمد بن أحمد،
أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللُّغة،
تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء
التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.

٧. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن
عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال
الدين، (ت: ٥٧٧هـ)، أسرار العربية، دار
الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٨. الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل أبو منصور (ت: ٤٢٩هـ)، فقه
اللُّغة وسر العربيّة، تحقيق: عبد الرزاق
المهدي، إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ،
٢٠٠٢م.

٩. الحر العاملي، الفصول المهمة في
أصول الأئمة، تحقيق وإشراف محمد بن
محمد الحسين القائني.

١٠. الحر العاملي، محمد بن الحسن،
وسائل الشيعة، مؤسسة آل البيت عليه السلام
لإحياء التراث، قم، مطبعة: ستارة.

١١. عمر، أحمد مختار، علم الدلالة،
عالم الكتب، الطبعة السادسة، ٢٠٠٦م.

١٢. الفرطوسي، صلاح مهدي شلاش،
هاشم طه، المذهب في علم التصريف،

١. ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن
العقيلي الهمداني المصري (ت: ٧٦٩هـ)،
شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق:
محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث،
القاهرة، العشرون ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

٢. ابن القَطَّاع الصقلي، علي بن
جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم،
(ت: ٥١٥هـ)، كتاب الأفعال، عالم
الكتب، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٣. ابن فارس، أحمد بن فارس بن
زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت:
٣٩٥هـ)، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق زهير
عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة،
بيروت، ط: الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٤. ابن مالك الطائي الجباني، محمد
بن عبد الله، (ت: ٦٧٢هـ)، شرح الكافية
الشافية، تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي،
جامعة أم القرى مركز البحث العلمي
وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية مكة المكرمة.

٥. ابن يعيش، يعيش بن علي بن
يعيش، (ت: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل،
قدم له: د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب



- مطابع بيروت الحديثة، ط: الأولى، ٢٠١١م.
١٣. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
١٤. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثالثة، ١٤٠٧هـ.
١٥. الطبرسي، الشيخ حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ)، خاتمة مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام.
١٦. العروسي الحويزي، العلامة الشيخ عبد علي بن جمعة، نور الثقلين.
١٧. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.
١٨. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط: الرابعة، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
١٩. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت: ١٧٠هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
١٢. المجلسي، العلامة محمد باقر (ت: ١١١٠هـ)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء بيروت، لبنان، ط: الثانية ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٢. المرادي المصري، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.
٢٣. النجار، محمد عبد العزيز، ضياء السالك إلى أوضح المسالك، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

الأفضية الذهنية في حواريات الإمام الهادي عليه السلام
- في ضوء اللسانيات الإدراكية -

Mental Space in Imam al-Hadi's (PBUH)
Dialogues in light of Cognitive Linguistics

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي
جامعة الكوفة
كلية التربية الأساسية

Prof.Dr. Hadi Saadon Hanoon Al-Aridhi
Kufa University
Basic college of Education



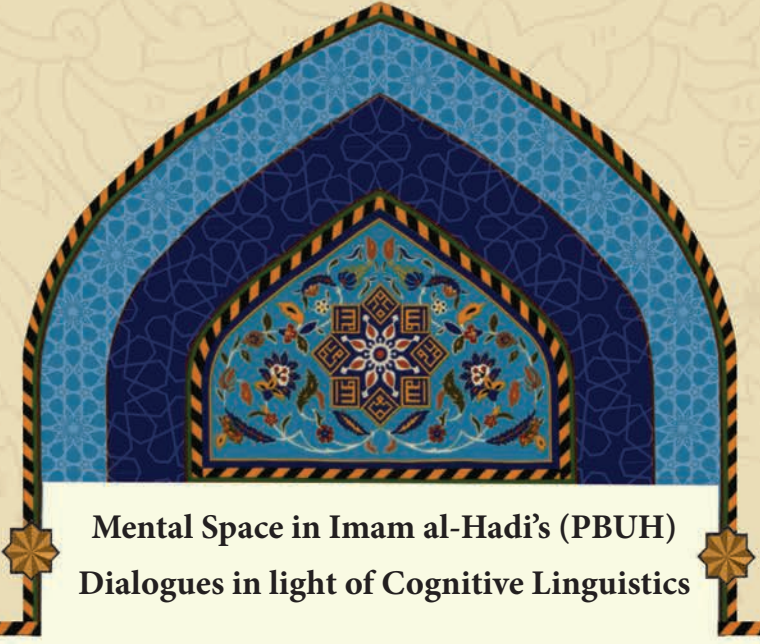
الملخص:

تتحرك النظريات اللسانية الحديثة بسرعة متوخية الدقة والحذر ؛ لتضع علما لغويا قادرا على رصد مشتركات ذات طبيعة عالمية، فترصد كل منها ما أنتجته سابقتها ؛ لتتمكن من تجاوز الأخطاء السابقة، ومن بين تلك اللسانيات الناشئة اللسانيات الإدراكية التي ظهرت قوية بعد التحولات المعرفية الحاصلة في منتصف القرن العشرين، وبزوغ مجموعة من النظريات المعرفية المتقدمة على يد علماء كبار من أمثال جورج لايف، ولانفكر، تعمل تلك اللسانيات على الربط بين اللغة والتصور القائم على الفكر ؛ لأن أصحابها يرون اللغة تعكس أنماط التفكير عند الإنسان، وتعرض الأفكار وتبين طبيعتها، فالتكلم في طبيعته يمتلك تصورات خاصة لكل معنى من المعاني خارج اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وللمتلقي تصورات ماثلة خاصة قائمة على خبرته وموروثه.

وعلى أساس هذه النظرية ستبنى دراستنا الأفضية الذهنية في حواريات الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام الخاصة والعامة، والأفضية الذهنية من دون النظريات والمقولات الأخرى للسانيات الإدراكية ؛ لأنه تتناسب مع طبيعة الحوار بين المتكلمين ؛ فهي تبدأ مع حركة الفكر، ورغبته في التعبير عن أفكاره بطريقة القول ؛ ولعمق تلك المقولات تنفتح بانفتاح الخطاب، وتصورات الفكر مهما كانت جزئيتها، وتتغير الرؤية لتلك المقولات على وفق تصوراتنا عبر الأزمان، وعلى هذا الأساس سيتألف البحث من تمهيد يتضمن التعريف بالمفاهيم، والمصطلحات الخاصة بمفاتيح البحث وهي: (اللسانيات الإدراكية - الأفضية الذهنية)، ثم يأتي المطلب الأول في الحوار الداخلي، ويقصد به حوار الإمام مع نفسه، ثم المطلب الثاني المتضمن الحوار الخارجي، ونقصد به حوار الإمام عليه السلام مع الآخرين .

الكلمات المفتاحية:

الأفضية الذهنية، الإمام علي الهادي عليه السلام، الحوار الداخلي، الحوار الخارجي.



Mental Space in Imam al-Hadi's (PBUH) Dialogues in light of Cognitive Linguistics

Abstract:

Modern linguistic theories move with precision and caution to posit a linguistic landmark capable of tracking universal commonalities. Each theory monitors what its predecessor produced to overcome previous mistakes. Among those rising universal linguistic theories is the cognitive linguistics that emerged strongly in the second half of the twentieth century after the cognitive transformations. With leading scholars like George Lakoff and Langacker, those advanced cognitive theories work on demonstrating the patterns of human thinking, and present the proposition that language reflects modes of conceptualization based on cognition. In their view, the speaker inherently possesses specific conceptions of every meaning outside the spoken or written language, and the recipient has similar special conceptions based on their experience and heritage.

Depending on this theory, our study will adopt the mental spaces in Imam Al-Hadi father of Al-Hassan Ali bin Mohammed's (PBUH) general and special dialogues. Mental spaces, rather than other linguistic theories, suits the nature of dialogue between speakers. It starts with the movement of thought and its desire to express ideas verbally. Due to the depth of those propositions, it opens up with the beginning of the discourse with the perceptions of thought. However, the perspective of those propositions changes according to our perceptions over times.

Based on this idea, the study consists of an introduction that includes the key concepts definitions; cognitive linguistics and mental spaces. The first section comprises the internal dialogue, which is the Imam's (PBUH) dialogue with himself. The second section comprises the external dialogue, which is the Imam's (PBUH) dialogue with others.

key words:

mental spaces, Imam Ali Al-Hadi (PBUH), internal dialogue, and external dialogue.

الإدراكية؛ لأنه تتناسب مع طبيعة الحوار بين المتكلمين؛ فهي تبدأ مع حركة الفكر، ورغبته في التعبير عن أفكاره بطريقة المقول؛ ولعمق تلك المقولات تنفتح بانفتاح الخطاب، وتصورات الفكر مهما كانت جزئيتها، وتتغير الرؤية لتلك المقولات على وفق تصوراتنا عبر الأزمان، وعلى هذا الأساس سيتألف البحث من تمهيد ومطلبين وعلى وفق الآتي:

ثانياً: المطلب الأول: الحوار الخارجي، ونقصد به حوار الإمام عليه السلام مع الآخرين .

ثالثاً: المطلب الثاني: الحوار الداخلي، ويقصد به حوار الإمام مع نفسه .

رابعاً: الخاتمة والنتائج .

خامساً: مصادر ومراجع الدراسة.

القراءة اللغوية للتراث لا تقف عند حدود منهج أو دراسة في زمنٍ ما، وإنما تتجدد بتجدد التحولات المعرفية للقاريء، وما يحمله من قدرات ثقافية، وتاريخية، ودينية وسياسية...؛ لأن اللغة ظاهرة إجتماعية يوظفها المتكلم بقصد التوصيل والتأثير، فترتبط بمقاصد المتحاورين في ظروف مقامية معينة، وإذا أراد المحلل فهم تلك النصوص فهماً واعياً فعليه التسلح بالأدوات المعرفية قديمها وحديثها، وبحثنا الموسوم: «الأفضية الذهنية في حواريات مسند الإمام الهادي عليه السلام - في ضوء اللسانيات الإدراكية - سيلقي الضوء على ما جاء في مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام الذي جمعه ورتبه الشيخ عزيز الله العطاردي من حواريات الإمام عليه السلام الخاصة والعامة، وعلى وفق النظرية اللسانية الإدراكية التي تبحث في أنشطة الذهن المتنوعة، ولجدة الموضوع، وعلاقته الوثيقة بتلك الحواريات وما أنتجت من تصورات ذهنية في زمنها، والأزمان المستقبلية؛ ولسعة الموضوع فضلنا الإختصار على نظرية الأفضية الذهنية فقط من دون النظريات والمقولات الأخرى للسانيات



أولاً: تمهيد تعريفى بالمفاهيم والمصطلحات الخاصة بمفاتيح البحث وهي: (اللسانيات الإدراكية - الأفضية الذهنية).

تمهيد تعريفى بالمفاهيم والمصطلحات :

أوجدت اللسانيات بعد سوسير حراكاً عالمياً للغة، فتوجّه العلماء إلى البحث والتّقصي في علاقة اللغة بالعلوم الأخرى، وكيف يمكن أن نوظّف تلك العلوم؛ لبناء لغة عالمية ذات مرجعيّات موحّدة قائمة على بنيّة اللغة (الشكل)، ولعلّ الحاسوب (اللسانيات الحاسوبية) والطّب (اللسانيات العصبية)، من أهم تلك التّوظيفات المحاولّة وضع مُركّزات ثابتة ذات طبيعة شكلية نفعيّة، إلا أنّهم انصدّموا بصعوبة الرّبط الحاسوبي على شكل رموز؛ لاختلاف متبنيات المتكلّم ومزاجه وعاطفته وتصوراته؛ مما أنتج ردّة فعل قويّة لظهور نوع آخر من الاهتمام وهو النّوع القائم على التّصورات الذهنيّة للإنسان أطلقوا عليه: اللسانيات الإدراكية Cognitive Linguistics، نشأت اللسانيات الإدراكية قويّة بعد التحوّلات المعرفيّة الحاصلة في منتصف القرن العشرين، وبزوغ مجموعة من

النّظريّات المعرفيّة المتقدّمة، ولعلّ أهمّها نظريّة المعلومات (الدّكاء الإصطناعي) الذي يعمل على جعل الآلة تُؤدّي ما يؤدّيه البشّر من أعمالٍ بتمكينها من مهارة ذهنيّة ذكيّة لها قدرات الدّكاء التي للذهن البشري^(١)، فبدت تظهر مع مؤلّفات جورج لايكوف (نساء ونار وأشياء خطيرة)، ولانقار في كتبه من أساسيات القواعد المعرفيّة، والحديث طويل في نشأتها فهي لم تكن وليدة صدفة، ويمكن العودة لكثير من المصادر للبحث عن نشأتها الأولى^(٢)، تهدف هذه اللسانيات دراسة «الذهن في جميع مظاهره»^(٣)، فتقوم بوصف التّصورات، والمعارف، وعمليّات معالجة المعلومات، وإعادة صياغتها، وتهتم بدراسة المبادئ العامّة لتنظيم القدرات الإدراكية للإنسان في آليّة ذهنيّة موحّدة، وتثبيت علاقاتها المتبادلة، وتفاعلاتها^(٤).

(١) ابن دحمان، عمر، الإستعارات والخطاب الأدبي مقارنة معرفية معاصرة، ص ١٧.

(٢) ينظر: غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، ص ٦١، ستيرن، يوسف، زينايدا، بوفوفا، اللسانيات الادراكية، ص ١٤.

(٣) أنطوفيتش، ميهايو، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ص ٩٦.

(٤) ستيرن، يوسف، زينايدا، بوفوفا، اللسانيات الادراكية، ص ١٤.



المضمون بطرقٍ مختلفة»^(٢).

ومن النظريات التي تبنت هذه الفكرة نظرية الأفضية الذهنية، وهي: «فضاءٌ ذهني للعناصر والعلاقات التي يتقاسمها المتكلم والمخاطب على أنّها أساس لتواصلهما في لحظة معينة أثناء جريان الخطاب»^(٣)، وكذلك تعرّف على أنّها: «رزمٌ تصوّريّة صغيرة تنشأ حين نتكلم أو نفكر،... فهي تجمعات شديدة الجزئية،...، وهي مترابطة ويمكنها أن تتغيّر كلما انفتح الخطاب والفكر فتتكاثر في انفتاح الخطاب ويُسقط بعضها على بعض بطرق متداخلة وتزوّد ببنية ذهنية مجردة لنقل وجهة النظر، والبؤرة لتيح لنا أن نوجّه تركيزنا في أيّ وقتٍ إلى أيّ أبنية شديدة الجزئية، والبساطة، بينما نحفظُ بشبكة متبلورة من الترابطات في ذاكرة العمل، وفي الذاكرة بعيدة المدى»^(٤)، أما موقع الحوار في بحثنا، فيأتي لما تحقّقه عناصر المحاورّة من مجالات مفتوحة، وتأتي

(٢) غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، ص ٣٩.

(٣) قريرة، توفيق، الاسم الاسمية في اللغة العربية مقارنة عرفانية، ص ١٣.

(٤) أبغش، محمد عبد الودود، نظرية الافضية الذهنية مبادئها تطبيقاتها، ص ٣٩.

عملت تلك اللسانيّات الإدراكية

على الرّبط بين اللّغة والتّصور القائم على الفكر؛ لأن أصحابها يرون اللّغة تعكس أنماط التّفكير عند الإنسان، وتعرّض الأفكار وتبيّن طبيعتها، فهي: «تبحث في العلاقة بين الثقافة واللّغة والإدراك،... وترى أنّ اللّغة جزءٌ من القُدّرات الإدراكية الشّاملة لدى الإنسان»^(١)، فالتكلم في طبيعته يمتلك تصورات خاصة لكل معنى من المعاني خارج اللغة المنطوقة أو المكتوبة، وللمتلقي تصورات مماثلة خاصة قائمة على خبرته وموروثه، وعلى هذا الأساس يتّبع النص اللغوي ضمن بنية إدراكية متفاعلة متنوعة ومتباينة تحكمها القدرات الذهنية للمتكلم والمتلقي؛ لأنها مبنية على «إنشاء تصوراتٍ منظمّة وتشكيلها، وقدرته على تصوّر مستوياتٍ متعدّدة متنوّعة تختلف فيما بينها من حيث درجة التجريد للتعبير عن الحالات والوضعيّات بمختلف أنواعها، ويمكننا كذلك أن نذكر قدرته على التّأليف بين أبنية بسيطة وإقامة علاقات بينها لتكوين أبنية حركيّة أكثر تعقيداً، وكذلك قدرته على تنظيم نفس

(١) التميمي، جنان، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكية، ص ١٥.



وإحياء الموتى بإذن الله في زمان الغالب على أهله الطب فاتاهم من ابراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله فقهرهم وبهرهم، وبعث محمدا بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فاتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم، فقال ابن السكيت: فما الحجة الآن؟ قال: العقل، يعرف به الكاذب على الله فيكذب^(٢).

المطلب الأول

(الأفضية الذهنية في الحوار الخارجي)

البحث عن الأفضية الذهنية في هذه الحوارية واسع ومعتمق يمكن أن يستغرق البحث المخصص في صحائفه المحددة كلها في هذا المؤتمر، وهذا يدعونا لحث الباحثين والمختصين في مجال اللسانيات تسليط الضوء على هذه النصوص ودراستها بتفصيل وتوسع أكبر مما في صحائف بحث مختصر؛ لذلك سنختصر التحليل في هذا المطلب على مثال واحد؛ لما فيه من غزارة الأبنية، وما يحتاجه من عمق في التحليل.

عرض السائل: ابن السكيت أربعة أسئلة تحتكم لفضاء ذهني أساس (واقعي) يطلق عليه في نظرية الأبنية الذهنية عدة (٢) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، ص ٢٥.

من ذلك ما رواه «ابن شهر آشوب أنه: قال المتوكل لابن السكيت اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي . فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى ببراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمد بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر، فاتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم، وبعث عيسى ببراء الأكمه والأبرص

(١) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصل - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية -، ص ١٠.



القوة في القرآن الكريم، فساقاها بطريقة السؤال المتمثل فيما بناه فعل القول: «فسأله فقال: لم بعث الله موسى بالعصا وبعث عيسى بآبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى، وبعث محمد بالقرآن والسيف؟»، فتوَلَّد لدينا زخم من الأفضية الذهنية المستمدة من القرآن الكريم؛ لأنه يرى الإنطلاقة الحقيقية لعوص ما يهدف إليه المتوكل فقد أعجز القرآن الكريم العرب منذ نزوله، وتحذاهم من الإتيان بمثله، وعلى وفق ذلك تشكل عندنا الفضاء الأول عن طريق الاستفهام، فأثاره القول في هذه الأسئلة الأربعة، واشطر في كل منها أبنية ذهنية متشعبة يطلق عليها أبنية ذهنية (ثانوية) تعمل لإيضاح الفكرة وتوسيعها في الذهن، ففضاء الاستفهام بنى لنا فضاء ذهنيًا واقعيًا حقيقيًا ومفقودًا في الوقت نفسه في ذهن السائل، فكل الأسئلة تشير لتصورات ذهنية واقعية يدركها المتكلم والمتلقي، ولكن هذه الحقيقة تمثل في المعارف الذهنية، فتجمع بين تجريدية العقل ومادية الحس إستنبطه الإدراكيون من الفيلسوف كانط الذي يرى أن العقل مؤلف من ملكة الحس، والخيال، والفهم، ينظر: الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص ١٦٢، البوعمراني، محمد صالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص ٩١.

تسميات منها الفضاء القادح، ويطلق عليه فوكوني^(١) (الفضاء الأب)، ويمثل عنده «الفضاء الأول، أو الفضاء الأساس، يُفرَّخ تفرينًا أحاديًا أو متعددًا كما هو الشأن في الطَّبِيعَة فيكون الحاصل شبكة من الأفضية ذات شكل متعرَّش»^(٢).

اللسانيات الإدراكية تضع في متبنياتها الخطاب في مكوناته اللغوية، وغير اللغوية، والحوار الذي بين أيدينا يتألف من مجموعة من الأفضية الذهنية، أولها: الفضاء الأساس الذي حاول إيصاله المتوكل إلى ابن السكيت وهو: (المسألة العوصاء)، والذي يفضي بدوره إلى الهدف، وهو (تعجيز الإمام الهادي عليه السلام أمام الجمهور)، وهذا ما جعل ابن السكيت يعمد لبث مجموعة من الأبنية الرافدة لهذه الفكرة، والتوجه لخطاطة^(٣)

(١) هو لساني فرنسي ينتمي إلى الجيل الثاني من اللسانيين الإدراكيين من أمثال لانقار، ولايكوف من أشهر كتبه في هذا المجال (الأفضية الذهنية مظاهر من بناء المعنى في اللغات الطبيعية) ينظر في ترجمته: المجدوب، عز الدين، مختارات معربة، ج ١، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٢) الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، ص ٢٠٩.

(٣) الخطاطة: مصطلح لساني إدراكي يقصد به الشبكة التَّصَوُّريَّة التي تنظم النشاطات الجسدية،



مَجْلَدُ الثَّامِنِ

العدد: الثامن
السنّة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

فجاء تعميق هذا المبدأ في ذهن المخاطب (السائل على مر العصور)؛ لذلك حضرت أبنية ذهنيّة واقعيّة متناسقة، ومترابطة مع أبنية الاستفهام السابقة حالة، ومجيئة لجميع تعقيداته الفكرية بتصورات ذهنيّة واقعيّة حضرت في مخيلة المخاطب من دون أن يفصح عن مدونتها المعرفيّة الخاصّة (القرآن الكريم)، ولعل كل إجابة أو كل مقولة للإمام عليه السلام ترتبط بصلة فكرية راسخة في أذهان المخاطبين (من حضر المجلس) حتى ولو لم يفصح عنها لفظياً، فلو أخذنا المقول الأول: لم بعث الله موسى بالعصا؟ وهو البناء الأساس الواقعي (القادح الأول) لوجدنا أن الاهتمام حصل في مقول الإمام عليه السلام بالتصور الذهني الواقعي: (بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمان الغالب على أهله السحر)، هذا البناء الذهني الأساس مستمد من تصورات المتحاورين، والمعرفة القبليّة ضمن الإطار الخاص، والتأطير في الأفضيّة الذهنيّة مصطلح: «يعني بنية ضروريّة في الذاكرة السمانطيقية، ويمثل جزءاً من

الوقت نفسه واقعاً مفقوداً عند المتوكل بدلالة قول المتوكل لابن السكيت: (اسأل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي)، وهذا ما نستنتجه من المقام؛ لأن الاستفهام شكّل مع روابطه السياقية فتحاً للمعنى؛ لأن «الوصل ما بين المجالات والأفضية، وتضمن الروابط استمرار الإحالة على نمط واحد مستقيم خلال الخطاب وتضمن خاصيّة توزّع المعلومات بشكل يحقق الفهم...، وتبني الأفضية الذهنيّة وتترابط في ضوء القيود النحوية والسيّاقية والمقاميّة والثقافيّة»^(١)، وعلى وفق ذلك بقي لدينا الفضاء الأساس مفتوحاً لفضاءات تصوّريّة، ومعرفيّة أخرى مقابلة، تتمثل هذه الفضاءات في أبنية ثانويّة يمكن حصرها في إجابات الإمام عليه السلام التي عملت على خلق مبدأ لساني إدراكي جديد نطلق عليه: (مبدأ الاهتمام)، يقوم هذا المبدأ على أساس القبلات المعرفيّة الواقعيّة للمتكلّم، وربطها بتصورات المتلقي إذ «يدخل اعتقاد المتلقي بوصفه عنصراً محورياً في العمليّة التواصلية، فيراعي المتكلّم في المقام الذي هو فيه المتلقي»^(٢)،

(١) الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفية، ص ٢٠٨.

(٢) العارضي، هادي سعدون هنون، مقام

المتكلم في القرآن الكريم - دراسة تداوليّة -، ص ٣٧.



المتخيَّلة الحاضرة في مخيلة المتحاورين، ويمكن أن نتصورها نحن أيضا في فضاء ذهني موحد في قوله تعالى: «إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي»^(٤)

وتحصى الأبنية الذهنية في مقولها الواقعي الثالث: (لم بعث محمد بالقرآن والسيف؟) بعدا تصويريا أعمق؛ لأن المقول في أبنيته الذهنية يفتح على أبعاد واقعية يتخيلها المخاطب بعدما يستعيدها من متخيلته الدينية، والتأريخية المرتبطة بجزءتين، الأولى: في القرآن الكريم عندما تحدى العرب بأن يأتوا بسورة، ومن ثم بآية، في تمثلات قوله تعالى: «وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٥)، وقوله تعالى: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ

معرفتنا بالعالم»^(١)، فيهدف التأطير بطبيعته التداولية اللسانية إلى مجموعة من الأهداف يسوقها المتكلم بما يعزز، ويسرع من عملية التواصل بين المتحاورين؛ لأنه يمد مجال التجربة التي يطرحها المتكلم ببعض الأقوال المساهمة (السياق الخارجي) في توضيح مضمون القول الحواري^(٢)، وبهذا الإطار يتعمق مبدأ الاهتداء عند المخاطب بالعودة المتخيَّلة والإحالة لقوله تعالى: «قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ * وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كِبْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ»^(٣)

وهذا ما سار عليه الإطار في المقول الثاني: (لم بعث عيسى ببراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى) في أبنيته الذهنية

(١) دايبك، فان، النص والسياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص ٢١٩.

(٢) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصل - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية -، ص ٥٧.

(٣) سورة طه، الآية ٦ - ٧٠.

(٤) سورة المائدة، الآية ١١٠.

(٥) سورة البقرة، الآية ٢٣.



بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»^(١)، وقوله تعالى: «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٢)، وهذا الفضاء الذهني يرتبط بقوله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»^(٣)، وغيرها من الآيات^(٤)، هذا التحدي لا يثبت منطقيا إن لم يكن العرب أصحاب لغة؛ لذلك جاءت الأبنية الذهنية مترابطة ومتراصة يسند بعضها بعضا في قوله ﷺ: «وبعث محمدا بالقرآن في زمان الغالب على أهله السيف والشعر فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر به شعرهم وبهر سيفهم وأثبت الحجة عليهم»، وفي المقول علاقة ربط بين السؤال والجواب، فكلاهما يستمدان أبنيتهما الذهنية من القرآن الكريم؛ «لأنه خطاب إلهي مطلق، ذو سلطة قدسية إستعلائية خاصة رحمة للعالمين، وهو خطاب التكليف والتشريع، ونظام القول المؤثر في الآخرين، وإقناعهم بوصفه نظاما

(١) سورة الإسراء، الآية ٨٨.

(٢) سورة هود، الآية ١٣ - ١٤.

(٣) سورة الزخرف، الآية ٣.

(٤) سورة يوسف، الآية ٢، سورة الشعراء، الآية ١٩٥، سورة القصص، الآية ٤٩، سورة الطور، الآية ٣٤.

للتفاعل، والفعل المتبادل بين أطراف العملية التواصلية»^(٥).

والحق في المثال زخم من الأفضية الذهنية يطول التحليل فيها، وفي مستوياتها البنائية الصغرى؛ لذلك يصعب علينا الوقوف عندها جميعا، لما فيها من غزارة في تلك الأبنية، فلو عمقنا البحث في كل الأفضية وتحليلاتها التصورية لاحتجنا إلى صحائف كثيرة؛ لذلك سنقف عند المقول الأخير، ونتابع تلك الملازمة التأطيرية بين (القرآن) و(السيف)، وتحليلاتها التصورية في: (السيف - السيف القاهر - وبهر سيفهم)، فالقرآن الكريم بناء ذهني يشكل قوة تأثيرية راجحة، وفاعلة في المقول؛ لأنه: «يستمد سلطته من الجهة الصادرة عنها، ومن طبيعة الخطاب نفسها، ومن قدرته الشمولية الكلية على صوغ مجاله وقوانينه واحتواء المتكلمين له، ومن إرتباطه بمصادر قوته كالمؤسسات الدينية أو المؤسسات الاجتماعية التي تمتلك قوة مؤثرة في أفعال الآخرين، وتصرفاتهم، ومن سلطة اللغة التي يتهاى بها ويتبادل معها السلطة بوصفها الفاعل الرئيس في

(٥) عبود، صفية موسى، الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفية، ص ١٩٢.



الذهني الراجح (الهدف) في هذه المقولة التي إستعادت حضور أفضيّة ذهنية متلازمة في أطر تركيبية، ومقاميّة محكمة في الحوار، فعمل العطف المتمثل بالواو في بنية الحوار على إشارك طرفي العطف بحركة ترابطيّة لا تختصر على البناء الشكلي، وإنما دخلت في تعميق المعنى، ورسم ملامحه الإدراكيّة عند المتلقي، فتلك الأبنية الذهنيّة تتضمن مجموعة من العمليات العقلية الناتجة من طبيعة تفكير الإنسان، فتنتج تلك العملية العقلية الذهنيّة أبواباً تصنيفيّة يُلحَقها فيما بعد بالواقع الذي أدركه واستوعبه^(٤).

تَقودُنَا تلك الأفضيّة الذهنيّة المفتحة؛ لإدراك مجموعة من الحقائق من حولنا، وفهمها بعمق التّصورات المنتجة الراسخة في المخزون المعرفي للمتخاورين، فتعود بهم لشجاعة علي عليه السلام في أحاديث نبويّة شريفة من بينها قول النبي عليه أفضل الصلاة والسلام: «لأعطين اللّواء غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله فلما كان من الغد تناول لها أبو بكر وعمر؛ فدعا علياً عليه السلام وهو أرمَد، فتفل في عينيه، وأعطاه اللّواء؛ ونهض معه

(٤) ستيرنين، يوسف، بوبوفا، زينايديا، اللسانيات الإدراكية، ص ١٣٦.

الخطاب وإحدى أهم آلياته في فرض هيمنته على متكلمي هذه اللغة^(١)، ولكن الإمام الهادي عليه السلام وضع خطاطة ملازمة له في مقوله وهي: (السيف)، وهو تصور مادي، ومن المؤكد أنه لا يقصد السيف المجرد بحقيقته الماديّة؛ لذلك فتح الإمام عليه السلام باب التّصورات الذهنيّة من أجل التّدبر في الوصول إلى حقيقة يضمها المتلقي أو يتجاهلها، وفي جميع الحالات سينجز فعلاً ما، إلى عمل غير مرتبط بالقول، فعمل على تغيير الشّكل التعبيري للجملة^(٢).

هذه الحيويّة، والمرونة ستمتد بأفق تصورات جديدة، وأبنية ذهنيّة متخيلة، وراسخة في أذهان المتخاورين التاريخيّة التي تفتح أفضيّة ذهنيّة جديدة أو موروثة، ومخزونة في ذهن المتكلّم تُستمد من عالم التجربة والخلفيّة المعرفيّة^(٣)، ولعل تصور سيف جدّه الإمام علي عليه السلام هو الفضاء

(١) عبود، صفية موسى، الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء اللسانيات المعرفيّة، ص ٢٠٩.

(٢) ينظر: ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ص ٩٣، الحباشة، صابر، مسارات المعرفة والدلالة، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) ينظر: الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفيّة، ص ٢٠٩.



العدد: الثامن
السنة: الرابعة
١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣ م

من الناس من نهض قال: فلقي أهل خير؛
فإذا مرحب يرتجز ويقول:

قد علمت خير من أيّ مرحب

شاكي السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب

إذا الليوث أقبلت تلهب

فاختلف هو وعلي ضربتين؛ فضربه

عليّ على هامته؛ حتى عضّ السيف منها
بأضراسه؛ وسمع أهل العسكر صوت
ضربته»^(١).

ولعلّ ما نجده في ثبات تاريخية المال
والسيف المقترنين بخديجة وعلي عليهما السلام،
والإسلام في بداياته الأولى أول فضاء
ذهني يفتح عليه الفكر، بعد أن ترسخ
في أذهانهم واقعة بدر، وأحد، ومعارك
الحنق، وكانت مفترق طرق بين ثبات
الإيمان أمام الشّرك، وهذا ما يمكن أن
تنبهنا تصوراتنا للحديث النبوي الشريف
الذي يرويه جمهور المسلمين عندما برز
الإمام علي عليه السلام إلى عمرو بن ود العامري
في الحندق، بعدما تحدى المسلمين
وأعجزهم، فقال النبي عليه أفضل الصلاة

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري
(تاريخ الرسل والملوك)، ج ٣، ص ١٢، وينظر:
اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٦.

والسلام: «برز الإيمان كلّ إلى الشّرك
كلّه»^(٢)، والتّصورات الذهنيّة لا تقف عند
هذه الحدود بل تتجاوزها إلى ذلك الفتى
الشجاع الذي فدى الرسول عليه أفضل
الصّلاة والسّلام بنفسه بعدما أجمع كفّار
قريش على قتله^(٣)، وحُزم الأفضيّة الذهنيّة
ممتدة بإدراك المتكلم والمتلقي لقبليّات
المقول، وتشعباته التّصوريّة.

فتلك التّصورات الذهنيّة تقع
ضمن ما يُعرف في اللسانيّات الإدراكيّة،
(الأنموذج الإدراكيّ المؤمّل)، يقوم
هذا الأنموذج على المثاليّة غير الماديّة؛
لذلك «ينشأ في الذّهن عن طريق تجميع
خصائص، وسمات أنموذجيّة لا يمكن
أن تتحقّق مُجمعةً في عنصر حقيقيّ واحد،
فهو الأفضل للفئة التي يُمثّلها؛ لذا يعمل
الذّهن البشريّ على مُقابلة سمات العنصر
المادّي الموجود في الواقع بما يتجدّد في
تصوّره من سماتٍ وخصائصٍ مثاليّة لذلك
العنصر، فتكونُ دَرَجَة مثاليّة العنصر على
وفق تحقيقه لأعلى دَرَجَات التّوافق بين
العنصر المادّي في الواقع، وبين العنصر

(٢) إبراهيم، محمد أبو الفضل، شرح نهج
البلاغة: ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٦٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري
(تاريخ الرسل والملوك)، ج ٢، ص ٣٧٢.



أشمل يسهم في تحديد دلالة اللفظ، فمثلاً لفظ (الدواء) يفهم في ضوء إطار (الصحة والمرض)، ولفظ (سلعة) يفهم في إطار (عملية البيع والشراء) ومن المستحيل حسب اللسانيات الإدراكية تصور معنى اللفظ دون إطاره الإدراكي^(٣)، فإطار السيف الوارد في حواريته عليه السلام عزز المعنى المراد في تصوراته الذهنية، وربط المخاطبين بتلك التصورات عبر الأزمان، فنجد هذا الفضاء الذهني المتخيل يتجدد بتجدد الأزمان، فقد وصل حد إستقلاله بمؤلف يتقاسمه (سيف علي عليه السلام) و(مال خديجة رضي الله عنها) تحت مسمى: «مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام»^(٤).

نستنتج مما تقدم أن الحوارية على ما فيها من قدم زماني، ومنعطف فكري مخالف لرؤى المتحاورين (المتوكل - ابن السكيت - الحضور في المجلس) منحت شخصية الإمام الهادي عليه السلام هيمنة العقل، والتدبر، والفطنة، والتأثير في المخاطبين بعدما أعطى أجوبة دامغة تستند لأدلة قرآنية راسخة، بعدما أطر تلك الأدلة

(٣) التركي، إبراهيم بن منصور، دراسات في البلاغة الإدراكية، ص ١٥-١٦.

(٤) حجازي، محمد أحمد، مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام، ص ٣٨٠.

المثالي في الواقع الذهني المتجذر، وعلى وفق القراءات السابقة فإن لعملية تصنيف المعلومات في الذهن أهمية في تحصيل التواصل والإدراك^(١).

فعرض المتكلم في إطار مقولاته الحوارية: «السيف - السيف القاهر - وبهر سيفهم»، ليعمق فكرته المؤكدة لفضاء ذهني رابع مرتبط بمعجزة السيف التي عُرف بها جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام أكثر من غيره، لأن اللسانيات الإدراكية ترى أن (الإطار)^(٢) هو من يشير إلى ذلك، ويعمقه؛ لأننا «نفهم كل لفظ في ضوء إطار عام يُعد هذا اللفظ جزءاً منه، وبدون هذا الإطار لا يمكن فهم معنى اللفظ، حيث هناك منظومة ذهنية ترتبط بدلالة اللفظ. إن هذا يعني بأن كل لفظ يفهم في ضوء إطار

(١) النصراوي، جنان تكليف علي، التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم بين الفضاءات الذهنية ونظرية الصلة، ص ٣٩.

(٢) الإطار هو مصطلح لساني إدراكي يقود عملية الإسقاط ما بين الأفضية ولذلك تكون العناصر الفاعلة في تصوّر المجال الجديد وتمثله موروثة من مجال أو مجالات سابقة أو مُستمدة من عالم التجربة والخلفية المعرفية، للتوسع ينظر: دايك، فان، النص والسياق إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص ٢١٩، وينظر: الزناد، الأزهر، نظريات لسانية عرفية، ص ٢٠٩.



بأطر معرفية حاكت أذهان المخاطبين
وتصوراتهم الذهنية، فرسمت أفضية
ذهنية واقعية متمثلة في (فضاء معجزة
السحر) والقائم على شخصية موسى عليه السلام،
و(فضاء معجزة الشفاء)، والقائم على
شخصية النبي عيسى عليه السلام، و(فضاء
معجزة القرآن)، والقائم على شخصية
النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام،
و(فضاء معجزة السيف)، والقائم على
شخصية الإمام علي عليه السلام.

ويفتح فعل القول في نهاية
المحاورة في قوله: (فما الحجة الآن ؟)
فضاءً استفهامياً ذهنياً جديداً، يستند
على الفضاء المركزي الأول في الأطر
الأولى للحوار، والقائمة على أساس
الهدف القادح (تعجيز الإمام عليه السلام)،
فيولد هذا البناء تصورات جديدة لدى
المتلقي للبحث عن روابط فاحصة
للهدف، فيأتي البناء الذهني في الإجابة
(العقل)؛ ليفتح فضاءً ذهنياً آخر يقوم
على أساس معطيات المعرفة العقلية التي
منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان للتمييز
بين الكاذب، وهو (فضاء جديد)، و(غير
الكاذب) وهو أيضاً فضاء تصوري جديد.

المطلب الثاني

(الأفضية الذهنية في الحوار الداخلي)

يحقق الحوار بطبيعته البنائية سمة
تواصلية إبلاغية، فبه نشخص أبعاد
الشخصيات الثقافية والدينية والعلمية،
فينتج المعنى بعد صراعات التصور المفتوحة
بين المتحاورين؛ ليؤسس فضاءات ذهنية
أساسية حقيقية وافتراضات غير مادية
يستشفها المتلقي من المقولات المحورية،
فتمنحه هذه الأفضية الذهنية فهم وإدراك
المعنى بعد عملية التفاعل تلك، «حيث
يقوم هذا التفاعل بين المشاركين فيما بينهم
من جهة والمشاركين والمتبعين من جهة
ثانية، ولا يعني التفاعل حصول الإقناع
ولكن الإشراك في الإهتمامات وإدراك
الأنساق التأويلية والتقويمية والتفاعل
معها . مما يطرح البحث في الميكانيزمات
التي تمكن الحوار من تحقيق التفاعل بين
أطرافه»^(١)، وعلى هذا الأساس جاءت
موضعية، ومهمة الحوار في بحثنا .

والحوار في مسند الإمام عليه السلام جاء
بنوعين: الحوار الخارجي، وهذا ما عرضناه

(١) نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل
التواصلي - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية -،
ص ١٠.



تصورات المتكلم، وهذا يفضي للمتلقي إلى فضاء ذهني متصور فرضي مقابل يقوم على أساس (يتقى)، وأعطى البناء للمجهول في الجملة تصور زمني ممتد مع الزمن، حدوده مرتبطة بالفضاء الذهني الأول (التقوى) فيوجد بوجوده، ويغيب بغيابه، وهذا ما أنتجه أسلوب الشرط في الجملة اللاحقة في قوله عليه السلام: «ومن أطاع الله يُطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين»، الذي أوجد لنا بناءين ذهنيين، البناء الأب وهو البناء الأول القائم على (فضاء طاعة الخالق)، وهو مرتبط فرضياً مع بناء ذهني إدراكي إحالي ثانوي، وإن لم يصرح به للمتلقي يقوم على أساس (طاعة المخلوق)، وهذا الاهتداء أوصلنا إليه الفضاء الذهني الأول، فهو مرتبط به ذهنياً عن طريق القادح (طاعة الخالق) .

ومن يمعن النظر في الأفضية الذهنية السابقة يجدها قائمة على خطاطة التوازن، وقد عرّفنا في ما سبق من بحثنا الخطاطة، أما التوازن في الأبنية فقد بني على أساس تصورات ذهنية متساوية، ومتوازنة في كل منها؛ فهي مرتبطة بنقطة مركزية واحدة، ففي قوله عليه السلام: (من اتقى الله يُتقى) خطاطة متوازنة، مرتبطة بنقطة مركزية هي: (التقوى)، وهي البنية التصورية

في المطلب الأول، والحوار الداخلي الذي يحاور فيه الإمام عليه السلام نفسه وربّه الكريم على ما أصابه من ظلم وتسلط، هذا النوع من الحوار الداخلي للإمام عليه السلام نجده واضحاً في الدعاء، والحكم، والمواعظ، ومنه ما جاء في قوله عليه السلام: «من اتقى الله يُتقى، ومن أطاع الله يطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين . ومن أسخط الخالق فلييقن أن يحل به سخط المخلوقين»^(١).

تعطي اللسانيات الإدراكية علاقات الربط المعرفي الجامع بين الفكر واللغة أولوية في تحقيق الإدراك للمعنى المراد في تصورات المتخاطبين، وبنيت الأفضية الذهنية في النص الذي بين أيدينا بأدوات شرط عملت على بناء أفضية ذهنية متنوعة، وهي: (فضاء التقوى)، و(فضاء الطاعة)، و(فضاء السخط)، وفي كل من هذه الفضاءات نلاحظ بناءين ذهنيين، ففي قوله عليه السلام: (من اتقى الله يُتقى)، فتح لنا الفضاء الأب، وهو الفضاء الأول، والذي يشمل، ويضم في تصوراتنا الذهنية (كل من اتقى من الناس)، فأعطى الشرط خصوصية لمعنى التقوى في تطبيقاتها المعرفية الشائعة في

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، ص ٣٠٠.



العامة أو (البنية العليا)^(١) في المقول، وهذه البنية التصورية العليا مبنية على فضاءين أساسيين متوازنين هما: (الإنسان الذي يتقي الله) و(الإنسان الذي يتقي الناس)، ولو أطلقنا على الفضاء الذهني الأول: (أ)، والثاني (ب) كانت النتيجة متوازنة في كل منهما، فلو قدمنا (ب) على (أ) لما تغيرت النتيجة أو البنية التصورية العليا في المقول، فالتقوى الجامع بين الفضاءين .

والأمر لا يختلف في الفضاء الذهني اللاحق في قوله عليه السلام: «ومن أطاع الله يُطاع . ومن أطاع الخالق لم يبال سخط المخلوقين»، فالمقول مرتبط بنقطة مركزية هي: (طاعة الله سبحانه وتعالى)، وهي تمثل البنية التصورية العليا إلا أن كل منها مبني على أفضية ذهنية أساسية أولى، وأبنية تصورية ثانوية، ولكنها في جميعها تصب في البنية العليا للمقول وهي (طاعة الله)، ففي قوله: (ومن أطاع الله يطاع) الأفضية الذهنية الآتية :

(١) مصطلح لساني إدراكي يقصد به النوع المحدد للنظام الكلي للنص، ويتألف من مجموعة من المقولات تركز إمكاناتها التأليفية على قواعد إدراكية معرفية، ينظر: دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون، ١، ص ٢١٢.

(أ) - فضاء أول أساس: (الإنسان المطيع لله)، ويقابله فضاء ذهني تصوري ثانوي يتمثل في: (الإنسان غير المطيع لله).
(ب) - فضاء ثان أساس (إنسان يطيعه الناس)، ويقابله فضاء ذهني تصوري ثانوي يتمثل في: (إنسان لا يطيعه الناس)

هذه الأفضية الذهنية في مجملها تشكل نتيجة متوازنة، تعود مركزيتها إلى (طاعة الله)، حقق فيها أسلوب الشرط الفاعلية المنتجة لبناء تلك التصورات الذهنية، فلو إستبدلنا فضاء المقول (ب) بفضاء المقول (أ) لبقى المقول في توازن، ويطلق على هذا النوع من التوازن (التعددية)، وفيه تكون (أ) توازن (ب) في المقولات، فتلمس آثارها في مما رساتنا العقدية، والأخلاقية، والعاطفية، والقضائية^(٢).

ومن ذلك الحوار الداخلي ما ورد في الدعاء قوله عليه السلام: «اللهم لك الحمد في السراء والضراء، والشدة والرخاء، والعافية والبلاء، والسنين والدهور، ولك الحمد على آلائك ونعمائك عليّ وعندي،

(٢) أبو عمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، ص ٩٧.



ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في: (الرّخاء)

(ج) - فضاء ثالث أساس (العافية)،

ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في: (البلاء)

ولو أخذنا أي مقول من هذه

المقولات (أ - ب - ج) لوجدنا كل منها

يطلق عليه الخطاطة الإنعكاسية، فعندما

نأخذ على سبيل المثال المقول (أ) نجد فيه:

«الشيء موازن لذاته (أ) توازن (أ) حيث

ينقسم الشيء نفسه على قسمين متناظرين

يدوران على المحور نفسه، مما يحقق توازن

القوى بين قسمي الشيء الواحد، وهذا

التوازن المادي يمكن أن يسقط إستعارياً

على أكثر المجالات تجريداً»^(٢).

وكل مقول من هذه المقولات

الثلاث مرتبط ببنية تصوّريّة عليا هي:

(فضاء الحمد لله سبحانه وتعالى)، وهذا

ما يجعل التوازن حاصل في كل منها،

مهما بدلنا في تلك الأبنية الذهنية فستبقى

البنية العليا حاضرة (الحمد)، فيستوجب

حضورها في: (الحمد في السّراء)، و(الحمد

في الضّراء) و(الحمد في الشّدة) و(الحمد

في الرّخاء) و(الحمد في العافية) و(الحمد

في البلاء)، وهكذا...، فالحمد هو الفضاء

وعلى ما أوليتني وأبليتني وعافيتني،

ورزقتني وأعطيتني، وفضلتني وشرفتني

وكرمتني، وهديتني لديّك حمدا لا يبلغه

وصف ولا واصف...»^(١).

من يعود لقراءة الدعاء المتولد عن

طريق الحوار الداخلي في النّص يجد شيوعاً

واسعاً لأفضية ذهنية متشعبة، وفي الوقت

نفسه يكتشف أن هناك فضاء أساس يربط

جميع تلك الأفضية، ويُفَعّل عن طريقه

التصورات الذهنية عند المتلقي (البنية

التصورية العليا) هذا الفضاء الذهني

يتمثل في (فضاء الحمد)، فهو بناء ذهني

حقيقي وأساس، يستوجب حضور أبنية

أخرى ثانوية تمثلت في تلك الثنائيات

الموظفة بشكل مؤثر ومن بينها: (السّراء

والضّراء)، و(الشّدة والرّخاء)، و(العافية

والبلاء)، ولكل منها فضاءين ذهنيين

متقابلين، وعلى وفق الآتي :

(أ) - فضاء أول أساس: (السّراء)،

ويقابله فضاء ذهني ثان يتمثل في:

(الضّراء)

(ب) - فضاء ثان أساس (الشّدة)،

(١) العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام

الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، ص ١٧٦ -

١٧٧.

(٢) الخطاب العقدي في القرآن الكريم في ضوء

اللسانيات المعرفية، ص ٢٣٧.



الذهني الراجح (الهدف) في هذه المقولة التي إستعادت حضور أفضية ذهنية متلازمة في أطر تركيبية، ومقامية محكمة في الحوار، فعمل العطف المتمثل بالواو في بنية الحوار على إشراك طرفي العطف بحركة ترابطية لا تختصر على البناء الشكلي، وإنما دخلت في تعميق المعنى، ورسم ملامحه الإدراكية عند المتلقي؛ لأن الربط لا يقوم فقط على: «علاقة الوصل المنطقية التي تعني الجمع بين العنصرين بل هي تعني تفاعل العنصرين وتجاذبهما وفق علاقة قائمة على الحركة والتغيير المستمر»^(١)، فشكل الترابط الصوري في تقنية التّقابل إستراتيجية واضحة، وفاعلة بعدما أنشأ في الذهن أفضية ذهنية حرّكت التصورات عند المتلقي، وعملت على تقريب عناصر، وتجليات، ومكونات الحمد في الذهن؛ لما تحدّثه طريقة التّقابل من إستعاب للأشياء^(٢).

وفي الفقرة الثانية من الدّعاء: «ولك الحمد على آلائك ونعمائك عليّ وعندي، وعلى ما أوليتني وأبليتني وعافيتني،

(١) العمري، منجي، حركية المعنى النحوي مقارنة عرفانية لمقولة الربط، ص ٣٨٤.

(٢) ينظر: شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٣٢٧.

ورزقتني وأعطيتني، وفضلتني وشرفتني وكرمتني، وهديتني لدينك حمدا لا يبلغه وصف ولا واصف» بقي البناء القادح في الكلام (الحمد) مسيطراً على الأبنية الذهنية، ولكن هذه المرة سيقت بطريقة الضمائر المتصلة، والرابطة بين: (المحمود والحمد) بين (الله جلّ جلاله) و(الإمام عليّ)، فحققت تلك الطريقة في الربط أبنية ذهنية إدراكية متناغمة بينهما، فوظف الضمير المتصل (تاء الفاعل)؛ ليمثل قدرة الله سبحانه وتعالى في منحه: (النعمة - الولاء - البلاء - الرزق - العافية - العطاء - الشرف - الكرامة - الهداية)، ولكل واحدة من هذه المنح، والعطايا في حوار الإمام الداخلي بُني فضاء ذهني متقابل وسّع من تصورات المتلقي الأفقية، وهذا ما يمنحنا قوة القول أن الإمام عليّ وظّف في أبنية الذهنية أفضية ذات بنية عميقة متناسقة، ومتصاعدة، ومتفاعلة أكدت قدرة الله سبحانه وتعالى، ووجوب الحمد بما أحدثه من حركة ذهنية في تصورات المتلقي.

ويبني الإمام عليّ في حكمة من حكمه أفضية ذهنية ذات بنية عميقة في قوله: «من هانت عليه نفسه فلا تأمن



أساس، وهو: (فضاء الهوان) مرتبط بفضاء ذهني أساس ثان (فضاء الشر)، وكلاهما مرتبط بفضاءين ثانويين، وبرابط (الشرط) فالهوان لا يكون إلا عند بعضهم، والشر مرتبط بالأمان الذي لا يتحقق إلا بوجود الفضاء الذهني الأول، وهو بعد تصوري متلازم في المقول، حقق الإدراك والغرض منه بشكل منطقي أساس إذ إرتبط الفضاء في المقول: (أ)، بالفضاء في المقول: (ب)، في الواقع والمتخيل، فكان (ب) مقيداً ب (أ) وتبعاله^(٣).

وهذا التلازم في الربط بين الأفضية لم يأت اعتباراً بل «هناك أبعادٌ طبيعية تتحكم في مقولتنا للأشياء: بُعد إدراكيّ أساسه تصوّر الشيء بواسطة جهازنا الحسيّ، وبُعدٌ وظيفيّ أساسه تصورنا لوظائف الشيء، وبُعدٌ غرضيّ أساسه استخداماتنا الممكنة للشيء في وضع مُعيّن»^(٤)، فأنّج لنا المقول بأسلوبه المعروف هذه التصورات المتلازمة، فعزز من قيمة الهدف، والقائمة على نبذ الهوان والذلّ لنفس مقابل مكاسب مادية أو

شرّه^(١)، هذه الأفضية مبنية على ما يُعرف باللسانيّات الإدراكية بخطاطة الربط (Connectivity Plan)، ويُقصد بها الربط المعرفي بين الإدراك الحسيّ، والتّجريد الذهني من جهة، وعلى الربط بين الجانب الصوتي والجانب الدلالي من جهة ثانية، وبه تتم المعالجة الذهنيّة للمعرفة البشريّة^(٢)، والربط في المقول يقوم بين فضاءين أساسيين واقعيين هما:

(أ) - الفضاء الأول الأساس: (الإنسان الذي تهون عليه نفسه)

(ب) فضاء ثان أساس: (إنسان لا يؤمن شره)

هذان الفضاءان يقابلهما فضاءين متخيلين هما:

(أ) - فضاء متخيل أساس: (إنسان لا تهون عليه نفسه)

(ب) - فضاء متخيل أساس (إنسان يؤمن شره).

فنلحظ في المقول فضاء ذهني

(١) شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، ص ٣٠٢.

(٢) ينظر: أحمد، عطية سليمان، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية - عصبية - عرفانية)، ص ٢٩٥.

(٣) الزناد، أزهري، نظريات لسانية عرفانية، ص ١٧.

(٤) جونسون، مارك، لايكوف، جورج، الاستعارات التي نحيا بها، ص ١٦٥.

معنوية زائلة .

في الذهن لتؤكد عمق الأبنية الذهنية ووضوحها .

الخاتمة ونتائج :

الحمد لله الأول الذي لا أول لأوليته، والآخر الذي لا آخر لآخريته، الظاهر والباطن، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين، بعد هذه القراءة والتحليل لموضوع بحثنا: (الأفضية الذهنية في حواريات مسند الإمام الهادي عليه السلام - في ضوء اللسانيات الإدراكية) كانت النتائج الآتية:

يعد الحوار منطقة لإبداء الآراء، وهو بذلك متنفس يجد فيه المتكلم إمكانية لقول ما يمكنه قوله بشأن القضايا الدينية والسياسية والاقتصادية، وقد حقق الحوار في مسند الإمام الهادي عليه السلام، وبنوعيه الداخلي، والخارجي مهمته القائمة على أساس تمكين المتلقين من تصورات فكرية وتوجيهية جديدة عملت على تغير كثير من الثوابت الضائعة أو المسوفة عندهم بما أنتجه الإمام من تأثير على المنظومة المعرفية.

في مستوى البنى النصية الصغيرة والكبيرة للمقولات في الحوار الخارجي شاعت خطاطة القوة على بقية الخطاطات؛ ولعل ذلك يعود إلى عمق علوم الإمام عليه السلام، وقدرته على تشخيص الحجة المتداولة الأقوى، والحجة المتداولة الأضعف، وسوقها إلى المخاطبين بطريقة إدراكية مؤثرة.

كشفت الدراسة أن الإمام عليه السلام في حواراته الداخلي وظّف في أبنيته الذهنية أفضية ذات بنية عميقة متناسقة، ومتصاعدة، ومتفاعلة أكدت قدرة الله سبحانه وتعالى، وهذا ما وجدناه في إنموذج التحليل، وفضاء وجوب الحمد،

في مستوى البنى النصية الصغيرة والكبيرة للمقولات في الحوار الداخلي شاعت خطاطة التوازن بنوعيتها (التعددية - الانعكاسية)؛ ولعل ذلك يؤكد رؤية الإمام عليه السلام الواضحة للأشياء حضوراً، وغيباً، فسيقت لنا بتجلياتها المتقابلة

بما أحدثه عليه السلام من حركة ذهنيّة في تصورات المتلقي .

وجدنا في مسند الإمام عليه السلام علاقات كثيرة في (خطاطة الرّبط) بين المحسوس والمجرد، وهذا الأمر يمكّننا من القول أن المضامين، والمفاهيم الواردة في الحوار وُضعت في قوالب لغوية، ليدركها المتلقي في أي عصر من العصور، فيتحمسها، ويشعر بها على وفق قدراته المعرفية والإدراكيّة ضمن رؤية ذهنيّة رمزيّة، وهذا ما وجدناه في رمزيّة السيف في كلام الإمام عليه السلام، وهذه النتيجة يمكن أن تتقاسمها المقولات الرفيعة على مر العصور؛ لما تتضمنه من عمق المعاني، ودقة الألفاظ .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم .

١. جونسون، مارك، لايكوف، جورج، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة عبد المجيد جحفة .

٢. قريرة، توفيق، الاسم الاسمية في اللغة العربية مقارنة عرفانية، مكتبة قرطاج للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١م.

٣. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.

٤. ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٦م.

٥. العمري، منجي، حركية المعنى النحوي مقارنة عرفانية لمقولة الربط، دار كنوز المعرفة، عمّان، الاردن، ط١، ٢٠١٩م.

٦. نظيف، محمد، الحوار وخصائص التفاعل التواصلي - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية - أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٠م.



٧. التركي، إبراهيم بن منصور، العدد ٤٠، بغداد، ط ١، ٢٠١٢ م.
١٤. أحمد، عطية سليمان، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية - عصبية - عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ٢٠١٩ م.
٨. ابو عمراني، محمد الصالح، دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، دار نهى، صفاقس، ط ١، ٢٠٠٩ م.
٩. التميمي، جنان، الزمن في العربية من التعبير اللغوي إلى التمثيل الذهني دراسة لسانية إدراكية، د. ط، ٢٠١٢ م.
١٠. إبراهيم، محمد أبو الفضل، شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق دار إحياء الكتب العربية.
١١. دايك، فان، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون ١، ترجمة، سعيد حسين البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠١ م.
١٢. شحرور، محمد، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
١٣. ستيرنين، يوسف، بوفوفا، زينايدا، اللسانيات الإدراكية، ترجمة: د. نحسين رزاق عزيز، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها بيت الحكمة العراقي، العدد ٤٠، بغداد، ط ١، ٢٠١٢ م.
١٤. أحمد، عطية سليمان، اللسانيات العصبية اللغة في الدماغ (رمزية - عصبية - عرفانية)، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ٢٠١٩ م.
١٥. حجازي، محمد أحمد، مال خديجة رضي الله عنها وسيف علي عليه السلام، دار المحجة البيضاء، الأردن، ٢٠٠٦ م.
١٦. غريبة، عبد الجبار، مدخل إلى النحو العرفاني، مسكلياني للنشر، كلية الاداب والفنون والانسانيات بمنوبة، ط ١، ٢٠١٠ م.
١٧. الحباشة، صابر، مسارات المعرفة والدلالة، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط ١، ٢٠١١ م.
١٨. العطاردي، الشيخ عزيز الله، مسند الإمام الهادي أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام، المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام، قم، ١٤١٠ هـ.
١٩. الزناد، أزهر، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠٠٩ م.
٢٠. الزناد، الأزهر، النص والخطاب مباحث لسانية عرفنية، دار نيبور للطباعة



والنشر، الديوانية - عراق، ط١، ٢٠١٤م.

٢١. دايك، فان، النص والسياق
إستقصاء البحث في الخطاب الدلالي

والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني،
أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠م.

٢٢. أبغش، محمد عبد الودود، نظرية
الافضية الذهنية مبادئها تطبيقاتها، النور
للنشر والتوزيع، ٢٠١٦م.

٢٣. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب
الكاتب، تاريخ اليعقوبي، مطبعة الغري،
النجف الاشرف، ١٩٤٠، ج٢.

٢٤. الرسائل الجامعية :
٢٥. ابن دحمان، عمر، الإستعارات

والخطاب الأدبي مقارنة معرفية معاصرة،
(أطروحة)، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية، جامعة مولود معمري - تيزي
وزو، ٢٠١٢.

٢٦. النصراوي، جنان تكليف علي،
التقابلات الوجدانية في القرآن الكريم
بين الفضاءات الذهنية ونظرية الصلة،
أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات،
جامعة الكوفة، ٢٠٢٠م.

٢٧. عبود، صفية موسى، الخطاب
العقدي في القرآن الكريم في ضوء

البحوث والمقالات العلمية :

أنطوفيتش، ميهايو، مكانة علم
الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة،
ترجمة حليلة أبو الريش، (بحث)، مجلة
فصول العدد ١٠٠ .

The knowledge of Imam in Light of Comprehensive Visit: An Analytical Study	Dr. Said Ibrahim Mortadhawi	143
Imam Al- Hadi's (PUBH) Approach in confronting the challenges: A Study and an Analysis	Dr. Bahman Zenly	165
Intention and Acceptance and Their Effect on Text Building in Imam Al-Hadi's (PBUH) Discourse	Lect.Dr. Ahmed Muafaq Mahdi	193
The linguistic Inquiry of for Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) words: A Semantic Study	Lect.Dr. Kadhim Hanoon Sachim	237

Contents

Manifestations of Quranic Interpretation of Imam Al-Hadi (PBUH): Doubts Responses as a Model	Assist Prof.Dr. Hayder Jabbar Daftar Assist. Prof.Dr. Ibtihaj Sama' Ali	17
The verses revealed about Imam Ali's (PBUH) guardianship in Al-Ghadir visitation by Imam Al-Hadi (PBUH): A Study and an Analysis	Assist. Prof.Dr. Asghar Tohmasaby Al-baldaji	39
Knowledge of Allah and His Oneness in Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Words	Sheikh Rasool Kadhim Abdulsada	67
Imam Ali Al-Hadi's (PBUH) Efforts in Strengthening the System of Deputies	Dr. Mahdi Asmati	111

Social Aspects in Imam Al-Hadi's (PUBH) Thought	Lect.Dr. Sattar Jalil Ajil	383
The Grammatical structure and its impact on directing the meaning in Imam Al-Hadi's (PBUH) narrations	Assist. Lect. Abdulhadi Faleh Al-Kaaby	425
Mental Space in Imam al-Hadi's (PBUH) Dialogues in light of Cognitive Linguistics	Prof.Dr. Hadi Saadon Hanoon Al-Aridhi	447

Quranic Discourse by Imam Al-Hadi (PBUH): An Analytical Reading	Assist. Prof.Dr. Ammar Hassan Abdulzahra	275
The referral in the letter of Imam Ali Al-Hadi (PBUH) responding to the predestination and free will advocates	Lect.Dr: Dakhil Daman Sahi	317
The Letters of Ali bin Mahziyar Al-Ahwazi to Imam Al-Hadi (PBUH) A Study of the Characteristics of Textual Structure	Prof.Dr. Muzahim Mutar Hussein	337
The Narrations of Imam Ali al-Hadi (PBUH) in Light of Expressive Context	Assist. Prof. Ahmed Jasim Thani	361

Guidelines of Reviewers

Journal of Samarra Heritage takes notice on the accreditation of highly standards and equality in reviewing process. It is interesting in all procedures of reviewing process. Its essential interest is to make the scientific reviewer examining the manuscript very well according to his/her major. The manuscript must not be under the reviewer's self-opinion. Reviewer must mention the reliable notes on the manuscript and return to the journal within fifteen days and the reviewing process is doing according to the following limitations:

1. The title and its approach to the content.
2. Validity of methodology and its approach to the content.
3. The documentation of the references and its modern ones.
4. Literature review and the scientific value adding to knowledge field.
5. the manuscript meeting journal policy and the instructions of publication.
6. the research paper drawing from previous studies? Reviewers must be mentioned that to the editor in chief.
7. Reviewers must mention and clarify the abstract that describe the content of the manuscript. Here must be relevance between the content of the manuscript and its idea in Arabic and English.
8. the author explaining to scientific results depending on theory frameworks.
9. The process of reviewing must be run confidentially and the written notes must return to the editor in chief.
10. Reviewer's notes recommendations must be depended in acceptance publication decision.

To/

Sub/ Undertaking of Publication

NO.

Date:

Editorial board please to tell you that we get your manuscript (.....)

Please, fulfill the following undertaking statement form and return it as quickly as possible to be ready for the review. It is important to know that we consider the date of receiving this statement as the starting of reviewing procedures.

Director

Lec.Dr. Mushtaq Abdulhay Alassadi

Undertaking Statement

I am (.....) hereby sign and my manuscript title is (.....)

I undertake that:

1- A research paper is unpublished and not present to other publisher as fully or summary. The research paper must not draw from any thesis or dissertation.

2- The instructions and the morals of publication must follow as mentioning in this journal and checking the language of manuscript.

3- The researcher must follow amending manuscript according to editorial board notes supporting to report of scientific reviewer.

4- I have no permission to do in original research paper except to get the consent from the editor in chief.

5- I undertake in charge of any modification legally and morally in all content of manuscript. and I hereby undertake as follows:

1- My own thinking of research.

2- To be concede copyright, publication, distribution of hard and soft copies of journal to journal of heritage of samara or who is authorized.

Name of the first researcher:

Institution:

Email:..... No. mobile:.....

The names of participants (if there are)

Signature:

Date:

- Journal has a commitment never using of the ideas of researches by the editorial board or the reviewers.

- The researchers must guarantee to work accredited research papers for meeting professional criterion and highly morals without changing the outcomes.

- The researchers must use scientific methods to get the reality.

- The researchers must be neutral and be far of extremism of opinion and the self. She/he must be open-minded to the scientific reality.

- The researchers must be accredited systematic approaches and further evidence to prove the hypotheses and getting the outcomes.

- Reviewers must be assured that there have no plagiarism. It needs to mention to all published works.

Magazine publishing policy

The aim of the journal is to provide equal opportunities to all researchers. It is accepted the scientific research papers according to scientific and accredited contents. Journal's sight is to be a commitment to professional morals of publication which is highly interesting to researchers and reviewers with meet the aims and visions of the journal.

The following statement of morals of scientific publication of this journal has announcements and regulations particularly and morally to editor in chief, editorial board, reviewers and researchers. This is to be meeting with principles of global morals of publication committee (COPE).

- Editor in chief is doing to achieve follow up and initially review the manuscripts and the validity or the excuse for the publication before sending to reviewers.
- Editor in chief is doing with editorial board and the experts to select the suitable reviewers according to the subject of the manuscript and the major confidentially.
- Journal presents reviewers' and experts' reports for the service and supporting researchers in an artistic way, methodology and information. This is for the quality of the research process.
- There must be a commitment to prevent discrimination against enmity, sex, social race or religion excepting non commitment research methodology.

6- Manuscript must be included a list of references and bibliographies separately from the margins. Foreign references and bibliographies must add to as a list separately from Arabic ones with interesting in order of alphabet of the names books and papers in journals.

7- Tables, graphs and portraits should be printed on independent sheets and their references must be mentioned under them with the appearance of places in the body.

8- Curriculum vitae of the new author should be provided with the manuscript with mentioning to its submission to conference or scientific symposium. It needs to mention the scientific association which may sponsor or help.

9- Research must not publish previously.

10- Manuscript must be printed on A4 sheets with CD and minimum 25 pages simplified Arabic 16 font for the body and 14 for the margins with numerating order.

11- Order of research papers in journal are according to artistic procedures.

12- Manuscripts must be reviewed confidentially for the validity of their publication. They do not return either acceptance or not. Procedures of tracking as follows:

a- Journal tells the author that track running during one week from the date of submission.

b- Journal tells the authors' acceptance papers with accepting of Editorial Board that they will publish during expecting date.

c- Reviewers may examine the papers with modifications or additions before publication that they return to the authors.

d- Journal tells the author that manuscript meets with a refusal without necessary to reasons.

e- Each author is granted one journal from the number including his/her publication.

Guidelines for Authors

The Journal of Samarra Heritage is accepted research papers and accredited studies according to instructions of the scientific researches as follows:

1-Manuscripts should be followed rules and international standards of the scientific researches.

2-Manuscript must be related to the subjects of the journal in which as follows:

a- Two Askariyyein Imams (Peace be upon them) and their historical heritage, religion, jurisprudence, narrative, explanation, literature and their roles in readiness of disappearance of Imam Almahdi(Peace be upon him)

b- The history of holy Askariyyein affairs and its architectural features, consequences, its own properties and landmarks and es-corts.

c- Figures of Samarra and characters who visited the city.

d- The history of Samarra city its geography across centuries and variety of inhabitation and archeological landmarks.

e- Religious and scientific Alhouza (holy school of Shiite Muslims) and its scientists, schools and intellectual archeology.

f- Mr Alsherzi who is renovated and left traces and his archeologies, school and students in Samarra.

3-The abstract must be in Arabic and English within one page containing the full title.

4- The first page must contain the title, the name of the authors, occupation, phone number and email.

5- The margins are in the body of each page and the sources and references at the end of the research. As for the method of writing the sources and references, it is written according to the international formula known as (Chicago) and it is as follows : Surname, author name, book title, translation, volume , name of the press, place of printing, year of publication.

Arabic Check

AL-shikh Akeel Ali Shlal aldaraji

English Check

Lect. Prof. Hameed Mana Daikh AL-Hamdawy

It is not allowed to anyone to publish or quote without reference to the journal or the authors. This considers as copyrights and one of the international standards of accredited scientific journal.

International NO. ISSN: 2617-216x

Journal Management: 07601840097 | 07819570282

Our website: <http://ts.askarian.iq>

Email: torath.samarra2017@gmail.com

Accredited number in the House of Books and Documents-Baghdad: 2396 - 2019

**Position Address: Center of Samarra Heritage-Alrasool
Road-Annajaf Alashraf-Iraq**

Editor in chief

Prof. Dr. Mohammad Mahmood Abood Zuain
University of Kufa- College of Jurisprudence

Director

Lect. Dr. Mushtaq Abdulhay Alassadi
University of Kufa - College of Engineering

Editorial Board

1. Prof. Dr. Mohammad Musa Alqurainy- University of King Abdulaziz
-Faculty of Teachers - The modern history
2. Prof. Dr. Mohammad Shukair - Islamic University - Faculty Islamic
Studies of Teachers Lebanon -Jurisprudence and Islamic sciences
3. Prof. Dr. Hassan Khalil Reda - Lebanon University - faculty of Arts
and Humanities - Philosophy and educational sciences
4. Prof. Dr. Abdul Majeed Hussain Zarakat - Lebanese University - Arabic
Language and Arabic Literature
5. Prof. Dr. Sami Nazim Hussein Al-Mansouri - University of Al-
Qadisiyah - Faculty of Education - The modern history
6. Prof. Dr. Adil Abbass Alnassrawi _ University of Kufa - Faculty Basic
Education - Language and grammar
7. Prof. Dr. Surhan Chafat Salman - University of Al-Qadisiyah - Faculty
of Education - The Arabic Language
8. Prof. Dr. Adil Nather _ University of Kerbala - Faculty Education for
Humanity Sciences - Modern linguistics
9. Prof. Dr. Adil Abduljabar AlShati - University of Babylon - Faculty of
Islamic Sciences - Prophetic tradition
10. Assist. Prof. Dr. Rajwan Faisil Almaily - University of Al-Qadisiyah
- Faculty of Archeology - Islamic antiquities
11. Lect. Dr. Nafea Jameel Khalaf - Imam Al-Kadhim (PBUH) University
College -Islamic doctrine and thinking.



A special issue on
Imam Ali Al-Hadi (PBUH)



Samarra Heritage

An Academic journal of Samarra Heritage is
published twice a year interesting in the study of
Honorable Samarra Heritage

Published by
Al-Askariyyein Holy Shrine Affairs
Center of Samarra Heritage

VOL. 8 - 4rdYear
(1445. A.H - 2023.A.C)

**An Academic journal of Samarra Heritage is
published twice a year interesting in the study of
Honorable Samarra Heritage/Published by Al-
Askariyyein Holy Shrine Affairs - Center of Samarra
Heritage/AL-Najaf al ashraf
VOL. 8 - 4rdYear - (1445. A.H - 2023.A.C)**

